



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي



آليات الخطاب الحجاجي في رسائل ابن أبي الفصال الأندلسي - دراسة بلاغية تداولية -

مذكرة مقدمة من متطلبات نيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة و الأدب العربي

تخصص : الدراسات اللغوية

إشراف الأستاذ الدكتور :

- بوفاتح عبدالعليم

إعداد الطالب :

- خليل تيوة

{ أعضاء لجنة المناقشة }

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د . هشام خالدي
مشرفا	جامعة الأغواط	أستاذ التعليم العالي	أ.د . بوفاتح عبد العليم
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د . عبد الناصر بوعلي
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د . إبراهيم مناد
عضوا	جامعة الجلفة	أستاذ التعليم العالي	أ.د . أحمد بوصبيعات
عضوا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	أ.د . إبراهيم بوشريجة

الموسم الجامعي : 2022/2021 م



Handwritten Arabic calligraphy in black ink, featuring a large, stylized initial letter 'W' or 'U' with a circular flourish. The signature 'Dala' is visible at the bottom left of the calligraphic element.



الإهداء

إلى من أخذت وقتهم ... و أعطوني خالص دعواتهم

إلى أيقونة عطاء ... والدتي

إلى رمز بذلٍ إحسان و وفاء ... والدي (شفاه الله)

إلى زوجتي ، إخواني ، أخواني ، إلى كلّ أفراد عائلتي ...

إلى ابنتي جنى و إسراء ...

لكل أولئك أقدم اعتذاري لتقصيري في حق صحبتهم

إلى كل الأساتذة الفضّال ، الأصدقاء و الأحباب ...

لا أخصّ بالذكر منهم أحداً

أهدي ثمرة هذا العمل ...

خليل

شكر و عرفان

بعد شكر الله تبارك و تعالى على منته و كرمه وإحسانه ...
أتقدم بخالص الشكر و العرفان و جزيل الشناء و الامتنان إلى كل من
مدّني يد العون و ساعدني من قريب أو بعيد ... و أخصّ بالذكر
أستاذي الفاضل " بوفاتح عبد العليم " و كل أساتذتي بقسم اللغة
العربية بجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان الذين لن تنصفهم العبارة ،
على رحابة صدورهم لما ضاقت السبل ، و جزيل بذلهم لما شحّت
الحيل ، عرفانا منا بما قدّموه من كرم ضيافة و دعم مرافقة و توجيه ...
فلا يمكن إلا أن تتجسد فيهم -حقا - عبارة " بيت كبيرة "
كما لا يفوتني أن أتقدم بشكري لزميلي في رحلة الدكتوراه ..
الدكتور أمبارك بن مصطفى و الذي كان صادق الوعد

وإلى كل من لم تسعهم العبارة ... صدرنا يتسع ...



المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و حده ، والصلاة و السلام على من لا نبي بعده ، محمد ابن عبدالله ، خير من بُعث للعالمين ، و أفصح من صدع بالحُجّة ، و دعا الناس إلى بيضاء المحجّة ، و أصلي و أسلم على صحبه الأخيار المنتجبين .

إنه ليكاد يُجزم أن من بين أهم الأنعم التي منّ بها المولى عز و جلّ على خلقه نعمة العقل ، فهو ما يرتقي بالإنسان و يميزه عن سائر المخلوقات ، كما أنّ انعكاس هذه الميزة أو الخاصية التي حبي الله بها الإنسان هو اللسان ، فاللسان هو مرآة العقل و ترجمانه ، و هو أداة التواصل و بناء المجتمعات ، فهو اللبنة الأساس التي يتم بها التواصل و بالتالي تبنى المجتمعات و الحضارات ، فمتى ما غاب التواصل أو التحوار حلّ مكانه العنف أو التنازع و الاقتتال ، و لعل النظرية الحجاجية في أصل نشأتها و ظهورها ، جاءت تلبية لهذه الحاجة الملحة في حلّ النزاعات و التجاذبات عن طريق الحوار و الغلبة باللسان بمخاطبة العقل و الوجدان ، و هذا ما انبنت عليه أولى الارهاصات التي سبقت تأسيس النظرية الحجاجية ، في الحضارة اليونانية (مهد الحجاج) بداية بالسوفسطائيين و أفلاطون ثم أرسطو ، كان فن الخطابة و الإقناع آنذاك (البيئة و الحقبة اليونانية) مزيّة و رفاهية يحظى و يتمتع بها أقلية من الناس ، و كانت الحاجة إلى هذا الفن القولي و العقلي متزايدة (بسبب المحاكمات التي تعقد بين الناس من أجل استرداد أراضيهم التي نهب منهم في فترة سابقة و رُحلوا منها قسراً) فمن استطاع من المتحاكمين أن يدفع أجر الخطيب الذي يحتاج و يقنع هيئة المحكمة ، فقد استردّ معتصباته و أملاكه ، فذاع صيت الخطباء و المحاججين ، و أقبل سادة القوم عليهم لأجل تلقين أبنائهم هذا الفن القولي الجدلي ، حتى انحرفوا و بدؤوا بالسفسطة (و هو مفهوم أخذ الحق و لو بالباطل عن طريق المغالطة) فثقتهم في قوة

حجتهم و جدالهم جعلهم يجيدون عن الحق أو على الأقل الحقيقة في سبيل مكاسبهم المادية أو الاجتماعية ، و ليس هذا ديدن الحجاج و لا مبتغاه ، و نتيجة لذلك تصدى أفلاطون للسوفسطائيين بمناظرات ، و ظلّ يحاججهم و يكشف مغالطاتهم و سفسطتهم ، و كذا فعل من بعده أرسطو ، و بذلك تشكل الوعي الحجاجي في البيئة اليونانية لينتقل و يتدرج عبر الزمان و المكان و يكتسب في كل حضارة أو حقبة ، مزيدا من القواعد و الأسس جعلت منه (الحجاج) نظرية مستوية تتلقف من كل العلوم العقلية و الفنية خصائص تزيد من قوتها و فاعليتها .

و الحقيقة أن الحاجة للخطاب الحجاجي متزايدة ، ذلك أن العالم الذي نعيشه اليوم هو عالم الاتصال المباشر بين الثقافات ، و عالم يعجّ بالدعاية و الإشهار ، و يطغى عليه الإعلام المتسلح بالكلمة ، فالحاجة ماسّة اليوم لمعرفة تقنيات الخطاب و كل الآليات التقنية و الفنية و الوجدانية ، و كذا الأدوات اللسانية التي تؤثر في الناس و تجعل المتكلم قادرا على الرد و مواجهة الخصوم بالحجة و الكلمة المؤثرة و مقارعة الدليل بالدليل ، فالخطاب الحجاجي ليس كما يتبادر للأذهان بتلك الصورة النمطية التي تظهره على شكل جدال حاد أو مناظرة سياسية أو علمية ، بل هو كل خطاب أو رسالة تحقق الإقناع سواء كانت على شكل مناظرة أو قصيدة أو رسالة أو حتى إعلانٍ يحقق التأثير و يجد طريقا إلى عقل أو وجدان السامع أو المتلقي ، فيجعله يقتنع بفكرةٍ أو يغير وجهة نظره تجاه أمرٍ معين .

هذا الحضور للخطاب الحجاجي في أغلب أشكال التواصل ، و الحاجة المتزايدة له في شتى مناحي الحياة الفكرية و الأدبية أو حتى الواقعية ، دفعنا إلى محاولة فهم خباياه و أسراره ، و فكّ بعض رموزه و تقنياته ، هذا من جهة ، كما أنّ تعلقنا بموروثنا الأدبي العربي خاصة الأندلسي منه ، دفع بنا إلى اختيار مدونة أدبية تحمل من الطاقة الفنية و الأدبية كمّا هائلاً ، و هي مجموعة رسائل لإمام البلاغة كما لقبه معاصروه ، محمد بن مسعود ابن

أبي الخصال الغافقي، الإمام البليغ المحدث الحجّة، المكنى بأبي عبد الله، و لعل اختيارنا لهذه المدونة الأندلسية الحمّالة لمقدار و شحنة أدبية و جمالية و فنية جدّ عالية، هو اختيار واعٍ و مقصود، ذلك أن الدراسات النمطية التداولية و الحجاجية في أغلبها ركزت على مدونات على شكل خطابات سياسية أو مناظرات أو حتى برامج جدلية، يظهر فيها الجانب الحجاجي جلياً للعيان، على عكس ما أردناه في اختيارنا لهذه المدونة و التي هي عبارة عن مجموعة رسائل ديوانية تخص أمور الملك و الدولة أو اخوانية تخص المخاطبات اليومية بين الاخوان و الأصدقاء بشأن مختلف أغراض الحياة كالتوصية و الشفاعة و التهنة و التعزية و المراجعات و الوساطة و غيرها، يغلب عليها الطابع الفني الجمالي، و لكنها لا تخلو من الجانب الحجاجي (فيما نرى)، هذا عن أسباب اختيارنا للموضوع.

و قد وسمنا هذه الدراسة بـ "آليات الخطاب الحجاجي في رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي - دراسة بلاغية تداولية -"، ارتأينا أن نزاوج فيها بين ما وصلت إليه النظريات اللسانية الحديثة خصوصاً في مجال التداولية و استعمال اللغة، و بين مدونة عربية بلاغية - عبارة عن مجموعة رسائل، و ذلك لاعتقادنا أن الرسائل تعدُّ بيئة جيدة لاستشفاف البعد التداولي، ذلك أن التداول في أحد معانيه هو عبارة عن أخذٍ و رد، الأمر الذي يكاد ينطبق على الرسائل المتبادلة، فهي ذلك الحضور للمتلقى في ذهن المرسل حينما ينشئ رسالته، و ذلك الاستشراق لفهم و رد المتلقي على الرسالة و توقعه، و بالتالي مجاراته و الاهتمام بآرائه و انطباعاته و توقع ردود أفعاله، و هذا فعلٌ تداولي يحصل على مستوى التراسل، و هو الأمر الذي أردنا إثباته - ليس من خلال إسقاط النظريات اللسانية و التداولية إسقاطاً وفرضاً و إقحاماً، و إنما من خلال الاستقراء و الاستنباط الموضوعيين اللذين يكشفان عن الأبعاد و الأوجه الحجاجية في مدونة بحثنا (الرسائل)، و يؤكدان إمكانية تطبيق المناهج اللسانية و التداولية الحديثة على درّة من دُرر موروثنا العربي خصوصاً الأندلسي.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود بعض الدراسات التي تناولت حياة ابن أبي الخصال و نتاجه الأدبي من زاوية فنية ، ومن بينها : (ابن أبي الخصال رئيس كتاب الأندلس ، للدكتور فوزي عيسى) ، و رسالة ماجستير للباحث ستار جبار رزيج بعنوان " ابن أبي الخصال الكاتب ، حياته و أدبه " رسالة مقدمة في كلية الآداب بجامعة بغداد ، 1993 م ، و كذلك أطروحة دكتوراه للباحث إيمان ناصر حسن أحمد المسفر ، بكلية الآداب جامعة البصرة 2016 م، و أطروحة دكتوراه مستجدة بعنوان رسائل ابن أبي الخصال (ت540هـ) دراسة حجاجية للباحث حسن عفات ، رسالة مقدمة إلى جامعة المستنصرية - العراق ، و هي الرسالة الوحيدة التي تمكننا من الاطلاع عليها - رغم محاولتنا الحثيثة - في آخر محطات إنجاز بحثنا ، بعد تواصلنا مع الباحث الذي تكرم علينا بمجموعة من المصادر و المراجع في المجال ، كما أننا اعتمدنا ديوان رسائل الكاتب متنا و مصدرا وحيدا للمدونة و الذي جمعه و حققه محمد رضوان الداية تحت عنوان " رسائل ابن أبي الخصال "

و قد سطر البحث جملة من الأهداف لتحقيقها و الوصول إليها أهمها :

- السعي إلى الإسهام في تأسيس الدرس التداولي العربي الذي يعرف ثورة مفاهيمية جديدة، تؤسس لقاعدة استيمولوجية متينة .

- محاولة إضاءة بعض الجوانب التي يتعالق فيها الدرس التداولي و الدرس البلاغي .

- المساهمة في تكوين وعي بأهمية الخطاب الحجاجي في عصر المعلومة و الإعلام و الإقناع،

حتى يكتسب المجتمع تلك المناعة (الجماعية) ضدّ ما يمكن أن يؤدي إليه الإعلام الموجه أو المؤدلج الذي يستهدف الشعوب .

- محاولة إزالة الغبار عن درّة من دُرر البلاغة العربية (مدونة البحث) و الاجتهاد في تقديم

جزء و لو بسيطٍ عن الرسائل و صاحبها .

و ليحقق هذا البحث أهدافه و مراميه ارتأينا الانطلاق من مجموعة من التساؤلات

تشكل في مجملها إشكالية البحث ، و يمكن صياغة بعضها كالآتي :

- ما هو الخطاب الحجاجي؟ و ما التداولية؟ و فيم تجلّت الأبعاد الحجاجية في رسائل ابن أبي الخصال؟ و أين يمكن استشفاف النظريات و الإجراءات التداولية و الحجاجية الحديثة في الرسائل؟ و هل يمكن القول أن الكاتب ابن أبي الخصال استعمل ولو جزئيا ما توصلت إليه النظريات اللسانية و التداولية الحديثة في رسائله إبان أزهى فترات الحضارة الأندلسية؟

و للإجابة على هذه الأسئلة اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي و ذلك محاولة التوفيق بين التحليل الأدبي لما يزخر به النص أو المدونة من شحناتٍ فنيةٍ عالية ، و ربطها بما يقابلها من مستجدات الدرس اللساني و التداولي الحديث ، كما أننا استعنا في بعض المواطن بالمنهج المقارن لتحديد أوجه التشابه و الاختلاف و محاولة فهم كيفية تعالق الأنظمة اللغوية ببعضها .

و في سبيل الإجابة على الإشكاليات المطروحة و الوصول إلى الأهداف المتوخاة من هذا البحث ، ارتأينا أن تشكل خطة البحث من الآتي : مقدمة و يليها مدخل ، ثم أربعة فصول (فصلين نظريين و آخرين تطبيقيين) و انتهاءً بخاتمة تُسجّل فيها النتائج المتوصل إليها ، و هي موزعة كالتالي :

مقدمة :

و تكلمنا فيها عن أهمية الخطاب الحجاجي و دوره المحوري في عالمنا المعاصر الذي يعيش عصر المعلومة و الخطاب و الصورة و الإعلام ، و مدى إمكانية تأثير الخطاب الحجاجي في شتى مستويات التواصل ، كما تطرقنا فيها إلى مدونة بحثنا و مدى ارتباطها بموضوع التداولية من جهة و الحجاج من جهة أخرى ، بالإضافة إلى ذكر أسباب اختيار الموضوع و المنهج المتبع و الدراسات السابقة و الأهداف المرجوة ، و الإشكالية المطروحة ، و غيرها من مكونات تقديم البحوث الأكاديمية .

المدخل : و المعنون ب التعريف بابن أبي الخصال و رسائله ، و قسمناه إلى أربعة محاور ، يتحدث الأول منها على ابن أبي الخصال من نسبه و لقبه ، مولده و نشأته و حياته إلى وفاته ، مروراً بمشايخه و مؤلفاته و أقول العلماء فيه ، أما المحور الثاني من المدخل فقد خُصّ برسائله و أنواعها أم ثالث المحاور من المدخل فقد حاولنا فيه إبراز منهجه في الرسائل من حيث شكلها ، مضمونها و لغتها .

كما أننا حاولنا في المحور الرابع الحديث عن الحجاج من حيث تعالقه مع بعض المفاهيم التراثية من نفس مجاله كالجدل و المجادلة و البرهان ، و بيان بعض الفروق بينها (من باب التوطئة لمبحث الحجاج الذي سنتناوله في الفصل الثاني من الدراسة) .

الفصل الأول : و الموسوم ب **التداولية و البلاغة .. المفهوم و المجال** ، فبعد التمهيد له ، تطرقنا أولاً إلى التداولية كمبحث أساسي للفصل ، من خلال مفهومها لدى الغرب و كذا العرب ، و نشأتها و جهود علماء الفلسفة التحليلية فيها من أمثال فيتغنشتاين و أوستين و بيرس ، كما حاولنا الكشف عن إرهاصات البحث التداولي عند العرب القدامى ، و قد أوردنا جزءاً يسيراً من إسهامات طه عبد الرحمان كعينة عن جهود العرب المحدثين في مجال التداولية ، كما تناولنا أهميتها و مجالاتها من نظريات أفعال الكلام و لسانيات التلفظ و الاستلزام الحواري و نظرية الملائمة و متضمنات القول ، هذا فيما يخصّ التداولية ، بينما خصصنا الشطر الثاني من الفصل إلى البلاغة العربية و تعالقتها مع التداولية ، تحت عنوان (بين التداولية و البلاغة) ، و هذا ربطاً بفصل الخطاب الحجاجي و تمهيداً للانتقال إليه .

الفصل الثاني : و الذي جاء تحت عنوان **الخطاب الحجاجي : مساره تجلياته و آلياته**، حاولنا في بداية هذا الفصل أن نربط بين أهم مكونات بحثنا (البلاغة ، التداولية ، و الحجاج) و أن نبين مدى التعالق و التواشج بينها في بناء الخطاب الحجاجي ، و ذلك قبل أن نعرض على مفهوم الحجاج و كذا أهم مدارسه ابتداءً من السفسطائيين إلى أفلاطون الذي رفض طريقتهم إلى تلميذه أرسطو وصولاً إلى المدارس الحديثة ، كما حاولنا استشفاف ملامح

الدرس الحجاجي و أولى إرهاباته المحبوبة بين أمهات الكتب و المصادر العربية من (سواء في مجال علوم القرآن أو النحو أو البلاغة و غيرها ..) ، و في سبيل ذلك أوردنا إسهامات بعض الأعلام العرب كالجاحظ مثلا و صاحب الأسرار و الدلائل و صاحب مفتاح العلوم ، هذا عن الجهود الحجاجية في التراث العربي ، أما عن جهود و إسهامات المحدثين من الباحثين العرب ، فإن بناء الفصل بل و جُلَّ البحث هو من تحليلات و إسهامات - أو على الأقل - ترجمة هؤلاء -الباحثين- الذين حاولوا التأسيس لنظرية حجاجية لا تححف في حق التراث البلاغي - لما له من سبق في عديد القضايا و الملامح الحجاجية - و لكن من غير تكلف أو محاولة لتلبس و اقتناص كل واردة و إقحامها في الدرس التداولي و الحجاجي العربي القديم ، و لم يكن الاختيار في إدراج علمين كمثالين على كوكبة من الباحثين (كعبد الله صولة و أبي بكر العزاوي أو صلاح فضل أو حمادي صمود أو طه عبد الرحمان أو محمد العمري ...) مبنيا على تفاضل أو أفضلية - فقد كان لكلٍ منهم إسهامه المميز - و لكن من باب الذكر و التمثيل لا الحصر ، و كذلك الأمر بالنسبة لاختيار النماذج من القدماء (الجاحظ و عبد القاهر الجرجاني و السكاكي) .

و قبل أن نتطرق في هذا الفصل إلى أنواع الخطاب الحجاجي و خصائصه ، مروراً بمفهومه ، أفردنا جزءاً للحديث عن المجال المفاهيمي للخطاب الحجاجي عند العرب و تعالقه ببعض المفاهيم كالجدل و البرهان ، و أوجزنا في نهاية هذا الفصل الحديث عن آليات الحجاج و تقنياته من أدوات لغوية صرفة إلى آليات بلاغية و آليات شبه منطقية .

الفصل الثالث : و جاء تحت عنوان آليات الحجاج اللغوية في رسائل ابن أبي

الخصال ، بعد التمهيد له ، تطرقنا إلى الآليات اللسانية و الروابط و العوامل الحجاجية ، و الأفعال اللغوية ، ثم الآليات شبه المنطقية ، و السلم الحجاجي ، و حجاجية الروابط ك (لكن) و (الواو) و (إذا) و (بل) و أدرجنا أمثلة من المدونة لكل منها ، كما تطرقنا لحجاجية العوامل مثل (إنما) و (ما - إلا) و (لا - إلا) و عالجناها كأمثلة من المدونة ، بالإضافة إلى حجاجية الصفات و الألقاب و الصيغ ، و كذا حجاجية الجمل الاعترافية و

دورها الدلالي و التداولي ، و حجاجية التكرار و الحجج الجاهزة من القرآن الكريم ثم الحديث النبوي الشريف إلى الشعر العربي و المثل ، و هذا من خلال أمثلة منتقاة من رسائل ابن أبي الخصال .

الفصل الرابع: و الموسوم بـ آليات الحجج البلاغية و التداولية في رسائل ابن أبي

الخصال ، بعد التمهيد بدور البلاغة و التداولية في الحجج ، حاولنا تخصيص الجزء الأول من هذا الفصل إلى الآليات البلاغية ، فكانت البداية بـ (حجاجية الاستعارة) ثم (حجاجية التشبيه) ثم (حجاجية التفرع أو تقسيم الكل إلى أجزاءه) وصولاً إلى (حجاجية البديع) ، حيث قدمنا في كل نوع من الأنواع مثالين أو أكثر - على حسب ما أمكن و ما تقتضيه الضرورة - من المدونة (رسائل ابن أبي الخصال الغافقي الأندلسي) و حاولنا تحليل المثال وفق العنصر المدروس، و بيان مكانم الحجج فيه و طاقته التأثيرية ، أما الجزء الثاني من الفصل ، فقد خصصناه للآليات الشبه منطقية ، حيث تطرقنا إلى حجاجية الفعل الكلامي من خلال (التوجيهيات) و ما ينضوي تحتها من حجاجية الاستفهام و حجاجية الأمر و حجاجية النداء ، و في الأخير (الإلزاميات) ، و ما لهذه الأساليب من طاقة تأثيرية و أسلوب حجاجي .

خاتمة :

و أوجزنا فيها أهم نتائج البحث ، و سجلنا ما رأيناه إجابة عن بعض الإشكاليات المطروحة في البحث .

و بخصوص مادة البحث فإن كثرة المراجع و المصادر في ميدان الحجج قد لا تسهل الأمر أكثر مما تشعبه على الباحث ، حتى ليصبح التحكم في زمام الموضوع و عدم التشعب إلى فروع لا تخدم صلب الموضوع من أصعب ما يواجهه الباحث ، كما يمكن القول بأن مدونة بحثنا (رسائل ابن أبي الخصال) و التي تحمل شحنة فنية و جمالية قد تغري

الباحث للوهلة الأولى ، إلا أنّ شدة تركيزها الفني لا يسهّل للدارس أو الباحث مهمته ، فما إن يتمكن من معنى معين أو لطيفة ما، حتى يدرك ما فاتته من حكم و دُرر في جانبٍ آخر.

و بعد :

فإن حَقَّقت هذه الدراسة الهدف المنشود و الغاية المبتغاه ، فالفضل في ذلك لله - صاحب الفضل و المنّ و الكرم - أولاً ، ثمّ للأستاذ المشرف (الأستاذ الدكتور بوفاتح عبدالعليم) الذي كان لآرائه و تصويباته جزييل الفضل في إنجازها و تقويمها و إن كان دون ذلك ، فهو النقص الذي وسم به الله عزّ و جلّ عباده ، ليتّم الكمال لله و حده ، و حسبنا الجدّ و الاجتهاد ، و الله نسألُ التوفيق و السداد ، و ألتمس من أساتذتي الفضّال العفو عما في الأطروحة من زلات ، و تقويم مواطن الضعف و الهنات ، فقد حاول الباحث وقت كتابتها مجاهدة نفسه و التغلب على وهنها ، و اجتهد في سبيل ذلك ما استطاع ... و لكنها صفة النقص التي تعتري البشر ، ليتّم بذلك الكمال لله وحده ، فكما قال القاضي الفاضل: "إني رأيتُ أنّه لا يكتب أحدٌ كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو عُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيدَ هذا لكان يُستحسن ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ، وهذا أعظمُ العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النَّقص على جُملة البشر".

و نرجوا في الأخير أن يكون هذا السعي مشكور ، و ما بدر من نقص و تقصيرٍ مغفور ، هذا و صلّ اللهم على سيدنا محمد و على آله الطيبين الأبرار ، و الحمد لله رب العالمين .

الباحث : خليل تيوة



مداخل :

التعريف بابن أبي الخصال
و رسائله



تمهيد:

إننا بالحديث عن ابن أبي الخصال ورسائله سنسلط الضوء على حقبة زمنية مشرقة من تاريخنا وثقافتنا العربية التي ألفت بظلالها على غرب أوروبا أيام الأندلس حينما كانت حاضرة للعلم والعلماء والأدب والأدباء، فجادت علينا بعلماء أفذاذ برعوا في مجالات شتى، ونهلوا من علوم عدة، فكانت الأندلس أرض العرب التي تشرق بنورها على الغرب، وإن الناظر إلى تراثنا العربي في بلاد المغرب والأندلس يجده أنه لم يعن باهتمام الباحثين والدارسين في العصر الحديث كالعناية التي حظي بها التراث العربي في المشرق، على الرغم مما فيه من درر مازالت تنتظر من يكشف اللثام عنها لترى النور.

كيف لا والأندلس كانت هي " منتهى الغاية، ومركز الراجية، وأم القرى، وقرارة أهل الفضل والتقوى، ووطن أولي العلم والنهى، وقلب الإقليم، وينبوع متفجر العلوم، وقبة الإسلام، وحضرة الإمام، ودار صوب العقول، وبستان ثمة الخواطر، وبجر درر القرائح، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر، وبها انتشأت التأليفات الرائقة، وصنفت التصنيفات الفاتحة." ¹

وانطلاقاً مما تمثله الهوية العربية للعربي، واهتمامنا بقضايا التراث العربي، ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا في مدونة تنتمي إلى هذه الحقبة الزمنية، وصاحبها يعتبر عالماً من العلماء الذين برعوا في الأدب واللغة والبلاغة، إنه الأديب الأندلسي النحرير اللغوي ابن أبي الخصال الذي ملأ صيته الآفاق، وامتدت شهرته في الأقطار.

و إيماناً منا بالقيمة العلمية والفكرية للتراث الأندلسي عموماً وابن أبي الخصال خصوصاً سعينا من خلال بحثنا هذا للوقوف على هذه الشخصية العلمية والأدبية من خلال رسائلها لتكون لنا معينا خصبا، و لبحثنا موردا فنقف من خلالها على عصارة الفكر الأندلسي ، وذلك بقراءتها ومقارنتها مقارنة حجاجية لسانية حديثة في ضوء البلاغة العربية واللسانيات التداولية.

¹ أبو الحسن علي بن بسام الشنتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنقل، القاهرة، 1939م، مج 1، ص 22.

ولذا سنحاول في هذا المدخل أن نستعرض حياة هذا الرجل من خلال محورين، سنتحدث في الأول عن ابن أبي الخصال، وسيرته، وحياته، وفي المحور الثاني سنتحدث عن رسائله، وأهميتها بالنسبة لبحثنا، كما سنتطرق إلى منهجه الترسلي، وهذا قبل أن نتطرق في نهاية هذا المدخل إلى الحديث عن المصطلحات التي تتعالق مع الحجاج و الخطاب الحجاجي في التراث العربي كالجدل و المجادلة و البرهان، دون التفصيل في الحجاج الذي سنفرده له الفصل الثاني من هذه الدراسة.

1/ ابن أبي الخصال:

- نسبه ولقبه:

هو محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد ابن أبي الخصال الغافقي، الإمام البليغ المحدث الحجة، يكنى أبا عبد الله. أصله من فرغليط من شقورة من كورة جيان، ينتمي إلى حي عربي من غافق سكن قرطبة و غرناطة.¹ عالم بالحديث كاتب وشاعر، كان من أشهر الكتاب في زمانه، وعده الأندلسيون رئيس كتاب الأندلس، وحفظوا رسائله حفظاً.²

- مولده ونشأته وحياته:

ولد في أوائل ربيع الثاني عام خمسة وستين وأربعمائة. 465هـ³ حيث نشأ في شقورة التي تسمى فرغليط وهي القرية التي ولد بها، عرفت أسرته بالعلم فهو متأصل فيها، وقد أنجبت في وقت ثلاثة من الرجال هم: أبو عبد الله، وأخوه أبو مروان، وأخوه الثالث أبو جعفر.⁴ طلب العلم في مسقط رأسه. حيث تلقى تعليمه الأول علي يد شيخه أبي الحسن بن مائل اليعمري القاضي بابذة، وقد كان محل

¹ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج2، ص 269.

² ينظر: أبو الحسن بن سعيد الأندلسي، رايات المبرزين و غايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1987م، ص 188.

³ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص 287.

⁴ عبد الله بن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1988م، ص 10.

عناية وإعجاب وتقدير من لدن شيخه الذي لمس فيه علامات التميز والنباهة والذكاء منذ صغره.¹ ثم بعد ذلك انتقل إلى المدن المجاورة للاستزادة من وجوه الثقافة والمعرفة، فلقي وجوه الشيوخ والأساتذة البارزين، وسرعان ما ظهر ونبغ وصار ذا شأن، ثم انتقل بعد ذلك إلى قرطبة حتى صار يكنى بالقرطبي.² ولقد مرت حياة ابن أبي الخصال بثلاثة أطوار:

- المرحلة الأولى: واتسمت هذه المرحلة بانكبابه على الثقافة الدينية بوجه عام، مع أن ميولاته كانت كلها للأدب ولكل ما له صلة بالأدب، وقد كان لأستاذه أبي الحسن دور كبير في هذه المرحلة.

- المرحلة الثانية: وتميزت هذه المرحلة بإقباله على الدراسات القرآنية المعمقة.

- المرحلة الثالثة: وتعد هذه المرحلة امتدادا للمرحلة الثانية، إذ أن الدراسات الدينية دفعته إلى التعمق في دراسة الحديث، وتفسيره وروايته.³

وبعد أن ذاع صيته وأشتهر بتفانيه وموهبته في فن الكتابة استدعي مع أخيه مروان للخدمة في ديوان الخدمة السلطانية، وذلك في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، فقرهما إليه وصارا عنده من أنبه الكتاب، وأكثرهم مكانة عنده.⁴

- وفاته:

اختلفت الروايات حول وفاته وسببها فقد قيل أنه وجد مقتولا قرب داره بقرطبة يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة أربعين وخمسمائة 540هـ، وقد سلب ما كان عليه ونهبت داره، وأخذ ماله، وقد دفن عشية يوم الأحد بمقبرة ابن عباس في المدينة نفسها، في حين أن هناك من ذهب إلى أنه

¹ ابن الأبار، أبو عبد الله محمد، المعجم في أصحاب القاضي الامام أبي علي الصديقي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2000م، ص 135.

² عبد الله بن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص 10.

³ مصطفى الطاهري، حول ابن أبي الخصال، دعوة الحق، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية، العدد 266، أوت 1987م، ص 01.

⁴ ينظر: فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، منشأة المعارف، الاسكندرية، دط، دت، ص 12.

قتل يوم الأحد لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة عام أربعين خمسمائة. وقتل معه ابن أخته عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود، الذي عرف هو كذلك بالنباهة والعلم والحلم.¹

- مشايخه:

عرف عن ابن أبي الخصال كثرة المشايخ الذين أخذ عنهم العلم والأدب ولا عجب في ذلك فهو عالم موسوعي، فقد أخذ العلم عن أبي الحسين بن سراج، وأبي محمد بن عتاب، وأبي بحر الأسدي، وأبي بكر بن أبي الدوس، وأبي تميم العز بن بقره، وأبي بكر غالب بن عطية، وأبي بكر بن سابق الصقلي، ولقي أبا علي الصديقي فقرأ عليه صحيح مسلم وجامع الترميذي، ومصنف أبي داود، وصحيح البخاري.²

ونقل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في الصلة: وروى عن الغساني، والصدفي، وأبي الحسن بن الباذش، وأبي عمران بن تليد، وأبي بحر الأسدي، وأبي عبد الله النفزي، وغيرهم.³

- مؤلفاته وآثاره:

لقد برع ابن أبي الخصال في مجالات شتى، ولكن أشهر ما عرف به هو رسائله الإخوانية التي كان يكتبها، حتى لقب برئيس كتاب الأندلس. وأما كتبه وشعره و تواليفه الأدبية، فكل ذلك مشهور، متداول بأيدي الناس، وقل من يعلم بعده، أن يجتمع له مثله رحمه الله.⁴ ومن أهم ما ألف:

أ/ الكتب:

- كتاب سراج الأدب، قيل أنه أتبع في تأليفه خطى أبي علي القالي في كتابه النوادر، والحصري القيرواني في كتابه زهر الآداب.

¹ ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ص 288.

² ابن الأبار، أبو عبد الله محمد، المعجم في أصحاب القاضي الامام أبي علي الصديقي، ص 135.

³ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ص 270.

⁴ المرجع نفسه، ص 270.

- رسالة سماها لمحة البارق وقذف البارق رد فيها على رسالة ابن غرسية التي فضل فيها العجم على العرب.

- كتاب ظل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصه رسول الله ص بالكرامة.

- كتاب المنهج في معارضة المبهج.

ب/ الرسائل: وهي من أشهر ما ألف ابن أبي الخصال، تنوعت موضوعاتها وتعددت أغراضها، منها السلطانية، ومنها الإخوانية والديوانية.¹ فقد عد له ديوان رسائل فيه رسائله وشعره، نشر عن أصل وحيد في دار الفكر بدمشق 1987م.²

ج/ الخطب والمقامات: أوتر أيضا عن ابن أبي الخصال كتابته في فن المقامات التي جرى فيها الحريري، كما عرف بالخطابة التي جرى فيها أيضا ابن نباتة السعدي، والمعري.³

- أقوال العلماء فيه:

يعد ابن أبي الخصال من رجالات الأندلس الذين بلغت شهرتهم الآفاق، فهو العالم الموسوعي الذي برع في ميادين شتى، وهو المحدث، والفقيه، واللغوي، والبلاغي، والكاتب، والمؤرخ، كما أتصف أيضا بالحلم والفطنة والذكاء والدهاء، وهذا ما أهله لأن يتبوأ مكانة مرموقة في عصره، ويصبح من أهل العلم وأهل الرياسة والريادة حتى لقب بذي الوزارتين، وبلغ من الشهر حتى قيل فيه أنه: "لم يكن في عصره مثله، مع دين وفضل وورع."⁴

¹ ينظر: عبد الله بن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص 14.

² أبو الحسن بن سعيد الأندلسي، رايات المبرزين وغايات المميزين، ص 188.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 15. و ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان، الأردن، ط 1، 1997م، ص 229.

⁴ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ص 269.

وقد وقف العلماء والمؤرخون أمام سيرة هذا الرجل وكلهم إعجاب وثناء بشخصية هذا الرجل الذي مثل بلاد الأندلس في أبهى صورها، وأصبح مضرب المثل، ما إن تذكر الأندلس إلا وذكر معها، ولذا سنحاول أن نقف على بعض ما قيل في هذا الرجل.

لقد نقل ابن بسام في الذخيرة أن ابن أبي الخصال هو " أحد أعيان كتاب الزمان، وحامل جملة الإحسان، بجر معرفة لا تعبره السفن، ولو جرت بشهوتهما الرياح، وطود علم لا ترقى إليه الفطن، ولو سما بها الإمساء والإصباح، وأدب لا تعبر عنه الألسن، ولو أمدتها الأوتار الفصاح، إلى طول باع ورقة طباع، نجم بأفقه من بلد شقورة فأسكت القائلين، واستوفى غاية المحسنين، وهو اليوم بحيث لا تشير الأصابع إلا إليه، ولا تنطوي الأضالع إلا عليه، وله بيان لا يتعاطاه ناظم ولا ناثر، واحسان لا يبلغ مداه أول ولا آخر، وقد أثبت من كلامه مما نقلت من خطه الذي خاطبني به، ما يدل على نبه وأدبه." ¹

وأما ابن حاقان فيقول فيه " هو حامل لواء النباهة الباهر بالروية والبداهة، مع صون ووقار، وشيم كصفو العقار، ومقول أمضى من ذي الفقار، وله أدب بجره يزخر، ومذهب يباهي به ويفخر، وهو إن كان حامل المنشأ نازله، لم ينزله المجد منازل، ولا فرع للعلاء هضابا، ولا ارتشف للسناء رُضابا، فقد تميز بنفسه وتحيز من جنسه، وظهر بذاته وتطهر من يد أداته، والذي أحقه بالمجد، وأوقفه بالمكان النجد، ذكاء طبع عليه طبعه، ونجم في تربة البلاغة غربه ونبعه." ²

وقال فيه ابن الزبير حينما ذكره " ذو الوزارتين، أبو عبد الله بن أبي الخصال. كان من أهل المعارف الجمة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله، والتقيد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة والأدب، والنسب والتاريخ، متقدما في ذلك كله. وأما الكتابة والنظم، فهو إمامهما المتفق عليه، والمتحاكم فيهما إليه." ³

¹ أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: احسان عباس، ق 3، مج 1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997م، ص 786 - 787.

² ابن حاقان، أبو نصر الفتح بن محمد، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، مكتبة المنار، ط 1، 1989م، ص 518.

³ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ص 269.

وقال فيه أبو عمرو ابن الإمام الإستجي في سمط الجمان لما ذكره " البحر الذي لا يمتاح ولا يشاطر، والغيث الذي لا يساجل ولا يقاطر، والروض الذي لا يفاح و لا يعاطر، والطود الذي لا يزاحم ولا يخاطر، الذي جمع أشتات المحاسن، على ماء غير ملح ولا آسن، وكثرت فواضله، فأمنت المماثل والمحاسن الذي قصرت البلاغة على محتده، وألقت أزيمة الفصاحة في يده، وتشرفت الخطابة والكتابة باعتزائهما إليه ، فنثل كنانتها، وأرسل كمانتها ، وأوضح أسرارها ودفائنها، فحسب الماهر النحرير والجهبذ العلامة البصير إذا أبدع في كلامه، وأينع في روض الإجدادة نثاره ونظامه، وطالت قني الخطية الذبل أقلامه ، أن يستنير بأنواره ، ويقتضي بعض مناهجه وآثاره ، وينثر على أثوابه مسك غباره، وليعلم كيف يتفاضل الخبر والإنشاء، ويتلو إن الفضل بيد الله يوتييه من يشاء."¹

وقال فيه الحافظ المحدث أبو القاسم بن بشكوال " ذو الوزارتين السيد الكامل، الشهير الأثير، الأديب اللغوي السري، الكاتب البليغ معجزة زمانه، وسابق أقرانه، ذو المحاسن الجمّة، الجليّة الباهرة، والأدوات الرفيعة الزكية الطاهرة الكاملة، المجمع على تناهي نباهته، وحمد خصاله وفصاحته، من لا يشق غباره، ولا تلحق آثاره، معجزة زمانه في صناعة النظم والنثر... كان آخر رجال الأندلس علما وحلما، وفهما ومعرفه، وذكاء وحكمة ويقظة، وجلالة ونباهة، وتفننا في العلوم، وكان صاحب لغة وتاريخ وحديث، وخبر وسير، ومعرفة برجال الحديث مضطلعا بها، ومعرفة بوقائع العرب وأيام الناس، وبالنثر والنظم، وكان جزل القول، عذب اللفظ، حلو الكلام، عذب الفكاهة، فصيح اللسان، بارع الخط حسنه ومتقنه. كان في ذلك كله واحد عصره، ونسيح وحده، يسلم إليه في ذلك كله."²

¹ المرجع السابق نفسه، ص 269.

² المرجع نفسه، ص 288.

2/ رسائل ابن أبي الخصال:

الرسالة فن من الفنون الأدبية حظيت باهتمام الأدباء العرب في المشرق والمغرب، وبلاد الأندلس، ولذا اعتبر الباحثون الرسالة أهم وسيلة من وسائل الاتصال في العصور القديمة، قبل أن تظهر وسائل الاتصال الحديثة. إضافة إلى أن الرسالة كشفت في الكثير من مضامها عن جوانب عديدة في العصور التي كتبت فيها، وأصبحت مرجعا أساسيا يعتد به في البحث من لدن الباحثين على جميع الأصعدة التاريخية، والفكرية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية، وحتى النفسية. ومحدثنا عن رسائل ابن أبي الخصال فإننا سنتحدث من خلالها عن جوانب سياسية وتاريخية وفكرية وأدبية لعصر يعد من أزهى عصور الدولة الإسلامية في بلاد الأندلس ألا وهو عصر المرابطين.

ذلك العصر الذي تمخض عنه أحد جهاذة اللغة والأدب عبد الله بن أبي الخصال الذي يعد مرجعا يعتد به في فن الرسالة، كيف لا وهو رئيس كتاب الأندلس. الذي إذا كتب أوصل إلى النفوس، وإذا نطق أحرس الألسنة، وأبهر للعقول.

ثم إن تلك البلاد المتقلبة بأهلها وأحوالها جعلت من الرسالة تلك الوسيلة المعبرة عن هذا المجتمع وقضاياها ومشاكله، فأتسع أفقها لمناحي الحياة، فأصبح شأن الرسالة عظيم، وشأن كاتبها أعظم، إذ أصبح له " حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس وأشرف أسمائه الكاتب وبهذه السمة يخصه من يعظمه في رسالة، وأهل الأندلس كثير و الانتقاد على صاحب هذه السمة، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة، فإن كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه.¹

وبوقوفنا على مدونة بحثنا نرى أنها تشتمل على مجموعة من الرسائل كتبها صاحبها في فترة حياته، وهي ذات قيمة أدبية واضحة، فنصوصها إضافة للنثر الأدبي في الأندلس، كما قلنا أنها ذات أبعاد حضارية وتاريخية، وفكرية.

¹ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ص 295.

فقد استطاع ابن أبي الخصال بواسطة رسائله أن يعطينا " صورة واضحة متكاملة السمات عن الشخصية الأندلسية التي اختلفت عن قرينتها المشرقية بحكم اختلاف البيئة واختلاف عناصر المجتمع الأندلسي، وطبيعة مشكلاته الاجتماعية والسياسية."¹

وتظهر قيمة هذه الرسائل وأهميتها في أنها كانت ولا تزال محل عناية واهتمام الدارسين، فتلقفها كتاب عصره، خاصة من تدرج منهم في الخدمة الديوانية، فقرأوها، وقلدوها، وحفظوها، وأصبح ابن أبي الخصال سيد كتاب الأندلس، ورئيسهم، ومرجعهم، وإمامهم.

وقد ذكر المحقق رضوان محمد الداية ، أن هذه الرسائل هي منتخبة من مخطوطة أندلسية أثرية جمع فيها صاحبها رسائل ابن أبي الخصال وأشعاره وقد نقل المحقق ما ورد على غلاف المخطوطة وهو ما مفاده " كتاب من ترسيل الفقيه الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال ومقاماته ومعارضة ملقى السبيل لأبي العلاء المعري، رحمهما الله وخمساته، وأشعاره، ونسخ إجازاته وخطبه."²

وأما عدد الرسائل التي ذكرها المحقق وهي منسوبة لابن أبي الخصال، فهي 138 رسالة تنوعت بين الرسائل الديوانية والإخوانية، إضافة إلى بعض الرسائل الجوابية التي كان يرد فيها على إخوانه، وهي قليلة جدا مقارنة بالإخوانية والديوانية، وأما عن أغراضها فهي أيضا متنوعة، وقد كانت في: التعزية، الشكر والامتنان، التوبيخ، الوساطة، الشفاعة، التهنة، التوصية، المصاهرة، الوعظ، الوصف، المداعبة، المجاملة والاعتذار، وقد أضاف المحقق إلى هذه الرسائل ملحقا ضمنه 34 بين رسالة وقصيدة شعرية لابن أبي الخصال.

وبما أن الغالب على رسائله إذ لم نقل كلها رسائل ديوانية و إخوانية، فإننا سنقف على مفهوم كل منهما:

¹ منجد مصطفى بيجت، الأدب الأندلسي، من الفتح حتى سقوط غرناطة، 1988، جامعة الموصل، ص 172.

² ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص 17.

2-1/ الرسائل الديوانية: أو المكاتبات الرسمية، وغالبا تكتب عن الخلفاء والأمراء والوزراء، والقواد، والولاء بأقلام المتخصصين بصناعة الكتابة.¹

ونقصد بها في هذا السياق الرسائل السياسية التي كانت تصدر عن ديوان الإنشاء الرسمي في زمن دولة المرابطين الذي ازدهر فيه ديوان الإنشاء بوجود خيرة الكتاب فيه، وأولهم ابن أبي الخصال.² وقد صورت لنا هذه الرسائل " قوة صلة الكاتب بملوك عصره وأمراءه. وكانت له مواقف من الأحداث المهمة آنذاك، وكذلك تناولت الأخلاق والتعامل والاقتصاد. فقد صورت لنا تلك الرسائل طبيعة المجتمع وملاحظة وسماته وما اتصل به من ضعف وتحاذل وفرقة بين الأمراء انتهت إلى دعوة للم الشمل.³

وامتازت الرسائل الديوانية في هذا العصر " بعدم جنوحها إلى التصنع، أو ميلها إلى التأنق اللفظي وتلك سمة تنتظم الرسالة الديوانية المرابطية وتميزها عن مثلتها في المشرق، بل وعن العصور التي تلتها في المغرب، وفي ذلك مظهر لبساطة الدولة المرابطية بالنسبة للموحدية وما تلاها من الدول المغربية والأندلسية التي نجد فيها كثيرا من التكلف في الأسلوب، واسهابا في ذكر ألقاب السلطان الموجه للرسالة أو المتلقي لها.⁴

2-2/ الرسائل الإخوانية: ويقصد بها تلك الرسائل المتبادلة بين الكتاب، وقد امتازت هذه الرسائل بتعدد وتنوع موضوعاتها بين المودة، والتشوق، والتهنئة، والعتاب، إلى غيرها.⁵ فهي تعكس لنا العلاقات بين الأصدقاء والأصحاب والأدباء في أحوالهم المختلفة.⁶ ومما تتميز به الرسالة الإخوانية أنها تبدأ بمقدمة

¹ ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1989م، ص 152.

² ينظر: فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 11.

³ منجد مصطفى بهجت، الأدب الأندلسي، من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص 172.

⁴ فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، 19.

⁵ المرجع نفسه، ص 20.

⁶ منجد مصطفى بهجت، الأدب الأندلسي، من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص 172.

صغيرة يرفع فيها الكاتب بمقام من يخاطب كذكر الألقاب الرفيعة من قبيل (السيد الأجد)، تتلوها بعض الأدعية القصيرة، وتميز الجانب الفني لهذا النوع من الرسائل بالالتزام بالسجع في أواخر الفقر والفواصل، وتوشيتها بالشعر والأمثال، والحكم، والتورية بالأسماء، وتضمن القرآن والحديث.¹

والرسائل من حيث الغرض والغاية قسمان:

أ/ قسم فكري:

وغايته محاكمة الأشياء أو التأمل في بعض المشكلات دون التفات كبير إلى أسلوب بياني معين.

ب/ قسم بياني:

وهذا القسم الغاية الأولى منه هي إظهار البراعة الأسلوبية، أو قل إن الاستقلال بالأسلوب فيه واضح المعالم.² ولعل هذا مما تميزت به رسائل ابن أبي الخصال حيث أنها جمعت بين النوعين، ويمكن أن نلمس هذا على سبيل المثال في رسالتين متبادلتين بين ابن عبدون وعبدالله بن أبي الخصال، فقد حاول كل منها إظهار براعته الأسلوبية، وطاقته الجمالية في تحد واضح بينهما.³

3/ منهجه:

إن المتتبع لمنهج ابن أبي الخصال في رسائله تتراءى له شخصية الكاتب الأديب، العالم الموسوعي، الذي امتلك ناصية اللغة، وركب بحر البلاغة، فدان له نظم المعاني والقوافي، وطبعت كتاباته بطبعة فنية وجمالية مكنته من التعبير عما جال في ذهنه، بألفاظ موجزة بليغة، ومعاني سهلة بسيطة، وأسلوب بياني سهل ممتنع.

ومما زاد في براعة لفظه، ونصاعة معناه، تلك الروح الدينية المتشعبة بالقرآن وعلومه، فالقرآن والحديث كانا القدوة المثلى له، إضافة إلى أن الأساس الديني الذي قامت عليه دولة المرابطين في سياستها ونهجها

¹ فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 23.

² إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ص 231.

³ ينظر: فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 21 - 22.

يبدو واضحا وجليا من خلال رسائل ابن أبي الخصال التي تعكس تلك الروح الدينية المتجلية في الأسلوب، واللفظ، والمعنى، والاقْتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف¹.

وإذا كانت الرسالة الفنية "تتطلب من منشئها أن يستخدم طاقات فنية مختلفة تتعلق بالدقة في اختيار الألفاظ، وحسن تنميقها، وحلاوة تركيب الجمل، وصياغة العبارات في تأليف المعاني، والموازنة بينها وبين الكلمات التي تعبر عنها إلى جانب توفير الإمتاع الفني لنفس القارئ."²

فإن ابن أبي الخصال قد نحنا هذا المنحى فرسائله كلها أوحى بدلالاتين أولاهما مرتبطة بالإمتاع من خلال أسلوبه الفني، وقدرته اللغوية اللتان سمحتا له بالتدرج في عرض الرسالة من مستوى إلى مستوى حتى يصل بالمتلقي إلى ذروة المتعة الفنية، واللذة الجمالية، بما تحويه الرسالة من طاقات بيانية، وزخرفات معنوية ولفظية، فيدعن له المرسل إليهم، وتنقاد له النفوس، فيصل إلى الغاية، ويتحقق له الإقناع.

فالكاتب كما قال ابن خلدون "صناعة شريفة وهي من خواص الإنسان التي يميز بها عن الحيوان، وهي أيضا تطلع على ما في الضمائر، وتتأتى بها الأغراض إلى البلاد."³

فابن أبي الخصال لا يترك سبيلا إلا وسلكه ليصل إلى المخاطب فيحدث فيه الأثر، إما ناصحا وإما موجها، وإما مهثئا، خاصة إلى نظرنا إلى عصره الذي عرفت الرسالة فيه تطورا كبيرا لأهميتها والحاجة إليها كوسيلة من وسائل التأثير والإقناع، والدعوة إلى الوحدة، ولم الشمل، ونبذ الخلاف، في بلاد لا يؤمن جانبها، ولا يؤمن مكر من يجاورها.

فكان الكاتب هو المرشد والموجه والمصلح، الذي يرصد المجتمع ويعالج قضاياها، مما أعطى زخما كبيرا للرسالة فعرفت تغيرات على المستوى الفني من حيث البداية، والموضوع والختم "فظهرت الرسالة في بناء

¹ المرجع السابق نفسه، ص 20

² فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، 1989م، ص 85.

³ ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م، ص 524.

ففي متكامل، وارتقوا بأساليبهم البيانية، وعنوا باستعمال المحسنات البديعية المختلفة من سجع وجناس ومقابلة وازدواج، ومالوا إلى الإطالة و الإطناب، وإلى تدعيم الرسائل بالشعر، وكثرت الألقاب والجمل الدعائية في مختلف الرسائل.¹

وقد حاول ابن أبي الخصال " أن يدخل شيئا من التجديد، فجعل الرسالة أقرب إلى الخطبة الدينية، حين أطال الأدعية الدينية و التحميدات في أولها.² ومما سبق يمكن أن نقف على بعض هذه المظاهر الفنية التي تميزت بها الرسالة الأندلسية عموما وعند ابن أبي الخصال بالخصوص:

3-1/ شكل الرسالة:

لقد تأثرت الرسالة في الأندلس بنظيرتها في المشرق في الأسلوب إلا أنها من حيث الشكل قد تميزت عنها، فقد كانت الرسالة المشرقية تفتتح بالبسملة، والحمد والصلاة على النبي (ص)، وأما الرسالة الأندلسية فقد خرجت عن هذا التقليد فصارت على اختلاف موضوعاتها وأغراضها " تخلو في الغالب من الاستفتاح المعروف وتبدأ بالدعاء للمرسل إليه، أو بالمنظوم، أو بالدخول في الموضوع مباشرة، أو بتمهيد يتفاوت بين الإسهاب والتطويل والإيجاز والاختصار تبعا لتنوع مقامات المرسل إليهم، واستخدام الألقاب التي تتناسب ومن يكتب إليه، أميرا أو وزيرا أو صديقا.³

فها هو ابن أبي الخصال يفتتح رسائله بالدعاء للمرسل إليه، ففي كثير من رسائله نجد هذا الافتتاح، فعلى سبيل المثال يقول في رسالة يهنئ بها بعض الرؤساء في مقدمه: " أطل الله بقاء الرئيس الأجل، السيد الأفضل، ذي المآثر الموصوفة، والفضائل المألوفة، عاليا أمره، ساميا ذكره، متواليا تأييده ونصره، ولا زال اليمن يسايره، والتوفيق يظاهره ويؤازره بحول الله . كتابنا أيده الله، وتم عليه عوارفه ونعماه، يوم

¹ فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ص 96.

² المرجع نفسه، ص 262.

³ المرجع السابق، ص 315.

السبت غرة شهر ذي الحجة، عرفه الله بركة أيامه ولياليه...¹ فقد استفتح رسالته هذه بالدعاء للمرسل إليه بطول العمر، والثناء عليه بأحسن الصفات، ثم ذكر اليوم والشهر الذي كتبت فيه الرسالة.

في رسالة أخرى ابتدأها بالمنظوم :

لا بد من ذكرى على أنني ببعض ما تذكره مكتفي .

ثم يقول: أعلمت - أطال الله بقاءك -² وأما في بعض الرسائل فيدخل مباشرة في الموضوع دون مقدمة، كقوله في رسالة مثلاً : "هذا الشهر - أيدك الله - موسم الحسنات ومطلع مبارك الدعوات...³ فشكل الرسالة إذا عند ابن أبي الخصال في الغالب لا يخرج عن هذه الأصول الثلاثة التي ذكرناها.

3-2/ توظيف الجمل الدعائية والمعتضة:

لقد أسهب ابن أبي الخصال في توظيف هذا النوع من الجمل في رسائله بما يتلاءم ومضمون خطابه، وتظهر قيمة هذا التوظيف أو الاستعمال في أنه " يؤدي قيمة أدائية فهي تخصص أو قد توضح، وهي التي تكشف لنا عن عاطفة الكتاب وموقفه من الأحداث، وهي تدعم الأفكار وتعطي إشارة إلى تأرجح الكتاب الأندلسيين بين الرغبة والرغبة، وهما الدافعان للدعاء أو الاعتراض."⁴

ومن أمثلة ذلك في رسائل ابن أبي الخصال قوله " أطال الله بقاء الفقيه الأجد، الزعيم الأكرم الأوحده، وسعده يتوقد، ومآثره تتجدد، والأيام بما يهواه تتقرب وتتودد، ولا زال جده يرقى ويصعد، ... وإنه - أدام الله نماءه، وحرس مجده وبهاءه -⁵ ويقول في أخرى: " أطال الله بقاء الوزير الأجل أبي

¹ عبد الله بن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص 80.

² المصدر نفسه، ص 104.

³ المصدر نفسه، ص 120.

⁴ فاطمة مفلح العبد اللات، الحض على الجهاد في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية،

كانون الأول، 2007م، ص 144.

⁵ المصدر السابق، ص 288 - 289.

الحسين: ملاذي ومفرعي، ومشعري المقدس ومشعري، ومجده عمم، وحاجه أمم، وسربه حرم، ولا زال متنافساً في فضله، متنافراً إلى عدله. من يسر فيه - أيده الله للحسن، وفاز من لقائه بالحظ الأسنى -¹ فمن خلال هذه النماذج يتبين لنا " ادراك الكتاب الأندلسيين عند مخاطبتهم لمن هو أعلى شأنًا منهم، وجوب استمالته وتأكيد الولاء له، فيعترضون بالدعاء له بالتأييد والعزة والطمأنينة."²

ثم إن كثرة الجمل الدعائية، و التحميدات الطويلة في رسائله يوحي بقوة إيمان الرجل وورعه، وتدينه، وتشبعه وتمسكه بتعاليم الدين الحنيف، وهذا كله انعكاس لشخصية الكاتب ولطبيعة الدولة التي عاصرها، وهي دولة المرابطين.

كما يلاحظ أن " تلك المقدمات تتسم بالإسهاب في محاولة من الكتاب لضمان انفعال المتلقي واستجابته لما يدعون إليه، وإقناعه بالأفكار الواردة واستمالته للجهاد، ولاستيفاء وجوه الموضوع كافة، وربما لجذب انتباه المتلقي لسماع بقية أجزاء الرسالة."³

وقد نجد أن الرسالة تتلاءم مع طبيعة المجتمع والبيئة التي وجدت فيها، إذا أن الأندلس عرفت أوضاعاً متقلبة، وشاعت فيها بعض العادات التي كانت بعيدة عن روح المجتمع الأندلسي المسلم، وهذا ما حدا بأبي الخصال وغيره من الكتاب من الاعتماد على الرسالة كوسيلة للتغيير والتأثير والنصح والإرشاد، وذلك حفاظاً على الأخلاق والتقاليد من جهة، والحفاظ على الأندلس من الضياع من جهة أخرى. ولعل هذا ما جعله من الرسالة ذات طبيعة حجاجية.

3-3/ التنوع بين النثر والشعر:

عرف الكثير من كتاب الأندلس بهذه الميزة، فتجدهم يمزجون في رسائلهم بين الشعر والنثر، وأما ابن أبي الخصال، فتتجلى لنا رسائله وكأنها شعر منشور لا ينقصه إلا الوزن والقافية في بنيتها التي لا تكاد تميز

¹ المصدر السابق نفسه، ص 356.

² فاطمة مفلح العبد اللات، الحض على الجهاد في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ص 145.

³ نفسه، ص 141.

فيها بين النوعين، مما يوحي بثقافته الواسعة، وموهبته الفذة، فابن أبي الخصال لا يدخر جهداً في المزج بين الشعر والنثر لما في ذلك من أثر في المخاطبين، وسحر عقولهم، ودفعهم إلى الاستجابة والإذعان، كما يكون الهدف من التنويع إثارة انتباه السامع ودفع السأم عنه، وجذبه لموضوع الرسالة ليصبح ذاتاً مشاركة في الخطاب.¹

ومن أمثلة ذلك ما كتبه إلى الوزير الكاتب أبي بكر بن أزراق في وصف الخط فيقول:

" وردني للسيد الأوحده - أطال الله بقاءه - كتاب كقطع الجمال، ولمع الزمان، ومآرب الشباب، وتواصل الأحباب. خط للقلوب مختط، وللأبصار محل ومحط. لا جرم، إنه أولى من تلك بالصدر، ومن هذي بالنور، ولفظ قد شرب الشمول سائغاً، ولبس القبول ضافياً سابغاً.

لو شاء أن يذهب في صحرة لسهل الحسن له مذهباً

سرى إلى الأنس فاستهبه، وطلع على الأمل فأشبهه، وشام الخاطر فانتضاه، وسام الماطل فقضاه، وأغنى الفكر وهي عدم، واستنزل الفقر فمناها عصم...

ولو جاز أن تحوى علاك وهبتها ولكن من الأشياء ما ليس يوهب.²

فابن أبي الخصال عرف بموهبة فذة، فنجد في رسائله إما شاعراً مجيداً يحسن القول فيبدع، وإما مستنجداً بشعر غيره فيوظفه بما يتلاءم وموضوع رسالته ليؤثر في غيره، ويملك قلوبهم وعقولهم.

3-4/ الاقتباس والتضمين: لا تخلو رسائله من الاقتباس والتضمين سواء من القرآن الكريم أو من

الحديث الشريف، وحتى من الشعر، والأمثلة على ذلك كثيرة:

¹ ينظر: نفسه، ص 146.

² عبد الله بن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص 454.

يقول في رسالة " يا عمادي الأعظم، وعلق ادخاري الأنظم، ومحل استظهاري الأكرم، الذي لا أعدل به جليلا، ولا أجد لسنة بره تحويلا...¹ فقد اقتبس الجملة الأخيرة من الآية 43 من سورة فاطر (فلن تجد لسنة الله تبديلا...). ويقول في أخرى: " لولا أن ملاذي - أعاذ الله جلاله وأعاد اقتباله وأعز مكانه وأهان زمانه - أخذ علي موثقا، وقد جعل البعد بيني وبينه موبقا... " فكلمة موبق تعني الحبس، وهي اقتباس من سورة الكهف الآية 18 - 52.²

وفي رسالة أخرى يقول في مطلعها: ألا عم صباحا أيها الطلل البالي.³ فقد اقتبس هذا البيت من قصيدة لامرئ القيس.

3-5/ اللغة والأسلوب:

وأما من حيث الأسلوب فابن أبي الخصال قد اعتمد في أسلوبه على توظيف الخيال والبيان بصورة كبيرة، كما التزم بالسجع في أواخر الفقر والفواصل، وتوشيتها بالشعر والأمثال، والتورية بالأسماء، وتضمين القرآن والحديث.⁴

ويظهر ابن أبي الخصال من خلال أسلوبه براعته في التعبير عن المعاني، وتقليبها على الأوجه الممكنة حتى يترأى للقارئ أنها تكرار، كما أنه يميل إلى الجمل القصار، و الإطناب في موضع الإطناب، والإيجاز في موضع الإيجاز، بما يتلاءم والمقام.

وقد عرف ابن أبي الخصال بالعالم الموسوعي فهو اللغوي والأديب والفقهاء، والمفسر، لذا فإنه قد أبان من خلال رسائله على كثيرا من الأبعاد والقيم التي انعكست على شخصية الكاتب الأديب من جهة، وعلى الدولة والمجتمع الأندلسي من جهة ثانية، وجسدت صورة حية تحكي عن تاريخ وماض ومجتمع

¹ عبد الله بن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص 107.

² المصدر نفسه، ص 459.

³ المصدر السابق، ص 466.

⁴ فوزي عيسى، مقامات ورسائل اخوانية، ص 23.

كان الكاتب جزء منه، فلم يدخر جهدا في معالجة قضاياها وتغيير معتقداته، وتوجيه سلوكاته، فكانت الرسالة هي سبيله، والحجاج هو آله، والافتناع هو غايته.

و على اعتبار أن مقاربتنا في دراسة رسائل ابن أبي الخصال تسعى إلى اكتشاف و فهم الطرق و الآليات الحجاجية من خلال الدراسات التداولية الحديثة من جهة و الآليات اللغوية و البلاغية التراثية من جهة أخرى ، ارتأينا أن نتطرق في هذا المدخل إلى بعض المفاهيم التراثية العربية التي ترتبط مع مفهوم الحجاج و تتعالق معه ، كالجدل و المجادلة و البرهان ، و أن نبين - بإيجاز- بعض الفروق بينها و بين الحجاج الذي - و كما أسلفنا- سنفرد له الفصل الثاني باعتباره الموضوع الأساسي لبحثنا .

4 / المجال المفاهيمي للفظ الحجاج في التراث العربي :

تعالق مفهوم الحجاج في التراث العربي بمجموعة من المصطلحات التي تحيل هي الأخرى إلى مجالات مختلفة ، فمثلا نجد أن الحجاج يتقاطع مع الجدل أو المجادلة الذي يدخل تحت مجال علم الكلام ، و لا غرابة في ذلك حينما نستشعر الجو السائد آنذاك من مشاحنات و مناظرات بين الفرق الكلامية، دفاعا عن مذاهبها ، فالجاحظ - مثلا - معتزلي ، و قد أسهم - كما رأينا - في بلورة أولى إرهاصات الجهود الحجاجية ، و كذلك السكاكي و الزمخشري ، فالحاجة إلى الذود عن الفكر - بسبب كثرة الملل و النحل - أثرت الحقل الخطابي و الحجاجي ، و أسهمت في بناء وعي يخرج بالبلاغة من التأثير بالبديع و المحسنات الجمالية و الانزياح و الغرابة ، إلى بلاغة الاستمالة و الإقناع و الحجاج .

فمن بين المفاهيم التي تعالقت و تقاطعت مع مفهوم الحجاج ، نجد : الجدل و الجدل و المجادلة ، كما نجده -أي الحجاج- يرتبط بطريقة ما ، بمفهوم البرهان أو البرهنة (و هذا بسبب السجال الكلامي كما أشرنا - و الذي يحتاج إلى البرهنة لدحض رأيٍ أو إثباته -) ، و مما يلي بعض الحدود و الفروق لتلك المصطلحات .

4- 1 / بين الحجاج و الجدل و المجادلة :

تجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح الحجاج قد ورد مرادفا لمصطلح الجدل في مؤلفات علوم القرآن ، حيث نجد أن في " البرهان في علوم القرآن " لبدر الدين الزركشي (ت 794 هـ) و " الإتيان في علوم القرآن " لجلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) يقترن المفهومان (الحجاج / الجدل) حينما تعرض قضايا (جدل القرآن) - باعتباره علما من علوم القرآن - ، إذ نجدهما قد استعملتا أحد اللفظين في باب المرادف للآخر ، فقد سما الفصل الذي عقده لهذا العلم بـ " جدل القرآن " ، و أكثرها داخله من استخدام ألفاظ (الحاجة و الحجاج و الاحتجاج) باعتبارها مرادفة للفظ الجدل و تسدّ مسدّه¹

و لئن ارتبط مفهوم الحجاج و الجدل و المجادلة في جُل مؤلفات علوم القرآن لما تختص به من معالجة القضايا العقدية التي تتسم بالجدل و الأخذ و الردّ على كل فرقة أو نحلة ، إلاّ أن هذا لم يثنِ أعلام و شيوخ علوم القرآن عن التمييز بينهما - أي الجدل و المجادلة - حيث يقول أبو الحسين إسحاق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب في كتابه " البرهان في وجوه البيان " : " و أما الجدل و المجادلة ، فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين ، و يستعمل في المذاهب ، و الديانات ، و في الحقوق ، و الخصومات ، و التنصّل في الاعتذارات ، و يدخل في الشعر و في النثر "².

و لعل الجدل فيما يفهم من كلام ابن وهب - خطاب تعليلي إقناعي : فالجدل إنما يقع في العلة من بين سائر الأشياء المسؤول عنها ، و ينبغي للمجيب إن سئل أن يقنع ، و أن يكون إقناعه

¹ ينظر : عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ج 1 ، ص 17 .

² أبو الحسين إسحاق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تحقيق : أحمد مطلوب و خديجة الحديشي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، 1378هـ/1967م ، ص 222 .

الإقناع الذي يوجب على السائل القبول وإذا كان الفلج في الجدل إظهار الحجة التي تقنع ، فالغالب هو الذي يظهر ذلك¹

4-2/ أنواع الجدل :

تختلف غايات البشر (المتخاطبين) و نواياهم حينما يخوضون المناظرات و حتى المحادثات ، فمنهم من يبحث عن الحقيقة و يبذل في سبيل ذلك ما يرتقي بخطابه الجدلي إلى مصاف الحق ، و منهم من يسعى - بكل الطرق - إلى تحقيق الغلبة و الاستبداد بالرأي و لو بالمغالطة .

و لهذا فالجدل " ينقسم إلى قسمين : أحدهما محمود و الآخر مذموم .

فأما المحمود : فهو الذي يقصد به الحق ، و يستعمل فيه الصدق ، و أما المذموم : فما أُريدَ به المماراة ، و الغلبة ، و طُلب به الرياء و السمعة² و هو ما ينم عن صفات الكبر و المرء و الانتصار للذات دون الأفكار ، و للمكاسب و الأطماع دون الحقيقة أو العدالة و هو ما يعرف بالسفسطة³ ، فقد بيّن ابن وهب في برهانه أن الله سبحانه و تعالى قد توعد هؤلاء المدلسين و المكابرين في كتابه العزيز بقوله: { هَآئِنْتُمْ هُوَآءِ جِدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِ اللّٰهُ عَنْهُمْ

¹ ينظر : حافظ اسماعيلي علوي ، الحجاج مفهومه و مجالاته ، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة ، الجزء الرابع (الحجاج و المراس) : (مقدمة كتاب مصنف في الحجاج ل شاييم بيرلمان و أولوريجت تيتيكا ، ترجمة : رشيد الراضي) ، عالم الكتب الحديث ، إريد - الأردن ، ص 61 .

² أبو الحسين إسحاق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، مصدر سابق ، ص 222 .

³ السفسطة هي النهج المغالطي للسوفسطائيين الذين ينتصرون لمنافعهم الخاصة دون الحقيقة ، و قد انبرى إليهم أرسطو يفند أكاذيبهم و تدليسهم .

يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ۝ ١٠٩ }¹ ، و قوله: {وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ ١٦ }²

كما يستدل على ذلك من خلال كتاب الله عز وجل فيما يخص الضربين من الجدل (المحمود منه و المذموم) فيقول: " و قد جاء في القرآن و الخبر ، مدح ما ذكرنا أنه محمود ، و ذم ما ذكرنا أنه مذموم ، و تواتر فيه قول الحكماء و ألفاظ الشعراء ، فقال الله عز وجل : {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ³ ، و قال : {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا} ⁴ ، و قال في ابراهيم -عليه السلام- : {وَحَاجَّةٌ قَوْمًا قَالَ أَتُحْجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي} ⁵ ، و قال : {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ} ⁶ ⁷ .

4-3/ الحجاج و البرهان:

تناول الباحثون و المهتمون بالدرس الحجاجي قضية الحجاج و البرهان و حاولوا تحديد و ضبط المفاهيم ، و التي تكاد تتفق على أن الحجاج و البرهان يختلفان في بعض النقاط ، من بينها كما ترى سامية الدريدي أنّ الحجاج يتحقق اللغات الطبيعية ، و يتعلق بالقضايا ذات الطابع

¹ سورة النساء ، الآية 109 .

² سورة الشورى ، الآية 16 .

³ سورة العنكبوت ، الآية 46 .

⁴ سورة النحل ، الآية 111 .

⁵ سورة الأنعام ، الآية 80 .

⁶ سورة الأنعام ، الآية 83 .

⁷ المصدر نفسه ، ص 222-223 .

الاحتمالي ، حيث تكون النتائج نسبية و غير مطلقة ، في حين أن البرهان يتعلق بالمنطق الرياضي ، و يتطلق من مقدمات صادقة ضرورية¹ ، فالنتائج المتعلقة بالبرهنة مطلقة و غير نسبية .

و إلى نفس الطرح يتجه أبو بكر العزاوي حينما يفرق بين الحجاج و البرهان بقوله أن الحجاج : " يرتبط بالخطاب ، و البرهنة ترتبط بالمنطق أو الرياضيات ... و لفظ الاستدلال هو المصطلح الأعم الذي يشملهما جميعاً فكل حجاج استدلال ، و ليس كل حجاج استدلالاً ، و كل برهنة أو استنباط أو قياس تعتبر استدلال و العكس غير صحيح"² ، و بهذا يكون الحجاج ليس مجرد بنية منطقية ، تُسرد فيها المعطيات للوصول إلى نتائج محددة كما هو الحال في الرياضيات أو الحساب .

فالحجاج كما يرى طه عبد الرحمن أوسع من البرهان و أرحب أفقا ، فإذا جاز للخطاب أو المحاورة أن " تستند إلى نماذج تنتمي إلى المجال التداولي ، جاز معه أن تسلك من سبل الاستدلال ما هو أوسع و أغنى من بنيات البرهان الضيقة ، كأن يعتمد (المحاور) في بناء النص الصور الاستدلالية مجتمعة إلى مضامينها أوثق اجتماع ، و كأن يطوي الكثير من المقدمات و النتائج ، و يُفهم من قوله أموراً غير تلك التي نطق بها ، و كأن يذكر دليلاً صحيحاً على قوله من غير أن يقصد التدليل به ، و أن يسوق الدليل على قضية بديهية أو مشهورة هي في غنى عن دليل للتسليم بها ، كل ذلك لأنه يأخذ بمقتضيات الحال من معارف مشتركة و معتقدات موجهة ، و مطالب إخبارية و أغراض عملية ، و كل سبيل استدلال يكون هذا وصفه ، فهو سبيل احتجاجي لا برهاني ، يقيّد فيه المقام التراكيبي ، و يرجّح فيه العمل على النظر"³ ، و يعتقد الباحث أن الدكتور طه عبدالرحمن قد أوجز و أجاد في إيضاح فروق و لطائف بين الحجاج و البرهان ، فإذا كان البرهان في عمومته يرتكز أساساً على ذكر الأسباب و شرحها و وصولاً إلى النتائج سواء تحقق هذا الوصول بالمسلمات أو المعتقدات

¹ ينظر : سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث ،إربد،الأردن 2011م ، ص 18 .

² أبو بكر العزاوي ، حوار حول الحجاج ، الأحمديّة للنشر ، الدار البيضاء ، ط1، 2010م ، ص 30 .

³ طه عبدالرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 46 .

أو النصوص أو المنطق ، فالأساس هنا هو ذلك البناء الفكري المتدرج الذي يصل بالمتلقي أو المخاطب إلى الموافقة الطوعية على النتائج و البراهين .

بينما يكون السبيل الاستدلالي أو الحجاجي ، أكثر ليونة و ربما أقل مباشرة ، فقد يعتمد المحاجج أو المحاور إلى سوق دليلٍ على قضية بديهية أو مشهورة هي في غنى عن الدليل للتسليم بها ، و ربما يلجأ لطبي و عدم ذكر الكثير من المقدمات و النتائج ، و هذا الذكر أو الطي في حدّ ذاتهما من الأساليب التفاعلية التي يتميز بها الحجاج و التي تجعل المتلقي أو المخاطب ينتقل من المعطيات إلى النتائج في عملية ذهنية تداولية و تفاعلية و تشاركية ، يكون وقعها أعمق و تأثيرها أكبر مما قد تحقّقه الأساليب البرهانية البسيطة أو المعهودة ، فتفاعل طربي الخطاب للوصول إلى حقيقة ما هو أشدّ أثراً في النفس من الوصول إلى نفس الحقيقة عن طريق التلقين أو الإلقاء ، و قد ختم الدكتور **طه عبدالرحمن** مقولته بإشارة إلى تداولية الحجاج من خلال تقييد المقام أو السياق للتراكيب ، حينما قال (و كل سبيلٍ استدلالي يكون هذا وصفه ، فهو سبيل احتجاجي لا برهاني ، يقيّد فيه المقام التراكيبي ، و يرجّح فيه العمل على النظر) ، فهذا التوصيف للحجاجية يبرز خاصيتين مهمتين من خصائص التداولية ، أولاهما (السياق أو المقام) و الثانية (اللغة في الاستعمال) .

و يعود الدكتور **طه عبدالرحمن** للحديث عن أفضلية الحجاج على البرهان ، عندما يقرر بأن الحجاج يضطلع بفعاليتين أو دورين ، على عكس البنيات البرهانية ، حينما يقول : " و حدّ الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية ، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي و اجتماعي ، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة و مطالب إخبارية ، و توجهات ظرفية ، و يهدف إلى

الاشترك جمعياً في إنشاء معرفة عملية ، إنشاء موجهاً بقدر الحاجة ، و هو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائمٌ بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع و أغنى من البنيات البرهانية الضيقة¹

و ينبنى الخطاب الحجاجي على مجموعة من الاعتبارات التي تميزه عن غيره من البنى الاستدلالية أو البرهانية ، فتعالق المستويات اللغوية و البلاغية و الفلسفية و حتى المنطقية ، تجعل العملية التواصلية بين أطراف الخطاب الحجاجي أكثر دينامية و تفاعلية " كأن تبنى الانتقالات فيه ، لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان بل على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع ، و أن يُطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات و الكثير من النتائج ، و أن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها ، تعويلاً على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتاً أو إنكاراً .."² ، و المقصود بالمضامين المجتمعة إلى صور القضايا ، هو تلك التجارب الاجتماعية و النفسية و التراكمات المعرفية المشتركة بين طرفي الخطاب و كذلك سياق الخطاب و مقتضى الحال الذي لا يختلف أطراف الخطاب في إدراكه ، كلها مجتمعة ، ساهمت في ربط قنوات اتصال عميقة ، عمق التجارب الاجتماعية و النفسية المشتركة ، و التي يعول المحاجج أو الخطيب على استثمارها لحصول التأثير أو الأثر المطلوب للخطاب الحجاجي .

و على النقيض من ذلك ، فإنه ليس بالضرورة أن يحصل الاقتناع كنتيجة حتمية أو ثابتة ، بدليل ما ، حتى و لو تمت البرهنة عليه ، "فقد تُستوفى برهانية الدليل و لا يحصل معها اقتناع المخاطب ، إذ لا شيء يمنع من أن يستمر على اعتقاده السابق و لو دُلَّ على سبيل برهاني مستقيم ، فليس كل ما يحصله النظر يتحول إلى عمل ، و لا هي - أي الصفة البرهانية - تشكل شرطاً ضرورياً لبلوغ الاقتناع ، فقد يحصل هذا الاقتناع بدليل فيه من الفساد الصوري ما لا خفاء

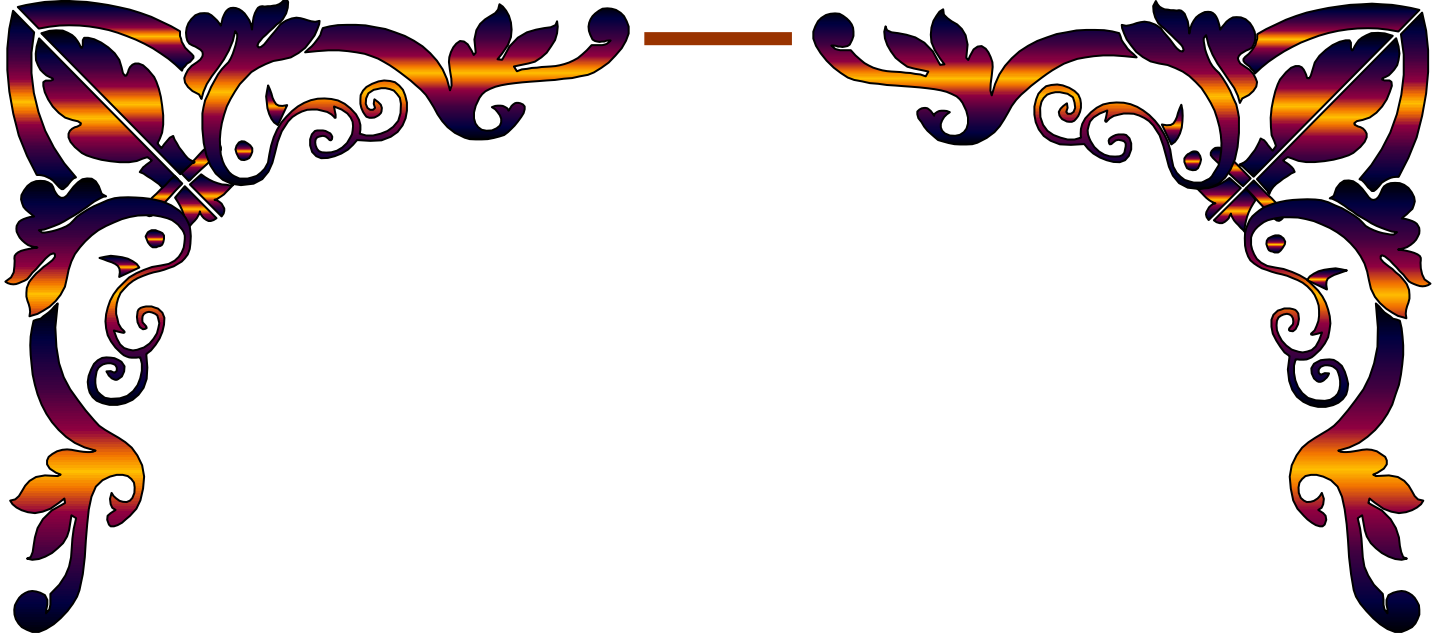
¹ المرجع نفسه ، ص 65 .

² المرجع نفسه ، ص 65 .

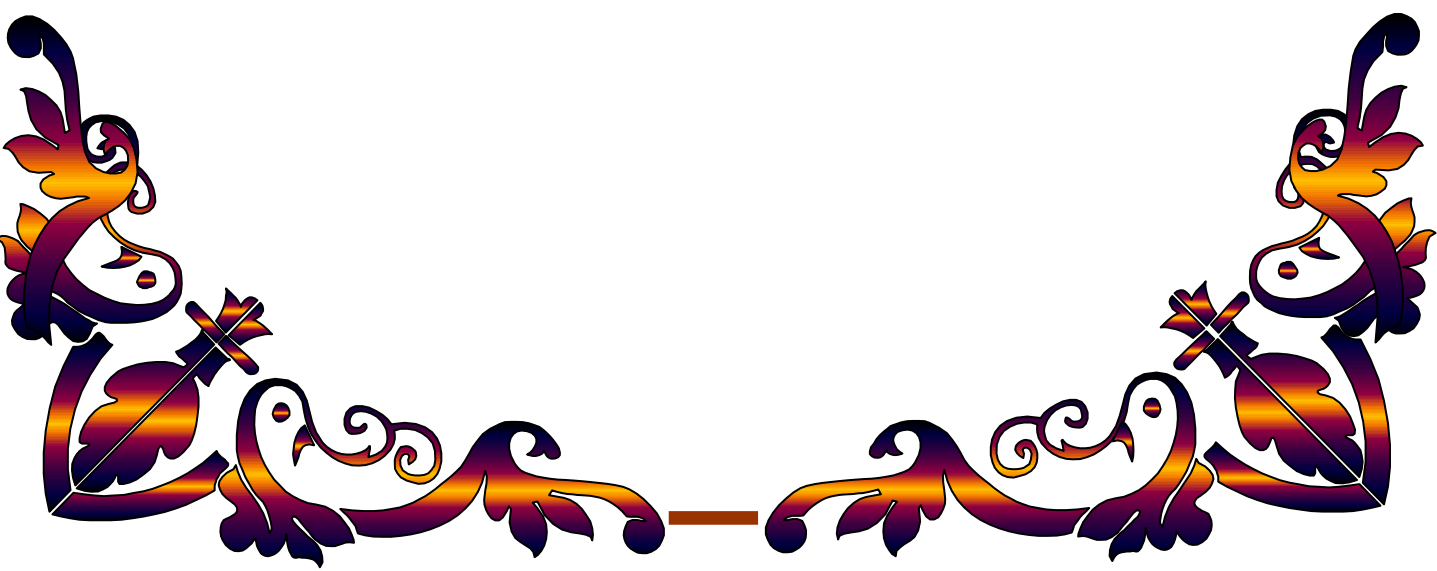
فيه ، لأنّ هذا الفساد تستره إن لم تمحه قوة المضمون الدلالي في الخطاب الطبيعي ، فالحجة الجدليّة البالغة على ما قد يشوبها في الصورة ، خير من البرهان الصحيح غير المقنع"¹

و يمكن القول في الأخير أننا باختيارنا لهذه المدونة البلاغية التراثية ، و اعتمادنا المقاربة التداولية و الحجاجية في سبر أغوارها ، فإننا نسعى - و الله من وراء القصد - إلى دراسة جادّة و أصيلة ، تدمج بين التداولية بمختلف مخرجاتها و آلياتها ، و البلاغة العربية بعلومها الثلاثة من جهة و بين مدونة تراثية بلاغية أندلسية على شكل رسائل من جهة ثانية ، في محاولة لفهم مدى تمكّن الأولين ممّا نظّر له المحدثون من دراسات لغوية و لسانية و تداولية .

¹ المرجع نفسه ، ص 65-66 .



الفصل الأول :
التداولية و البلاغة
المفهوم و المجال



تمهيد:

لقد كانت الظاهرة اللغوية حقلا خصبا شدّ أنظار الباحثين والمهتمين بقضاياها قديما وحديثا ، فتعددت وجهات نظرهم واختلفت مناهجهم حتى مطلع القرن العشرين الذي أخذ فيه الدرس اللغوي منحى آخر بفضل الجهود التي قدمها العالم اللغوي **فردينان دي سوسير** الذي عُد بحق رائد النهضة اللسانية والأب الحقيقي والروحي للدرس اللساني الحديث.

فقد استطاع **سوسير** بفضل الأفكار والمبادئ التي طرحها أن يخلّص اللغة من النزعة التقليدية ومن سيطرة المنهج التاريخي الذي ظل في نظره منهجا يتعد عن الموضوعية، ويفتقد للعلمية والشمولية، وبهذا أصبح المؤسس الفعلي للمنهج الوصفي الذي جعل من اللغة غاية في ذاتها ولذاتها.

ولم يكد يمحض وقت طويل على ظهور المنهج الوصفي حتى ظهرت نزعة أخرى انتقدت كثيرا من المبادئ والأسس البنيوية ، ولعل أهمها إهمال البنيوية للجانب الإبداعي في اللغة ، فأخضعت اللغة للتفسير العقلي والمنطقي متجاوزة بذلك الوصف ، وأسهمت في تطور الدرس اللساني وتقدمه وتحريك عجلته من خلال أفكار مؤسسها اللساني الأمريكي **نعوم تشومسكي** في ضوء المنهج التوليدي التحويلي.

ومع قيمة وأهمية الإسهامات التي قدمها هذين العالمين ، إلا أن نظرتهم للغة أبانت عن أوجه من القصور في النظر والتعامل مع اللغة انطلاقا من مبدأ البنية والعمل على نظامية اللغة وعزلها عن محيطها الخارجي الذي يتأثر بها ويؤثر فيها في الوقت نفسه ، وهذا ما مهّد لظهور المنهج التداولي الذي تجاوزهما من خلال دراسته للغة و الاستعمال، وربط الكلام بظروفه وملايسات إنتاجه والاهتمام بالدلالة والمعنى.

فالتداولية كمنهج " لا تفصل الإنتاج اللغوي عن شروطه الخارجية، ولا تدرس اللغة الميتة المعزولة باعتبارها نظاما من القواعد المجردة كما تفعل البنيوية حينما تعتبر الفرد والكلام والمتكلم والسياق غير اللغوي عناصر خارجية عن اللغة، ومن ثم تقوم بإقصائها من مجال الدراسة ... وخلافا للبنيويين الذين

يرون أن معرفة دلالة الكلمة يكون بمقابلتها بغيرها من كلمات اللغة داخل النظام اللساني التجريدي الصارم، يرى التداوليون أنهم مدعوون إلى ضرورة مجاوزة السياق اللغوي الضيق إذا كان المقام (سياق الحال) ضروريا في فهم المعنى"¹.

لأن اللغة " استعمال يومي مستمر ومتواصل ، بل لا تتحقق إلا ضمن هذا الاستعمال في تفاعل مستمر بين المتكلمين، لذا ينبغي علينا أن نرجع إلى دراسة صورة هذا الاستعمال، أي أن نعيد للظواهر الكلامية اعتبارها في الدراسة، ينبغي أن نتجاوز التقابل السوسوري ، الذي أُقْصِي من خلاله الكلام من دائرة اهتمام اللغويين، وذلك لأن طبيعة اللغة التبادلية تثبت أن للظواهر الكلامية دورا فعلا في تيسير آليات التبليغ والاتصال اللغوي في المجتمع"².

وعلى هذا المبدأ قامت التداولية كمنهج ونظرية حينما حاولت سد الثغرة التي وقعت فيها الدراسة البنيوية ، من خلال محاولتها الإجابة عن كثير من الأسئلة من قبيل: من يتكلم؟ إلى من يتكلم؟ ما الغاية من الكلام، ما هي ظروف وملابسات الكلام؟

ونظرا لأهمية هذا المنهج الذي هو مجال دراستنا ومنطلق بحثنا، وعملا بمقتضى منهجية البحث العلمي آثرنا قبل الحديث عن الحجاج الذي هو موضوع بحثنا أن نمهد له بفصل نتطرق من خلاله إلى التداولية من حيث المفهوم والنشأة والمجال والمنهج ، فما هي التداولية؟ وما مفهومها؟ وكيف أسهمت في تطوير الدرس اللساني؟ وما هي مجالاتها؟

¹ حافظ إسماعيلي علوي، ومنتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب، بحوث محكمة، كنوز المعرفة، ط1 2014، ص663.

² حولة طالب الابراهيمى، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، د ت، ص157.

أولا التداولية:

1/ مفهومها عند الغرب:

إنه من الصعوبة بمكان الوقوف على تعريف دقيق ومحدد للتداولية لتعدد مجالاتها وتشعب مشاربها، وتداخلها مع كثير من العلوم التي مثلت روافد لها، واستطاعت من خلالها شرعنة وجودها، كالمنطق، والفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع...¹.

وقد أُشتقَّ هذا المصطلح من الكلمة اليونانية براغما، أو براجما pragma التي تعني الشيء نفسه في جميع معاني الكلمة وتعني الفعل، وتحيل على الكلمة اليونانية la praxis التي تُفهم بوصفها تحويلا للواقع وللأنا، ومن ثم تتعلق التداولية بالأفعال سواء أكانت سياسية أم قانونية وبالحياة والعالم المادي، وقد استخدمه الكثير من فلاسفة اليونان وعرف في استعمالاتهم أمثال: أفلاطون، وأرسطو، وأوغستين، وكانت نظرتهم للتداولية على أنها نشاط أو فعل أو عمل يعتمد على التجربة أو الممارسة الشخصية.²

وأما الأستاذ عبد المالك مرتاض فيرى أن " هذا المفهوم استعمل لأول مرة في الثقافة اللاتينية سنة 1438م، وهو يعود في أصله الأجنبي إلى اللغتين الإغريقية واللاتينية معا، ولهذا المفهوم في الثقافة الغربية عدة استعمالات قانونية، وهو الاستعمال الأصل في اللغة اللاتينية فيما يبدو، ثم فلسفية، ومنطقية، ورياضياتية، ثم أخيرا لسانياتية و سيميائية"³.

وقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن استعمال مصطلح التداولية يعود إلى الفيلسوف " تشارلز موريس Charles Morris " وذلك سنة 1938م، انطلاقا من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السيميائية من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع وهي:

¹ ينظر: فان دايك، علم النص، ترجمة وتعليق، سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001، ص 114.

² ينظر: أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2015م، ص 05. وينظر: إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ليلي أحمياني، تق: سعيد جبار، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2018م، ص 34.

³ عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2010م، ص 396.

- النحو أو التراكيب syntax : وهو دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات بعضها البعض.
- الدلالة semantic : وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات.
- التداولية pragmatics : وهي دراسة علاقة العلامات بمستعملها و بمؤولها¹.
- وأما إذا أنعمنا النظر في المفهوم الاصطلاحي فإنه تستوقفنا جملة من التعريفات لعل أشهرها تعريف موريس سنة 1938م حينما ذهب إلى أن التداولية " ذلك الفرع من السيميوطيقا الذي يعالج في الأصل استعمالات العلامات وآثارها في السلوك الذي تتمظهر فيه تلك العلامات"².
- وهي عند كل من ديكر و جان ماريشيفر " دراسة لكل ما ينصرف إلى معنى الملفوظ ، تحرص على طبيعة الوضع الذي يستعمل فيه الملفوظ وليس على مجرد البنية اللسانية للجملة المستعملة"³.
- وأما التداولية عند آن ماري ديبر و فرانسواز ريكاناتي فهي " دراسة استعمال اللغة في الخطاب"⁴.
- ومما سبق يمكن القول أن التداولية كمفهوم تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، فهي لا تتوقف على العلامة اللغوية بل تنظر إلى طرق استعمالها وسياقاتها، وإلى مستعملها و وضعياتهم التخاطبية .

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص 21.

² إلفي بولان المقاربة التداولية للأدب، ص 19.

³ عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2014م، ص 95.

⁴ أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص 10.

2/ مفهوماها عند العرب:

1-2/ لغة:

التداولية مصطلح مركب من وحدتين إحداهما معجمية (تداول) والأخرى صرفية (ية) دالة على مصدر صناعي¹ ، ومنه جاء في أساس البلاغة للزمخشري في مادة (دول) " دالت له الدولة ، ودالت الأيام بكذا ، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه ... وأدبل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأدبل المشركون على المسلمين يوم أحد ... والله يُداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم ، والدَّهر دُولٌ وعُقْبٌ ونُوبٌ ، وتداولوا الشيء بينهم ، والماشي يداول بين قدميه يُراوح بينهما"².

وأما في القاموس المحيط للفيروز أبادي " وقد أداله وتداولوه : أخذوه بالدُّول ، ودواليك أي: مداولة على الأمر، أو تَدَاوُلٌ بعد تَدَاوُلٍ... ودالت الأيام : دارت ، والله تعالى يُداولها بين الناس"³.

وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس " الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان ، والآخر يدل على ضعف واسترخاء ، فأما الأول فقد قال أهل اللغة: اندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان ، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم : إذا صار من بعضهم إلى بعض"⁴.

ومن خلال وقوفنا على الدلالة اللغوية للجذر (دول) نجد أنه يقترب من المعنى الذي فسره طه عبد الرحمان الذي ذهب إلى القول بأن " الفعل " تداول " في قولنا " تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى : "تناقله الناس وأداروه فيما بينهم " ومن المعروف أيضا أن مفهوم النقل والدوران مُستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما أنهما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة ، فيقال: " نقل الكلام عن قائله بمعنى

¹ جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016م، ص 13.

² الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص 303.

³ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب التراث مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م، ص 1000 - 1001.

⁴ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت، مادة " دول "

رواه عنه" ، كما يقال " نقل الشيء عن موضعه" أي حركه منه، ويقال: " دار على الألسن" بمعنى جرى عليها ... فالنقل والدوران يدلان بذلك في استخدامهما اللغوي على معنى النقلة بين الناطقين، أو قل معنى التواصل... فيكون التداول جامعا بين جانبيين اثنين هما: التواصل والتفاعل، فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل¹ ، فمعنى الفعل " دول" في اللغة يعنى التبادل والتداول والتفاعل ومنه التواصل.

2-2/ إصطلاحا:

تُرحم هذا المصطلح في الثقافة العربية إلى ترجمات عديدة منها السياقية، والوظيفية، والنفعية، و البراغماتيك، و الذرائعية ، إلا أن أشهر هذه المصطلحات استعمالا مصطلح التداولية الذي استعمله طه عبدالرحمان منذ سنة 1970م، مقابلا للمصطلح الأجنبي براغماتيقا ودالا على الاستعمال والتفاعل².
وأما الأستاذ عبد الملك مرتاض فله رأي آخر حول هذا المصطلح فهو يرى أن نطلق مفهوم تداول اللغة بدون الياء الصناعية على الجانب الاستعمالي في اللغة ، وأما التداولية بالياء للدلالة على النزعة المذهبية، وذلك حتى نطوع العربية من أجل أن تتقبل المفاهيم بالدقة المطلوبة، وتميز بين المعاني المتقاربة³.
و الحقيقة أنه من العسير الوقوف على تعريف جامع مانع للتداولية ذلك أنّ التعريفات التي قدمها الباحثون - على كثرتها - إلا أنها لم تسلم من المآخذ لدرجة أن بعضها قد يناقض البعض الآخر⁴ ، إلا أن القاسم المشترك بين هذه التعريفات هو " دراسة كيف يكون للأقوال معان في المقامات التخاطبية"⁵ ، ومن هنا فإنّ أوجز تعريف للتداولية هو أنها علم استعمال اللغة⁶.

¹ طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، ص 244.

² ينظر: طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجدد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص 28.

³ عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 398.

⁴ ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 11.

⁵ محمد علي يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة، ط1، 2004م، ص 13.

⁶ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 05.

3/نشأتها:

قامت التداولية على أسس ومبادئ فلسفة اللغة التي وضعها كل من أوستين و سيرل و غرايس ، فقد عمل كل واحد من جهته على تقديم رؤية لمقاربة اللغة في إنجازاتها المختلفة.¹

وقد استطاعت هذه المبادئ أن " تعطي نفسا جديدا لمقاربة اللغة ، وحاولت أن تخلصها من بوتقة الانغلاق الوصفي الذي عرفته مع الدراسات اللسانية البنيوية ، وقد كان لهذا الإرث الفلسفي دور فعال في التطور السريع الذي ستعرفه التداولية في العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، خصوصا مع الاتجاه المعرفي مع سبيربر و ويلسن اللذين اعتبرا أن العمليات التداولية هي قطاعا ليست من خصائص اللغة ، بل هي من خصائص النظام المركزي ... وقد كان هذا التصور حافزا لهما على تأسيس مجموعة من المفاهيم التي اعتبرها ضرورية في المقاربة التداولية"².

ومن هنا يمكن القول أنّ التداولية كانت وليدة تيارات فكرية ومذاهب فلسفية ، إذ لا يمكن فهم التداولية و منطلقاتها العلمية والفكرية إلا بالرجوع إلى الإطار التاريخي و الاستمولوجي لهذه النظرية، والوقوف على الظروف والملابسات التي أنتجتها ، وهذا أمر لا يخلو من صعوبة ربما لتعدد روافدها من جهة، واعتبارها نقطة التقاء علوم كثيرة من جهة أخرى.

فالتداولية إذا على حسب ما ذهب إليه الجيلاي دلاش أنها لم تكن مدينة في نشأتها لتيار بعينه بل كانت وليدة تلاقح تيارات و منابع فكرية عديدة ، و هذا ما أكّد عليه أيضاً كل من ماس Mass و لاود فندرليث D Venderlid في كتابيهما الموسوم ب pragmatik und sprachlichers " حينما ذهبوا إلى أن هناك أربعة منابع أساسية أدت إلى تكون هذا التخصص، أي اللسانيات التداولية وهي على التوالي:

–السيمياثيات المنطقية المرتبطة بنادي فيينا Cercle de Vienne.

¹ إلفي بولان المقاربة التداولية للأدب، ص 08.

² المرجع نفسه ، ص 10.

- سيميائيات ش موريس التي تفرع عنها تيار طاغ أعيد التفكير فيه من خلال مكون العمل ويمثله ج كلوس G klaus من ألمانيا الديمقراطية.

- الذرائعية الأمريكية pragmatisme ل ش س بيرس C S Peirce¹.

ومما سبق يمكن الحديث عن بعض الجهود التي أسهمت بشكل مباشر في نشأة التداولية وتعزيز وجودها، وتطورها ومن أهم هذه الجهود:

3-1/ جهود علماء الفلسفة التحليلية philosophie Analytique :

لقد استطاعت التداولية أن تضمن لنفسها مكانة مع علوم اللغة ، وأن تصبح مجالاً رحباً تلتقي فيه علوم كثيرة بفضل الجهود التي قدمها في العقد السابع من القرن العشرين كل من أوستين و سيرل، و غرايس، وهم من علماء اللغة المحسوبين على التيار الفلسفي ، وبالتحديد من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية ، حيث عمل هؤلاء على تطوير هذا الحقل ووضع اللبنة الأولى في بنائه والتأسيس له²، فالفلسفة التحليلية هي السبب في نشوء اللسانيات التداولية³.

فجهود علماء فلسفة اللغة الطبيعية والفلسفة التحليلية ، تعتبر " هي المنابع التي نشأت فيها التداولية في الواقع من خلال أعمال الفيلسوف وعالم الرياضيات الألماني فريج ثم الفيلسوف وعالم الرياضيات البريطاني روسل اللذين طورا كثيرا من قضايا الفلسفة التحليلية ، وهي التي أنتجت فيما بعد الفلسفة الأوستينية في اللغة من خلال تناولها للقضايا التداولية ... ثم انتقلت عن طريق الاقتراض إلى حقل الدراسات اللغوية"⁴.

¹ ينظر : الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 04 - 05.

² ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 09.

³ مسعود صحراوي، اللسانيات التداولية، ص 17.

⁴ خليفة بوحادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، 2009م، بيت الحكمة، الجزائر، ص

ونشأت الفلسفة التحليلية في " العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه 1848-1925 Gottlob Frege في كتابه " أسس علم الحساب " ، و كانت دروسه في الجامعة الألمانية موردا لطلاب الفلسفة والمنطق من مختلف الأوصاف الأوروبية لا سيما ألمانيا والنمسا على الرغم من قلة إنتاجه المكتوب¹ .

وقد اهتم هؤلاء في دراستهم بالجانب الاستعمالي وحصروا اللغة في الاستعمال ومن أبرزهم أيضا:

3-1-1/ لودفيغ فيتغنشتاين Wittgenstein :

انتقد مبادئ الوضعانية المنطقية و استطاع أن يؤسس اتجاهها جديدا هو فلسفة اللغة العادية تطرق من خلاله إلى أهمية المعنى واستعمالاته المختلفة، وهذا أهم ما ميز فلسفته، كما دعا إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم² .

ويعتبر من رواد الفلسفة التحليلية ، وتعود شهرته في الأساس إلى كتابه " رسالة منطقية فلسفية " الذي كان له أثر كبير على الفكر الفلسفي، وحاول من خلاله أن يقيم نظريته الذرية المنطقية على اللغة المثالية، ولكنه مع بداية الثلاثينيات تحول إلى اتجاه فلسفي جديد، ونظرة جديدة للغة ضمن ما يسمى بفلسفة اللغة العادية، في كتابه " الأبحاث الفلسفية " وقد انبنى منهجه على اللغة، ففي نظره اللغة هي الوسيلة لحل الكثير من المشكلات الفلسفية، بل أرجع الكثير من المشكلات الفلسفية إلى سوء فهم الفلاسفة للغة. فوظيفة الفلسفة عنده ليست التفسير وإنما هي تحليل اللغة عبر تحليل العبارات والقضايا المركبة إلى ما هو أبسط منها، فاللغة العادية هي لغة البحث الفلسفي³ .

وقد تنوعت اهتماماته بين الفلسفة والمنطق، ودراسة العلاقة بين اللغة والفكر، كما عرض لفكرة ألعاب اللغة، وكشف عن مفهوم التلاعب في الكلام الذي أصبح فيما بعد أحد دعائم

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 18.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 20.

³ ينظر: بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، ص 92. 93، وينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1985م، ص 52.

ظهور التداولية " و خلاصة مفهوم ألعاب الكلام أن الأفعال التي نتلفظها ترتبط بأشكال الحياة والممارسات التي نحياها، أي أنه ينحصر فيما يباح للمتكلمين في إطار العلاقة بينهم وبين عباراتهم، وينتج عن اختيارات مباحة داخل تنظيم الخطاب، كونه مجموعة منظمة من وجهات النظر والممارسات والمصالح، وبذلك ميز بين المعنى المحصل الذي يرتبط بالكلام، وبين المعنى المقدر الذي يرتبط بالجملة.¹

3-1-2 / أوستين Austin :

يعتبر أوستين من أقطاب التداولية حيث ارتبط به مفهوم الأفعال الكلامية وذلك من " محاضراته التي قدمها بجامعة هارفارد سنة 1955 في فلسفة اللغة ونشرت سنة 1962 بعد وفاته بعنوان " كيف ننجز أفعالاً بالألفاظ؟ " وما ورد فيه أنه ساوى بين بنية اللغة وبنية الفكر، وجعلهما شيئاً واحداً، واللغة في مفهومه تتجاوز وظيفة الاتصال إلى وظيفة التأثير، وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية².

فقد كان إسهام أوستين واضحاً من خلال حديثه عن مفهوم الأفعال الكلامية الذي يعد من أهم مباحث التداولية ، وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل حينما نصل إلى مبحث أفعال الكلام .

3-1-3 / بيرس :

لم يكن في طروحاته بعيداً عما قدمه فيتغنشتاين و أوستين ، ويعد من الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة انطلاقاً من مفاهيمها الفلسفية ، وربط بين فهم اللغة والتواصل ، وربط بين المعنى وظروف الكلام وملاساته³ ، وجعل من السيمياء محور اهتماماته وأساس دراساته .

ومن هنا فإن ما قدمه فيتغنشتاين و أوستين ، و سيرل ، و هوسرل ، و كارناب ، يمكن أن يقدم ضمن حصيلة و إسهامات وجهود علماء فلسفة اللغة التحليلية في الدرس التداولي، والذين

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 52.

² ينظر: المرجع نفسه ، ص 53.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 55.

أجمعوا على أن " فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر له عن هذا الفهم، وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية"¹.

واستطاع هؤلاء تجاوز كثير من التصورات الفلسفية التي كانت تخضع اللغة لحسابات منطقية دقيقة ومحددة.

وقد أجمّل مسعود صحراوي مطالب واهتمامات هذا التيار في الآتي:

- ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم ، وخصوصا جانبه الميتافيزيقي.
- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع " نظرية المعرفة " إلى موضوع " التحليل اللغوي " .
- تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية ، ولا سيما مبحث الدلالة، والظواهر اللغوية المتفرعة عنه² ولللسفة التحليلية ثلاث اتجاهات هي:

- الوضعانية المنطقية " Positivisme Logique "

-الظاهراتية اللغوية " Phenomenologie du Langage "

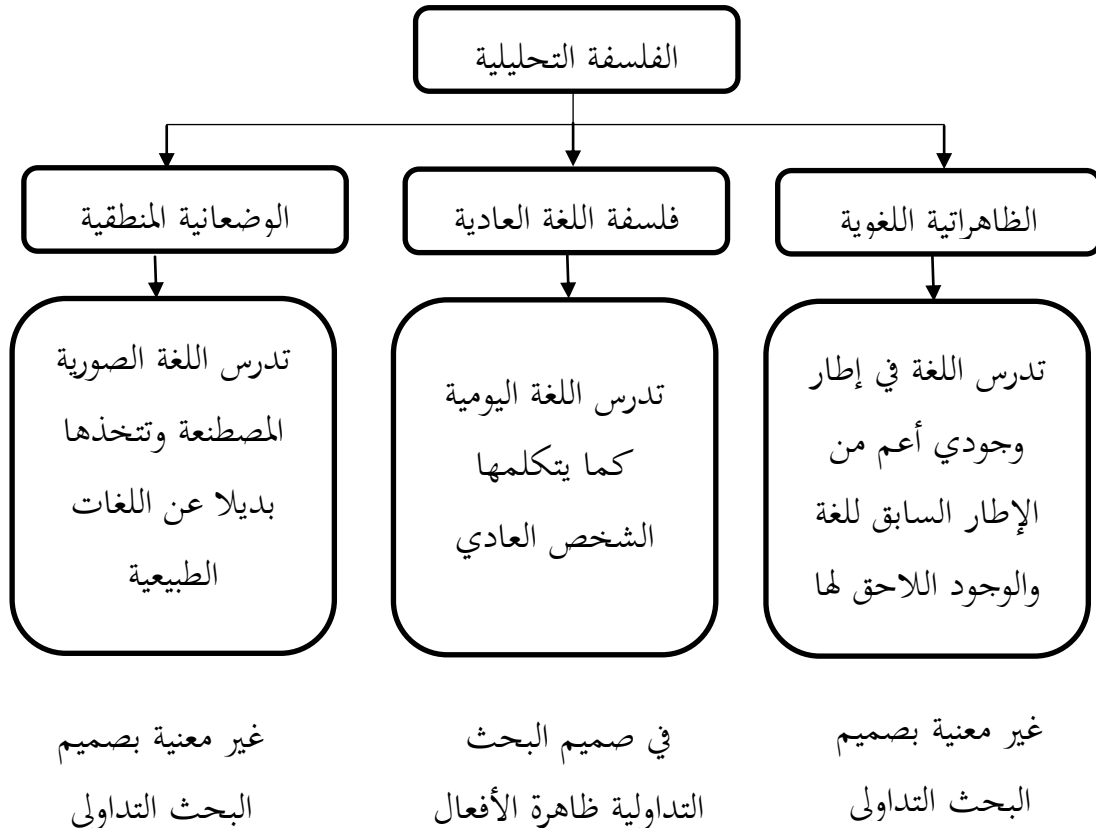
- فلسفة اللغة العادية " Philosophe du langage Ordinaire "

و سيوضح المخطط الآتي هذه الاتجاهات أكثر³

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص21.

² المرجع نفسه، ص 21.

³ المرجع نفسه، ص 24.



لقد عملت الفلسفة التحليلية من خلال منهجها في تحليل القضايا الفلسفية المستعصية عن الإحجام عن التحليلات المثالية التي طبعت الدراسات الفلسفية مدة من الزمن ، كما رفضت الانهماك في بناء الأنساق الفلسفية الكبرى قبل تحليلها وتحديد وظائفها ، وهذا التحول المنهجي هو الذي استفادت منه الدراسات التداولية من خلال تفتيت القضايا اللغوية ، وتحليل الظواهر الناتجة عن استعمال النسق اللغوي، من قبيل قضايا الاستلزام الحوارية، ومضمرات القول، ومن هنا كان توجههم إلى تحليل الظاهرة اللغوية لفهم قضايا التواصل الإنساني والنشاط التواصلية¹.

¹ ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 41 - 42.

3-2-1 / إسهام علم الاجتماع مع ريناتش:

تتمثل إسهامات ريناتش فيما جاء به قبل الحرب العالمية 1914، في عزله الأعمال الاجتماعية والتي أطلق عليها فيما بعد أوستين الأعمال اللغوية ، فقد التقى مع أوستين في أن كليهما يصف الظاهرة الاجتماعية، وأن كليهما انطلقا في دراستهما من مثال الوعد.

فالعمل الاجتماعي في نظره منجز عبر اللغة بمجرد التلفظ بالقول ، فيُنشئ الكلام حينئذ حقوقا وواجبات ينبغي أن لا تختلط بالحقوق والواجبات الأخلاقية.

فعلى سبيل المثال عندما تتلفظ بملفوظ تعد فيه إنسانا صديقا لك بزيارته ، فإنك تكون قد ألزمت نفسك بالذهاب إليه ، ومنحته الحق في مطالبتك بالوفاء بوعده وهو زيارته .

وقد ركز في دراسته على تحليل طبيعة هذه الحقوق والالتزامات بين المتلفظين وعلى خصوصيات التجربة المرتبطة بالأعمال الاجتماعية¹.

فالحق والالتزام عنده علاقة انعكاسية تتولد عن عمل اجتماعي معين" وفي الوقت نفسه هما أمران زمنيان، لأن لهما وجودا لمدة محددة ، فهما يتولدان عن عمل اجتماعي معين، ولكن زوالهما قد يتشكل تشكلات مختلفة نحو:

- أن يتحقق محتوى العمل الاجتماعي فيزول الحق ، أو الواجب تلقائيا.

- أن يتخلى متلقي العمل الاجتماعي عن حقوقه، والتخلي عمل اجتماعي آخر متلقيه هو فاعل العمل الاجتماعي الذي قد تخلي عنه.

- أن يبطل الفاعل العمل الاجتماعي، لأن الإبطال عمل اجتماعي آخر متلقيه هو متلقي العمل الاجتماعي الذي قد أبطل، وهذا الإبطال له شروط ينبغي أن تتوفر، ليكون عمل الإبطال شرعيا².

¹ أمبارك بن مصطفى ، المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري ، جامعة تلمسان، الجزائر 2018-2019 ، ص 60 .

² المرجع السابق نفسه، ص 62.

3-2-2 / - إسهام الدراسة اللغوية مع غاردنر :

و قد تجلّت إسهاماته من خلال إشارته إلى بعض المبادئ التداولية ، و التي كانت بمثابة الأرضية التي انطلق منها أوستين ، إذ أنه ميّز في دراسته بين اللسان و الخطاب ، و هو في تمييزه هذا يشبه دي سوسير في فصله بين اللغة و الكلام ، إلاّ أن الأخير انطلق من اللسان ليعرّف الكلام ، بينما انطلق غاردنر من الخطاب بوصفه حدثاً لسانياً ليعرّف اللسان ، ليخلص من دراسته إلى أنّ الخطاب أصلٌ للسان و أنّ اللسان ما هو إلاّ نتيجة لاستعمالات خطابية¹.

و ختاماً لما سبق يمكن القول أنّ التداولية قد نشأت وترعرعت في ظل اتجاهات وتيارات معرفية عديدة جعلت منها علماً يتميز بالثراء والتنوع وتعدد المصادر، فمنابعها كثيرة ومن أهمها كما رأينا الفلسفة التحليلية التي تعدّ ينبوع الأول لأول مفهوم تداولي وهو الأفعال الكلامية، فقد كانت هذه الفلسفة تدعو إلى أن مهام الفلسفة هي البحث في اللغة ، ولذا أعتبر هذا التيار كردة فعل على الفكر الفلسفي التقليدي برمته ، و ولدت نظرية المحادثة من فلسفة غرايس ، ونظرية الملائمة من رحم علم النفس المعرفي.

ولم تستقر التداولية إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد الأعمال التي قدمها كل من أوستين ، وسيول ، و جوايس، وغيرهم ، ومع هذا تبقى مدينةً لهذه التيارات والاتجاهات التي أسهمت في ظهورها و اكتمال نضوجها².

¹ ينظر : المرجع نفسه ، ص 61 .

² ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 99. وينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 62.

4/ إرهاصات التداولية عند العرب :

لقد انتبه العرب قديماً نحاًً و بلاغيين و مفسرين و أصوليين إلى أهمية التركيب في اللغة و دوره في تحديد المعاني و تخصيصها ، فاعتبر مثلاً عبدالقاهر الجرجاني النظم أساس المعنى ، فالنظم أو التركيب إذا ما حاولنا مقارنته من منظور لسانيات الخطاب فينبغي لنا أن ننظر إلى هذه التراكيب في ضوء سياقاتها التخاطبية و مقاماتها التواصلية ، و منه دراسة اللغة في الاستعمال ، و هذا محور نظرية النظم .

و قد سبق في ذلك الطرح كل من ابن وهب و الجاحظ حينما قاما بتوصيف التركيب اللساني العربي لفظاً و معنى من خلال الوقوف على الخصائص و الجزئيات التركيبية و النحوية و الصرفية ، و المعجمية التي تؤدي إلى اختلاف الدلالات و المقاصد ، من خلال دراستهم لكثير من المباحث اللغوية كالتقديم و التأخير و الذكر و الحذف ، و ربطها بأغراض المتكلمين و مقاصدهم .

ففي قولك مثلاً : دخل محمدٌ إلى البيت ، و قولك محمدٌ دخل إلى البيت ، قد يفيدان للوهلة الأولى نفس الخبر ، و هو دخول محمد إلى البيت ، و لكن المتأني يجد أن في المثال الأول " دخل محمدٌ إلى البيت " اهتماماً بالإخبار عن فعل الدخول فجاء الفعل (دخل) في مبتدأ الكلام أو العبارة ، بينما و في المثال الثاني " محمدٌ دخل إلى البيت " ، نجد أن الاهتمام هنا بالفاعل ، و لذا تقدم الفاعل على الفعل ، فكأن القائل هنا يريد الإجابة عن الأمر الملح الذي يود المتلقي معرفته (و هو من الفاعل) أو على الأقل يهتم له و يركز عليه .

و لهذا كان من الأبلغ بل و الأصح ، أن تختار المثال أو القول الثاني " محمدٌ دخل إلى البيت " إذا ما رُمت الإجابة عن التساؤل الذي تعتقد أنه يدور في -أو قد يتبادر إلى- ذهن المتلقي و هو : من دخل إلى البيت ؟ ، و هذا المبحث - التقديم و التأخير - على سبيل المثال لا الحصر ، الذي

اهتم به الدرس اللغوي قديما ، من صميم الدرس الدلالي و التداولي حديثا ، فتمثّل أثر القول في نفس المتلقي أو السامع أثناء إنشاء الخطاب هو جوهر التداولية .

لم يكن الدرس التداولي ، و ليد صدفة أو نظرية لغوية منفصلة تماما ، بل هو نتاج مسار طويل من النظريات و تلاقح المدارس و الرؤى اللسانية ، فالتداولية باعتبارها جزءا من الدرس اللساني ، ربطت بين البنيوية السوسيرية و بين الاتجاه المنطقي الحداثي كالذي نادى به كارنب و ستراوسن انتقالا إلى الدلالة التداولية مثلما نجد خصوصا عند أوستين ، فهذا الخط الزمني أضفى على الدرس التداولي الكثير من التنوع و العمق في نفس الوقت .

ففي البداية اعتبر دو سوسير ، أن التحليل البنيوي من خلال دراسة الألفاظ وترتيبها و تبادلها على محوري التبادل و التوزيع كما في نظريته البنيوية ، أنه هو الأساس في التحليل الدلالي للخطاب ، فهي علاقات توزيعية أو تبادلية بين الألفاظ و علاقات تركيبية بين الجمل ، داخل نظام اللغة ، فأهمل بذلك كل ما هو خارج اللغة من سياق أو خصوصيات لدى الملقى و المتلقي ، واعتبر بذلك أن الجملة هي نتاج أو مجموع الخصائص الدلالية للوحدات الأصغر أو الألفاظ ، و بهذا انحصرت اللسانيات البنيوية و ما تطورت إليه و أفرزته من توزيعية و تحويلية و توليدية ، -انحصرت- في نظرة معجمية للغة ، تراعي العلاقات التركيبية بين الملفوظات ، و تستند على الحقول الدلالية ، كالتعارض و التضامن و الترادف ، و لا تولي للعوامل غير اللغوية أي أهمية في توجيه المعنى أو الدلالة .

و قد نادى بعض الجهود (التداولية) - المتفرقة في البداية - بالخروج من النص أو الخطاب نفسه ، لفهم الخطاب و محاولة ربطه بالمنطق و التفكير المنطقي بعيدا عن البنيوية و التوزيعية و التوليدية التحويلية ، فقد تكون الجملة مركبة من مجموعة من الألفاظ الصحيحة معجميا ، بل و المنتمية إلى نفس الحقل الدلالي ، و قد تتوفر فيها القواعد التركيبية (النحوية ، الصرفية) الصحيحة و لكنها قد لا تحمل أي معنى ، و هذا ما نجده -مثلا- في (النسق الهرائي) و المثال المشهور عليه : (تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون غاضبة أو " colorless green idea sleep furiously " ، و هو

مثال قدمه نعوم تشومسكي في كتابه بنى نحوية سنة 1957) ، و بهذا فإن النظر إلى ما هو خارج عن النص أصبح ضرورة و حتمية للوصول إلى المعنى أو المعاني التي يختزنها الخطاب أو النص .

وقد اعتبر أوستين أنه لا بد من النظر خارج النظام اللغوي الداخلي للنص أو الخطاب لفهم الدلالة ، فدلالة الألفاظ مرتبطة أساسا بالعلاقة " المرجعية المرتبطة بشروط الاستعمال ، حيث تصبح للقيمة الدلالية وظيفة سياقية (أي داخل السياق الذي أستعمل فيه القول) ، و يتضح من ذلك أن رهان النظرية الأوستينية هو الوحدة الكاملة للقول ، من منظور قضوي ، مرتبط بفعل تكلمي أو قول إنجازي ، و هو رهان يهتم أساسا بالقضايا المتعلقة بالنظرية التداولية ¹ .

و لعل من أهم ما يستوقف الملاحظ للمدرستين أو الرأيين (الموقف السوسيري الذي يبني على علاقة المكونات اللسانية و ارتباطها داخليا سواءً على مستوى الألفاظ أو التراكيب أو الصيغ ، و مدى اتساقها مع بعضها ، من جهة ، و الموقف الأوستيني الذي يركز على العلاقات الخارجية و ارتباط الخطاب بالسياق الذي يرد فيه ، و مدى ملائمته لمقتضيات الأحوال ، من جهة أخرى ، هو تلك الهوة الكبيرة بين المدرستين أو الرأيين ، ما جعل أفق التداولية يتسع شيئا فشيئا ، و يفتح المجال أمام دراسات و اجتهادات تروم فهم الخطاب من زوايا أبعد و أعمق ، فقد " ركز سيرل على مفهوم القصد ، باعتبار فعل الكلام مظهرا من مظاهر القصدية ، ذلك لأن معرفة الرسالة أو القول لا تنحصر في فهم نظام اللغة وحده ، بل يتطلب الأمر معرفة مسبقة بالسياقات التي تتجاوز حدود الدلالة اللسانية التقليدية ، إلى خلق دلالات جديدة ، تنسجم و تتلاءم و فعل الكلام ، باعتباره مظهرا للقصدية .. " ²

¹ عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، افريقيا الشرق، المغرب، 2012م، ص70

² المرجع نفسه ، ص71

4-1/ التداولية في الدرس العربي الحديث :

و يعدُّ أول من وضع أو سكَّ المصطلح المتداول اليوم في الدرس اللساني العربي الحديث " التداولية " أو "التداوليات" ، هو الباحث المغربي طه عبدالرحمن ، حيث قال : " ومن جملة ما فعلت أي وضعت مصطلحات كثيرة ، تبناها زملائي عن رضى و عن اقتناع علمي ، منها المصطلح الذي نتداوله اليوم و هو التداول ، فإتي وضعت هذا المصطلح منذ سنة 1970م ، في مقابل [...] (pragmatique) و لو أن التداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللفظة في العربية لفضّلوها على لفظة pragmatisme ، لسبب واحد ، و هو أنها لا تفني بالمقصود من علم التداول ، لفظة التداول تفيد في العلم الحديث الممارسة [...] تفيد تماما الممارسة و هي مقابل المصطلح التاريخي ، و تفيد أيضا التفاعل في التخاطب - في عملية الخطاب تفيد التفاعل - ثم بالإضافة إلى ذلك إنها مادة واحدة ولفظة الدلالة نفسها ، يعني أن التداول سوف يرتبط بالدلالة ، فإذن هذا هو التبرير العلمي الأولي لمصطلح التداول " ¹ .

و يرى طه عبدالرحمن أن سبب اختياره لمصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا) هو أنّه يوفي المطلوب حقه ، باعتبار دلالاته على معنيي " الاستعمال " و " التفاعل " وذلك حينما شرع في تقسيم اللسانيات إلى ثلاثة أقسام أولها : **الدّالّيات** و هي ما يهتم بوصف أو تفسير **الدّالّ الطبيعي** في نطقه أو تصوراته ، و ثانيها : **الدّالّيات** و هي الدراسات التي تهتم بوصف أو تفسير العلاقات التي تجمع بين **الدّوال الطبيعية و مدلولاتها** سواء اعتبرت تصورات في الذهن أو أعيانا في الخارج ، و ثالث أقسام اللسانيات كما يرى طه عبدالرحمن - و هو الأكثر اتصالا بموضوعنا ، و هي : **التداوليات** ، و هي الدراسات التي تختص بوصف - و إن أمكن بتفسير - العلاقات التي تجمع بين **الدوال الطبيعية و مدلولاتها و بين الدالّين** بها ² .

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 574 .

² ينظر : طه عبدالرحمن ، في أصول الحوار و تحديد علم الكلام ، ص 28 .

5/ أهميتها:

تتجلى أهمية التداولية في أنها حاولت سد الثغرة التي تركتها الدراسات اللسانية البنيوية التي لم تتجاوز حدود الجملة، واعتبرت أن كل ما هو خارج عن سياق البناء التركيبي للجملة ليس من اهتماماتها، إذ عملت التداولية على حل كثير من المشكلات اللغوية من خلال الاهتمام بسياقات الكلام والتخاطب، والإجابة عن كثير من الأسئلة التي بقيت عالقة في ساحة الدرس اللغوي من قبيل من المتكلم؟ إلى من يتكلم؟ ما الغاية المرجوة من الكلام؟ ما هي ظروف وملابسات التواصل؟

ولذا فإن هذا الانعطاف في تاريخ الفكر اللساني الحديث من الدراسات البنيوية إلى التداولية هو انعطاف في المنهج و الرؤى والأفكار أملته كثير من المستجدات في البحث اللغوي لعل من بينها ظهور مشكلات جديدة في الممارسة اللغوية تحتاج إلى معالجة جديدة تتجاوز الإخلاص للنظام اللغوي ، و من بين هذه المشكلات : التوثيق، المعالجة الآلية للمادة اللغوية ، اكتساب اللغة ، تعليم اللغة، الترجمة، التوجيه اللغوي ، العلاج باللغة ، تأثير اللغة في الاتصال اليومي، وبالتالي يمكن فهم التحول البراغماتي في علم اللغة على أنه انعكاس لحاجات مجتمعية متغيرة، مهمته اجتماعية بوجه عام¹.

ويمكن أن تظهر أهمية الدرس التداولي الحديث في أنها:

- التداولية تيار لساني منفتح على روافد معرفية كثيرة ومختلفة فلسفية، ولسانية، و أنثربولوجية ، ونفسية ساهمت في إغناء التداولية بجملة من المفاهيم والفرضيات، وجعلتها ملتقى لكثير من العلوم والتخصصات².

- تدرس التداولية اللغة في شموليتها وفي علاقتها بالإنسان والعالم، باعتبار هذه العلاقة شكلا من السلوك البشري، ومن ثم فهي تشتغل على ظواهر مرتبطة بالأسئلة الثقافية مثل الفعل، والحقيقة ، و

¹ ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 45.

² ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 23 - 24.

العلاقات الإنسانية، وعملية تحريك الأفراد والجماعات نحو فعل أو فكرة أو سلوك¹.

- التداولية مشروع لساني شديد الاتساع، فهي تدرس اللغة من وجهات نظر متعددة، كما أنها تعد نقطة التقاء مع علوم كثيرة تتصل باللغة².

- سعت التداولية إلى سد الفراغ الذي تركته النظرية اللسانية البنيوية والتوليدية والتحويلية من خلال الإجابة عن كثير من الأسئلة العالقة التي تدور في سياق دراسة الاستعمال والاهتمام بشروطه وملاساته وطبقاته المقامية المختلفة.

6/فروعها:

إنّ اتّساع مجال التداولية و تشعبها جعل الباحثين يقسمونها إلى عدة فروع هي :

أ- التداولية الاجتماعية sociopragmatics : وهي التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.

ب- التداولية اللغوية Linguistic pragmatics : وهي التي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية structural وهي بذلك تنطلق من اتجاه مقابل للتداولية الاجتماعية، فإذا كانت هذه تنطلق من السياق الاجتماعي إلى التركيب اللغوي، فإن تلك تنطلق من التركيب اللغوي إلى السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه.

ج- التداولية التطبيقية applied pragmatics : وهي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة وبخاصة حين يكون للاتصال في موقف بعينه نتائج خطيرة كالاتشارة الطبية، وجلسات المحاكمة.

¹ عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 64.

² ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 14.

د - التداولية العامة general pragmatics : وهي التي تعنى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالا اتصاليا¹

7/درجاتها :

لقد تم تقسيم التداولية إلى ثلاث درجات متتابعة ، يعكس فيها الانتقال من درجة إلى أخرى التطور التدريجي للحقل التداولي من مستوى إلى آخر ، و هي كالاتي :

7-1/ تداولية من الدرجة الأولى :

لقد عكف الدارسون في هذا المستوى على دراسة البصمات التي تشير إلى عنصر الذاتية في الخطاب و الوقوف على دلالة الأقوال و الصيغ و مرجعيتها في ضوء سياقها التلفظي على اعتبار أننا إذا درسنا هذه الأقوال بمعزل عن سياقاتها تصبح مبهمة أو تحيد عن معانيها و مقاصدها ، و تتعدد تأويلاتها ؛ و تتناول هذه الدراسة نظريات التلفظ² .

7-2/ تداولية من الدرجة الثانية :

و تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحى ، و ذلك من خلال الوقوف على العمليات المصاحبة لهذا الانتقال ، و تتناول هذا النمط من الدراسة نظرية قوانين الخطاب و المحادثة و الاستلزام الحوارى ، و الأقوال المضمرة و يتمثل السياق في هذا النوع في المعلومات و المعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون .

7-3/ تداولية من الدرجة الثالثة :

¹ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 15.

² عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، ط2 ، 2013 ص 12 .

و تتمثل في الدراسات التي تدخل ضمن نظرية الأفعال الكلامية ، التي تنطلق من مسلّمة مفادها أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محدّدة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية ، و تدخل عوامل عديدة في تحديد سياق هذا النمط منها الاجتماعية و الفردية¹

8 / إتجاهات التداولية :

لقد تباينت وجهات نظر اللسانيين حول التداولية وفق تصورات عديدة ، فظهر نتيجة لذلك مجموعة من الرؤى و الاقتراحات أهمها :

8-1 / إقتراح غرينيغ grunig :

و قد ذهب في حديثه عن التداولية إلى الاعتراف بتعددتها و تنوعها مما يقتضي الوقوف على مرجعياتها المعرفية و خلفياتها المنهجية ، و يتضح ذلك من خلال التمييز بين أنزاع عديدة من التداولية ، الإشارية منها و النفسية و الإنجازية الموسّعة و هذا ما جعل جورج كيلبر يتوسع في دراسة هذه الأنواع متأثرا بغرينيغ ، من خلال مقاله الموسوم بـ " تداوليات متعددة"²

8-2 / إقتراح جورج كيلبر :

لقد سار جورج كيلبر على خطى غرينيغ في حديثه عن فروع تداولية عديدة ، ميّز فيها بين:
أ- التداولية باعتبارها قاعدة شاملة للنظرية اللسانية : حاضنة لمختلف المستويات اللسانية فيها (الصوت و التركيب و الدلالة) معتمدا في نظريته هذه إلى تصور بيرس .

ب- التداولية باعتبارها فرعا لسانيا : و قد أكّد كيلبر في هذا على ضرورة الفصل بين تصورين ، أحدهما يعتبر التداولية مكوّنا لسانيا يتعارض مع الدلالة و التركيب ، يسميه التداولية

¹ المرجع نفسه ، ص 13 .

² ينظر : جواد ختام ، التداولية أصولها و اتجاهاتها ، ص 67 .

المستقلة la pragmatique autonome ، و تصور آخر لا يفصل التداولية عن المكونات اللسانية الأخرى ، يسميه اللسانيات الموسعة la pragmatique élatée¹.

3-8 / إقترح جاك موشلر و آن روبول :

لقد تمحور حديثهما في كتابهما " المعجم الموسوعي للتداولية " حول ثلاثة اتجاهات هي :

أ- التداولية الكلاسيكية : و تتمحور حول نظرية أفعال الكلام عند أوستين و سيرل ، من خلال مناقشتها لمعيار الصدق و الكذب و حديثهما عن جُمَل لا تخضع لهذا المعيار و لا تتوخى وصف العالم بقدر ما تطمح لتغييره ، و هذا ما جعلهما يميزان بين ثلاثة أصناف من الأفعال الكلامية (فعل القول ، فعل التأثير ، فعل الإنجاز) .

ب- التداولية المندمجة : و تهتم بالبحث في البنيات اللغوية أكثر من البحث في شروط صدق الملفوظات من عدمه ، و قد عمل **ديكرو** في هذا الاتجاه على مراجعة التحليلات اللسانية السابقة التي تفصل بين المكونات التركيبية و الدلالية و التداولية ، كما دعا إلى التمييز بين المعنى و الدلالة و الجملة و الملفوظ ، و الحجاج و الاستدلال².

ج- التداولية المعرفية : و تعتبر نظرية الملائمة عند **لولسن** و **سيربر** أكثر تمثُلاً لهذا الاتجاه ، إذ أنّ الملائمة تتأسس على الترابط الوثيق بين مقاصد المتكلم من جهة ، و المعطيات السياقية التي يستنتجها المُخاطَب بعد سلسلة من الجهود الذهنية لتحقيق التواصل الملائم³.

¹ ينظر : المرجع نفسه ، ص 68 .

² ينظر المرجع السابق نفسه ، ص 72 .

³ ينظر المرجع نفسه ، ص 73 .

9/ مجالات التداولية :

لقد تعددت مجالات التداولية وقضاياها بتعدد مصادرها المعرفية والفكرية، وقد استطاعت بفضل جهود الباحثين في هذا الميدان أن تبلور مجموعة من الأفكار والمبادئ والأسس التي تجسدت فيما بعد فيما يعرف بالمجالات أو المباحث التداولية، التي عززت البحث التداولي وأسهمت في تطويره، واكسبته الشرعية العلمية والبحثية في ميدان درس اللساني الحديث، وهذا ما ستحدث عنه مبرزين أهم هذه المجالات وهي: أفعال الكلام، ولسانيات التلفظ، والحجاج، نظرية الملائمة، والاستلزام والحواري...

9-1/ أفعال الكلام Actes de language :

تعتبر نظرية الأفعال الكلامية من أهم المفاهيم الأساسية في درس التداولي، إذ لا تذكر التداولية إلا ويذكر معها الفعل الكلامي الذي ارتبط مفهومه بالفيلسوف جون لانجش و أوستين J.L AUSTIN وقد أصبحت فيما بعد نظرية الفعل الكلامي هي " قطب الرحي في الدراسات اللسانية التداولية المعاصرة"¹

وبذلك أعتبر مفهوم الفعل الكلامي " نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية وفحواه أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية Actes Loventions لتحقيق أغراض إنجازية Actes Illocutoires كالطلب والأمر والوعد والوعيد... وغايات تأثيرية Actes Perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم انجاز شيء ما"².

وتتجلى أهمية نظرية الفعل الكلامي أيضا في كونها شغلت الباحثين من توجهات مختلفة فعلماء النفس يرون فيها شرطا أساسيا لاكتساب اللغة كلها، وعلماء الأدب يرون فيها أساسا للوقوف على الفروق

¹ فان دايك، النص والسياق، ص 125.

² مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 40.

المعنوية داخل النص وما تحدثه من تغيير في المتلقي، و الأنثروبولوجيون يأملون أن يجدوا فيها تحليلاً للطقوس السحرية، والفلاسفة يرون فيها مجالاً لدراسة علاقة اللغة بالعالم، واللغويون يجدون فيها حلولاً لكثير من مشكلات الدلالة والتراكيب، وتعليم اللغة الثانية، وأما في الدرس التداولي فتظل نظرية الفعل الكلامي من أهم المجالات إن لم نقل أهم مجال، بل إن حتى النشأة الأولى للتداولية كانت مرادفة للفعل الكلامي¹.

وقد أعطى أوستين في نظريته هذه "مكانة كبيرة لدور اللغة وأفعالها الكلامية في صنع الأحداث ونقل المعنيين من مستوى التلقي إلى مسارح الفعل والتجسيد، وتكتسي هذه الأفعال قيمتها خاصة عندما يكون موجّه الخطاب من ذوي الكفاءات في المحاجة والإبانة"².

وقد استخدم أوستين هذا المفهوم للدلالة على النظرية التي تحلل طبيعة العلاقة بين كل من الملفوظ والمتكلم والسامع، والوقوف على العملية التواصلية برمتها، لأن فعل الكلام لا يتعلق بالكلام لوحده وإنما هو نشاط تواصلية يتحدد بمرجعية قصد المتكلم أثناء كلامه والآثار الناجمة عنه على السامعين³.

وإذا جئنا للحديث عن هذه النظرية سنجد أن جل الباحثين يربطون نشأة هذه النظرية بالأعمال التي قدمها كل من أوستين و سيرل، إلا أن هذا لا يعني أننا نغفل عن دور فيتجنشتاين الذي رأى أن وظيفة اللغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، لكن للغة وظائف عديدة، كالأمر، والنهي، والاستفهام... فاللغة عنده تتعدد بتعدد الاستعمالات، وهذا ما أثر في أوستين فيما بعد، وجعله يقف في وجه فلاسفة الوضعية المنطقية الذين كانوا يرون في اللغة وصفاً للوقائع الموجودة في العالم الخارجي، وبالتالي الحكم عليها بالصدق أو الكذب حسب مطابقتها للواقع أو عدم مطابقتها، وذلك من خلال

¹ محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 41.

² محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 181 - 182.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 182.

محاضراته التي ألقاها في أكسفورد ما بين سنتي 1952م و 1954م، والتي جُمعت بعد وفاته ونشرت في كتاب سنة 1960م بعنوان : " How to do Things with words " ¹

فقد ذهب أوستين إلى أن هناك عبارات لا تصف واقعا ، ولا يمكن الحكم عليها بالصدق ولا بالكذب، ولكن بمجرد النطق بها ننجز أفعالا، ومن هنا كان الإشكال المطروح كيف ننجز بالكلام أفعالا؟ وكيف نغير واقعا و نؤثر في المتلقي؟ فبمجرد أن يقول المتكلم للمخاطب البرد في الخارج قارس، فهو قد لا يصف واقعا ولا ينقل خبرا، ولكنه يحذره من خطر الخروج إلى الشارع من دون ارتداء ملابس تقيه من البرد ².

ويمكن أن نقف على أهم ما ميز نظرية الفعل الكلامي عند الجهود التي قدمها كل من المؤسس أوستين وتلميذه سيرل اللذان اشتغلا على هذه النظرية وطورا مبادئها وأسسها.

9-1- أ/ أوستين ونظرية الفعل الكلامي:

إن من أهم ما قدمه أوستين في نظرية الفعل الكلامي أنه ميز بين نوعين من الأفعال هما:

- أفعال إخبارية constative : وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة.

- أفعال أدائية performative :تنجز بما في ظروف ملائمة أفعالا أو تؤدي، ولا توصف بصدق ولا كذب، وتكون موفقة أو غير موفقة وتدخل فيها الوصية، والاعتذار، والوعد، ولا تكون الأفعال عنده موفقة إلا إذا تحققت لها شروط ³. ومن هذه الشروط التي ذكرها :

- أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة من الأفعال الإنجازية (وعد، سأل، حذر، أمر...)

¹ ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 41 - 42.

² ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 87.

³ المرجع السابق ، ص 43 - 44.

- أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم، أي أنها تمثل الفردية ممن يقولها.

- أن يكون زمن دلالتها المضارع.¹

وقد ميز أوستين بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية وهي :

1/ فعل القول أو (الفعل اللغوي) Acte locutoire :

ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، وينقسم بدوره إلى أفعال فرعية:

الفعل الصوتي: وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة.

الفعل التركيبي: وهو الذي يؤلف المفردات طبقاً للغة معينة.

الفعل الدلالي: وهو توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة

2/ الفعل المتضمن في القول Acte illocutoire : وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ أنه عمل ينجز

بقول ما، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثابوية خلف هذه الأفعال القوى الإنجازية.

3/ الفعل الناتج عن القول Acte perlocutoire : ويسمى بالفعل التأثيري وهو ناتج عن

التأثيرات والتغييرات التي يحدثها المتكلم في المخاطب. وتتنوع هذه التأثيرات بتنوع المقاصد فقد تكون النصيح، أو الارشاد، أو الإقناع...²

وانطلاقاً من مبدأ القوة الإنجازية ميز أوستين بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية:

أ- أفعال الأحكام verdictives : وهي التي تتمثل في حكم يصدره قاض أو حكم.

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 95.

² مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 41 - 42.

ب- أفعال القرارات execrutive : وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن، والطرء، والحرمان، والتعيين.

ج - أفعال التعهد commissives : وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء مثل الوعد، الضمان، التعاقد، القسم.

د- أفعال السلوك behabitives : وهي التي تكون رد فعل لحدث ما كالاعتذار، والشكر، والمواساة، والتحدي.

هـ - أفعال الإيضاح expositives : وتستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي مثل: الاعتراض، التشكيك، الإنكار، الموافقة، التصويب، التخطئة.¹

هذا أهم ما قدمه أوستين في طروحاته فيما يخص الفعل الكلامي، ورغم ما عيب عليه في بعض الجوانب إلا أنه استطاع أن يكون المؤسس وصاحب اللبنة الأولى، كما أنه استطاع أن يفتح الباب بمصراعيه أمام الباحثين ومن بينهم سيرل الذي تابع خُطى أستاذه واستطاع أن يسهم في إتمام هذا البناء اللغوي، الذي أصبح فيما بعد أهم مبحث تداولي.

9-1- ب/ سيرل و الفعل الكلامي :

لقد ارتبطت المرحلة الثانية من التأسيس بسيرل الذي نضجت هذه النظرية على يديه، فهو لم يتدع هذه النظرية، ولم ينطلق من فراغ، ولكنه ترصد أفكار أستاذه وعمل على تطويرها وتوسيع مفاهيمها، حتى استوت هذه النظرية على سوقها وأصبحت متكاملة الأركان ، قائمة على قواعد مقصدية، ومحكومة بأسس منهجية واضحة ومتصلة باللغة².

¹ محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 46.

² ينظر: المرجع نفسه ، ص 71.

ومن أهم ما قدمه سيرل في نظرية الفعل الكلامي أنه أضاف إليها بعددين أساسيين هما: المقاصد و
المواضع باعتبار أن العمل القولي عمل وضعي يستهدف توصيل مقاصد تداولية¹ ، كما أنه أعاد
تقسيم الفعل الكلامي وميز بين أربعة أقسام :

- فعل التلفظ (الصوتي و التركيبي)
- الفعل القضوي (الإحالي و الجملي)
- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل أوستين)
- الفعل التأثري (على نحو ما فعل أوستين)² .

فعلى سبيل المثال في الجمل الآتية يمكن أن نميز بين هذه الأفعال الكلامية:

- يقرأ زيد الكتاب .
- أيقراً زيد الكتاب؟
- يا زيد، اقرأ الكتاب.
- لو يقرأ زيد الكتاب.

فعند النطق بأي واحدة من هذه الجمل ننجز ثلاث أفعال كلامية دفعة واحدة.

1/ فعل التلفظ أو الفعل النطقي: ويتمثل في الأداء الصوتي للمتكلم وفق نسق نحوي ومعجمي

صحيح.

¹ ينظر: آن رويول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 33.

² خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 99.

2/ الفعل القضوي : ويتمثل في المرجع في هذه الجمل وهو زيد، والخبر فيها هو قراءة الكتاب، والمرجع والخبر معا يمثلان قضية proposition هي قراءة زيد للكتاب، والقضية هي المحتوى المشترك common content بينها جميعا.

3/ الفعل الإنجازي : وهو الإخبار في الأولى، والاستفهام في الثانية، والأمر في الثالثة، والتمني في الرابعة.

وأما الفعل التأثيري فهو ليس له أهمية كبيرة عنده، لأنه ليس شرطا أن يكون لكل فعل تأثير على السامع يجعله ينجز عملا¹.

ويرجع السبب الذي جعل سيرل يعيد النظر في تصنيف أستاذه إلى " أنه لمس بعض الاضطراب ، بل والضعف في تصنيفه مما يجعلها قاعدة للمناقشة أكثر منها نتائج مؤسسة ، ومن سمات هذا الاضطراب أن أوستين لم يصنف الأفعال اللغوية حسب أسس منهجية ، عدا الأفعال الإلزامية التي كان تصنيفه إياها باعتبار الغرض الإنجازي قائما ، ومن سمات الاضطراب كذلك أنه يمكن للمرسل أن ينجز القوة الغرضية بأكثر من فعل لغوي"².

وإذا ما قارنا بين التصنيفين نجد أن تصنيف سيرل أقرب للعلمية لأنه أقامه على أسس منهجية ، ولعل من أهم هذه الأسس أنه أقام تصنيفه على المعايير الثلاثة الآتية:

- أ/ الغرض الإنجازي illocutionary point .

- ب/ اتجاه المطابقة direction of fit .

- ج/ شرط الإخلاص sincerity condition³ .

¹ ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 72 - 73.

² عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 157.

³ ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 78.

وقد اقترح سيرل تصنيف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف:

- **الإخباريات assertives** : والغرض الانجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية، وأفعال هذا الصنف كلها تحمل الصدق والكذب واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها يتمثل النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها.

- **التوجيهيات directives** : وغرضها الانجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة، ويدخل في هذا الصنف الأمر، النصح، الإرشاد، التوجيه.

- **الإلتزاميات commissives** : وغرضها الانجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل. واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد، ويدخل فيها الوعد والوصية.

- **التعبيريات expressives** : وغرضها الانجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم ولا العالم مطابقاً للكلمات ويدخل فيها التهنئة والشكر والاعتذار والمواساة.

- **الإعلانيات declarations** : ويطابق محتواها القضوي العالم الخارجي، وتحدث تغييراً في الوضع القائم، كما أنها تقتضي عرفاً غير لغوي واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص.¹

وانتهى سيرل من التصنيف المذكور إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى صنفين الفعل الكلامي المباشر وغير المباشر:

¹ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 49 - 50.

1/ الفعل الكلامي المباشر direct: وهو عنده الفعل الكلامي الذي تطابق قوته الانجازية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول ، وهو الذي يمكن أن نصل إليه من خلال النسق اللغوي وقواعد تأليف الجملة أو القول.

2/ الفعل الكلامي غير المباشر indirect : وهو الفعل الكلامي الذي تخالف فيه قوته الانجازية المباشرة مراد المتكلم، ومثال ذلك في الدرس اللغوي العربي الأساليب الخبرية والإنشائية ، فالأسلوب في حد ذاته قوة انجازية حرفية ، وغرضه البلاغي قوة إنجازية غير مباشرة تُستشف من السياق و المقام ، ولذا يعد المقام عنصرا أساسيا في القوة الإنجازية غير المباشرة¹ ، فهي إذا المعاني الضمنية" التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة ، ولكن للسياق دخل في تحديدها والتوجيه إليها ، وهي تشتمل على معان عرفية وحوارية².

وإجمالا لما سبق يمكن القول أن الجهود التي بذلها كل من سيرل وأستاذه أوستين قد أسهمت في التأسيس لنظرية الفعل الكلامي التي كان لها الأثر الكبير في الدرس التداولي، و التي عززت من وجوده، إذ أُعتبرت أهم مبحث تداولي، وهو ما فتح الباب فيما بعد لكثير من الدارسين أمثال أوزفالد ديكر و ريكاناتي الذين أكملوا المسار، وعملوا من خلال جهودهم على تطوير هذه النظرية والرقى بها .

¹ ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص 80 – 81.

² مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 35.

9-2 / لسانيات التلفظ : linguistique de l'Enonciation

تعتبر لسانيات التلفظ من أهم مباحث التداولية بعد نظرية الفعل الكلامي إذ تعمل هذه النظرية أساساً على ربط اللغة بسياقها التلفظي ضمن طبقاته الاستعمالية المختلفة، ولذا ينبغي للباحث في مجال التداولية أن لا يغفل عن مفاهيم التلفظ التي لا يمكن أن تفسر العملية التلفظية إلا من خلالها.

وتعود البدايات الأولى لنشأة هذه النظرية " إلى نهاية الخمسينات حيث بدأ يتسع مجالها انطلاقاً من التأمّلات المنهجية لـ **ياكسون** و **بنفنست** ، ولأنها تقوم على أداء المفهوم الفردي للغة دون عزله عن شروط التفاعل الأخرى، فإنها نشأت من التداولية، ومن علاقة المتكلم باللغة"¹.

9-2-1 / التلفظ:

يعتبر اللساني الفرنسي **شارل بالي** (1865 - 1947م) أول من أشار إلى مصطلح التلفظ **Enonciation** في كتابه (اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية) ، وهو يتمثل في جملة العوامل والأفعال التي تتسبب في إنتاج الملفوظ بما ذلك التواصل الذي يشكل حالة من حالاتها الخاصة².

وقد قامت فكرة التلفظ فيما بعد على الجهود التي قدمها **إميل بنفنست** الذي دعا إلى ضرورة إعادة النظر في مفهوم يعتبر من أهم مفاهيم **الدرس البنيوي** ، ألا وهو ثنائية اللغة والكلام ، فقد رأى بضرورة الاتجاه إلى القسم الثاني المتمثل في الكلام لأنه هو الذي يجسد لنا التحقيق الفعلي للغة، أو بالأحرى هو مناط التلفظ ، ويّسن **بنفنست** من خلال ذلك أن هناك فرقا عميقا بين اللغة بوصفها نظاما من الأدلة ، واللغة بوصفها ممارسة يضطلع بها الفرد³.

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 103.

² جان سيرفوني، الملفوظية، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م، ص 07.

³ ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 102.

فاللغة نشاطٌ تواصلِي و استعمال يومي تتفاعل فيه الذوات المتخاطبة من خلال عملية التلفظ أو القول ، ومن هنا كان التلفظ عند بنفست هو عملية تشغيل اللسان عن طريق فعل استخدام فردي¹ .

ويتضح مما سبق أن نظرية التلفظ قد جاءت " لتعيد الاعتبار لعناصر بقيت مجهولة في البحث اللغوي، لتجعل من المتكلم فاعلا في العملية التخاطبية ، غير مستغنٍ عن المخاطب والمحيط الزماني والمكاني الذي يحيط بهما ناهيك عن مجموعة من العوامل اللغوية التي يخضعان لها"² .

9-2-2/ الملفوظ :

إذا كنا قد وقفنا على مفهوم التلفظ باعتباره فعل القول ، فإن الملفوظ لا يقل أهمية عن فعل التلفظ باعتباره نتاج له وهو الذي يعبر من خلاله الملفوظ عن القصدية التداولية على اعتبار أنه " هو الوحدات اللسانية الحاملة لمعلومات، ليس على مستوى مرجع الخطاب ، بل على مستوى لافظه"³ ، ومن هنا فهو حاصل ما نتج عن عملية التلفظ، ويتأثر بمرجعيات التلفظ، و أداءات الملفوظ التعبيرية و التخاطبية.

وأما غريماس Grimas و كورتاس kaurtes فيعرفانه بأنه " تتابع من الجمل المحققة، أي كل ما يتلفظ به الإنسان منطوقا أو مكتوبا ... أما التلفظ فهو العملية ذاتها لإنتاج الملفوظ ، فيجب الفصل بين الفعل ونتيجة الفعل"⁴ .

ومن خلال وقوفنا على تعريف كل من غريماس و كورتاس اتضح لنا أنهما لم يفرقا بين الملفوظ والجملة ، فالملفوظ في نظرهما هو الجملة سواء كان منطوقا أو مكتوبا ، وهذا فيما يبدو تناقضا لأن التلفظ أساسا هو فعل القول ، وفعل القول يقتضي متلفظا وملفوظا ، وليس جملة.

¹ المرجع السابق ، ص 07.

² ذهبية هو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط ، 2005م، ص 06.

³ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 103 – 104.

⁴ عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 111.

والذي نراه أن الجملة خلاف الملفوظ لأن الملفوظ منطوق تواصلية تتوفر كل مقتضيات السياق من ظروف وملابسات، وأما الجملة، فهي بنية مجردة مستقلة عن السياق، ومن هنا يصح أن نقول عن الجملة أنها الوحدة الصغرى للنص، وأن الملفوظ الوحدة الصغرى للخطاب، ويصبح السياق هو الحد الفاصل بينهما .

9-2-3 / سياق التلفظ :

يعتبر السياق من أهم القضايا التي شغلت المهتمين بلسانيات التلفظ، فعملية التلفظ هي ذلك الإطار المكاني و الزماني والظروف والملابسات التي جرت فيها عملية التلفظ ، ولا يمكن فهم الملفوظ إلا من خلال سياقه لأنه هو الذي يوضح المعنى ويؤدي إلى المقصود من العملية التلفظية.

فالملفوظ إذا في علاقة تفاعلية مع السياق و أطراف التلفظ ، وظروف وملابسات التلفظ وزمانه ومكانه لأن " ارتباط التلفظ بالزمان والمكان لتحديد المشاركين في التلفظ وتعيين المتلقين ، وفي هذه النقطة بالذات تتقاطع نظرية التلفظ بنظرية التواصل وهذا التقاطع موضعه في الشروط التي تعتبرها نظرية التواصل ضرورية في كل وضعية تواصلية"¹.

ومما سبق يمكن القول أن لسانيات التلفظ قد أعادت الاعتبار لكل ما هو خارج عن النظام اللغوي في تفسيرها لعملية التلفظ اللغوي، فهذه العملية هي نشاط تواصلية يتفاعل فيه كل من المتكلمين والمخاطبين مع السياق ومقتضيات التخاطب .

وهنا يلتقي الحجاج مع لسانيات التلفظ إذ أن الحجاج في الأساس ما هو " إلا تفاعل بين شخصين يبدأ بالمتكلم المتلفظ ليخلف أثرا في المتلفظ إليه ، هذا فضلا على أن كل تلفظ هو تلفظ موجه في الأصل باتجاه أفق اجتماعي"² .

¹ المرجع نفسه ، ص 111.

² المرجع نفسه ، ص 113.

9-3 / الاستلزام الحواري L' implication Conversationnelle :

ظاهرة الاستلزام الحواري من مفاهيم الدرس التداولي، وهي نظرية لغوية ارتبطت بغوايس وبعض الفلاسفة واللسانيين التداوليين الذين رأوا بأن جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضيوي ، وذلك من خلال تحليلهم لبعض الجمل و الملفوظات، وليتضح ذلك سنحاول الوقوف على الحوار الآتي بين الأستاذين (أ) و (ب)

الأستاذ (أ) هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة ؟

الأستاذ (ب) إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

فقد لاحظ غوايس أنه بالوقوف على الحمولة الدلالية للأستاذ (ب) سنجدتها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت ، أحدهما حرفي والآخر مستلزم .

فالمعنى الحرفي هو أن الطالب (ج) من لاعبي كرة القدم الممتازين، و المعنى الاستلزامي أن الطالب (ج) ليس مستعدا لمواصلة دراسته في قسم الفلسفة.¹

وقد ارتبطت هذه النظرية في نشأتها " بالمحاضرات التي دعى غوايس H.P.Grice وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية natural language إلى إلقائها في جامعة هارفارد سنة 1967م ، فقدم فيها بإيجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس ، والأسس المنهجية التي يقوم عليها ، وقد طبعت أجزاء مختصرة من هذه المحاضرات سنة 1975م، في بحث له يحمل عنوان المنطق والحوار " logic and Conversation " ثم وُسِّع في بحثين له نُشرا سنة 1978م ، وسنة 1981م².

¹ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 33. وينظر: محمود احمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 84.

² محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 32.

وقد ذهب غرايس في أبحاثه إلى أن المتخاطبين عندما يتحاورون، فإنهم يقبلون ضمنا بجملة من القواعد و المواضعات، وهي قواعد تحكم عملية التواصل وتوجهها ، ومن هنا أضحي تأويل الملفوظات رهين معنى الجملة ، والسياق اللساني وغير اللساني ، ومبدأ التعاون¹.

وقد انطلق غرايس في نظريته المحادثية مما مفاده أن التواصل الإنساني محكوم بمبدأ عام هو (مبدأ التعاون) وهذا المبدأ هو الذي " يتركز عليه المرسل للتعبير عن قصده ، مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه "² و بمسلمات حوارية .

ويقوم مبدأ التعاون عنده على أربع مسلمات هي:

أ- قاعدة الكمية Maxim of Quantity :

وترتبط بكمية المعلومات اللازم توفرها:

- اجعل مساهمتك تتضمن أخبارا كافية.
- لا تجعل مساهمتك تتضمن أخبارا أكبر مما هو مطلوب.

ب- قاعدة الكيفية Maxim of Quality :

وترتبط بقاعدة أساسية هي:

- اجعل مساهمتك صادقة ، وتنفرع عن هذه المساهمة قاعدتان:
- لا تصرح بما تعتقد أنه كاذب.
- لا تصرح إلا بما تستطيع البرهنة عليه.

ج- قاعدة الملاءمة Maxim of Relevance :

¹ ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 99.

² عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 96.

- اجعل مساهمتك ملائمة.

د- قاعدة الجهة Maxim of Manner :

وهي مسلمة تختلف عن المسلمات السابقة في كونها لا تعنى بما قيل ، وإنما بكيفية التعبير عما ننوي التعبير عنه، وينص غرايس على وجود قاعدة جوهرية هي:

- كن واضحاً ، وتتفرع عن هذه المسلمة القواعد الآتية :

- ليكن تدخلك واضحاً

- ليكن تدخلك موجزاً

- اجتنب الغموض

- اجتنب الالتباس¹

وقد خلص غرايس إلى أن مبدأ الاستلزام الحوارى ينتج عن خرق إحدى المسلمات الأربع لعدم احترام مبدأ التعاون².

ولفهم كيفية عمل هذه المسلمات لابد من الوقوف على المعايير التي تسهم في بلورتها للخطاب وهي:

- معيار اجتماعي: وهو معيار العلاقة التخاطبية.

- معيار لغوي : وهو معيار شكل الخطاب من حيث دلالاته على قصد المرسل، سواء بالدلالة المباشرة أو التلميحية .

- معيار هدف الخطاب.³

¹ المرجع السابق ، ص 102.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 103.

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 87 - 88.

و يمكن أن نتصور من خلال هذه المعايير كل ما يحيط بالعملية التخاطبية ، بدءا بالمتكلم وكيفية استخدامه للغة في التعبير عن قصده، وانتهاء بالمخاطب وتأويله لهذا القصد باعتباره هو المستهدف من الخطاب، بالإضافة إلى مقام الخطاب وملايساته .

و انطلاقا مما سبق يمكن القول أن مبدأ التعاون عند غرايس يعد أهم ضابط يحكم العملية التواصلية، فهو مبني أساسا على العلاقة بين طرفي الخطاب ومدى تفاعلها في الخطاب ، ومدى خضوع كل منها للشروط الكفيلة بنجاح التواصل وتحقيق الهدف من الخطاب، وأي خرق لشروط من هذه الشروط ينتج عنه ما يسمى بالاستلزام الحواري الذي يتولد عنه معان ضمنية، غير مباشرة يتم الوصول إليها من خلال مراعاة السياق .

4/ نظرية الملاءمة *Théorie de la pertinence* :

نظرية الملاءمة من أحدث مباحث التداولية ظهرت في بداية الثمانينات من القرن العشرين ، قامت على أسس سياقية حيث ركزت على التواصل ومدى ملاءمته لمقاصد المتكلم و تأويلات المخاطب ، وقد ارتبطت هذه النظرية في نشأتها بالأعمال التي قدمها كل من اللساني البريطاني ديردر ولسن D wilson والفرنسي دان سيربر D sperber حيث استلهما هذه النظرية من القالبية عند جيرى فودور ، والاستدلال عند بول غرايس¹.

وتعتبر هذه النظرية امتدادا لما جاء به بول غرايس ، فقد حاول ولسن وسيربر من خلالها تعميق لفكرة غرايس التي يرى فيها أن السمة المميزة للتواصل الإنساني تتمثل في التعبير عن النوايا والتعرف عليها ، لأن المتكلم تحركه مقاصد يسعى و يتوخى الوصول إليها ، وأما المخاطب فإنه يسعى للكشف عن هذه المقاصد بواسطة جملة من السيوررات الذهنية و الاستدلالات غير البرهانية².

¹ جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 121.

² المرجع نفسه، ص 122.

وتقوم نظرية الملاءمة على بعدين هما:

البعد التداولي: ويظهر من خلال التنصيص على أن المنطلق لتأويل الملفوظات ذو طابع لساني.

البعد المعرفي: ويظهر من خلال التأكيد على أن الذهن لا يخزن المعلومات بطريقة عشوائية، بل إن فهم الملفوظات وتأويلها عبارة عن سيرورات ذهنية ينجزها المخاطب لكشف مقاصد المتكلم من جهة، ولبناء تمثيل للكون أو تعديله من جهة أخرى، وعليه فإن عملية التأويل تستدعي نظامين مختلفين الأول ترميزي لغوي والآخر استدلالي تداولي¹.

فالعلاقة التواصلية لا تقتصر على معطيات النظام اللغوي فقط، بل لا بد لنجاحها من معطيات استدلالية مرتبطة بتأويلات المخاطبين للوصول إلى المقاصد.

وقد انتهى المطاف بـ **ديردر ولسن** و **دان سيربر** إلى أن الغاية من التواصل هي تحقيق الملاءمة بين مقاصد المتكلم وجهود المخاطب، لأن المتكلم يقيم التواصل بينه وبين المخاطب على أساس معطيات يتضمنها الملفوظ، وهذه المعطيات هي التي تساعد المخاطب في الوصول إلى المقاصد، وهما بذلك يخالفان **غرايس** الذي يرى أن مبدأ التعاون والقوانين الحوارية هو الذي يحكم الغاية التواصلية، ففي نظرهما مبدأ الملاءمة هو الذي يوجهها، فكل نشاط تواصلية مناسب يكشف عن افتراض الملاءمة المثلى الخاصة به².

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول أن نظرية الملاءمة تقوم أساساً على التواصل الذي يفترض متكلماً ومخاطباً وهذا التواصل هو عبارة عن شحنة دلالية يتوخى المتكلم إيصالها إلى المتلقي، والذي بدوره بواسطة استدلالات ذهنية ومجموعة من الفرضيات ينشئ احتمالات معنوية متعددة، ويتدخل السياق هنا ليرجح الاحتمال المقصود.

¹ المرجع السابق نفسه، ص 123.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 123.

ولذا فإنه لا يمكن فهم المعنى المقصود إلا من خلال السياق، الذي عُدد نواة مركزية في التداولية ، فمقام التلفظ ، وظروفه ، وملابساته ، وزمانه ، ومكانه ، كلها عناصر خارج المدى اللغوي ، ولكنها ضرورية في تأويل الملفوظات وفهمها ، وفي الوقوف أيضا على مدى ملاءمة توقعات المخاطب لمقاصد المتكلم ، التي تدخل في إطار تفاعل النشاط التواصلية بين المتكلمين والمخاطبين على حد سواء ، لأن " الغرض من استعمال اللغة هو انجاز أحداث اجتماعية ، وتحقيق التفاعل ، بما يحققه هذا الاستعمال من تأثير متبادل بين مرسل ومتلقٍ ، بالأدلة اللغوية ، في شروط سياقية ومقامية محددة"¹ ، و بالمحصلة فإن نجاح العملية التواصلية مرهون، أو محكوم بقاعدة واحدة هي مبدأ الملاءمة² .

وختاما لما سبق يمكن القول أن نظرية الملاءمة عند كل من سيبربر و ولسن قد تجاوزت الطرح التداولي في نظرتها لفعل التواصل حينما تجاوزت اللغة في بعدها الرمزي إلى البعد الاستدلالي، فجمعت بين المفهومين في تحليلها للتواصل، إذ رأت أن كل ملفوظ لا بد أن يحلل ضمن مرحلتين، واحدة ترميزية، والأخرى استدلالية³ .

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 112 – 113.

²George Elia Sarfati précis de pragmatique édition Nathan paris 2002 p 68.

³ ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 140.

5/ متضمنات القول les Implicites :

ويقصد بها مجموعة من الظواهر اللسانية الضمنية التي يتضمنها الخطاب ، ولا يمكن إدراكها أو الوصول إليها إلا من خلال مراعاة السياق والمقام وأطراف التخاطب ، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال ظاهرتين هما : الافتراض المسبق ، و الأقوال المضمرة .

5-1/ الافتراض السابق Presupposition :

لقد حظي هذا المفهوم باهتمامات الدراسات اللغوية منذ مطلع السبعينيات من القرن العشرين، وفي الثمانينيات كان محط اهتمام التداولية¹ ، فالافتراض المسبق هو مفهوم إجرائي تداولي، وهو عبارة عن عملية ذهنية يتم من خلالها تأويل الملفوظات انطلاقاً من الخلفية المعرفية القبلية المشتركة بين أطراف العملية التخاطبية ، المتكلم والمخاطب، " فهو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام"² .

فعملية التواصل في ضوء الافتراض المسبق يجب أن تنشأ على أرضية مشتركة بين المتخاطبين ، وعلى أساسها يكون التواصل ، لأن المتكلم يوجه سؤاله للمخاطب على أساس يفترض فيه سابقاً أنه معلوم له، فإذا قال رجل لآخر أغلق النافذة ، فالمفترض مسبقاً أن النافذة مفتوحة ، وأن هناك مبرراً يدعو إلى إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وأن المتكلم في منزلة الأمر، وكل ذلك محكوم بسياق التلفظ ومقامه³ .

وإذا خاطب المتكلم شخصاً فقال له : كيف حال زوجتك و أولادك ؟ فالافتراض المسبق يقتضي أن المخاطب متزوج ، وله أولاد ، وأنه قريب من المتكلم في علاقته الاجتماعية ، فيجيبه بأنهم بخير مثلاً،

¹ ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 27.

² جورج يول، التداولية، ص 51.

³ ينظر: المرجع السابق ، ص 26.

وأما إذا كانت الخلفية التواصلية غير مشتركة بينهما فإن الجواب حتماً يكون بالتجاهل أو رفض السؤال، أو يكون الجواب لا أعرفك¹.

وبما أن الافتراض المسبق يقوم على المعرفة المشتركة فإن أي لبسٍ فيه يؤدي إلى خلل في التواصل، و يحول دون إقامة علاقة التخاطب ، ودون نجاح التواصل.

5-2/ الأقوال المضمرة Les Sous-entendus :

إذا كان الافتراض المسبق مبني على معطيات لغوية فإن الأقوال المضمرة مرتبطة بعناصر غير لغوية كالمقام ومقتضياته فهو "كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"² ، ففي قولنا مثلاً : إن السماء ممطرة ، يعتقد السامع أن القائل يدعوه إلى:

- المكوث في بيته.

- أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد .

- أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر.

- أو عدم نسيان مظلته عند الخروج.

فالتأويلات تتعدد، مع تعدد السياقات والطبقات المقامية التي يُنجز ضمنها الخطاب ، ومن هنا فالفرق بين الافتراض المسبق ، والأقوال المضمرة أن الأول وليد السياق الكلامي، والثاني وليد ملابسات الخطاب³.

¹ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 31.

² المرجع نفسه، ص 32.

³ المرجع نفسه، ص 32.

هذه إذن أهم المباحث التداولية ، و بعدما وقفنا على مفهوم التداولية ومباحثها سنحاول الوقوف على مفهوم البلاغة العربية الذي نرى أنه يكافئ التداولية ، فكثير من القضايا التي طرحتها البلاغة العربية أصبحت اليوم من صميم الدرس التداولي ، ولذا على الباحث في التداولية أن يرجع إلى البلاغة العربية فكلاهما يعنى بالتواصل و يعنى باللغة في الاستعمال هذا من جهة .

ومن جهة ثانية بما أن موضوع بحثنا هو دراسة آليات الحجاج في رسائل ابن أبي الخصال دراسة بلاغية تداولية، فإنه لا بد لنا من الوقوف على العلاقة بين التداولية والبلاغة ، و هو ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي ، وأما فيما يخص الحجاج الذي هو من أهم مباحث التداولية فإننا لم نتطرق إليه و آثرنا أن نُفرد له فصلا كاملا ، ذلك أنّ الحجاج مبحث أساسي و أصيل في دراستنا .

ثانيا : بين التداولية والبلاغة :

لقد كانت البلاغة محط أنظار الباحثين قديما وحديثا، فهي ميدان رحب التقت فيه علوم عديدة، وبذلت فيه جهود كبيرة حاول من خلالها المنظرون الكشف " عن فاعلية النسق البلاغي في مجالات الخطاب المتعددة، وبفضل الدقة التي يتميز بها البحث البلاغي للخطاب نلاحظ أن البلاغة صارت اليوم منطقة مشتركة بين العلوم تصدر مفاهيمها إلى المجالات الأخرى، فأصبح لكل خطاب بلاغته. ذلك أن لا علم يستطيع أن يستغني عن البلاغة باعتبارها أداة الفهم والإفهام وأداة التأثير والاستمالة"¹.

وإنه يجدر بنا قبل أن نقف على علاقة التداولية بالبلاغة ، والتي تفرض نفسها بقوة سواء من حيث القضايا المُعالجة والتي يعد الحجاج من ضمنها ، أو من حيث المنهج، أن نقف على مفهوم البلاغة العربية الذي يحيلنا بدوره إلى كثير من التصورات التداولية والتي تنطلق أساسا من الجانب المفهومي للبلاغة ، وهذا هو المبدأ الذي انطلقنا منه في الربط بين البلاغة والتداولية فكل منهما يعنى بالتواصل والتبليغ هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن طبيعة موضوعنا ودراستنا تتطلب الوقوف على هذه العلاقة وتحديد أوجه التشابه والاختلاف على اعتبار أننا سنتطرق لآليات الخطاب الحجاجي في بحثنا هذا من المنظورين معا البلاغي والتداولي.

وإذا كانت التداولية في أوضح صورها هي دراسة اللغة في الاستعمال، والوقوف على مقتضيات التخاطب وآلياته ، والعناية بأطراف الخطاب ومقاماته، فإن هذه القضايا تُعدُّ من صميم الدرس البلاغي فقد ألفتها علماء البلاغة، وتحدثوا عنها وضمونها كتبهم، وكانت حاضرة وبقوة في تحليلاتهم النحوية والبلاغية، وكانوا على وعي تام بأهميتها في إنتاج الخطاب وبنائه، وتلقي الخطاب وتحليله.

وإذا كان التصور العام لمفهوم البلاغة هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فإن هذا ما يفسر طبيعة منهج الدراسة عند البلاغيين الذي هو منهج يدرس " العلاقة بين تراكيب الكلام ، ومقتضى الحال التي

¹ حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، عالم الكتب الحديث، الاردن، 2010م، ص 22.

تقتضي رصد حال المرسل والمتلقي ، وما بينهما من علاقة اجتماعية، ورصد ظروف الخطاب، ومقاماته المختلفة، وهنا يتلاقى المحور التداولي مع الدرس البلاغي في تشكيل وتحليل الخطاب اللغوي... فعلم البلاغة من أهم العلوم التي تؤكد الارتباط بين دراسة اللغة واستعمالها في سياقها التداولي، للوصول إلى قوتها الإنجازية ، والبلاغة والتداولية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة و وسيلة حجاجية للتأثير على المتلقي"¹.

ولذا فإن الوقوف على مفهوم البلاغة عند البلاغين العرب يميلنا إلى مراعاته لشيئين هما:

- الأول: هو المتلفظ بالخطاب البليغ ويجب أن تتوفر فيه صفات معينة حتى يتمكن من التأثير في مخاطبه، وبلوغ المبلغ الذي يريد منه.

- الثاني: وهو المتلقي للخطاب المبتوث من قبل المخاطب في شكل رسالة بليغة وسليمة حتى تحدث الأثر المطلوب مما يعني أن البلاغة تقوم على مبدأ الاتصال فتبحث في كيفية استخدام اللغة بطريقة سليمة، تضمن وصول قصد المتكلم ومراده إلى مخاطبه والتأثير فيه من خلال توظيف ما يناسب من أدوات اللغة وتراكيبها ، ومراعاة حاله أثناء الكلام بما يضمن نجاعة الخطاب في النهاية"².

ويمكن أن نلمس طرفي الخطاب المتكلم والمتلقي في تعريفهم للبلاغة فهاهو السكاكي يذهب إلى أن البلاغة هي " بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها..."³

فالسكاكي يشير هنا إلى ثلاثة مفاهيم تداولية، أولا **المتكلم**: بقوله بلوغ المتكلم، وقد أكد هنا على المتكلم المثالي الذي يتميز بمهارة عالية في تصريف وجوه الكلام على النحو الذي يقتضيه المقام ، ثم

¹ أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015م، ص 35.

² باديس لهوئل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 7، 2011م، ص 165.

³ السكاكي، مفتاح العلوم، تعليق وشرح، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص 415.

أشار إلى المعنى، بقوله تأدية المعنى ، والمقصود هنا الغرض التداولي الذي يريد المتكلم إيصاله إلى المتلقي وهو العنصر الذي أشار إليه ضمناً في كلامه.

وأما الخطيب القزويني فيذهب إلى أن " بلاغة الكلام هي مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته"¹ ، فهذه العبارة تحيل إلى كل ما يحيط بالعملية التخاطبية بدءاً بالمتكلم والمخاطب وانتهاءً بالمقام وظروف وملابسات الخطاب و زمانه و مكانه .

ولذا عُدَّت البلاغة العربية " من أهم العلوم المكتملة، إذ تمثل علماً للاتصال، يتناول كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارستها ، من دون أن تستثني في ذلك شيئاً مما له علاقة بالتواصل ، وحين يتناولها هذا المبحث فإنه ينظر إليها من هذه الزاوية ، و من حيث أنها نظرية متكاملة للتواصل"² .

لقد كان المنهج التداولي حاضراً وبقوة في الدرس البلاغي العربي، ويمكن أن نلمس هذا التقاطع أو التقارب من خلال تحليلات البلاغيين العرب كالجاحظ ، و الجرجاني ، و الباقلاني وغيرهم ... فقد كان هؤلاء على وعي تام بالسياق والمقام وظروف وملابسات الخطاب وأثرها في توجيه دلالات الخطاب ، وليس هنالك أدل على ذلك الفكر التداولي الذي انتهجه البلاغيون، وأبانوا من خلاله عن براعتهم ودقة نظرهم من عبارتهم الشهيرة " لكل مقام مقال " ومطابقة الكلام لمقتضى الحال .

وعلى هذا الأساس " يأتي مفهوم التداولية ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة "بمقتضى الحال"، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية " لكل مقام مقال"³ .

¹ الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص 20.

² خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 154.

³ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 21.

فالبلاغة تقوم أساساً على " مبدأ الاتصال فتبحث في كيفية استخدام اللغة بطريقة سليمة تضمن وصول قصد المتكلم ومراده إلى مخاطبه والتأثير فيه من خلال توظيف ما يتناسب من أدوات اللغة وتراكيبها، ومراعاة حاله أثناء الكلام بما يضمن نجاعة الخطاب في النهاية"¹.

ومما سبق يمكن القول أن البلاغة والتداولية تشتركان في كثير من القضايا ، إذ ذهب كثير من الباحثين إلى عد البلاغة من أحسن العلوم التي " تناولت إبراز العلاقات التداولية في اللغة ، لأنها تهتم بدراسة التعبير على مختلف مستوياته : اللفظية، والتركيبية، والدلالية، والعلاقات القائمة بينها"² ، وأما ليتشي Leitch فيرى أن البلاغة " تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يجلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما"³.

فالبلاغة يمكن عدها من صميم الدرس التداولي لأنه إذا كانت التداولية " في أوجز تعريفاتها هي دراسة مناحي الكلام، أو دراسة اللغة حين الاستعمال، فإن البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء استعمالها، وبكلمة هي فن القول"⁴ ، ولم يتوقف الباحثون عند هذا الحد بل منهم من تجاوز ذلك إلى المزج بينهما و إلغاء كل الحدود والفواصل بقولهم " البلاغة التداولية "⁵ .

وإن كان هناك تداخل بين البلاغة والتداولية فإن هذا لا يجعلنا نغفل عن الخلفية الفكرية والمعرفية لكل من الدرس البلاغي والدرس التداولي ، إضافة إلى مراعاة الإطار الزمني ، حيث أننا إذا وضعنا جهود البلاغيين مع التداوليين في ميزان الدرس اللساني الحديث ، فإن جهودهم كانت مهمة بمقاييس زمانهم،

¹ يوسف رحيم، التكامل المعرفي بين البلاغة والتداولية من بلاغة الصورة إلى بلاغة المتكلم، المدونة، مج 06، العدد 03، ديسمبر 2019م، ص 548.

² خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 154.

³ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م، ص 176.

⁴ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 154.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص 155.

ولا يمكن أن نطالبهم بمطابقة مقاييس زمان آخر مستقبل بالنسبة إليهم¹ ، ومهما يكن ، فإنه يمكننا أن نلمس بعض أوجه التداخل بينهما فيما يلي:

- إن الرؤية التداولية بتجاوزها للمعنى الحرفي للملفوظ وبحثها في المعاني المضمنة تكون هي الأنسب لمقارنة الظاهرة البلاغية في تجاوزها المعنى الحرفي إلى معنى المعنى.

- تتبنى الدراسات التداولية الظاهرة البلاغية ضمن معالجتها بوصفها استعمالا خاصا للغة .

- الظاهرة البلاغية في بعدها التداولي تتلاقى مع نظريتين تأخذان الموقف في حسابهما هما: النظرية السياقية ونظرية أفعال الكلام ، وهاتان النظريتان كان لهما أثرهما الذي لا يُنكر في التأسيس للتداولية.

- تعد التداولية بمفهومها الحديث وما أفرزته الدراسات والأبحاث من رؤى منظورا جديدا للظواهر البلاغية يؤسسُ لتحليل هذه الظواهر وفق منظور تداولي.

- البلاغة والتداولية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي.

- بدأت النظرية البلاغية الجديدة تطرح نفسها بأنها نظرية مقصدية تداولية تعني بالخطاب من حيث هو موضوع خارجي².

إن ما تكلمنا عنه يمكن أن تتضح من خلاله الحدود الفاصلة بين البلاغة والتداولية على اعتبار أن قضايا البلاغة العربية هي تداولية في صميمها ، فالبلاغيون العرب عُنوا بالخطاب و رصدوا آلياته التخاطبية في ضوء التواصل ومقتضيات المقام ، لأنهم في " دراستهم للخطابات المتنوعة قرآنا وحديثا وشعرا وخطابة ، اهتموا بتقديم توصيف لعناصر العملية التواصلية (متكلم و سامع و رسالة ومقام ومرجع وحتى القناة التواصلية) وفي إطار هذا التوصيف عُنوا بمقاصد الخطاب وأحوال المتلقين له، وشروط الخطاب الناجع الذي يحقق الفائدة لدى المتلقي، والمؤشرات اللغوية وغير اللغوية المتحكمة في ذلك ، مما

¹ ينظر: تمام حسان، الأصول ، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، 2000م، ص 348.

² جمال شلباب، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المقرري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، مارس 2020م، ص 39 - 40.

أكسب البلاغة العربية أبعادا لسانية وتداولية مهمة ، تضمن لها التواصل المعرفي مع معطيات الدرس الحديث والمعاصر"¹.

ومما نخلص إليه أن البلاغة والتداولية وان اختلفتا في سياقهما المعرفي وأسسهما الاستمولوجية، فاهتمامهما باللغة وسياقاتها، والمقامات ومقتضياتها كفيل بأن يجعل من البلاغة والتداولية العلم الذي يعنى بالاستعمال وفق مقتضياته المختلفة.

¹ باديس لهو،م، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 7، 2011م، ص 172.



الفصل الثاني :

الخطاب المجابي : مساره

تجلياته و آلياته



يعتبر الحجاج من أهم المباحث التداولية التي حظيت باهتمام العلماء و الباحثين قديما وحديثا في الدراسات العربية والغربية على حد سواء، على اعتبار أن الحجاج يقوم في بنيته على خصائص تواصلية تداولية تتوقف عليها العلاقة بين أطراف الحجاج، واستعمالنا للغة، والأثر الذي تتركه اللغة على متلقي الخطاب، وفعالية الحجاج، وأدائه لوظيفته، وكل هذه القضايا هي من اهتمامات التداولية.

ومن هذا المنظور يصبح الحجاج آلية تخاطبية تستمد فعاليتها من اتجاهين: أحدهما، تيار ينبع من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة، يمكن جمعها تحت عنوان " الفلسفة اللغوية " ويجمع نظريات مختلفة ومتداخلة كالفلسفة التحليلية، والنماذج المنطقية المختلفة. والآخر: ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب¹.

وذلك لأن الحجاج أو الخطاب الحجاجي " يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد شروط القول والتلقي، بعبارة أخرى إن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية، وبالتالي قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة، هكذا ينتمي القول أو النص الحجاجي إلى مجال التداوليات"² ، فالحجاج له وظيفتين إحداهما تفاعلية والأخرى تأثيرية ، ولا يمكن له أن يحققهما إلا في ضوء تحقق شروط مقتضيات التداول .

وبما أن التداولية و البلاغة كلاهما يشتغلان على التواصل ومقتضياته، ويبحثان في الآليات الحجاجية التي يلجأ إليها الشخص المحاجج في سبيل إقناع متلقي خطابه من خلال تبني أطروحة ما والدفاع عنها فإننا سنحاول في مايلي الوقوف الأبعاد التداولية والبلاغية للخطاب الحجاجي، والتي ستتضح من خلالها طبيعة العلاقة بين الحجاج والبلاغة من جهة والتداولية والحجاج من جهة أخرى.

¹ صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، ط1، 2008م ص 07.

² حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 30، العدد 01، يوليو/ سبتمبر، 2001م، ص 101 – 102.

1/ الجهاز المفاهيمي الحجاجي :

قبل الوقوف على الجهاز المفاهيمي لمصطلح الحجاج ، من التعريفات و الحدود اللغوية و الاصطلاحية ، و القيام بمسح كرونولوجي على سيرورته التاريخية في الفكر الغربي و العربي قديما و حديثا ، و ذكر بعض النماذج و الجهود البلاغية و الحجاجية ، ارتأينا وجوب الإشارة إلى أهم جوانب تعالق الحجاج مع البلاغة من جهة و التداولية من أخرى ، و محاولة إمطة اللثام عن جوانب التكامل بينها ، كنوعٍ من التقديم و الربط قبل الخوض في الحجاج و الخطاب الحجاجي ، باعتباره الموضوع الأساسي لهذا الفصل .

1-1/ الحجاج وأبعاده التداولية والبلاغية:

إن الحديث عن العلاقة الجدلية بين البلاغة والتداولية يقودنا حتما للحديث عن الحجاج، لتداخله مع هذين المصطلحين فهو يستمد وجوده وشرعيته منها، إذ أن الحجاج " فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي اجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية، إنشاء موجهها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة ، كأن تبنى الانتقالات فيه لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان، بل على الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع، وأن يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج." ¹

¹ عبد الحميد جريوي، بنية الاستدراج الحجاجي في القرآن الكريم، قصة سيدنا ابراهيم نموذجاً، مجلة البحوث والدراسات، العدد12، السنة 08، صيف 2011م، ص 293.

لأن الغرض من الحجاج هو " الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب ، ومن ثم فالحجاج فعالية تداولية تخاطبية جدلية ديناميكية فعالة بامتياز"¹، ولتتضح الصورة وتحدد المفاهيم وتتمايز لا بد من الوقوف على هذه المصطلحات.

أ/ البلاغة:

عندما نتكلم عن البلاغة في الدراسات التقليدية العربية والغربية، فإنه يمكننا القول أن البلاغة لا تخلو من الحجاج الذي عرفته البلاغة العربية عند الجاحظ و الزمخشري وغيرهم ممن جعل من البلاغة آلة للحجاج يدفع بها الخصم بالحجة والدليل للدفاع عن مذهبه ومعتقده، والأمر نفسه بالنسبة للبلاغة اليونانية عند سقراط، و أرسطو، و السفسطائيين.

وهذا الذي أشارت إليه كيراتا أوريكيوني في تعريفها للبلاغة بأنها " قبل كل شيء هي نظرية الوجوه ونظرية طرق تحريف الكلام وتحويله، ولكنها أيضا في نطاق الإرث الأرسطي هي دراسة فن الإقناع ودراسة الوسائل الناجعة للتعبير: إنه الصور والوجوه البيانية تعلق تداوليا "² ، فالبلاغة إذا هي " فن الإقناع المرتبط بلحظات تواصل حقيقي تقتضي بالضرورة قيام طرف ما بإقناع طرف آخر"³.

والمتتبع لمفهوم البلاغة في الدراسات التقليدية يجده أنه لا يخرج عن المعنيين الآتيين:

- المعنى الحجاجي الإقناعي الذي يصب في التداولية الحديثة.

- المعنى الشعري الذي يصب في الأسلوبية⁴.

¹ جميل حمدوي، المقاربة الحجاجية، ص 20.

² صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص 11.

³ تاريخ نظريات البلاغة، ص 18.

⁴ محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، افريقيا الشرق، المغرب، 2012م، ص 62.

إلا أن البلاغة الكلاسيكية ومع طابعها المعياري التعليمي فقد كان لها دور حاسم في معالجة وتفسير كثير من قضايا الخطاب والنص خاصة بعد ازدهار البحث في ميدان التداولية وتحليل الخطاب، وهذا ما أدى فيما بعد إلى ضرورة إعادة الاعتبار للبلاغة الكلاسيكية من خلال الجهود التي بذلها كل من رولان بارت، و جيرار جينيت، و بيرلمان و تودوروف وغيرهم لتصبح البلاغة مبحثا علميا يتجاوز النظرة الضيقة التي تحصرها في البعد الجمالي، وهذا ما تمخض عنه ما يسمى بالبلاغة الجديدة¹.

والتي هي بلاغة " علمية لسانية وحجاجية تعنى بوصف الخطاب البلاغي، مع تبيان قواعده المضمرة، واستخلاص بنياته ودلالاته ووظائفه التداولية والحجاجية"² وقد تفرعت عنها مجموعة من الاتجاهات اهتمت بالبعد البلاغي بشكل من الأشكال، وهي:

أ/ الاتجاه اللساني (بلاغة الصور والخطابات): وهو اتجاه يعنى بدراسة الأدب والصور البلاغية والبحث في أدبية النصوص والخطابات في ضوء الشعرية والبنوية و السيميائية، كما هو الحال مع دراسة رولان بارت، و جيرار جنيت، وديكرو...³

ب/ الاتجاه الأسلوبي (البلاغة أسلوب): وهو اتجاه يدرس الأسلوب في مختلف تجلياته الصوتية والمقطعية والدلالية والتركيبية والتداولية، كما أنه يهتم بخصائص الأسلوب الأدبي وغير الأدبي وتحديد مميزاته الفردية واستخلاص مقوماته الفنية والجمالية، وتبيان آثار ذلك على المتلقي أو القارئ ذهنيا ووجدانيا وحركيا.⁴

¹ ينظر: نفسه، ص 64-65.

² جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، افريقيا الشرق، المغرب، 2014م، ص70

³ المرجع نفسه، ص 70 - 71.

⁴ المرجع نفسه، ص 76 - 77.

ج/ الاتجاه الحجاجي (البلاغة حجاج وإقناع): ارتبط هذا الاتجاه بتصورات بيرلمان و تيتكاه ، فهما يربطان البلاغة الجديدة بالحجاج والإقناع، إذ أن بيرلمان لا يرى فرقا بين البلاغة والحجاج مادام أن كلا منهما هدفه واحد وهو الإقناع والتأثير، بل إن البلاغة عنده حجاجية بامتياز، فالصور البلاغية والمحسنات البديعية ذات وظيفة حجاجية ليس إلا.¹

د/ الاتجاه السيميائي (البلاغة في خدمة السيمياء): وخير من مثل هذا الاتجاه هو رولان بارت، إذ ذهب إلى أن كل الوقائع والأنساق تدل ، فهناك من يدل باللغة، وهناك من يدل بالإشارة، ومن ثم يمكن أن تطبق المقاييس اللسانية والبلاغية على الوقائع غير اللفظية لبناء الطرح الدلالي، وإذا كانت السيميولوجيا تهتم بالجانب المعرفي الثابت من اللغة، فإن البلاغة تهتم بالجانب الإنجازي والأدائي من الكلام بمعنى أن البلاغة ذات طابع أدائي وتداولي سياقي في ارتباطها بالمجتمع، وتختلف مقاصدها باختلاف السياقات والمرجعيات وهذا ما تحتاجه السيميائية.²

هـ/ الاتجاه التداولي (البلاغة أفعال كلامية واستلزام حواري): وقد ربط هذا الاتجاه البلاغة الجديدة بأفعال الكلام فلم يعد النص مجرد بنية لغوية هدفها الإخبار والتبليغ ، بل يهدف إلى تغيير وضع المتلقي وتغيير معتقداته وموقفه السلوكي من خلال مجموعة من الأقوال والأفعال.³

وبعد ما وقفنا على الاتجاهات التي اهتمت بالبعد البلاغي نخلص إلى أن البلاغة الجديدة هي " نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس، وكسب العقول

¹ المرجع نفسه، ص 80.

² ينظر: المرجع نفسه، 84-90.

³ جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، ص 93 .

عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور.¹

ومن هنا فإن البلاغة الجديدة " تتمحور أساسا حول تحليل تقنيات الحجاج، وهذه التقنيات يتم بسطها على محورين كبيرين: من جهة محور الخطاب ذاته، خاصة بنيات الحجاج الموضوعية موضع التنفيذ ، ومن جهة أخرى محور تأثير هذا الخطاب على المتلقي، وذلك في علاقته بقصدية منتج الخطاب ، ففي الحالة الأولى تجري دراسة الحجج وتصنيفها، وفي الحالة الثانية تتم دراسة الموقف التواصلية الذي يمثل حدث الحجاج."²

ب/ التداولية:

وأما بالنسبة للتداولية فهي علم استعمال اللغة ذلك العلم الذي يُعنى بالتواصل ومقتضياته وظروفه وملايساته، وبما أن التداولية " تنطلق من هدف أساسي هو استثمار الممكن والمتاح من الآليات لتوصيل رسالة لغوية معينة وجعل المعنى بها يعيها ويتحرك في إطار إنجازها وهذا هو ما جعل التداولين يعرفون البلاغة بأنها فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ ، لأن البلاغة في نظر هؤلاء نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية ، يصلح لإحداث التأثير الذي يُنشده المتكلم في موقف محدد"³.

وباعتبار أن الحجاج يستمد فعاليته و حركيته من الدرسين التداولي والبلاغي معا فإن النظر إلى الخطاب الحجاجي يكون من خلال ما يتميز به من خصائص بنائية تواصلية تجعله مختلفا عن غيره من

¹ صابر الجباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، ص 15.

² فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 2011م، ص 46.

³ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2008م، ص 175.

الخطابات: السردية، الحكائية، الإخبارية، كما أن صوره البنائية الاستدلالية والكلامية وخضوعه لشروط القول والتلقي كلها تركز هذا التميز، وتعزز انتماء الخطاب الحجاجي إلى مجالات التداولية.¹

وبعد أن وقفنا على الحدود الفاصلة بين الحجاج والبلاغة من جهة، والتداولية والحجاج من جهة أخرى يمكن أن نخلص إلى القول بأن الحجاج لا يمكن أن يستغني عن كليهما، لأن التداولية فعالية تواصلية تقتضي علاقة تخاطبية بين طرفين يريد أحدهما التواصل مع الآخر لإقناعه والتأثير فيه ، وأما البلاغة فهي آلة يتوسل بها منتجو الخطابات والنصوص لتوصيل آرائهم، وقد تؤثر وتستميل وتمتع، ولكنها لا تقنع وتفحم إلا إذا تلاحت مع الحجج والحجاجة.²

1-2/ الحجاج : (المصطلح و المفهوم) :

الحجاج مبحث متعدد المفاهيم والمصطلحات فهو يلتقي في مضامينه مع علوم عرفية عديدة كالفلسفة والمنطق والبلاغة، وعلم النفس والاجتماع، لأنه فعالية نفسية واجتماعية وفكرية، ولذا فإنه من الصعوبة الوقوف على تعريف دقيق ومحدد للحجاج لأسباب وعوامل عديدة يمكن أن نلخصها في الآتي:

- تعدد مظاهر الحجاج وتنوعها (الحجاج الصريح، الحجاج الضمني، ...)
- تعدد استعمالات الحجاج وتباين مرجعياتها: الخطابية، الخطاب، الفلسفة، المنطق، التعليم، إلخ
- خضوع الحجاج في دلالاته لما يميز ألفاظ اللغة الطبيعية من رخاوة وليونة تداولية، وكذلك من تأويلات متجددة، وطوعية استعمالية³.

¹ ينظر: المرجع نفسه ، ص 176.

² المرجع نفسه ، ص 179.

³ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، الحجاج مفهومه ومجالاته، اسماعيلي علوي، ص 30.

وفيما يلي سنحاول الوقوف على أهم التعريفات اللغوية والاصطلاحية التي تناولت الحجاج على صعيد الفكرين العربي والغربي، فما مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً؟ وما علاقة الدلالة اللغوية للحجاج بالدلالة الاصطلاحية؟

أ/ **الحجاج لغة**: جاء في لسان العرب لابن منظور في تعريفه ل مادة " حجج " أن " لَجَّ فحجج؟ معناه لَجَّ فغلب، من لاجه بحججه يقال: حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها.

والحجة: البرهان، وقيل الحجة ما دُفِعَ به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل، والتجاج: التخاصم، وجمع الحجة، حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة، وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته، وفي الحديث: فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة. والحجة: الدليل والبرهان"¹.

فابن منظور جعل الحجاج مرادفا للجدل الذي يشترك معه في معنى المنازعة والمخاصمة، والمعنى نفسه نجده عند ابن فارس حيث يقول: ويقال: " حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة"².

كما نجده عند ابن عاشور صاحب التحرير والتنوير، و الذي يذهب إلى أن معنى "حاجج" خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، والحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاجج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة"³.

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، دط، دت، مادة " حجج " ج 9، ص 779.

² أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة، 1979م، مادة " حجج " ج 2، ص 30.

³ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م، ج 3، ص 32.

وبهذا المعنى فإن الحجاج يتمحور حول النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج.

والحجة هي: " ما دُل به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد"¹.

ويقال أيضا في مادة "حجج" احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب ، وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاحة"²

وقد جمع الإمام السيوطي بين الحجاج وهذه المفاهيم وربطها بالمذهب الكلامي، ولكن الملاحظ أن أغلب القدماء يوردون مصطلحي الحجاج والجدل على أنهما مترادفين³.

فالملاحظ من خلال وقوفنا على المفهوم اللغوي للحجاج أنه يتداخل مع مفهومي الجدل و البرهان (و هو مبحث تناولناه في مدخل هذه الدراسة) .

وبالنسبة للمدلول اللغوي للفظه الحجاج في المعاجم الأجنبية، فقد ورد في قاموس " كامبردج " Cambridge أن " الحجاج هو الحجة التي تعلق أو تبرر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما"⁴.

وأما **لالاند** فقد كان تصوره لمعنى الحجاج من خلال تقديمه للمعطيات التالية :

- المحاجة أو الحجاج : هي سلسلة من الحجج تنتهي بشكل إلى تأكيد النتيجة نفسها ، و يرى أن الحجاج طريقة في تنظيم الحجج و استعراضها أو تقديمها.

¹ الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة 1985م، ص 86.

² الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1998م. ج1، ص 169.

³ ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 25.

⁴ Cambridge advanced learner dictionary cambridge university press 2nd pub 2004

- الحجّة : و يعتبرها بمثابة استدلال موجه لتأكيد قضية معينة أو دحضها ، أو تفنيدها ، و يرى - من ناحية أخرى- أنّ هناك من يعتبر كل حجّة دليلاً.

- الدليل : إنه عملية توجّه التفكير العقلي بصورة يقينية و مقنعة ، و بذلك يتخذ الدليل صورة استدلال تصير فيه النتائج منسجمة مع المقدمات التي انطلقت منها، و يحيل الدليل من جهة أخرى إلى الواقع ، ليأخذ من ثمة مضمونا مادياً تصبح بموجبه الوقائع و الأحداث و الوثائق بمثابة أدلّة ، و يتميز الدليل عن الأشكال الأخرى للاستدلال بميزة الحقيقة ، إذ إنّ كل ما يُحمل عليه يعتبر في غالب الأحيان حقيقياً.

- البرهنة: هي استنباط يوجّه لتأكيد أو إثبات سبق نتيجة، وذلك بالاستناد إلى مقدمات معترفٍ لها بميزة الصدق أو الحقيقة.¹

كما نجد في اللغة الفرنسية - على سبيل المقارنة - لفظة Argumentation تشير إلى عدة معاني متقاربة ، لعلّ من أبرزها- حسب قاموس " رويير " - ما يلي :

- القيام باستعمال الحجج

- مجموعة من الحجج تستهدف تحقيق نتيجة واحدة

- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة

¹ علوي حافظ إسماعيلي ، الحجاج مفهومه و مجالاته دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة ، ج1 ، عالم الكتاب الحديث، إربد - الأردن، 2010، ص 2-3.

كما نجد في القاموس ذاته أنّ " Argumenter " تفيد الاعتراض أو الدفاع على طرح معين بواسطة الحجج و البراهين ضد آخر مناقض له أو مخالف¹

ب/ الحجاج اصطلاحا:

لقد تم النظر إلى الحجاج ومفهومه من زوايا مختلفة تعددت واختلفت باختلاف منطلقات أصحابها وتوجهاتهم، فمنهم من نظر إليه من خلال السمات الموضوعية العامة، ومنهم من اتجهت نظرتهم نحو البنى اللغوية المميزة له، أو الغرض البلاغي والوظيفة الاتصالية² ، ولذا سنحاول أن نقف على أهم التعريفات الاصطلاحية التي نرى أنها أقرب في مضامينها إلى مفهوم الحجاج، على اعتبار أنه توجد تعريفات أخرى ابتعدت عن جوهره ووظيفته.

يذهب أندرسين Andersen و دوفر Dover إلى أن الحجاج هو " طريقة لاستخدام التحليل العقلي والدعوى المنطقية، وغرضها حل المنازعات والصراعات واتخاذ قرارات محكمة والتأثير في وجهات النظر والسلوك."³

أما بيرلمان Perlman و تيتيكاه Tyteca فيذهبان إلى أن الحجاج " هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك

¹ Le grand robert: Dictionnaire de la langue français, T, 1 paris 1989, P;535

² محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، العدد 60، 2002م، ص 43.

³ المرجع نفسه ، ص 43.

التسليم¹، بينما يُعرّف ريك Rieke و سيلارز sillars الحجاج "بأنه عملية عرض دعاوى تتضارب فيها الآراء مدعومة بالعلل والدعامات المناسبة بغية الحصول على الموافقة لإحدى تلك الدعاوى"².

و يرى أبو بكر العزاوي بأن الحجاج هو مجموعة من الحجج والأدلة التي تخدم النتيجة المقصودة والغاية المتوخاة³، أما طه عبد الرحمان فحد الحجاج عنده هو "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها."⁴ فالحجاج تواصلٌ الهدف منه الإقناع والتأثير.

و هو العلم الذي يهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنه ينطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: أننا نتكلم عامة بقصد التأثير⁵، و إلى نفس الاتجاه يذهب عبد الهادي بن ظافر الشهري بقوله: "الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل فيها اللغة، وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع"⁶.

ونخلص من التعاريف السابقة إلى القول أن كل خطاب يُقصد به التأثير والإقناع من أجل تغيير سلوك أو تغيير معتقد يعتبر بنية حجاجية.

¹ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص 13.

² علوي حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه و مجالاته، ج4، ص4 عن: Rieke, Richard, D, sillars, malcom, O, argumentation and the decision-making process, John Wiley and Sons, inc USA (1975) PP 6-7

³ أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 90.

⁴ طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص 226.

⁵ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، ط1، 2006م، ص 14.

⁶ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الحديد المتحدة، ط1، 2004م، ص 456.

ومن الواضح و الملاحظ أننا " لم نهتم بإدراج بعض التعريفات التي تزخر بها المؤلفات الحجاجية الحديثة ، ليقيننا أنه يصعب الإحاطة بها كلها ، و من ثم فإن الاختصار على بعضها قد يوجه القارئ وجهة محددة تزيغ به عن إدراك الاختلافات القائمة بين الاتجاهات و المدارس الحجاجية، إذ من الطبيعي أن تختلف الاتجاهات الحجاجية باختلاف الحجج نفسها، و اختلاف المنطلقات و الأهداف ... لكن ما هو جدير بالإشارة إليه هنا ، أنه على الرغم من كل الاختلافات التي تحملها التعريفات التي أعطيت للحجاج ، فإنها تكاد تتفق على أن الحجاج "هو بذل العناية لغاية الإقناع ، إنه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تُعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة ، و على هذا الأساس من الطبيعي أن يكون مجال الحجاج هو المحتمل و الممكن و التقريبي و الخلافي و المتوقع و غير المؤكد ...، و أن يبنى على التفاعل و الاختلاف في الرأي ، و أن يظل مفتوحاً أمام النقاش و التقويم ... وأن يحضر في كل أنماط الخطاب التي تنزع منزعا تأثيرياً لا يقين فيه و لا إلزام"¹

2/ الحجاج في الفكر الغربي:

إن الحديث عن الحجاج في الفكر الغربي قديمه أو حديثه يقتضي الوقوف على الخلفيات الفكرية والتاريخية التي مهدت لظهور الحجاج وتطوره عبر الزمن، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى مصادره الأولى، ويمكن الحديث في هذا المضمار عن أربع فترات مهمة في التأريخ لنظرية الحجاج.

¹ علوي حافظ إسماعيلي ، الحجاج مفهومه و مجالاته ، ص 4.

- فترة التأسيس، وامتدت هذه المرحلة من منتصف القرن الخامس وحتى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد وهذه المرحلة هي المرحلة الكتابات الأولى، ويمكن أن نتحدث في هذه المرحلة عن البلاغة والسفسطة.

- فترة النضوج وهي أوج فترة في تاريخ الحجاج ارتبطت بما قدمه أرسطو في كتابه " البلاغة " الذي يعد المرجع الأول للبلاغة والحجاج في الفكر الغربي.

- فترة الانحطاط، وامتدت هذه المرحلة من نهاية الإمبراطورية الرومانية حتى منتصف القرن العشرين، وفي هذه الفترة فقد الحجاج قوته وسلطانه.

- فترة التجديد، وعرفت هذه الفترة انبعاث البلاغة الجديدة، خاصة مع الكتابات التي قدمها كل من شايم بيرلمان، و تولمن.¹

2-1/ الحجاج في الفكر الغربي القديم:

شهدت المجتمعات الغربية القديمة خصوصا الإغريقية و الرومانية موجات من الحروب و عدم الاستقرار ، نتيجة لطبيعة تكوينها (القبليّة و التوسعية) و كذلك للتغيرات المستمرة في موازين القوة بين الحضارات ، و قد كان من بين أهم موازين القوة في الحضارة (بالإضافة إلى المقومات المادية و الحربية) هو مستواها المعرفي الذي يتصدره الفلسفة و المنطق ، فقد تبوأ الفلاسفة مكانة مرموقة بين عليّة القوم و في بلاط الحكام ، و ذلك بسبب المكانة الخاصة لفن الخطابة في تلك الحضارات المتعاقبة.

¹ فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 18 - 19.

فإجادة الخطابة - سببٌ و في نفس الوقت مؤهل - للوصول إلى السياسة و بالتالي إلى الحكم ، فقد كان العامة يلحظون إلى تعلم فن القول و الخطابة (أو الحجاج في صورته البدائية) من الفلاسفة و الخطباء للظفر بمناصب عليا أو سياسية ، و لعل السوفسطائيين خير مثال على تلك الطبقة من الفلاسفة و الخطباء الذين استغلوا كفاءتهم البلاغية و الخطابية و الحجاجية لتحقيق مكاسب مادية من خلال تلقين أبناء القوم و الراغبين في الحصول على المناصب العليا ، بالإضافة إلى ما شكلته فلسفة سقراط و أفلاطون و أرسطو و غيرهم ممن أسسوا للخطابة من خلال علوم المنطق و الجدل و الفلسفة.

2-1-1/ الحجاج عند السفسطائيين:

يعتبر السفسطائيون أساطين البلاغة و الحجاج في الفكر الغربي القديم، فلا يخلو مؤلف يؤرخ للحجاج من دون ذكر لهم، فهم حركة فكرية فلسفية و ظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد تميز روادها بالكفاءة اللغوية والخبرة الجدلية، وقد لعب وجودهم دورا كبيرا في تطوير البلاغة و الحجاج.¹

وقد ارتبط وجودهم في المجتمع اليوناني بالتطور الذي عرفه المجتمع آنذاك، فظهرت المدرسة السفسطائية نتيجة تحول المجتمع الأثيني من طابع زراعي إقطاعي مرتبط بالقبيلة إلى مجتمع تجاري يهتم بتطوير الصناعات و تنمية الحرف و الاعتماد على الذات، فأدى هذا بدوره إلى وجود قيم تقديس الديمقراطية و حرية التعبير، بدل الحكم الفردي، لذا سارع أبناء المجتمع الأثيني وخاصة الأغنياء منهم إلى تعلم فن الخطابة و الجدل لإفحام خصومهم السياسيين، وكان وسيلتهم في ذلك هم السفسطائيون الذين كان من أبرزهم جورجياس، و كاليكيس، و بروتاغوراس...²

¹ ينظر: محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 24.

² ينظر: جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص 10.

وعُرف السفسطائيون بالمغالطة من خلال استعمالهم للقياس والجدل والقول المموه في سبيل التأثير على الخصوم وتغيير مواقفهم، ولذا كانت غايتهم هي الحصول على سلطة في المجتمع من خلال تعليم الناس سلطة الاحتجاج مقابل المال.¹

2-1-2/ الحجاج عند أفلاطون و أرسطو:

قبل الحديث عن الحجاج عند أرسطو يجدر بنا الوقوف على أفلاطون باعتباره أستاذ أرسطو من جهة، وباعتبار أن أفكاره وتصوراتهِ قد فتحت الباب بمصراعيه أمام أرسطو لينطلق بالفلسفة والخطابة من وجهة أخرى تجاوزت كل ما قدمه السفسطائيون وأفلاطون.

لقد ثار أفلاطون على التصورات التي طرحها السفسطائيون، وعلى الممارسات الحجاجية التي ارتبطت بهم، وقد أفرد أفلاطون لمواجهة تلك الممارسات الحجاجية محاورتين اثنتين هما: (قرجياس) و (فيدر) نقد فيهما الخطابة السفسطائية محاولاً من خلالهما الكشف عن زيف السفسطائيين ومغالطاتهم، ورأى بأن الإقناع نوعان، إقناع يعتمد على العلم، وإقناع يعتمد على الظن، وأن الثاني (إقناع الظن) هو الذي كان معروفاً في الخطابة السفسطائية.²

فقد حاول أفلاطون أن يربط القول والحجاج بالقيم، فمهمة الخطيب عنده هي ليست كسب الإعجاب والحصول على أكبر قدر من المحبين، وتغليب المنفعة الخاصة على العامة، بل هي جعل القول مراعيًا للقيم بما يخدم المصلحة العامة للشعب.³

¹ ينظر: هشام الريني، الحجاج عند أرسطو، من خلال كتاب أهم نظريات الحجاج، ص 61.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 62 - 63.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 65.

ونخلص للقول بأن أفلاطون في محاوراته ومناقشته للسفسطائيين كان ينظر إلى منطلق الحجاج في ضوء قيمتي (الحق و الخير) وأراد بذلك أن يبين أن الحجاج السفسطائي لا يحزر فكر الإنسان ولا يتحقق له ما يكون به الخير، وهو بذلك لم يعالج الحجاج بما هو صناعة قول - وإن كان هذا الموضوع حاضرا في مشروعه - بقدر ما نظر إليه بما هو قول صانع للإنسان والمجتمع.¹

وأما أرسطو فقد سار على خطى أستاذه أفلاطون فثار على المبادئ التي أتى بها السفسطائيون، ولم يتوقف عند هذا الحد بل تجاوز حتى أفكار أستاذه، فدعا أرسطو إلى ضرورة الربط بين البلاغة و الحجاج ليكون الحجاج أداة طيعة في يدها لتمارس الإقناع والتأثير في ضوء العلاقة التفاعلية بين المحاجج والمحاجج في إطار السياق العام المحيط بالعملية الحجاجية بكل مكوناته اللغوية والنفسية والاجتماعية والثقافية.²

و قد جعل أرسطو من البلاغة أداة للحجاج والإقناع ، ذلك أنه "من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا للبلاغة من رؤية حجاجية فقد خصها بكتابين هامين هما: (الريطوريقا / البلاغة) و (الحجاج المشتركة)، وقد قسم أرسطو كتاب البلاغة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يتعلق بمفهوم البلاغة وموضوعها ومنهجها وعلاقتها بالجدل، في حين يتناول القسم الثاني ما يتعلق بالتأثير على الآخر أو نفسيته، وأما القسم الأخير من الكتاب فيتناول صفات الأسلوب وآثاره الفنية والحجاجية"³

استطاع أرسطو أن يدرس القول الحجاجي من خلال آرائه البلاغية الرائدة التي قدم من خلالها مجموعة من الأدوات والآليات للاستدلال الحجاجي.

¹ ينظر: المرجع نفسه ، ص 72.

² نعمان بوقرة، الخطاب والنظرية والإجراء، دار جامعة الملك سعود للنشر، ص 79.

³ جميل حمداوي، نظريات الحجاج، مرجع سابق ، ص 22.

2-2/ الحجاج في الفكر الغربي الحديث:

يمكننا الحديث بعدما وقفنا على المسار التاريخي لنظرية الحجاج، والخلفيات الفكرية والمعرفية التي أطرت هذه النظرية بدءاً من جهود السوفسطائيين وانتهاءً بما قدمه أفلاطون و أرسطو على الجهود الغربية المعاصرة التي تمثلت في الأعمال التي قدمها ثلة من الباحثين الذين أسهموا بدور كبير في تطوير النظرية الحجاجية، وإعطائها أبعاداً معرفية أخرى مما جعل نظرية الحجاج تتبوأ مكانة هامة في الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة، ويمكن أن نجمل هذه الجهود في الأعمال التي قدمها كل من: بيرلمان، وديكرو، وأنسكومبر، وميشال مايير، وتولمين، وغيرهم من الباحثين.

2-2-1/ الحجاج عند بيرلمان و تيتيكاه:

تمثلت جهود بيرلمان و تيتيكاه في ميدان الحجاج في كتابهما (مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة -) الذي ضمناه خلاصة أبحاثهما في الحجاج، وقد ظهر هذا المصنف سنة 1958م، سعى من خلاله الباحثان إلى إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل، وتخليصه من سيطرة المنطق وصرامة الاستدلال، لأن الحجاج في نظرهما هو فعالية حوارية الهدف منها الحصول على الوفاق بين الأطراف أو الوصول إلى الإذعان والتسليم.¹

وقد أضحى الحجاج في ظلّ الجهود التي بذلها كل من بيرلمان و تيتيكاه من أهم مباحث البلاغة المعاصرة ، وهذا ما عبر عنه بيرلمان من خلال مصنفه (البلاغة الجديدة) حيث سعى من خلاله إلى

¹ ينظر: عبدالله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة - لبيرلمان وتيتيكاه، ص

جعل البلاغة علما مستقبليا، هدفة العناية بالمجتمع، والاهتمام بالخطابات، والوقوف على استراتيجياتها الحجاجية.¹

وقد تركزت جهود بيرلمان في الاهتمام بالحجاج وقضاياها وأطره وروافده وتجلياته بحسب مقامات توظيفه وسياقاته، والعناية أيضا ببلاغة الحجاج من أدى ذلك إلى المطابقة بين الحجاج والبلاغة، وظهور بلاغة جديدة تأسست على تعاضد فكرتين جوهريتين هما:

- وجودية ظاهرية في آن، عمادها مقولة "هيدغر" التي اعتبر فيها اللغة هي الوجود بكل أبعاده وأزمنته.

- تأويلية (هرمينوطيقية) مفادها ضرورة الانطلاق من اللغة المرسلة في مقام معين، ثم تفكيكها والغوص فيها للوصول إلى مكوناتها الأساسية وعلاقتها بالمتكلمين والمخاطبين.²

ويتضح لنا مما سبق أن بلاغة الحجاج عند بيرلمان و تيتيكاه هي البحث في الوسائل التي تجعل من الخطاب خطابا مؤثرا، ولذا كان موضوع الحجاج عندهما هو " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"³ ، ومن هنا ، لم يكن هدف الحجاج " استنباط نتائج لبعض المقدمات، وإنما هو إثارة وزيادة قبول المتلقي للأطروحات المقدمة ليقبل بها"⁴

¹ محمد سالم ولد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 101.

² المرجع السابق نفسه، ص 105.

³ المرجع نفسه، ص 107.

⁴ فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 43.

وقد خلص عبدالله صولة من خلال مناقشته لهذا التعريف إلى أن مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تيتيكاه يستند إلى " صناعة الجدل من ناحية و إلى صناعة الخطابة من ناحية أخرى بكيفية تجعل الحجاج شيئاً ثالثاً لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة ، لنقل معهما إنه خطابة جديدة"¹

وأما غاية الحجاج عندهما فهي " أن يجعل العقول تدعن لما يُطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأبجع الحجاج ما وُفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وقّق على الأقل في جعل السامعين مهيين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"²

فتحقيق الإذعان والتأثير في المتلقي غاية الحجاج ومنتهاه عند بيرلمان و تيتيكاه سواء من حيث فعل الحجاج ذاته، أو من حيث آليات بناء الخطاب الحجاجي لأن معرفتنا المسبقة بالشخص المحاجج، وطريقة بنائنا للفعل الحجاجي من أهم العناصر التي تجعل من الحجاج فعالاً.³

ويرى الباحثان أن الحجاج قسمان بحسب نوع الجمهور " الحجاج الإقناعي وهو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص، والحجاج الإقناعي وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل"⁴

ويتميز الحجاج عند بيرلمان و تيتيكاه بخمسة ملامح رئيسية هي:

- أنه يتوجه إلى مستمع

- أنه يعبر عنه بلغة طبيعية

¹ عبدالله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 28.

² محمد سالم ولد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 108 – 109.

³ ينظر: فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 45.

⁴ عبدالله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ص 301.

- أن تكون مسلماته لا تعدو كونها احتمالية.

- أن لا يفتقد تناميها إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة

- أن تكون نتائجه غير ملزمة¹

وقد اعتبرا - بيرلمان و زميلته تيتيكاه - الحجة صورة خطابية يمكن تحديدها انطلاقا من بنيتها التي تحدد شكلها ما إذا كانت تهدف إلى بلوغ هدف وتحقيق غاية، أو هي صورة أسلوبية ذات وظيفة جمالية فقط ، وفي هذا السياق يمكن أن نقف على بُعدين أساسيين أشار إليهما في الخطاب ، بُعدٌ تأثيري هدفه الإقناع، وبعُد جمالي هدفه إضفاء مسحة فنية وجمالية على الخطاب، ولكن هذا التباين بين البعدين لا ينفي العلاقة التي بينهما، فالبعد الجمالي عنصر مهم من عناصر التأثير في الخطاب.²

و نخلص مما سبق إلى أن الباحثين حاولا أن يخلصا الخطابة من النزعة الجدلية والمنطقية، ويلملا شتاها ما أمكن ذلك ليخرجها في ثوب جديد هو الحجاج، ولكن هذا لا يعني أن الحجاج والخطابة شيء واحد، وذلك لأمرين:

- من جهة نوع الجمهور: لئن وقفت الخطابة جمهورها على الجماعة المجتمعة في الساحة تستمع إلى الخطيب فإن جمهور الحجاج كما يراه المؤلفان يمكن أن يكون عاما حاضرا أو غائبا، كما يمكن أن يكون منشأ الحجاج بين شخصين اثنين متحاورين أو بين المرء ونفسه.

¹ محمد سالم ولد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 108.

² ينظر: فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 46.

- من جهة نوع الخطاب: لئن حُصرت الخطابة الخطاب في ما هو شفوي ، فإن الخطاب الحجاجي عند المؤلفين يمكن أن يكون منطوقا كما يمكن أن يكون مكتوبا، بل انهما ليلحان على المكتوب ولا يكادان يأخذان أمثلتهما إلا مما هو مكتوب.¹

ختاما لما سبق يمكن القول أن بيرلمان و تيتيكاه قدما تصورا جديدا للحجاج يتعد على النزعة الجدلية والمنطقية، ويقترَب من مجالات اللغة، على اعتبار أن الحجاج فعالية حوارية، وليس تلاعبا بالمشاعر والعقول، فهو عملية عقلية منظمة وفق سياق نفسي واجتماعي ثقافي تستهدف التأثير في المعتقدات والتغيير في السلوكات.

2-2-2/ الحجاج عند ديكر و أونسكومبر:

لقد تمثلت جهود كل من ديكر و أونسكومبر في ميدان الحجاج في تقديمهما لتصور جديد مخالف للتصورات السابقة التي كانت تربط الحجاج بالبلاغة و المنطق الطبيعي، فهما يذهبان إلى أن اللغة في حد ذاتها لا تتوقف وظيفتها على التواصل والإبلاغ بل تؤدي وظيفة حجاجية، انطلاقا من الفكرة الشائعة والتي مؤداها " أننا نتكلم عامة بقصد التأثير² .

وقد ارتبط هذا التصور بنظرية لسانية³ تُعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية مع دراسة الأهداف الحجاجية، و رصد تأثيرها التداولي في المستمع، ويعني هذا أن الأقوال اللغوية تحمل في جوهرها مؤشرات لسانية ذاتية تدل على طابعها الحجاجي دون أن يكون ذلك متعلقا بالسياق التداولي الخارجي.³

¹ عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، مرجع سابق ص 306 - 307 .

² أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 14.

³ جميل حمداوي، المقاربة الحجاجية بين النظرية والتطبيق، دار الريف للطباعة والنشر، المغرب ط1، 2020م، ص 130.

فالحجاج عند ديكرو و أونسكومبر يكون "في نطاق دراسة اللغة لا في البحث عما هو واقع خارجها فعندهما أن إمكانيات التتابع الحجاجي تحدد من خلال عمل قولي مخصوص هو عمل الحجاج."¹ وقد انبثقت هذه النظرية من رحم نظرية الأفعال الكلامية التي وضع أسسها كلا من "أوستين و سيرل" حيث قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين من خلال إضافته فعلين هما: فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج.²

ومنه فالحجاج هو "تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها."³

فترابط الأقوال وتسلسلها في الخطاب "لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي، وإنما هو ترابط حجاجي لأنه مسجل في أبنية اللغة بصفة علاقات توجه القول وجهة دون أخرى، وتفرض ربطه بقول دون آخر، فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها، يوجه قوله وجهة حجاجية ما."⁴

فالحجاج إذا عند ديكرو مؤسس على تسلسل البنى اللغوية وتموضعها داخل الخطاب، ويمكن توضيح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

- أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

¹ عبدالله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 34.

² أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 15.

³ المرجع نفسه، ص 16.

⁴ شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب نظريات الحجاج من أرسطو حتى اليوم، ص 352.

- الجو جميل، لنذهب إلى النزهة.

ففي هذين المثالين نجد أنهما يتكونان من حجج ونتائج، والحجة التي يتم تقديمها تؤدي إلى نتيجة معينة، فالتعب في الجملة الأولى يستدعي الراحة ويقنع بضرورتها، وهو دليل وحجة على أن الشخص المعني يحتاج إلى الراحة، وفي الجملة الثانية جمال الجو حجة لإقناع الغير بضرورة الذهاب إلى البحر أو الحديقة للنزهة، ومنه فالحجج والنتائج في التصور السابق لديكرو هي أقوال، وأما في أعماله الأخيرة فهي عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل نص أو قول، أو فقرة، أو مشهد طبيعي، وقد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق.¹

ونخلص مما سبق إلى أن الحجاج عند ديكرو و أونسكومبر " لم يعد نشاطا لسانيا من بين أنشطة أخرى، ولكنه أساس المعنى نفسه وأساس تأويله في الخطاب"²، لأن الخطاب وسيلة الحجاج ومنتهاه، والحجاج بدوره هو علاقات دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب، تنتج عن عمل المحاجة الذي هو محكوم بقيود لغوية حجاجية تركيبية ودلالة وتداولاً.³

2-2-3/ الحجاج عند ميشال ماير:

ارتبط الحجاج عند ماير بنظرية المساءلة (théorie du questionnement) التي استثمر فيها الجهود الفلسفية واللسانية السابقة، والتي وضع لبناتها الأولى في الفصل الأخير من كتابه (المنطق،

¹ ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 17 - 18.

² صابر الحباشة، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والخطاب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2010م، ص 246.

³ شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ص 360.

والكلام، والحجاج¹، إذ أكد مايبير من خلال مشروعه الفلسفي على إعادة قراءة الفلسفة، والتأسيس لمشروع فلسفي آخر جديد.

ومن هنا كان هدف مايبير هو " العودة بالفلسفة إلى وظيفتها الأولى التي ليست إلا المساءلة التأسيسية، وعلى هذا يعود مايبير إلى الفلسفة اليونانية لبحث فيها عن نشأة السؤال الذي اقترن بميلاد الفلسفة والنظر في أبعاده وخصوصياته."²

لقد انطلق ميشال مايبير في نظريته الحجاجية من الحقل الفلسفي الاستيمولوجي حيث سعى من خلالها إلى:

- إقامة نظرية بلاغية أساسها فكرة التساؤل والمساءلة لأن الوصول إلى السؤال الجوهرى يعد أهم خطوة في أي نظرية وأي موضوع.

- السعي إلى توضيح معالم الميتافيزيقيا المعاصرة من خلال تأكيده على أزمة الفكر الغربي المعاصر وفلسفته³.

وقد كان أساس وجوه فلسفة مايبير هو التساؤل والمساءلة، لذا سعى إلى البحث عن منشأ السؤال في الفلسفة الغربية، وانتهى به المطاف إلى أن الفلسفة القديمة لم تُعنَ بما فيه الكفاية بالتساؤل.⁴

¹ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 21.

² محمد القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 389.

³ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 134.

⁴ المرجع نفسه، ص 134.

ومن أهم تصورات مايبير أنه ينزل الكلام في التفكير منزلة السؤال التأسيسي الذي لا يعتمد المعطيات المقبلية، وفي ذلك يلغي كل المحاولات التي اشتغلت على اللغة والكلام لأنها في نظره لم تجب عن السؤال، ومنه يخلص إلى أن الحدث الكلامي الوحيد الذي يسمح به السؤال الفلسفي عن الكلام لا يمكن أن يكون إلا هو نفسه، أي السؤال باعتباره حدثا كلاميا ، وهذا هو حجر الزاوية في نظريته¹

وقد خالص مايبير من خلال تأملاته حول الكلام إلى :

- أننا عندما نسائل الكلام نجيب بأن عملية التفكير هي عملية المساءلة و أن استعمال الكلام الحامل لقدرة الفكر على المساءلة يعد فعل تفكير.

- أنه بإمكاننا الوصول إلى الجواب حينما نستفهم السؤال ، لكن السؤال بما هو سؤال لا يقدم جوابا لأن حقيقته الأولى أن يكون سؤالا.

- إن الفرق بين السؤال والجواب باعتبارهما ظاهرتين تأسيسيتين للكلام ليست مسألة بناء نحوي، ومن هنا فإن مفهوم السؤال يتجاوز حدود المجال اللساني.²

فهذه أهم تصورات مايبير المتصلة بالفلسف حول الكلام، وأما فيما يخص المجال اللغوي، فقد كانت تأملاته التأسيسية حول الكلام منطلقا عاج به قضية المعنى والمرجع والحجاج والبلاغة.³

¹ ينظر: محمد القارصي ، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار ص 392.

² المرجع نفسه ، ص 393.

³ المرجع نفسه ، ص 394.

وقد انطلق مايير في دراسته للبلاغة والحجاج " من جدلية اللغة والمعنى، فالحجاج في نظره مرتبط ارتباطا وثيقا بالكلام، وخاصة منه الحوار وما يحويه ويشيره من تساؤلات جدلية تدفع إلى الحجاج دفعا... إذ ليس دور الحجاج إلا استغلال ما في الكلام من طاقة وثراء.¹"

ومنه فالحجاج في ضوء نظرية المساءلة هو " ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف نحمل الغير على اتخاذ إزاء مشكل مطروح في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج سؤال/جواب"²

وقد وظّف مايير مفهومين أساسيين في عملية الحجاج هما: الضمني وهو الإمكانيات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد، والمصرح به هو ظاهر السؤال ، وفي هذا الإطار بالذات يرتبط الحجاج بالبلاغة، فإذا كانت البلاغة أن نفاوض في المسافة ترتب عن ذلك أن تنهض لغويا بما يضمن تحديد أشكال الإقناع والتأثير بحسب مقصد المخاطب ومقتضيات المقام.³

بنى مايير تصوره للبلاغة والحجاج على المعطيات الفلسفية اللغوية ليؤكد على تبنيه لآراء أستاذه بيرلمان من جهة، ومن جهة ثانية يربط الحجاج بالقضايا التي تثيرها الفلسفة المعاصرة، وقد عمل انفتاح مايير على الفلسفة واللغة والمعنى إلى جعل تصوراته ذات أبعاد ثلاثة هي:

- تداولية : من حيث بحثها في ظروف إنجاز الخطاب وآلياته.

- تأويلية: من حيث علاقة السؤال بالجواب وما يتطلبه من تأويل لمكونات كل منهما وروافده المغذية

له.

¹ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 135.

² المرجع السابق ، ص 394.

³ المرجع نفسه، ص 395.

- بلاغية: من حيث ربطه إياها بالحجاج، وفتحها لهذا الأخير على مختلف وسائل الاتصال الكائنة اليوم وكذا الممكنة.¹

وعلى الرغم من التوجُّه الفلسفي لمابير إلا أنه بفضل أطروحاته وتصوراته استطاع أن يكون حلقة وصل بين مدرسة الحجاج الجديدة عند بيرلمان، والمدرسة التداولية.

3 / الحجاج في الفكر العربي:

أولى العرب قديما علوم اللغة و علوم القرآن مكانة خاصة ، و استطاع الحجاج و الاحتجاج أو الجدل و الجدال و المجادلة - كما دأبت العرب على تسميته - أن يفتك من الرعاية و الاهتمام ما يليق به ، و ذلك بفضل " الدور المهم الذي لعبه الحجاج في الحياة العقدية والسياسية في البيئة العربية الإسلامية، و علاوة عن اعتماد البنية الحجاجية في الخطاب العلمي البلاغي ، على نحو ما نرى في دفاع عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) عن إعجاز القرآن بإقناع الناس بفكرة النظم ، مما طبع دلائله بطبيعة حجاجية واضحة"²

و قد ذكر أبو الحسين إسحاق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب في كتابه "البرهان في وجوه البيان" اهتمام العلماء و ذوي العقول منذ القدم بإيضاح الحجّة و فضل القدرة على البيان في القول بل و تعظيمهم لهذه الصفة، و استنقاصهم في مقابل ذلك من يعجز و يقف دون الإفصاح عن غاياته و مراميه فلا يوضح مآربه ولا مقاصده فيضيع حقه دون ذلك ، إذ يقول : " و قد أجمعت العلماء و ذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجّته ، و بيّن عن حقه ، و استنقاص من

¹ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 138.

² قويمه حافظ، سياق الحجاج في دلائل الإعجاز، بحث منشور في: عبد القاهر الجرجاني (أعمال ندوة) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس، 1998م ، ص 260 .

عجز عن إيضاح حقه ، و قصر عن القيام بحجته ، و وصف الله عز و جل قريشا بالبلاغة و اللدد¹ في الخصومة ، فقال : { وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ٩٧ }² ، و قال : { فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ }³ .

و قال : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ٢٠٤ }⁴ "٥.... و أما في استدلاله على كراهة و استقباح من لا يقيم بيانه ، و لا يفصح عن حجته في خصومته فقد ذكر أن المولى عز و جل قد "شبههم بالولدان و النسوان ، فقال : { أَوْ مَن يُنَشِّئُوا فِي الْحَالِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ١٨ }⁶ "٧.

كما أن الباحثين و المهتمين بالدراسات البلاغية و التداولية و اللغوية عموما ، المحدثين و المعاصرين ، من أمثال صلاح فضل ، و طه عبدالرحمان و محمد العمري و عبدالله صولة استطاعوا من خلال انفتاحهم على الدراسات الغربية من فلسفة و منطق و لسانيات (بكل فروعها) من جهة ، و رصيدهم التراثي من بلاغة و نحو و نقد و علم الكلام و التفسير و غيرها

¹ اللدد : أي الخصومة الشديدة .

² سورة مريم ، الآية 97 .

³ سورة الأحزاب ، الآية 19 .

⁴ سورة البقرة ، الآية 204 .

⁵ أبو الحسين إسحاق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تحقيق : أحمد مطلوب و خديجة الحديثي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، 1378هـ/1967م ، ص 223 .

⁶ سورة الزخرف ، الآية : 18 .

⁷ المصدر السابق ، ص 223 .

من جهة مقابلة ، أن يشكلوا وعياً تداولياً و بلاغياً ، تمتزج فيه أصالة البحث التراثي و عمق ملاحظاته ، بالتنظير و التععيد الغربي في مجال الخطاب الحجاجي و الإقناعي .

و مما يلي ، لمحة عن البحث الحجاجي في الفكر العربي ، قديمه و حديثه ، مع ذكر بعض النماذج من الأعلام - على سبيل المثال لا الحصر - الذين ساهموا في التأسيس للدرس الحجاجي ، بالإضافة إلى إضاءة على بعض المفاهيم المتعلقة بالحجاج و المتقاطعة معه .

3-1/ الحجاج في الفكر العربي القديم :

اعتنت العرب قديماً بفنون القول و علوم اللغة أيّما اهتمام ، فقد كان من علامات الشرف و الرفعة أن يسرع الرجل في ضروب القول شعراً كان أم نثراً ، و هذا ما فسر العناية الكبيرة بالعلوم اللغوية كالنحو و البلاغة بالإضافة إلى العلوم الشرعية و علم الكلام و المنطق .

وعلى الرغم من أن الحجاج لم يرد بهذا اللفظ أو المصطلح الذي لا يختلف و لا يتعدد كثيراً عن معناه اللغوي - مع وجود بعض الاختلافات الجزئية في الجذر (ح ج ج) ، إذ أنّ هناك من يستعمل " الحجاج " و هناك من يفضّل " التحاجّ " و هناك من يفكّ الإدغام فيقول " التحاجج " ، و نجد من يستعمل "المُحاجّة" كما يوجد من يفكّ الإدغام فيقول "المحاججة" ... و غير ذلك من التصريفات الاشتقاقية¹ .

- رغم هذا الخُلو من الحجاج كمبحث واضح المعالم - إلاّ أن التراث العربي (و بمختلف علومه و ميادينه) يزخر بما يجيل إليه ، سنحاول الوقوف على بعض الأعلام الذين كان لهم إشارات

¹ حافظ اسماعيلي علوي ، الحجاج مفهومه و مجالاته - دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة- إعداد و تقديم حافظ اسماعيلي علوي ، ج1 حدود وتعريفات ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2010 ، ص3 .

متفرقة في موضوع الحجاج ، و لعلنا - نقتصر على من كانت إسهاماتهم في ميدان اللغة أو البلاغة بالتحديد ، على الرغم من الإسهامات الكبيرة لعلماء التفسير و الأصوليين و علوم القرآن و علوم الكلام بصفة عامة ، و يعود سبب اقتصارنا على البلاغيين ، دون غيرهم لمحاولة الارتباط بطبيعة موضوع بحثنا ، كونه دراسة بلاغية تداولية و كون مدونة التطبيق " رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي " مدونة بلاغية بامتياز ، (فاقتصارنا عليهم كأمثلة هو ضرورة موضوعية للارتباط بالموضوع - كما أسلفنا - و أخرى منهجية لمحدودية الحيز المخصص لهذا المبحث) إلا أنّ هذا لا ينقص من فضل علماء اللغة من نحويين و أصوليين و مفسرين و لا يجحد مزيتهم و إسهامهم في إرساء أولى قواعد الحجاج و رصّ لبناته .

3-1-1/ الجاحظ (ت 255 هـ) :

و هو من بين أكثر علماء اللغة اهتماما ببلاغة الكلام و مرتبة النجاعة الخطابية و حظّها من الاهتمام ، و التي تتمثل في "البيان" الذي يشير إليه بـ "الفهم و الإفهام " ، و قد وصف حمادي صمود الجاحظ بأنه " أول مفكر عربي نقف في تراثه على نظرية متكاملة تقدر أن الكلام - و هو المظهر العملي لوجود اللغة - يُنجز بالضرورة في سياق خاص ، يجب أن تراعى فيه بالإضافة إلى الناحية اللغوية المحض ، جملة من العوامل الأخرى كالسامع و المقام و ظروف المقال ، و كل ما يقوم بين هذه العناصر غير اللغوية من روابط " ¹ ، كما يرى بأن إسهاماته في بلاغة الإقناع لا يمكن نكرانها ، و ذلك لإجماع الباحثين و النقاد العرب على الدور التأسيسي و الريادي

¹ حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ، 1981 ، ص

الذي اضطلع به -الجاحظ- في تشكل البلاغة من جهة ، و كونه رجل محاجة و مناظرة و متكلم عارف بتصاريف الكلام و وجوه الاحتجاج من جهة ثانية¹

و يورد الجاحظ (ت 255 هـ) في كتابه "البيان و التبيين" تعريفاً للفظ "البيان" بقوله : " و البيان اسم جامع لكل شيء كشف لنا قناع المعنى ، و هتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، و يهجم على محصله ، كائنا ما كان ذلك البيان ، أو من أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع ، إنما هو الفهم و الإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام ، و أوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع "2 ، و يتضح لنا جلياً اهتمامه بجانبين ، الأول هو الجانب التداولي التواصلية من خلال تأكيده على أن مدار الأمر و الغاية التي ينشدها القائل و السامع إنما هي " الفهم و الإفهام " ، و تحقق التواصل التام بين طرفي الخطاب بعد الكشف عن المعنى ، و الإفهام بأي وسيلة ، نقلية كانت أو عقلية أو جمالية . و الجانب الثاني هو البعد الحجاجي أو على الأقل البعد الإقناعي في مشروع الجاحظ البلاغي ، و لعل ما يجعلنا نقول به هو تلك الإشارات التي تتوزع في ثنايا كتابه "البيان و التبيين" و التي تحيل في مجملها إلى أنّ مدار الخطب إنما يكون "بمحااجة الخصوم و مناقلة الأكفاء" و "الاحتجاج على أرباب النحل و مقارعة الأبطال" و "مفاوضة الإخوان" و "الخطيب مطلوب منه الإفصاح بالحجة" و " البصر بها و المعرفة بمواضع الفرصة" و " أن يعرف كيف يضطرّ الخصوم بالحجة" و " يطبقهم بها" و " الغاية من ذلك أن تكون الأعناق إليه أميل و النفوس إليه أسرع

¹ ينظر : حمادي صمود ، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الانسانية تونس 1 ، ص 21 .

² الجاحظ ، البيان و التبيين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط 1 ، 1988م ، ص 76 .

و العقول عنه أفهم"¹ ، فالجاحظ يرى أن الغرض من البلاغة و الإبانة في الخطاب (من خلال مفهوم البيان) هو تحصيل الإفهام عن طريق المحاجة و إفحام الخصوم بالحجة و إجمامهم بها ، - فيكاد بهذا - أن يجعل البعد الحجائي و التداولي الإقناعي مداراً للخطابة و الخطاب .

و يمكن القول بأن موسوعية الجاحظ التي ترجع بالأساس إلى تكوينه الديني و الفكري -فقد كان من روافد المعتزلة و شيوخها ، بل و ينسب إليه أنه صاحب فرقة كلامية سميت بالجاحظية - و هذا ما أكسبه ذلك الفكر الحجائي (لما تتميز به فرق المتكلمين من ملكة الجدل و الخطابة) " كان الجاحظ موسوعي المعرفة من جهة ، و متكلماً حاذقاً من جهة ثانية ، و بهذين الأمرين اكتملت له آلة الفهم و الإفهام ، و إن شئت فقل آلة الحجاج ، لأن الحجاج مقتضى الفهم و الإفهام ، و هي النظرية التي اعتمدها الجاحظ في مکتوباته"²

3-1-2/ عبد القاهر الجرجاني (471هـ) :

ما إن يُؤتى على ذكر اسم عبد القاهر الجرجاني إلا و ينقذح في ذهن السامع أو القارئ نظرية النظم ، التي زادته شهرة و هي المبنية أساساً على حسن ملائمة اللفظ لمقامه و سياقه و مكانه بين مكونات العبارة أو الجملة أو النص ، حيث يقول الجرجاني : " و هل تجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحة ، إلا و يعتبر مكانها من النظم ، و حُسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها ، و فضل مؤانستها لأخواتها ، و هل قالوا : لفظة متمكنة و مقبولة ، و في خلافه :

¹ ينظر : حمادي صمود ، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ، مرجع سابق ، ص 21

² علي محمد علي سلمان ، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله أتمودجا) ، دار الفارس للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2010 ، ص 124.

قلقةً و نائية و مستكرهة ، إلاّ و غرضهم أن يُعبّروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه و تلك من جهة معناها ، و القلق و النُبُوّ عن سوء التلاؤم ، و أنّ الأولى لم تُلَقْ بالثانية في معناها ، و أنّ السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في مؤداها¹ ، و يشير **عبدالقاهر** هنا إلى أن الشرف في اللفظ لا يرجع إلى اللفظ في حد ذاته دائماً ، و إنما قد يكون - هذا الشرف للفظ ما - مكتسباً و حاصلًا بسبب اتساقه و موافقته للمقام الذي جيء به فيه ، و بسبب حسن اختياره (من بين المرادفات و الألفاظ المحتملة الأخرى) لهذا الغرض دون غيره ، فيقول : " فلو كانت الكلمة إذا حسنت من حيث هي لفظ ، و إذا استحقت المزية و الشرف ، استحقت ذلك في ذاتها و على انفرادها ، دون أن يكون السبب في ذلك حالاً لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلف بها الحال ، و لكانت إما تحسُنُ أبداً أو لا تحسن أبداً"²

و الملاحظ أن **الجرجاني** " قد عدّل مادة (الأسرار) في (الدلائل) و كملها و ربطها بمقتضيات النظم النحوي و جعلها تابعة له ، فلم تعد القمّة موجودة في اتجاه الغرابة بل في اتجاه مناسبة الكلام للمقاصد"³ ، فالنظم ليس " إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و أصوله ، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها"⁴

و قد اشتغل **الجرجاني** على جلّ مباحث البلاغة دفاعاً عن الشعر العربي من جهة ، و تنويرها ببلاغة النظم القرآني من جهة ثانية ، مقارعا بذلك ، أولئك الذين زهدوا في الشعر و روايته ،

¹ الجرجاني عبدالقاهر ، دلائل الإعجاز ، قرأه و علق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، 1992، 3، ص 44-45 .

² المصدر نفسه ، ص 48-49 .

³ عبدالعالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية ، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع ، ط 1، عمان، 2016، م ، ص 131 .

⁴ المصدر السابق، ص 117 .

و ذموا الاشتغال به ، فنجده قد أفرد لهم في دلائل الإعجاز فصلاً ، بل و قد كان فاتحة كتابه سماه " فصل الكلام على من زهد في رواية الشعر و حفظه ، و ذم الاشتغال بعلمه و تتبعه " حاججهم من خلاله بأساليب الحجاج المتعارف عليها منذ القديم القائمة على عرض الدعوى ثم الاعتراض عليها ، و هو ما يتجلى في كتابه فنجده مثلاً يقول : " فإن قال ... قيل له " ، " فإن قالوا... قيل لهم " ، و " قالوا ... قلنا لهم " ¹ ، فمنهج الحجاجي التداولي يتضح جلياً في أسلوبه الحوارى التخاطبي و الذي يمكننا استشعاره أيضاً من خلال استعماله صيغة الأمر (اعلم ...) ، (و اعلم أنك ...) إلى غيرها من أساليب الحوار أثناء سرده للتعريفات و الشواهد و الأمثلة المتنوعة ، و المقدمات المعقولة لدى المخاطب ، و ذلك بقصد استدراجه نحو الإقناع .

و الحقيقة أنّ أثر و إسهامات الجرجاني في ميدان الحجاج لا يمكن بأي حال أن نحصرها في بحثنا هذا - و لو أفردنا لها عدة فصول - لذا ، ارتأينا أن لا نتطرق إلاّ لبعض المباحث (كالتقديم و التأخير و الاستعارة و الحذف) دون التشبيه و الكناية و التمثيل و الاستدراج و الاستشهاد و غيرها من الأساليب الإقناعية البلاغية .

أ- الاستعارة : لقد خلص طه عبدالرحمان في كتابه "اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي" في مبحث حجاجية الاستعارة عند عبدالقاهر الجرجاني إلى أنّ " أول من استخدم آليات حجاجية لوصف الاستعارة هو إمام البلاغيين العرب عبدالقاهر الجرجاني ، فقد أدخل مفهوم الإدعاء

¹ ينظر : بوزناشة نورالدين ، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي و الدرس اللساني الغربي -دراسة تقابلية مقارنة- ، أطروحة دكتوراه ، جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف 2 ، الجزائر ، 2015-2016 ، ص 291-292 .

بمقتضياته التداولية الثلاثة : التقرير و التحقيق و التدليل ، كما استفاد في ثنايا أبحاثه من مفهوم **التعارض** من غير أن يطرحه طرحاً إجرائياً صريحاً¹

كما يرى أن " حاصل الكلام في هذا الموضوع أنّ عبد القاهر الجرجاني وضع أصول نظريته في الاستعارة ، متأثراً في ذلك بجانبين اثنين : أحدهما ، أساليب في الحجاج متعارف عليها كالرد على أقاويل المعترض و على شبه تأويله ، و كالتوجه إلى المخاطب و افتراض علمه و اقتناعه بما يُلقى إليه و بناء الأحكام و القواعد على هذا الافتراض ، و الثاني ، الجهاز الحجاجي للمناظرة ، و هو جهاز مفهومي متأصل في المجال التداولي الإسلامي العربي ، فقد عمد الجرجاني إلى اقتباس عناصر مختلفة منه في تكوين تصوره للاستعارة ، نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر : الادعاء و الدعوى و الإثبات و التقرير و السؤال و الاعتراض و المعارضة و الدليل و الشاهد و الاستدلال و القياس"²

ب- التقديم و التأخير : لا شك أنّ البلاغيين قد أولوا مبحث التقديم و التأخير الذي سُمي أيضاً بالصورة التركيبية ، عناية و اهتماماً باعتبار مبحثها مهما من مباحث البلاغة عموماً و النظم على وجه الخصوص ، فنجد منهم من يرى ، من مثل ابن سنان ، أن بلاغة التركيب تكمن في اتّباع الترتيب المألوف ، و ذلك بوضع الألفاظ في موضعها ، و بتجنّب التقديم و التأخير و القلب في الترتيب ، لأنّ كل نيل من ترتيب التركيب و نظامه يعني النيل من وضوحه ، و الوضوح شرطٌ جوهري في كل نصٍ فصيح بليغ ، إلا أنّ منهم من يرى رأياً أوسع و أكثر انفتاحاً ، ف**عبدالقاهر الجرجاني** لا يرى مانعاً من استغلال بلاغة التقديم و التأخير و القلب في الترتيب ، بل و يؤكد على

¹ طه عبدالرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط1، الدار البيضاء ، 1998 ، ص 313 .

² المرجع نفسه ، ص 309 .

خصائصه و فضائله و فوائده ، و يلفت الانتباه إلى الوظائف الدلالية والتأثيرية المهمة التي قد يؤديها التركيب - مع أنه يدعو إلى تقنين و ضبط بلاغة التقديم و التأخير و رسم حدودها و بيان شروطها و حصر وجوهها وأشكالها¹ - و يقرر الجرجاني في دلائله هذه المكانة الرائقة لمبحث التقديم و التأخير بقوله : " هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، و يُفضي بك إلى لطيفة ، و لا تزال ترى شعرا يروك مسمعه ، و لطف لديك موقعه ، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك و لطف عندك أن قُدّم فيه شيء و حوّل اللفظ عن مكان إلى مكان "2

ج- الحذف : اهتمّ الجرجاني بمبحث بلاغي يهتم هو الآخر بالجانب الحجاجي التداولي و هو الحذف ، فالحذف لغة " إسقاط الشيء ، و تحذيف الشيء تطريزه و تسويته و تملّحه و تخفيفه ، و في الاصطلاح البلاغي الحذف هو إسقاط جزء من الكلام ، و هو ليس إسقاطا مجانيا من دون دلالة و وظيفة ، كما أنه ليس مجرد عملية لغوية تركيبية شكلية ، بل انه عملية بلاغية قد تكون من أجل إحكام التركيب و تسويته ، و قد تكون من أجل تجميله و تطريزه ، أو من أجل الدلالة على معنى أو إحساس أو ما قد يكون له تأثيره و وقعه في سياق الكلام "3 ، و هو عينه ما ذهب إليه عبدالقاهر في حديثه عن الحذف بقوله : " هو بابٌ دقيق المسلك ، لطيف المآخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنك ترى تركّ الذكر أفصح من الذكر ، و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، و

¹ ينظر : المودن حسن ، بلاغة الخطاب الإقناعي - نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب- ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع ، ط1 ،الأردن ، 2014م ، ص 229-230.

² الجرجاني عبدالقاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 135.

³ المرجع السابق ، ص 233 .

تحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، و أتمّ ما تكونُ بياناً إذا لم تُبن¹ ، فهو هنا يلمس مبحثاً حجاجياً تداولياً يتعلق بالتفاعل بين المخاطب و المتلقي و هو مبحث الحذف الذي يرمي إلى ترك الفراغات للمتلقى ليملاها وفق سيرورة الخطاب و وفق انسيابية الحجج ، فالخطاب الحجاجي الناجع هو ما يجعل من المتلقي مشاركا و منحرفا في طرح المُحاجج أو المخاطب إلى الدرجة التي تمكّنه من ملء الفراغات و تصور المحذوف و توقّعه ، بل و الموافقة عليه ، ما يؤدي بالنهاية إلى اعتناق الطرح و الإذعان له .

و يمكن القول بأن الطابع الاستدلالي الحجاجي للنظم عند الجرجاني يبرز من خلال الأساليب البيانية من استعارة و كناية و تمثيل ، و التي يكون فيها اللفظ دليلاً على المعنى المراد ، و بذلك استطاع الجرجاني تجاوز إشكالية قضية اللفظ و المعنى التي خاض فيها الكثير من المتكلمين ، حيث كشف فيها عن تصوّره للنظم القائم على توافق نظام الخطاب و نظام العقل و الذي ترجع إليه المزية و الفضيلة و الاستحسان² .

3-1-3/ السكاكي (626 هـ) :

ساهمت جهود السكاكي في الدرس الحجاجي من خلال ما يلاحظ من التوجه الإقناعي في تصوره للبلاغة و مباحثها كالعناية بالمقام و المستمع ، و انتباهه للاستدلال و اللّزوم في البيان ، و مما لا يخفى أن جهود السكاكي في البلاغة العربية بلغت من الأهمية ما جعل الباحثين و العلماء في عصره و من بعده يقبلون على (مفتاح العلوم) كمرجعٍ بلاغي استندت عليه

¹ الجرجاني عبدالقاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 162 .

² ينظر : بوزناشة نورالدين ، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي و الدرس اللساني الغربي ، ص 302 .

العديد من التلخيصات و الشروحات ، إلى الدرجة التي يتساءل فيها بدوي طبانة في استغراب " و لسنا نعرف السرّ العجيب الذي سحر العلماء و فتنهم بكتاب السكاكي ، فجعلهم ينسون أنفسهم و ينكرون ملكاتهم ليسيروا في ركاب السكاكي ، و في قيد كتابه حتى جعلوه القطب الذي يدورون حوله ، و الغاية التي يُيَمَّمُونها ¹ ، كما أنّ العديد من الباحثين يرون أن البلاغة العربية قد وصلت مع السكاكي مرحلة التععيد من خلال ضبطه لأقسامها جمعا و تصنيفاً ، و يقول الدكتور عابد الجابري في هذا الشأن : " مفتاح العلوم هو بالنسبة للدراسات البيانية بمثابة الأورغانون ² ، إلا أنّ اهتمام السكاكي بكل صغيرة و كبيرة في البلاغة العربية و محاولة تأصيلها و تعييدها ، جعل العديد من الباحثين سواء في الدراسات التراثية أو الحديثة ، يرون بأن (المفتاح) كان سببا في استغلاق مباحث البيان و جمودها ، إذ يقول بدوي طبانة في هذا السياق : " و الواقع أنه لم يُفسد البلاغة العربية أو البيان العربي ، مثل تمحيص السكاكي و تهذيبه و ترتيبه ³ ، و لعل هذا الانتقاد لمفتاح العلوم يرجع إلى شعورهم و ربما اعتقادهم أن ذلك القدر الكبير من الضبط و التععيد قد حدّ بصورة أو بأخرى من مساحة الإبداع في الأعمال الأدبية و البلاغية ، و أن البلاغة قد صُيِّرت معه مجرد قواعد و قوالب جامدة .

¹ عبداللطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف ، لبنان ، ط1 ، 2013 ، ص 74 ، عن بدوي طبانة ، البيان العربي ، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب و مناهجها و مصادرها الكبرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة الرسالة ، ط3 1962م ، ص 254 .

² الجابري محمد عابد ، نقد العقل العربي (2) بنية العربي ، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، المركز الثقافي العربي بيروت ، ط3 ، 1993 ، ص 90 .

³ ينظر : المرجع السابق ، ص 74 ، عن بدوي طبانة ، البيان العربي ، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب و مناهجها و مصادرها الكبرى ، ص 254 .

إلا أنّ المحصّص لمفتاح العلوم و منهج السكاكي عموماً ، لا يمكنه إلا أن يلاحظ تلك المقاربة الجديدة في ربط البيان العربي بالمنطق ، و هو ما يتّضح جلياً في اهتمامه بـ (الاستدلال) .

و يربط السكاكي بين البلاغة العربية (المعاني والبيان - على وجه الخصوص-) و بين النحو (مثلاً في نظرية النظم) من جهة ، كما يربطها - أي البلاغة- بالمنطق (في حديثه و تفصيله لقضية الحد و الاستدلال) من جهة ثانية ، حيث يستعيد السكاكي مقولة (معاني النحو) التي بلورتها مقاربة عبدالقاهر الجرجاني ، فالسكاكي يرى بأن للكلام أو الخطاب منطقاً داخلياً ، و هو توحي معاني النحو ، أو النظم ، الذي يشكل مجموعة من النواميس الداخلية المنطقية ، التي تخرج الكلام في النهاية بصورته المعقولة ، كما أنّ هناك منطقاً خارجياً يعتمد على الاستدلال و العقل ، حيث يقول : " و لما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد و الاستدلال ، لم أرَ بُدّاً من التسمح بهما"¹ ، و يقول الدكتور عادل عبداللطيف معلقاً على هذا الربط بين الاستدلال و علمي المعاني و البيان " إنّ الهدف من هذا (الإصحاب) و الكلمة للسكاكي ، بناء بلاغة الخطاب على نظام استدلاي و ليس على المنزع البديعي ، بحيث يصبح البيان مؤسساً على نظام العقل ، مما يجعل البلاغة معرفة و استدلالاً"² ، و يخلص إلى نتيجة مفادها " بإقرار التعايش إذن بين المنطق و النحو و علمي البيان و المعاني ، قاد السكاكي البلاغة نحو مجالها التطبيقي المثالي : الخطاب الإقناعي المرتبط بمقامات ملموسة محددة"³

¹ محمد العمري : البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1999 ، ص 485 .

² عبد اللطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص75-76 .

³ المرجع نفسه ، ص 76 ، و محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، ص 489 .

و لِدور المقام في الإقناع عناية خاصة لدى السكاكي ، فقد حظيت العبارة المتواترة في التراث العربي الإسلامي (لكل مقام مقال) ، بمتابعة و اهتمام ، ذلك أنّ بلاغة السكاكي المحكومة بالنجاعة التواصلية و البعد الإقناعي قد ركزت على المقام و المستمع ، و جعلتهما مدار علم البيان و المعاني ، فالكلام عند السكاكي ليس مطلقا ، بل تحدده طبيعة المقام و فعالية القول في مناسبه لمقتضى الحال حيث يقول : " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ، و مقام التهئة يباين مقام التعزية ، و مقام المدح يباين مقام الذم ... و مقام البناء على السؤال يباين مقام البناء على الإنكار " ¹ ، هكذا تتحدد لدى السكاكي عناصر بلاغية مقامية ، أساسها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ².

و قد اهتم السكاكي أيضا بطرفي الخطاب في العملية التواصلية البلاغية ، فكما اهتم بكفاءة الخطيب الإنجازية ، اهتم كذلك بكفاءة المتلقي أو المخاطب التأويلية و الاستدلالية ، حيث يقول: " فإنّ جوهر الكلام البليغ مثله مثل الدرّة الثمينة التي لا ترى درجتها تعلو و لا قيمتها تغلو ، و لا تشتري بثمانها و لا تجري في مساومتها على سننها ، ما لم يكن المستخرج لها بصيراً بشأنها ، و الراغب فيها خيرا بمكانها ، و ثمن الكلام أن يوفي من أبلغ الإصغاء و أحسن الاستماع حقّه ، و أن يتلقى من القبول له و الاهتزاز بأكمل ما استحقه ، و لا يقع ذلك ما لم يكن السامع عالما بجهات حسن الكلام ، معتقدا بأن المتكلم تعمدها في تركيبه للكلام على علمٍ منه ، فإنّ السامع إذا جهلها لم يميّز بينه و بين ما دونه ، و ربّما أنكره ، و كذلك إذا أساء بالمتكلم اعتماده

¹ السكاكي أبو يعقوب يوسف ، مفتاح العلوم ، ضبطه و علق عليه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط2 ، 1987 ، ص168 .

² ينظر : المرجع السابق ، ص 76 .

ربّما نسبه في تركيبه ذلك إلى الخطأ ، و أنزل كلامه منزلة ما يليق به من الدرجة النازلة "1 ، و قد يّين السكاكي في مقاله هذا أن المتلقي إذا لم يملك الكفاءة التأويلية الاستدلالية فقد لا يتوقف عند عدم فهم الرسالة ، بل قد يظنُّ بخطأ و عيِّ المحاجج أو المخاطب .

و يمكن القول في الأخير أن النجاعة الخطائية و المحاجية عند السكاكي بالإضافة إلى اعتمادها على النظم (توخي المعاني النحوية) و المقام سواء كان مقاما داخليا (بين الألفاظ في حد ذاتها) أو مقاما خارجيا يتعلق بظروف الخطاب و مقتضى الحال ، و بالإضافة إلى الاستدلال فهي كذلك - النجاعة الخطائية - تحتاج إلى كفاءة الخطيب أو المتكلم الإنجازية (منجز الخطاب) و إلى الكفاءة التأويلية لدى المخاطب .

3-2/ الحجاج في الفكر العربي الحديث :

تعتبر الجهود البلاغية الحديثة أو المعاصرة (و على اختلاف توجهاتها) امتدادا و غوصا في الإرث البلاغي التليد ، " و يلاحظ أن معظم هذه الدراسات غلب عليه الاهتمام بإعادة بعث التراث البلاغي العربي القديم بدءاً من الجاحظ و وصولا إلى السكاكي و القزويني و السيوطي ، أي إنها اهتمت بالتاريخ الذي قطعته البلاغة العربية منذ عصر التدوين حتى عصور التقعيد و القولية النظرية النهائية "2 ، و على اختلاف مشاربهم و مدارسهم كالمدرسة المصرية (التي تضم صلاح فضل و أحمد الشايب و أحمد مطلوب و جابر عصفور و مصطفى ناصف و غيرهم) ممن أسهموا في إثراء الدرس البلاغي و الحجاجي ، أو من المدرسة المغاربية (و التي تضم هي الأخرى العديد من الأسماء على غرار محمد العمري و أستاذه محمد مفتاح ، و طه عبدالرحمان ، و

¹ السكاكي أبو يعقوب يوسف ، مفتاح العلوم ، ص 331-332 .

² محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 218 .

عبدالله صولة ، و أبو بكر العزاوي ، و حمادي صمود و الكثير ممن لا يتسع المقام لذكرهم) ، قد كان لهم من الفضل في التأصيل لدرس حجاجي انطلاقاً من قناعاتهم و مشاربهم ، سواء كانت تراثية عربية إسلامية ، أو مستمدة من الحضارات الغربية (سواء اليونانية أو حتى الدراسات اللسانية و التداولية الحديثة) ، التي أسهمت في تأسيس و تععيد الدرس الحجاجي (خصوصاً مع مؤلف بيرلمان و تيتيكاه) ، على خلاف الحجاج في التراث العربي الذي (و على جزالته و عمقه) إلا أنه لم ينتظم كدرس و لم يُجمع كمبحث ، بل بقي كشذراتٍ تتوزع البحث اللغوي عموماً و البلاغي على وجه الخصوص ، و أسهم فيه المتكلم و الأصولي كما أسهم فيه المفسر و النحوي ، و لعل هذا التوزع أو التشتت للدرس الحجاجي في ثنايا الدرس اللغوي و البلاغي ، هو ما اشتغل عليه الباحثون العرب فمنهم "من عمد إلى إعادة تصنيف الأبواب البلاغية المشتتة في كتب الرواد القدامى... و منهم من حاول دراسة جانب خاص و محدد من البلاغة العربية متخذاً لذلك منهجاً محدداً"¹ ، و يلاحظ على الجهود المغاربية نزعتها إلى الدراسات الغربية و الترجمة منها - بالإضافة إلى التراث العربي - و لعل مرجع ذلك و مردّه إلى القرب الجغرافي و التاريخي و التكويني من الحضارة الغربية ، و بهذا الامتزاج و التنوع الثقافي ، نجد - مثلاً - اهتماماً من طرف طه عبدالرحمن بالبلاغة العربية و الحجاج يرتبط بالفكر المنطقي و الأرسطي من جهة ، و ينقّب في التراث البلاغي العربي باطلاع و فهم عميق (كما نلاحظه في الأسرار و الدلائل و المفتاح البرهان) من خلال مؤلفه (اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي) ، و كذلك بالنسبة لمحمد العمري الذي " يجمع إلى القديم ، وعياً جيداً بالبلاغة المعاصرة ، و إحساساً مبكراً ببلاغة الحجاج"²

¹ المرجع نفسه ، ص 218.

² المرجع نفسه ، ص 255.

و سنقتصر في هذا المبحث على ذكر عَلمين فقط من أعلام البلاغة العربية الحديثة و الحجاج (و ليس هذا لفضلهم على البقية ، و إنما هو لضرورة موضوعية و منهجية بحتة ، فالمقام هنا مقام إشارة إلى بعض الجهود لا حصرها أو تصنيفها)

3-2-1/ محمد العُمري :

لقد كان الباحثون و المهتمون العرب بالدرس البلاغي الحديث منفتحين على الدراسات الغربية و المناهج الحديثة في المجال اللساني و البلاغي ، و قد أفادوا من كل الترجمات التي وصلت إليهم خصوصا بعد الثورة في المجال اللغوي و الفلسفي التي حدثت في بدايات القرن العشرين ، و التي كانت بمثابة تععيد و تنظير و تحديث للمنطق الأرسطي (خصوصا مع بيرلمان و تيتيكاه) ، و لعل الدكتور محمد العمري كان من أبرز البلاغين العرب الذين تلقفوا مقولات البلاغة الحديثة ، و لعل رصيده البلاغي التراثي " الذي اكتسبه من خلال اشتغاله على كتابه (الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية و الممارسة الشعرية : نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة و الشعر) و هو كتاب يسعى لتحقيق هدف بالغ الطموح و الجرأة انطلاقا من رصد دور الأداء الصوتي - لغة ، موسيقى ، قافية ، صوامت ، صوائت " ¹ في كل التراث العربي ، و هذا الاتساع في المدونة هو مكنم الجرأة ، و بالنهاية اكتسب العمري رصيда تراثيا أهله لتأليف العديد من المؤلفات البلاغية الوازنة ، نذكر منها :

- "البلاغة العربية : أصولها و امتداداتها" : و هو كتاب يعد امتدادا لمشروع الموازنات السابق ، فهو ليس كتابة جديدة لتاريخ البلاغة بقدر ما هو تتبع لأصولها و روافدها ، و

¹ المرجع نفسه ، ص255.

محاولة قراءتها قراءة جديدة .. تمزج بين المعطيات البنيوية و علم الاجتماع الأدبي و مباحث البلاغة المعاصرة المنجزة ، و خاصة ضمن حقلي الفلسفة و الاجتماع ، كما تهتم بآليات التواصل و تقنياته المتغيرة بسرعة كبيرة في عصرنا الراهن ، و هي تقنيات عملت فعلا على تغيير موقع الإنسان - (المُخاطَب ، المشاهد ، السامع ، القارئ ..)¹ .

- و كذلك مؤلفه (في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) الصادر سنة 1986 و الذي يعتبر " أول كتاب في المكتبة العربية يخصص لموضوع الإقناع في البلاغة العربية ، و هو سابق على المصنف الجماعي (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) و الذي أشرف عليه حمادي صمود سنة 1999"² ، و قد ركز فيه على البعد الإقناعي للبلاغة العربية ، خصوصا مع الجاحظ ، فقد فسّر محمد العمري جميع الجاحظ للأمثال و الحكم ، بأنه اهتمام و عناية ببلاغة الإقناع ، حيث يقول فقد انشغل " بتجميع الأمثال و الحكم و الخطب الجيدة المتضمنة للأفكار و الملاحظات العميقة و أشعار المذاكرة أي التي تحتوي معاني و حججا من أجل تكوين الخطيب المقتدر في معركة الحجاج"³ .

لقد أفاد محمد العمري من اطلاعه على الدراسات الغربية ، سواء الفلسفية و المنطقية كخطابة أرسطو ، أو تلك الدراسات التداولية و الحجاجية التأسيسية كالتى ظهرت مع بيرلمان و تيتيكاه و ديكرو و ميشال مايير ، و استطاع أن يربط بينها و بين ما ينخر به التراث البلاغي ، فقد ركّز العمري "في قراءته هذه على استكناه الأبعاد التداولية في البلاغة العربية القديمة و

¹ ينظر : المرجع نفسه ، ص259.

² محسن الزكي ، الحجاج و التداول في البلاغة العربية القديمة عند محمد العمري ، ضمن الكتاب الجماعي : البلاغة و الخطاب ، إعداد و تنسيق محمد مشبال ، منشورات ضفاف ، ط1 ، 2014 ، ص 287 .

³ محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، ص 205 .

علاقتها بالنحو و المنطق و النقد .. لكنه قبل أن يصل إلى تلك الأبعاد نجدده يتتبع مسيرة البلاغة العربية في اهتمامها بالحجاج من جهة ، و في علاقتها بالنصوص الأرسطية من جهة ثانية¹ و يؤكد محمد العمري أن الحجاج و بلاغة الإقناع في التراث العربي ، مباحث أصيلة و مهمة ، أدت إلى ظهورها و الاهتمام بها غايات تحوز من الشرف و الأهمية الكثير ، فقد كانت هناك حاجة كبيرة للذود و الدفاع عن الثوابت العقديّة في فترة " الاهتمامات الكلامية ، عندما صار التسلح بالوسائل البلاغية اللغوية أمراً ضرورياً للدفاع ضد مزاعم المشبهين و المتناولين للمتشابه من القرآن الكريم من جهة ، و لمقارعة الفرضيات المضادة التي يقدمها الخصوم من جهة ثانية²

كما استطاع أن يجمع - العمري - شتات النظرية الحجاجية من بين ذخائر التراث البلاغي ، فنجده - مثلاً- يتحدث عن أهمية (الإيتوس) أو ما يعرف بـ (حال المخاطب أو شخصيته و كاريزمته) و كذلك (الباتوس) و هي (حال المتلقي و استعداداته النفسية و الثقافية و الاجتماعية) ، حينما يقول : " فالبلاغيون العرب وإن لم يهتموا كثيراً بالدراسة النفسية والأخلاقية للمرسل والمتلقي، حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين."³

و الحقيقة أن الوقوف على جهود محمد العمري في مجال الحجاج و البلاغة العربية عموماً ، ليس ممكناً أو على الأقل هو سابق لأوانه ، ذلك أنّ جهده لا يزال متواصلاً ، و لكن يمكننا

¹ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص261.

² المرجع نفسه ، ص261 .

³ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ص 21.

إجمال منهجه في أنه تراثي و مجدد ، فقد "وظّف العديد من الدراسات البلاغية المعاصرة - مثلما تشير مراجعه و هوامشه و إحالاته - ليس بهدف إعادة صياغتها ، و إنما ليتخذ منها آليات لقراءة البلاغة العربية و الوقوف على مواطن الإبداع و الوهن فيها ، و ليصنف اتجاهاتها و يقف على روافدها"¹

3-2-2 / طه عبد الرحمان :

لقد استطاع الدكتور طه عبد الرحمان أن يقارب النظريات الغربية الحديثة بما يقابلها في الفكر العربي و ذلك من خلال الوعي الكامل بضرورة عدم الانزلاق في التقليد و التلبّس بثقافات الغير ، مع الحفاظ على الموضوعية في نسبة النظريات و محاولة جادة لتوليد مصطلحات من شأنها أن تخفف من إشكالية ترجمتها إذ يقول في مصنفه "اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي" : " فقد جمعنا في هذا الكتاب أبحاثاً منطقية لسانية تدخل في باب التأليف الاجتهادي ، إذ سعينا إلى أن نجيء فيها بشكل أو بآخر بما لا نكون معه مقلدين و لا ناقلين و لا شارحين ، بين اختراع لمفاهيم و توليد لمصطلحات و بيان لفروق و إنشاء لدعاوى ، و صوغ لمبادئ و وضع لقواعد و ترتيب لقوانين و تدليل على مسائل و استخلاص لنتائج و تصحيح لآراء و إيرادٍ لشبهه ، و قس على ذلك نظائره"²

¹ المرجع السابق ، ص 271 .

² طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء ، 1998 ، ص 18 .

فإسهامات طه عبدالرحمان في ميدان الحجاج و التداولية لا يمكن حصرها أو الإحاطة بها في هذا المقام ، فمؤلفاته¹ من قبيل (اللغة و الفلسفة : دراسة في البنيات اللغوية للأنطولوجيا - سنة 1979) ، (المنطق و النحو الصوري - سنة 1983) ، (في أصول الحوار و تجديد علم الكلام - سنة 1987) ، (العمل الديني و تجديد العقل - سنة 1989) ، (تجديد المنهج في تقويم التراث - سنة 1994) ، (اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي - سنة 1998) و العديد من المؤلفات الأخرى ذات الطابع الفلسفي و البلاغي التراثي ، تنبئ عن ثقافة الرجل المتشعبة بالقيم الأخلاقية و الإسلامية و التراثية من جهة ، و كذا بالفلسفة و المنطق و علوم اللسان الحديثة ، الأمر الذي جعل من إسهاماته ، خصوصا حينما نتحدث عن الحجاج و التداولية في كتابيه (اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي) و (في أصول الحوار و تجديد علم الكلام) ، تتميز بعمق الطرح الذي يصاحبه إلمام بالدرس اللساني و التداولي الحديث .

وقد عرّف طه عبد الرحمان الحجاج بقوله: " هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها"².

ويرى أن الحجاج فعالية تداولية جدلية:

فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، إنشاء موجهها بقدر الحاجة ، وهو جدلي لأن هدفه إقناعي قائم على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى

¹ ينظر : إبراهيم مشروح ، طه عبد الرحمان - قراءة في مشروعه الفكري ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2009 ، ص 249 - 257 .

² طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص 231 .

من البنيات البرهانية الضيقة، كأن تبني الانتقالات فيه لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان، بل على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع، وأن يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج¹.

كما ربط طه عبدالرحمان الحجاج بالحوارية التي جعلها في ثلاث مراتب : الحوار ، المحاورة و التماور ، و التي تشترك كلها في كونها فعاليات خطابية إلا أن كلا منها يختص بمنهج استدلالى معين ، بحيث يعتمد الحوار على آلية العرض و التي يقوم فيها العارض أو المُحاجج " ببناء معرفة نظرية ، سالكا في هذا البناء ، طرقا مخصوصة يعتقد أنها ملزمة للمعروض عليه"²، بينما يقوم النوع الثاني و هو المحاورة على آلية الاعتراض ، إذ يكون بتعاون متلقي الخطاب مع العارض في " إنشاء معرفة نظرية مشتركة ، ملتزما في ذلك أساليب معينة يعتقد بأنها كفيلة بتقويم العرض و تحقيق الإقناع"³، أما المرتبة الثالثة من الحوارية في نظر طه عبدالرحمان فهي التماور و الذي يعتمد على آلية التعارض بحيث : "يتقلب المتماور بين العرض و الاعتراض ... المتماور ينشق إلى ذات عارضة تثبت منطوق القول ، و إلى أخرى غيرها معترضة تصل المنطوق بالمفهوم المخالف"⁴ ، ويصل التفاعل بين المتكلم و المخاطب في هذه الفعالية الخطابية ، المتميزة إلى أعلى المراتب.⁵

¹ طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ص 65.

² المرجع نفسه ، ص 38 .

³ المرجع نفسه ، ص 43 .

⁴ المرجع نفسه ، ص 49 .

⁵ ينظر : غالم عبد الصمد ، استراتيجيات الخطاب الإقناعي في بخلاء الجاحظ ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور بوجمعة بوعمار ، جامعة جيلالي لباس ، سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2016-2017 ، ص 129 .

و يرى طه عبدالرحمان بأن الجرجاني قد استعمل في وصفه للاستعارة مصطلحات الجهاز الحجاجي للمناظرة ، فقد " عمد -الجرجاني- إلى اقتباس عناصر مختلفة منه ، في تكوين تصوره للاستعارة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : الادعاء و الدعوى و الإثبات و التقرير و السؤال و الاعتراض و المعارضة و الدليل و الشاهد و الاستدلال و القياس"¹

و قد انتبه طه عبدالرحمان لأهمية الاستعارة كونها من أهم الآليات البلاغية التي تميز الخطاب الإقناعي ، فالجانب الحجاجي للاستعارة - في رأيه - يتجلى في وجود و حضور عنصرين مهمين من عناصر الخطاب الحجاجي ، وهما " الادعاء " من طرف المحاجج أو الخطيب ، و " الاعتراض " من الجهة المقابلة و المستقبل للخطاب الحجاجي ، فلا بد من توفر هذين العنصرين المحوريين لكل عملية حجاجية إقناعية في الاستعارة حتى تكتسب صفة الحجاجية إذ يقول : " أما عن الصفة الحجاجية للقول الاستعاري ، فيكفي أن نستبين فيها وجوه تدخل آليتي (الادعاء) و (الاعتراض) اللتين تميزان الحجاج "² .

لقد كان مشروع طه عبدالرحمان المتميز في مقارنته للتداولية من جهة و للحجاج من جهة أخرى ، من الأسباب التي جعلت من مجهوداته و أبحاثه ، مَعِينًا للباحثين في هذا المجال و مَعِينًا .

¹ طه عبدالرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 309 .

² المرجع نفسه ، ص 311 .

4/ الخطاب الحجاجي (مفهومه ، أنواعه ، خصائصه و آلياته):

يمكن القول أن دراسة الخطاب الحجاجي تكون من جهتين:

- الأولى تتعلق بعلاقة المتكلم بالمتلقي.

- الثانية نصية تركز على الأدوات اللغوية مثل (الأسماء، الأفعال ...) وعلى الروابط الحجاجية مثل (لكن، إذا ...) وبعض الوجوه البلاغية (كالاستعارة، التشبيه...)¹

وعلى هذا الأساس يمكن أن نميز بين نوعين من الحجاج :

- حجاج عادي عند البلاغيين الجدد يستعمل آليات وتقنيات بلاغية ومنطقية ، أي: مجمل الاستراتيجيات التي يستعملها المتكلم من أجل إقناع مخاطبه أو جعله يقتنع بفحوى الكلام وقضاياها، وفي هذا المجال ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا وثيقا، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الإفهام والإقناع و الإقتناع .

- حجاج لغوي ولساني يعتمد على الروابط اللغوية في عملية الإقناع والمحاكاة.²

من هنا ، ارتأينا أن نوضّح في مبحثنا هذا ، مجموعة من النقاط المرتبطة بالخطاب الحجاجي - بدى لنا أنه من الضروري الوقوف عليها - من قبيل : مفهومه (الخطاب الحجاجي) و أنواعه و خصائصه و آلياته .

¹ عبد الحميد جريوي، بنية الاستدراج الحجاجي في القرآن الكريم، ص 293.

² جميل حمداوي، المقاربة الحجاجية، ص 21.

4-1/ المفهوم:

إن الخطاب هو كل ملفوظ تواصلية يكون بين مرسل ومرسل إليه ، الغرض منه التواصل والتعبير عن المقاصد والأغراض، ولكن الخطاب قد يحمل شحنة دلالية أخرى فيصبح الخطاب منطوقا تواصليا الهدف منه الإقناع، والتأثير في المتلقي، ومن هنا يصبح الخطاب خطابا حجاجيا.

وهذا عينه الذي أشار إليه **طه عبد الرحمان** حينما ذهب إلى أن ماهية الخطاب لا تقتصر على العلاقة التواصلية التي ينشئها المتكلم مع المخاطب، لأننا قد نتوجه إلى الآخر بقصد إفهامه من غير أن نسعى إلى جلب اعتقاد أو دفع انتقاد، ولذا لا بد للخطاب كي يكتسب سمته الحجاجية أن يكون له قصدان آخران هما: قصد الادعاء، وقصد الاعتراض.¹

ثم يذهب **طه عبد الرحمان** إلى أنه " إذا تقرر أن كل منطوق به يتوقف وصفه بالخطاب على أن يقترن بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصد الادعاء وتحصيل المنطوق له لقصد الاعتراض، بالإضافة إلى تحصيل الأول لقصد التوجه إلى الثاني وقصد إفهامه معنى ما، فاعرف أن المنطوق به الذي يستحق أن يكون خطابا هو الذي يقوم بتمام المقتضيات التعاملية الواجبة في حق ما يسمى بالحجاج، إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها."²

بينما يذهب **بيرلمان وتيتيكاه** إلى أن الخطاب الحجاجي: " يمكن أن يكون منطوقا كما يمكن أن يكون مكتوبا، بل إنهما ليلحان على المكتوب ولا يكادان يأخذان أمثلتهما إلا مما هو مكتوب."³

¹ ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 225.

² المرجع نفسه ، ص 226.

³ حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 307.

فالخطاب الحجاجي هو الذي يقتضي وجود " ملفوظين على الأقل، يقوم أحدهما بتبرير الآخر، فيسمى الأول حجة الرأي المعروض والثاني نتيجة لحجة الرأي المعارض يتنزلان في سياق اتصالي خطابي بين متحاورين في سياق تحاججي معين." ¹

ويعتمد الخطاب الحجاجي بدوره على مجموعة من العوامل تؤثر على اتخاذ المواقف كالمصدر الذي يبث الرسالة، والرسالة، والمتلقي، بحيث أن العناصر الإقناعية مثلاً: المصدر، والرسالة، تحاول التشكيك في موقف إنسان، فتتفحّج تقديم موقف آخر بهدف الإقناع والتأثير اعتماداً على الحجج والبراهين. ²

ولما كانت وجهة الحجاج هي " المستقبل كانت الغاية منه أن يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له ويكون ذلك بالتأثير في الذهن بواسطة الوسائل الخطابية." ³

¹ نعمان بوقرة، الخطاب والنظرية والإجراء، ص 71.

² ينظر: علي رزق، نظريات في أساليب الإقناع، دراسة مقارنة، دار الصفوة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص 81.

³ المرجع السابق نفسه، ص 304.

4-2 / أنواع الخطاب الحجاجي:

ينبغي علينا أثناء الحديث عن أنواع الخطاب الحجاجي أن نميز بين تصنيفين ، الأول هو تصنيف أنواع الخطاب الحجاجي من حيث الحقل أو المجال ، أما التصنيف الثاني لأنواع الخطاب الحجاجي فهو من حيث الغرض أو المؤدى ، أو فننقل من حيث نمط الاشتغال .

4-2-1 / أنواع الخطاب الحجاجي (من حيث الحقل أو المجال) :

ويمكن أن نميز في ضوء ذلك بين ثلاثة أنماط من الخطاب ، و هي :

4-2-1-1 / الخطاب الحجاجي البلاغي:

تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج حيث يستعملها المتكلم كوسيلة فعالة لسحر العقول بما تتوفر عليه من خيال وجمال أسلوب يأسر العقول و يستميلها ويجعلها تسلم بالحجة والدليل، ويمتاز هذا النوع من الخطاب بخصائص أسلوبية تتمثل في الصور البلاغية كما نجد مثلا في الاستعارة الحجاجية والمثل.¹

ويتسم هذا النوع من الحجاج أيضا بالسّمات التالية:

- اندماجه عضويا بالخطابة في شكلها المنطوق والمكتوب.
- اشتراطه لرغبتين هما إرادة المتكلم (المؤثر والمقنع) وإرادة المتلقي (المتأثر والمقتنع).
- خضوع حججه للتراتبية والتنظيم: القوة، الضعف، البدء، الختم، الإبطال، الإثبات.
- عدم قابليته للقولبة والصياغة المنطقية الشكلية والرمزية.²

¹ هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي، مجلة الآداب واللغات، ورقة، العدد 05، مارس 2006م، ص191.

² حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 110.

ومن أهم الأهداف التي يسعى الخطاب الحجاجي البلاغي إلى تحقيقها هي:

- التأثير في المتلقي (السامع أو القارئ) وجعله يتقاسم مع المخاطب اعتقاده واقتناعه الخاص.

- التأثير في المتلقي لجعله يقوم بالفعل الذي يطلبه ويريدده المخاطب.

- استمالة وإغراء المتلقي باعتباره ذهنًا وعاطفة (عقلا وقلبا) لكسب تأييده وتوافقه الضمني والصریح.¹

4-2-1-2 / الخطاب الحجاجي الفلسفي:

الحجاج بُعد جوهري في الفلسفة، وهو آلية وإجرائية من إجرائياتها، وتقاس صلاحية هذا الحجاج الفلسفي بمعايير خارجية: القوة والضعف، الكفاءة وعدمها، النجاح أو الفشل في الإقناع، وغايته التأثير والتقبل، ويمتاز بخصائص منها الحوارية والجدل والمناظرة.²

ومن هنا يمكن القول أن الممارسة الحجاجية في الخطاب الفلسفي ليست مقصودة لذاتها بمعنى مبررة بغايات تعليمية وعقلية، ومنهجية فكرية، وهذا ما تقتضيه روح التفلسف و الإشكالات الفلسفية التي تطرحها، وعلى هذا الاعتبار يستحيل أن نفصل بين الحجاج الفلسفي واللغة والمنطق والبلاغة.³

4-2-1-3 / الخطاب الحجاجي التداولي:

وهذا النوع من الخطاب تتجلى فيه الأبعاد التداولية من خلال الاعتناء بالتخاطب واستراتيجياته التواصلية و الإقناعية، ومن أهم خصائصه الحوارية والمقام.⁴

¹ المرجع نفسه ، ، ص 111.

² هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي، بين نظرية البيان ونظرية البرهان، ص 191.

³ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 116.

⁴ المرجع السابق، ص 191 - 192.

فالتداوليون المعاصرون ينظرون إلى الخطاب الحجاجي على أنه متميز بخصائص بنائية تواصلية (براغماتية) تجعله مختلفا عن غيره من الخطابات السردية و الحكائية و الإخبارية، كما أن صوره البنائية الاستدلالية والكلامية وخضوعه لشروط القول والتلقي والمقام والرغبة في التأثير والفعل كلها تركز ذلك التميز في الفعل... ولعل أبرز ما يتجلى فيه البعد التداولي للخطاب الحجاجي هو المستوى الحوارى أو التحوارى، سواء كانت ذوات هذا التحوار مضمرة أم متعددة الأصوات والأمارات¹.

و إلى ذات الطرح يذهب الأستاذ مسعود صحراوي، حيث يرى أن حجاجية الخطاب وتداوليته تتجلى في كون التداولية تراعى كلا من الفعالية والحوارية، ذلك أنها - التداولية - تدرس في الأساس "علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق و كفاءات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة."²

4-2-2 / أنواع الخطاب الحجاجي (من حيث الغرض أو المؤدى - نمط الاشتغال):

و هذا التصنيف لأنواع الحجاج يعتمد أساسا على الغرض أو المؤدى من الخطاب الحجاجي، بحيث يمكن أن توصف هذه الأنواع للخطاب الحجاجي و تصنف كأغراض له، إلا أننا آثرنا تصنيفها كأنواعٍ لاعتبارين، الأول أن أنواع الحجاج تختلف لاختلاف الغايات الكبرى، فالخطاب الحجاجي التقويمي أو الوعظي - مثلا- و الذي يهدف إلى إرشادٍ أو إصلاح، بابٌ يختلف كل الاختلاف على الخطاب الحجاجي التجريدي - على سبيل المثال - و الذي هو نوع من الحجاج أقرب إلى البرهان أو الاستدلال، فأتماط اشتغال الخطاب المختلفة، تجعلها

¹ ينظر: علي رزق، نظريات في أساليب الإقناع، دراسة مقارنة، دار الصفوة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص 81.

² مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلة اللغة العربية، العدد 10، الجزائر، 2004م، ص 181.

أنواعاً مختلفة ، أما الاعتبار الثاني ، من تصنيفها أو تبويبها كأنواع للخطاب و ليست كأغراض ، فهو أن غرض الخطاب الحجاجي - و إن اختلف في بعض الجزئيات - إلا أن الأصل هو الإقناع و جعل المتلقي يسلّم أو يدعن لطح المخاطب أو المُحاجج .

و قد استطاع الدكتور طه عبدالرحمان أن يلخص أنواع الحجاج في كتابه (اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي) و هي كالآتي :

1-2-2-4 / الخطاب الحجاجي التوجيهي:

و هو نوع من الخطاب لا يراعي فيه الخطيب أو المُحاجج جانب المتلقي ، و لا يأخذ آراءه و تصوراتهِ بعين الاعتبار ، بل يكون جلّ تركيز المخاطب على الحجج التي يقدمها هو ، فلا يستشرف وقوعها في عقله أو قلبه ، يقول طه عبد الرحمان عن هذا النوع " وهو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقائه لها، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها، فنجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة ، غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يقضي به إلى تناسي الجانب العقلاني من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعاً بحق الاعتراض عليه"¹ ، و يرى عبد الهادي بن ظافر الشهري أنّ في هذا النوع من الحجاج ما يُهم المحاجج هو قصده الذي يرمي إليه والطريقة التي يوصل بها هذا القصد، فلا يهتم بالمخاطب ولا يتصور أو يتخيل ذاتاً تمثله في محاولة لتوقع اعتراضاته واستباق حججه لدحضها وإقناعه².

¹ طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي ، ص 227.

² ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 470.

4-2-2-2 / الخطاب الحجاجي التقويمي :

في هذا النوع من الحجاج يستشرف المُحاجج أثر خطابه و حججه في نفس و عقل المتلقي لها ، و يحاول توقع ردود أفعاله ، و بالتالي استباقها ، و الإتيان بما قد يسهل لها تقبله و التأثرُ به ، و هذا الأمر قد يتأتى للمُحاجج إذا اعتبر نفسه أول متلقٍ لما يلقي ، فيسهل عليه الاستشراف و التوقع - لردود أفعال أو أفكار المتلقي - و بالتالي تقديم الحجج المثلى .

فيقول في ذلك : " و هو اثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية يُنزلها منزلة المعارض على دعواه، فهانئا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يتوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقٍ لما يلقي، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات قبلها واقتناع المخاطب بها"¹.

4-2-2-3 / الخطاب الحجاجي التجريدي:

و يكون ذلك باستعمال الحجج و البراهين على طريقة برهانية و منطقية ، تستند إلى الاستدلال بالحجج المتوفرة والتي يوافق عليها طرفا العملية الحجاجية ، فتكون الحجج مبنية بطريقة منطقية و برهانية (لا تستند لا إلى مجاز و لا إلى تأثير عاطفي ، و لا إلى بديع أو صنعة في الخطاب ، فهو : " الاتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان، علما بأن البرهان هو

¹ المرجع السابق ، ص 228.

الاستدلال الذي يُعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها"¹.

وهو أيضا "توظيف الحجة للبرهنة على صحة مقدمة نتیحتها معلومة لدى السامع، لكن يحاول المتكلم الزيادة والتأكيد على صحتها في ذهنه"².

4-2-2-4 / الخطاب الحجاجي السلطوي : وهو الحجاج الذي يصدر من مخاطب يملك في المجال الذي يخطب فيه أو يرسل رسائله ما يمكن أن يسمى "بالخبرة أو المعرفة العلمية" ، كأن تكون للشخصية المتكلمة "قيم راسخة و باعٌ طويل في المجال الذي يتحدث فيه ، و يمكن أن يُضاف إليه الاحتجاج المستمد من المكانة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي يتمتع بها المتكلم"³.

4-2-2-5 / الخطاب الحجاجي الجماهيري :

و هو ذلك الحجاج الموجه إلى الجماهير عبر كل قنوات الاتصال الممكنة ، مسموعة كانت أو مرئية أو مكتوبة ، و التي يعمد فيها المحاجج إلى جماعة معينة بغية إقناعهم بأمر معين ، فإذا تحمسوا له و تحركوا في سبيل إنجازهِ ، فقد أدى الحجاج غايته⁴ ، و قد اشتهر هذا النمط من الحجاج لاستعمالاته التجارية أو السياسية الواسعة .

¹ المرجع نفسه، ص 226.

² عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 81.

³ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص 226..

⁴ ينظر : المرجع السابق ، ص 82.

3-4 / خصائص الخطاب الحجاجي:

لقد وقفنا مما سبق على أنه ليس كل خطاب يكون بالضرورة خطابا حجاجيا، بل إن الخطاب الحجاجي يمتلك خصائص ومميزات يتباين من خلالها عن غيره ولذا سنحاول الوقوف عليها وهي كالآتي:

أ / خاصية البناء والدينامية:

الحجاج ليس عبارة عن قوالب جاهزة توجه إلى المتلقين، بل هو عملية بناء، إذ أن المحاجج يبني خطابه بالتدرج وفق تصوراته من جهة ومن جهة ثانية وفق مقتضيات المقام الحجاجي حتى يصل بهذا الخطاب الحجاجي إلى صورته النموذجية، ومن هنا يصبح الحجاج ذا فعالية خطابية ودينامية تواصلية.

ولكي يكون الحجاج فعالا لا بد من مراعاة عناصره وطرق بنائها وتفاعلها فيما بينها ، بالإضافة إلى تكيفها مع مقتضيات المقام وتصورات المحاججين ، لأن الحجج و آليات بنائها طبعا ستختلف باختلاف المقام الحجاجي، وهذا ما سيعطي الخطاب الحجاجي فعالية ودينامية.¹

ب / خاصية التفاعل:

الخطاب الحجاجي هو تفاعل بين ذاتين، ولذا يبني على مبدئين هما مبدأ الادعاء ومبدأ الاعتراض، ويؤديان إلى الاختلاف في الرأي أو الدعوى ويدفعان إلى الدخول في ممارسة الدفاع أو الانتصار للدعوى وهو ما يؤدي إلى تحقيق نوع من التزاوج الظاهر أو المفترض، وهنا لا بد من أرضية مشتركة تضم كل الإمكانيات المختلفة للتفاعل المباشر وغير المباشر.

وقد ينشأ عن هذا التزاوج ازدواج في مختلف أركان العملية الحجاجية:

¹ ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، افريقيا الشرق، المغرب، 2006م، ص 129 – 130.

- ازدواج في القصد: أي حصول الوعي بالقصد عند كل منهما.
 - ازدواج التكلم: كما لو كان المستمع هو الذي يتكلم، أو كما لو كان المتكلم يحمل لسان المستمع.

- ازدواج الاستماع: كما لو كان المستمع يحمل المتكلم في سمعه.
 - ازدواج السياق: يحتوي سياق إنشاء القول على نصيب من سياق التأويل، كما يحمل سياق التأويل نصيباً من سياق الإنشاء.¹

ج/ خاصية الالتباس:

إن التفاعل بين المحاجج و المحاجج يتم بواسطة اللغة التي تقيم قناة اتصال بينهما، وهذه اللغة هي خزان يمد المتكلم بكل الإمكانيات التعبيرية التي يعبر من خلالها عن كفاءته اللغوية وطاقته الإبداعية فلا يدخر سبيلاً لكي يصل إلى عقل مخاطبه بغية التأثير فيه ولجمه بالحجة والدليل، إلا أن الالتباس المقصود هنا هو الذي يأتي عن طريق المجاز لأن العبارة إذا جاءت عادية لا يعيرها المستمع أي اهتمام، ولكن إذا جاءت مجازية ستحرك آليات الفهم والتأويل لديه وتدفعه نحو اعتقاد ما.²

د/ خاصية التأويل:

وهذه الخاصية من أهم خصائص الخطاب الحجاجي لأن الحجاج فعل ورد فعل، والقول الحجاجي لا يقاس إلا برد فعل المتلقي له وتقييمه له، وهذا التقييم " قد يكون تقيماً إيجابياً أو سلبياً على مستويين:

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 130.

² ينظر: المرجع نفسه، ، ص 131.

مستوى أول عن طريق استقبال القول، كعلامات لغوية تحول فيها الرسالة من السنن إلى الخطاب، وفي مستوى ثان تتم عن طريق تعالق عنصري الفهم والتأويل.¹

وهنا نكون أمام تأويلين أولي لمعنى القول، وثاني لمعنى القول وهذا ملائمة لطبيعة الحجاج، ثم إنه لا تأويل بدون استحضار للسياق بكل عناصره.²

هـ/ خاصية الاعتقاد:

إن الاعتقادات والتصورات المرتبطة بالذات المحاجة ضرورية في بناء القول الحجاجي، لأنها حتما سيُراهن عليها المتكلم كي يدعن السامع له ويقتنع بأفكاره وآرائه، وهذه الاعتقادات لا تقوم على قواعد مضبوطة بقدر ما تقوم على أنساق فكرية وعلل تمتزج فيها الأقوال بالأفعال، والمبادئ بالمسلمات والأقوال الكونية بالأقوال السياقية الظرفية، ثم إن هذه الاعتقادات قد تكون قيما مشتركة بين جماعات وهي لا تفرض نفسها على القول الحجاجي ولكن يكون لها معنى بالنسبة لكل فاعل، وهذا المعنى المحصل نتيجة فعالية خطابية تواصلية يكون للحجاج فيها دورا مركزيا.³

و/ خاصية الانتهاض إلى العمل:

هذه الخاصية تتعلق بالشرعية التي يكتسبها القول الحجاجي من لدن صاحبه وهي تقتضي مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه، وتصبح هذه المطابقة حجة في صالح المتكلم، وهذه الخاصية مبدأ ضروري في كل العمليات التخاطبية والتواصلية والتعاملية وهي " الدليل الذي يجب اعتماده للعمل بعد

¹ المرجع نفسه ، ، ص 132.

² ينظر: المرجع نفسه ، ص 132.

³ ينظر: المرجع نفسه ، ص 133 - 134.

أن يكون الاعتقاد قد حصل مما يجعل القول الحجاجي مرهونا بالاقتناع والعمل، وفي حالة انتفاء العمل يصبح الدليل على القول حجة ضد المتكلم وينقلب إلى تبكيت وتهايف.¹

4-4 / آليات الخطاب الحجاجي وتقنياته :

يقسم بيرلمان وزميلته تقنيات الحجاج اللغوية إلى فئتين، هما: تقنيات طرق الوصل، وتقنيات طرق الفصل، ويقصد بالأولى " ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا أو إيجابا، وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"².

و يرى عبدالهادي بن ظافر الشهري أنه يمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى:

4-4-1/ الأدوات اللغوية الصرفة : مثل: ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل السببي، والتركيب

الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية، والحجاج بالتبادل، والوصف.

أ- ألفاظ التعليل : "و تعد من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي و بناء حججه فيه ، و منها : المفعول لأجله ، و كلمة السبب ، و لأن . إذ لا يستعمل المرسل أي أداة من هذه الأدوات إلا تبريرا أو تعليلا لفعله ، بناء على سؤال ملفوظ أو مفترض " ³.

¹ المرجع نفسه ، ص 135.

² الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 477.

³ المرجع نفسه ، ص 478.

ب- الأفعال اللغوية : و من بينها الأفعال التقريرية للتعبير عن وجهة نظر المحاجج ، و الأفعال الالتزامية للتعبير عن قبول وجهة النظر ، و بعض الأفعال التوجيهية ، بالإضافة إلى الاستفهام الذي يمكن أن يُعتبر من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا ، فهو تفاعلي و استدراسي و هو ما يتوسل به الكثير في فعلهم ، إذ إنّ طرح السؤال يمكن أن يضخّم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما ، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم¹ .

ج- الحجاج بالتبادل : و يحاول المرسل بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين ، مثل قولك (لا ترضى لي إلاّ ما ترضاه لنفسك) و ما يهم هنا هو إقناع المرسل بتطبيق قاعدة العدل ، و كثيرا ما نجد هذا النوع (الحجاج بالتبادل) في النصائح² .

د- الوصف : و هو تقنية حجاجية يشمل مجموعة من الأدوات اللغوية ، من بينها : الصفة و اسم الفاعل و اسم المفعول .

4-4-2/ الآليات البلاغية: والمقصود بها الحجاج بالمجاز والصور البيانية كالاستعارة والكناية والتشبيه، فهي أشد وقعا على النفس، ولها قوة التأثير في السامع³.

و نذكر منها على سبيل -المثال- تقسيم الكل إلى أجزاء، والاستعارة ، على أن نخوض فيها الفصلين المواليين

أ- التفرع أو تقسيم الكل إلى أجزاء : و هو عملية حجاجية تقوم على ذكر مجموعة من الحجج أو الأدلة أو المعطيات تشكّل في اتحادها دعوى معينة ، يعتمد المحاجج إقناع المتلقي

¹ ينظر : المرجع نفسه ، ص 483-484 .

² ينظر : المرجع نفسه ، ص 486 .

³ ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 91-92.

بها ، و لكنه (المحاجج) يلجأ إلى سرد أجزاءها بدلاً من سردها جملة واحدة ، و ذلك لما لتفريعاتها و تقسيمها من أثر إقناعي و حجاجي أكبر و أقوى لدى المتلقي ، فقد يذكر المرسل حجته كلياً في أول الأمر ، ثم يعود إلى تفريعاتها و تعداد أجزائها ، إن كانت ذات أجزاء ، و ذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية ، فكل جزء منها هو بمثابة دليل على دعواه¹ .

ب- الاستعارة : هي إحدى الأدوات الإستراتيجية الموظفة في الخطاب ، حيث تقوم بكشف البعد الإيحائي و المجازي للغة ، فالصورة الاستعارية تحتزن قوتها الحجاجية فيما تقوم به من أعمال الذهن من جهة ، و تحرك النفس و العاطفة من جهة أخرى ، "فالاستعارة تعمل في النفس عمل السحر ، فهي تحرك و تفجر ، و هي في نفس الوقت تطف و تهون ، فحينما نرى الإسلام يبكي و يصرخ و يستجير ، و حينما نرى المساجد و المنابر هي الأخرى تبكي و تدمع و تصرخ ، حينما نرى ذلك كله لا نملك سوى الانفعال و الثورة"² ، و بهذا كانت الاستعارة من بين أكثر المباحث اهتماماً ، سواء في الحضارات الغربية القديمة - كما هو الحال عند أرسطو - أو العربية - كما احتفى بها عبدالقاهر الجرجاني - خصوصاً في الأسرار و الدلائل .

4-4-3/ الآليات شبه المنطقية: ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية ، ويندرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط الحجاجية : (لكن، حتى، فضلاً عن، ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد) و العوامل الحجاجية من قبيل : (كاد، قليلاً، ربما، تقريباً، كثيراً، ما...إلا) ، ودرجات التوكيد، والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية، مثل التعدية بأفعل التفضيل والقياس وصيغ المبالغة³.

¹ ينظر : المرجع السابق ، ص 494 .

² أيمن أبو مصطفى ، الحجاج ووسائله البلاغية في النثر القديم ، سلسلة الرسائل الجامعية ، د.ط ، الرياض ، د.ت ، ص 173 .

³ ينظر : المرجع السابق ، ص 477 .

أ- الروابط الحجاجية : و "دورها هو الربط الحجاجي بين قضيتين ، و ترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب ، و من هذه الروابط : غني عن القول ، لكن ، حتى ، بل ، فضلا عن ، و هذه الروابط هي ما يسميه المنطقة باللفظ- الأداة ، و هو لفظ لا يدلّ بحد ذاته على أي معنى ، و إنما من طبيعته أن يربط فقط بين الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها"¹

ب- العوامل الحجاجية : وهي التي تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم أدوات من قبيل: كاد، قليلا، ربما، تقريبا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر² .

بالإضافة إلى درجات التوكيد في الخطاب الخبري، والإحصاءات ، و الصيغ الصرفية و التعدية و القياس وغيرها ..

و من بين تقنيات الحجاج أيضا الاعتدال في استعمال الوسائل الحجاجية ، كما يرى بيرلمان و تيتيكاه في كتابهما "مصنف في الحجاج" ، فقد تطرقا إلى الدور الذي يلعبه "التمثيل" في الإبداع و في الحجاج على حدّ سواء ... فالتمثيل في مجال الإبداع يختلف عنه في مجال البرهنة و الحجاج من حيث اتّساع مدى هذا التمثيل أو عدم اتساعه ، ففي حين لا شيء يمنع من أن يطول التمثيل و يمتد في مجال الإبداع ، يُطلب من التمثيل في مجال الحجاج أن يلتزم بحد معين و إلاّ فقد طاقته الإقناعية"³ ، و لعل مرجع ذلك تداولي بحت ، فاستجلاب تجاوب المتلقي مع التمثيل يقتضي عدم الإطالة و الإسهاب ، تماما مثلما يقتضي ترك الفراغات التي تستدعي تفاعل المتلقي و إسهامه .

¹ الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 508 .

² أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.

³ صولة عبدالله ، في نظرية الحجاج - دراسات و تطبيقات - ، ص 60 .

و إذا كان لمنطلقات الحجاج أهمية في العملية الحجاجية ، فإن من بين أهم وسائل استثمارها هو مبدأ و وسيلة الحضور ، فمهما كان المنطلق الذي قد يستعمله الخطيب ، سواء كان من الوقائع أو الحقائق أو الافتراضات أو القيم أو غيرها ، و ذلك طبعاً بعد وسيلة الانتقاء ، فبعد أن ينتقي الخطيب لخطابه الحجاجي المنطلقات التي سيستعين بها ، يتعين عليه استحضار هذه العناصر المنتقاة ، و جعلها ماثلة بين أعين المخاطبين و في أذهانهم ، و هذه الوسيلة ، أي وسيلة الإحضار ، عامل جوهري في الحجاج لطالما أهمله المنظور العقلاني في الاستدلال ، و يضيف الدكتور عبدالله صولة قائلاً : " إن من مشاغل الخطيب أن يخرج ما يعتبره مهمّاً بالنسبة إلى حجاجه ، من حيز الغياب إلى حيز الحضور ، كما أنّ عليه أن يشدّد على بعض العناصر الحاضرة في أذهان سامعيه ، فيجعلها أكثر حضوراً فيها ، و من هنا يأتي دور الخطابة ، فهي من حيث إنّها تقنية ، تتيح لنا أن نسلطّ العقل على الخيال من أجل أن نحرك الإرادة ، إنما ترتبط جوهرياً بمسألة الحضور "1

كما أن من بين الوسائل و الآليات الحجاجية التي يعمد من خلالها الخطيب إلى التأثير في المتلقي ، هو ما أشار إليه بيرلمان و تيتيكاه في مصنفهما و ذلك أن بعض شيوخ الخطابة في الغرب ، ممن يسلكون أيسر السبل إلى التأثير ، يوصون بالالتجاء إلى استخدام أشياء مادية من أجل التأثير في جمهور السامعين مثل تلويح " أنتوان Antoine " بثوب القيصر الملطّخ بالدم في وجوه الرومان ، و كان يُحضر أبناء المتهم أمام القضاة لاستدرار الشفقة²

و من الوسائل الحجاجية التي ينبغي على الخطيب أن ينتبه لها ، لما لها من أهمية في توجيه الانتباه بل و المشاعر لدى المتلقي ، هي مسألة اختيار النعوت أو الصفات Le choix des qualifications ، فالصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة ، إذ نختارها ، تجلي وجهة نظرنا و موقفنا من الموضوع ، و يبدو هذا خاصة حين نجد صفتين متناظرتين - و لكنهما

¹ ينظر : المرجع نفسه ، ص 31 .

² ينظر : المرجع نفسه ، ص 31 .

متعارضتان - قابلتين لأن تظهرا في الخطاب ، و يكون اختيار إحداهما كاشفاً عن رؤيتنا الخاصة ، كأن يقال مثلاً عن "أورست Oreste" : "قاتل أمه " أو " الآخذ بثأر أبيه " ، فالشاهد هنا من اختيار صفة معينة دون أخرى (على الرغم من توافر الصفتين لدى أورست في هذا المثال) لا يرجع إلى إرادتنا تصنيف الموصوف في خانة مع العناصر التي يشاركها في تلك الصفة ، كما لا يرجع إلى الكشف عن موقفنا منه فحسب ، و إنما المقصد الحجاجي من إطلاق الصفة ، تحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يُحكم به عليه .¹

و الحقيقة أنه لا يمكن اعتبار هذه الآليات و التقنيات حُججا بعينها ، بل هي أوعية أو قوالب لها ، تنظّم العلاقات بين الحجج و النتائج ، و تعين المرسل على تقديم الحجج في الهيكل الذي يناسب السياق² ، و قد اقتصرنا على ذكر بعضها دون الأخرى في هذا الفصل ، على اعتبار أنها من مباحث الفصلين المواليين ، حيث سنتطرق في الفصل الثالث إلى الآليات اللغوية و التداولية ضمن رسائل ابن أبي الخصال ، بينما يختص الفصل الرابع بالآليات البلاغية و الشبه منطقية في الخطاب الحجاجي الترسلّي لابن أبي الخصال .

¹ ينظر : المرجع نفسه ، ص 32 .

² ينظر : الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 477.



الفصل الثالث :

آليات الحجج اللغوية

في رسائل ابن

أبي الخصال



تمهيد:

تعد رسائل ابن أبي الخصال من أجود وأرقى ما أوثر عن التراث الأندلسي فقد كشف من خلالها الكاتب عن كفاءة تداولية وطاقاة حجائية تجاوزت الفهم والإفهام إلى التأثير والإقناع والإذعان، وهذا ما جعل من رسائله رسائل حجائية تكيفت مع مقتضيات عصره، ذلك العصر الذي عرف بعض المظاهر التي هددت أركان الدولة الإسلامية في الأندلس، فكانت غايته هي الدفاع عن هذه الدولة بالكلمة والقلم من أجل التأثير في السلوك والأفكار، والتنبيه على الأخطار المحدقة بأركان هذه الدولة.

فابن أبي الخصال عايش أهل زمانه عن قرب وكان عالما بأحوالهم، لذا جاء خطاب رسائله مطابقا لمقتضيات المقام، فالظروف السياسية والاجتماعية جعلت من شخصيته شخصية هادفة تسعى إلى اصلاح المجتمع الأندلسي وتغيير سلوكاته ومعتقداته، واستنهاض الهمم لإدراك المخاطر المحدقة.

وذلك لأن الحجاج " يستمد خصائصه وقيمه من الحقل الذي تتحقق فيه شرعيته، وقد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس وقيمهم، أو يكون هو الفكر والتفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيدا وتجريدا.¹"

وقد استطاع ابن أبي الخصال في رسائله أن يشكل ذاتا محورية تقيم توأصلا مع أطراف متعددة بتعدد مقاماتها ومخاطبيها، لذا نجد أن لكل رسالة عنده استراتيجية معينة تختلف باختلاف موضوعها ومقامها وأحوالها.

وإذا كانت الحوارية هي أهم تجل من تجليات البعد التداولي في الخطاب الحجاجي، فالرسالة أقرب خطاب يحقق ذلك، وهي العلاقة التخاطبية التي يقيمها ابن أبي الخصال بينه وبين مخاطبيه، والتي تتغير وتتغير فيها الأداءات في ظاهري:

¹ حبيب أعراب، الخطاب الحجاجي، ص 99 - 100.

- التشخيص: وهو خاصية تلفظية تتميز بحدة العلاقة الخطابية مع الشريك أكان حقيقيا أو متخيلا فرديا، أو جماعيا، أي هو تجريد ذات ثانية ينزلها المخاطب من نفسه منزلة المعارض على دعواه وهو نوعان: صريح وضمني.

- المقام: وهو مفهوم تجريدي يدل على الموقف التواصلية، وتلتقي فيه جميع العناصر الحجاجية من مقدرات برهانية وحقائق فعلية وقرائن بلاغية وقيم شتى أقسامها. وهو شرط تداولي بلاغي يعنى بضرورة موافقة أفعال القول لمقتضى الحال والموقف الخاص به.¹

ثم إن البراعة الأسلوبية التي تميز بها ابن أبي الخصال جعلت منه سيد كتاب الأندلس وقد انعكست هذه البراعة على رسائله، فقد استطاع بأسلوبه الأخاذ أن يأسر متلقي رسائله ويفحهم بعذوبة ألفاظه وقوة معانيه وبلاغة بيانه لأن "الفعالية الحجاجية لا تظهر وتنسجم لغويا إلا بمهارات أسلوبية وتأثيرات بلاغية، فهذه العوامل تخضع للشروط الإبداعية الابتكارية كمتطلبات جمالية وألبسة يتلبسها مسار الحجاج وعلاقاته الداخلية، هكذا تتفاوت هذه العوامل من نص حجاجي إلى آخر. فالأساليب ومهارات البيان والتبيين تقوي الحجج وتزيد من فعاليتها، أي تعمل لصالح التأثير والإقناع."²

فالخطاب الحجاجي المعاصر أصبح يعنى كثيرا بالاستراتيجيات والآليات التي تسهم في بناء هذا الخطاب واعطائه دينامية وحركية يهدف من خلالها إلى "الأسر والاستمالة استنادا إلى أنماط الاستدلالات غير الصورية، وذلك بغاية إحداث تأثير في المخاطب بالوسائل اللسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول، من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية."³

¹ هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، العدد 05، مارس 2006م، ص 192.

² المرجع السابق، ص 106.

³ عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 67.

ومما سبق يمكن القول أن الذي نسعى إليه في دراستنا هذه هو الوقوف على أهم الوسائل والآليات الحجاجية التي ضمنها ابن أبي الخصال رسائله لخلق دينامية وفعالية للرسالة التي تعتبر أهم مظهر من مظاهر اللغة الطبيعية تتجسد فيه مفاهيم التواصل والتخاطب هذا من جهة، ومن جهة ثانية إن " بناء القول الحجاجي - استراتيجية وعملية تكتيكية - تتشكل عن طريق تفاعل مكوناته الداخلية (استدلال وآليات ومفاهيم ...) والخارجية (وقائع إنسانية، تجربة، أسباب ومسببات ...)¹

وسنكشف من خلالها أيضا عن القيمة الحجاجية للرسالة في العصر الأندلسي عموما وعند ابن أبي الخصال بالخصوص، الذي غلب على رسائله الطابع الحجاجي.

¹ المرجع نفسه ، ص 156.

1/ آليات الحجاج اللغوية عند ابن أبي الخصال:

لقد كان النظر في عرف الدراسات اللغوية التقليدية إلى اللغة باعتبارها الوسيلة التي يتواصل بها الناس بينهم للتعبير عن حاجاتهم وأغراضهم، إلا أن هذا المفهوم بدأ يتلاشى مع تطور الدراسات اللسانية الحديثة خاصة مع بروز التيار التداولي الذي درس اللغة في الاستعمال متجاوزا بذلك الإطار الشكلي للغة، إذ أنه لم يتوقف بالبنى اللغوية عند دلالاتها ومقاصدها التداولية، بل نظر إلى ما تحدّثه هذه البنى في المتلقين، والأثر الذي تتركه عليهم، أو بصورة أخرى، كيف تؤثر باللغة؟

لأن اللغة " تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، نذكر منها على سبيل المثال هذه الأدوات: لكن، بل، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما، إلا..."¹.

ومن هنا أصبح لنظرية الحجاج في اللغة شأنها في الدراسات اللسانية الحديثة بما قدمته من تصورات وطروحات تجاوزت فيها البلاغة الكلاسيكية، والبلاغة الحديثة.

وقد ارتبط هذا التوجه في مجال الحجاج بالنظرية اللغوية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أوزفالد ديكرود منذ سنة 1973م، هذه النظرية اهتمت بالوسائل اللغوية والإمكانات التي تتوفر عليها اللغات الطبيعية، وبينت دورها في تحقيق الأهداف الحجاجية.²

وقد انبثقت هذه النظرية من رحم نظرية الأفعال الكلامية عند كل من أوستين و سيرل، والتي طور أفكارها ديكرود فيما بعد، وأضاف فعلين آخرين هما، فعل الاقتضاء وفعل الحجاج.³

¹ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 32.

² ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، 2008م، ص 50.

³ ينظر: حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص 57.

حيث أنه أضحي للغة وظيفة حجاجية تتجلى في الأبنية القولية صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا، وهذا ما ذهب إليه أوزفالد ديكرود في نظريته الحجاجية التي تعنى بدراسة " الوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية، مع دراسة الأهداف الحجاجية ورصد تأثيرها التداولي على المستمع ، ويعني هذا أن الأقوال اللغوية تحمل في جوهرها مؤشرات لسانية ذاتية تدل على طابعها الحجاجي، دون أن يكون ذلك متعلقا بالسياق التداولي الخارجي".¹

وذلك لأن الحجاج يستهدف المحاجج بالأدلة والبراهين التي تؤدي إلى نتيجة معينة، تتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، أو متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها، ومن هذا المنطلق يمكن القول أن التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا بواسطة بنية الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها.²

وبما أن الحجاج يتمظهر في تمفصلات الخطاب، فإن للحجج اللغوية سمات تميزها عن الحجج الأخرى:

1/ إنها سياقية: فالعنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإن السياق هو الذي يصيّر حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة المتضمنة لقضية واحدة، قد تكون حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.

¹ جميل حمداوي، نظريات الحجاج ، ص 34.

² المرجع السابق ، ص 57.

2/ إنها نسبية: فلكل حجة قوة حجائية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف.

3/ إنها قابلة للإبطال: إن الحجج اللغوية عموماً، نسبي ومرن وتدرجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي.¹

وإذا كان للحجج اللغوية سمات تميزها عن غيرها من الحجج، فإن هذه الحجج لا يمكن لها أن تظهر في بنية الخطاب اللغوي إلا بواسطة أدوات لغوية تعمل على الربط بين أجزاء الخطاب من جهة، وتعمل من جهة ثانية كمؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، لأن المتكلم يعتمد إلى استراتيجيات معينة بهدف التأثير في المتلقي واستمالته ليحقق الإقناع ويصل إلى المراد، ولا يتأتى له ذلك إلا من خلال مجموعة من الوسائل اللسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول، وهي عبارة عن مجموع الآليات والأدوات والبنى المنطقية واللغوية والتداولية والمعرفية.

1-1/ الآليات اللسانية:

تعتبر الآليات اللسانية أو الأدوات اللغوية من أهم ركائز الخطاب الحجاجي التي يستخدمها المتكلم في تكوين بنية خطابه الحجاجي، مما يعطي اللغة إضافة إلى بعدها التواصلية بعدا آخر حجائيا، لأن القول "باعتباره تركيباً لسانياً لا يمكن أن يتحقق فقط عن طريق العلاقات الداخلية بين مكونات اللغة، بل يتم اللجوء إلى هذه المكونات من أجل إعطاء القول قوته الدلالية وملاءمته التداولية وإبراز خصوصيته الحجاجية."²

¹ المرجع نفسه، ص 59.

² عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 72.

ولذا فإن منطق اللغة الطبيعي يقتضي أن ننظر إلى التركيب اللساني من أبعاد متعددة، ومن هنا يعتبر المنهج التداولي أفضل المناهج التي تبرز العلاقة بينها، وتظهر فعاليتها، وأثرها في تماسك الخطاب داخليا وخارجيا، وتضمن استمرارته ، وتمثل هذه الأبعاد في:

- الاتساق التركيبي: وهو الإحكام الداخلي للغة عن طريق قواعد النحو التي تقوم بإيضاح الفروق بين معاني الكلم.

- التناسق الدلالي: والمتمثل في صلابة المعنى الكلي، انطلاقا من معاني الكلمات المتجاورة معجميا (منتمية إلى نفس الحقل المعجمي).

- التلاؤم التداولي: وهو الملاءمة بين السياق اللغوي الداخلي والمقام الخارجي.

- الأثر الحجاجي: وهو عن طريق نظم البنية اللغوية يتم تحريك انفعال المخاطب أو استمالاته، أو الدفع به نحو قبول فكرة معينة (الإقناع)¹ ، وهذا الذي ميز الأعمال التي قدمها كل من ديكر و أنسكومبر في تصورها القائم على عدم الفصل بين الدلالة والتداولية.²

وعند الحديث عن هذه المكونات والآليات اللسانية وبعدها الحجاجي في ضوء مستويات التحليل اللغوي لا بد من الإشارة إلى أنها ستظل خاضعة سواء من حيث عملها أو أثرها إلى مقتضيات وخصائص النظام اللغوي الذي تتبعه ، ومن هنا يمكن القول أن هذه الآليات اللسانية إذا نظرنا إليها من منطق النظام اللغوي للعربية نرى أنها تأخذ أبعادا أخرى ترجع إلى مرونة النظام اللغوي نفسه ومميزاته.

¹ المرجع نفسه ، ص 73.

² ينظر: شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية، ص 351.

ومما سبق سنحاول الوقوف على أهم هذه الوسائل اللغوية وإبراز دور " المكونات اللسانية ووظائفها السياقية والتداولية باعتبارها الخطوة الأولى لفهم قوة الكلام وتأثيره في الآخر، وهذا هو المدخل الأساسي للحجاج.¹

أ- الروابط والعوامل الحجاجية :

تلعب الروابط والعوامل الحجاجية دورا كبيرا في الربط بين أجزاء الخطاب بما يضمن تسلسله وتدرجه وفق مقاصد المتكلمين ومقتضيات التخاطب وظروفه وملاساته، ولذا فإن النظام اللغوي للعربية غني بما إذ يعمد " المخاطب إلى توظيفها بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة، وتنوع وظائفها في السياقات الممكنة."²

وتقسم هذه الأدوات والمؤشرات الحجاجية إلى قسمين هما:

- الروابط الحجاجية les connecteurs : وهي تعمل على الربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسد لكل قول دورا محددًا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، إذ...³

ويمكن أن نميز بين أنماط كثيرة من الروابط:

أ/ الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع، ذلك، لأن...) والروابط المدرجة للنتائج: (إذن، لهذا، وبالتالي...).

¹ ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، (مرجع سابق)، ص 74.

² حافظ اسماعيلي علوي، الحجج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 79.

³ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.

ب/ الروابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما ...)، والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

ج/ روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك، ...)، وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما...)¹.

- العوامل الحجاجية les opérateurs : وهي التي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم أدوات من قبيل: كاد، قليلا، ربما، تقريبا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر.²

ب/ الأفعال اللغوية:

تقوم الأفعال اللغوية في بنية الخطاب بأدوار حجاجية مختلفة بين طرفي الخطاب ، فمن ذلك استعمال الفعل التقريري لتحديد وجهة نظر أو موقف معين، أو لتأكيد الادعاء ودعم وجهة نظر ما، ومنه أيضا الأفعال الالتزامية التي تستعمل عند التزام المتلقي بتنفيذ أمر ما أو القيام به، ومن هنا يمكن القول أن للأفعال اللغوية دورا حجاجيا في بنية الخطاب إلا أن ذلك لا ينطبق على جميع الأفعال، كالأوامر على سبيل المثال وأفعال التحريم.³

وتدخل أفعال اللغة ضمن الآليات اللغوية للحجاج إلا أننا آثرنا أن ندرجها في الفصل الرابع ضمن آليات الحجج البلاغية والتداولية، لأن نظرية الخبر والإنشاء تكافئ نظرية الفعل الكلامي وتدخل ضمن مباحث البلاغة.

¹ المرجع نفسه ، ص 30.

² المرجع نفسه ، ص 27.

³ ينظر: حافظ اسماعيلي علوي، الحجج مفهومه ومجالاته ، ج1، ص 84 – 85.

ج/ الوصف : ويتمثل الوصف في المشتقات كالصفة، واسم الفاعل، واسم المفعول... وهي كثيرة في اللغة العربية وثرية وتستعمل وفق سياقات متعددة يقتضيها المقام ، ومن ذلك استعمال الصفة التي تمثل حجة للمخاطب في خطابه حيث يستعملها بإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المخاطب ، ومن ذلك أيضا استعمال اسم الفاعل الذي يحاجج المخاطب به ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد أن تنبني عليه النتيجة التي يرومها.¹

1-2/ الآليات شبه المنطقية:

لقد ارتأينا أن ندرج الآليات شبه المنطقية ضمن آليات الحجج اللغوية لعلاقتها المباشرة بها، و باعتبار أن هذه الآليات يجسدها السلم الحجج بالآليات وأدواته اللغوية ، فأدوات من قبيل (لكن، حتى، فضلا عن، ليس، أدوات التوكيد، والصيغ الصرفية، وصيغ المبالغة، والقياس)، تدخل كلها ضمن الآليات شبه المنطقية.²

السلم الحجج :

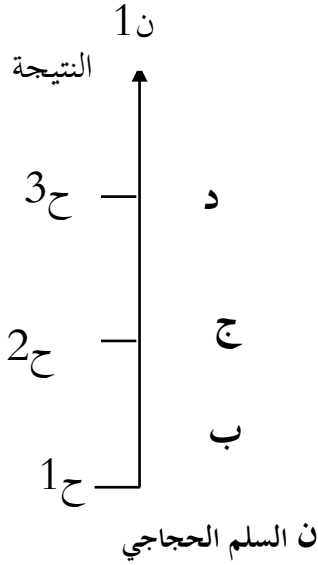
لقد ارتبط الحجج عند ديكرو ب" مفهوم السلم الحجج الذي تُشكل الروابط المنطقية أو العلامات اللسانية درجاته ، وهذه العلامات هي عبارة عن مداخل معجمية، لها خصائص جوهرية في القول تربط بين سلم حجج موجه نحو كم معين ، وبين سلم موجه نحو أنواع النتائج المطلوبة، فالسلم الأول يوافق ما هو كمي، والثاني يوافق ما هو حجج.³

¹ ينظر: المرجع نفسه ، ص 89 – 90.

² ينظر: المرجع نفسه ، ص 79.

³ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 84.

ولذا يعرف السلم الحجاجي بأنه "علاقة ترتيبية للحجج ويرمز له ب (ن) نتيجة وأما (ب ، ج ، د) فهي حجج تُخدم النتيجة (ن)¹



ومما يتميز به السلم الحجاجي أنه حينما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي، وهو بدوره فئة حجاجية موجهة، ويتميز بما يلي:

- أ - كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة ل (ن).
- ب - إذا كان القول (ب) يؤدي إلى النتيجة (ن)، فهذا يستلزم أن (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح²، ومثال ذلك قولنا:

1- حصل خالد على شهادة البكالوريا.

2- حصل خالد على شهادة الليسانس.

3- حصل خالد على شهادة الماجستير.

¹ المرجع نفسه ، ص 20.

² المرجع نفسه ، ص 21.

تتضمن هذه الجمل حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية، وكذلك إلى نفس السلم الحجاجي لتؤدي نتيجة مضمرة وهي كفاءة خالد العلمية، ومما يلاحظ على هذه الجمل أن القول (3) أعلى درجة وأقوى في السلم من القولين (2 - 1)، والقول (2) أقوى من القول (1). وأما بالنسبة للنتيجة فكل الأقوال تؤدي إليها.¹

ونبه في هذا السياق إلى أن السلم الحجاجي لا يقتصر على العلاقات اللغوية والشبه منطقية فقط، بل قد يتجاوزها فتدرج ضمنه كثير من أدوات الحجج وآلياته²

وبعد ما وقفنا على أهم آليات الحجج والتي يمكن أن تصنف ضمن الإطار اللغوي، وهي الآليات اللغوية والشبه منطقية، سنحاول في ما يلي أن نرصد هذه الآليات من خلال مدونة بحثنا والمتمثلة في رسائل ابن أبي الخصال ، لإبراز أثرها في تسلسل بنية الرسالة وترابطها، وتماسكها بما يتلاءم ومقتضيات السياق التخاطبي والمقام من جهة، ومن جهة ثانية الكشف عن الطاقات الحجاجية في بنية الرسائل وبيان الاستراتيجية التي اعتمدها ابن أبي الخصال في توظيفه لهذه الآليات، من أجل تعزيز الحجج، وتحقيق الإقناع ، والكشف عن مدى فعاليتها في المحاجة.

¹ المرجع نفسه ، ص 21.

² ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 504.

1/ حجاجية الروابط:

الرابط الحجاجي ((لكن)):

يعبر الرابط الحجاجي (لكن) عن معنى التعارض والتنافي بين ما قبله وما بعده، ويستعمله المتكلم لعكس الاستدراك وتوجيه المحاجج لما سيتلوها اعتمادا على ما قبلها، والحجة التي تأتي بعدها تكون أقوى من التي قبلها.¹ وقد وظف ابن أبي الخصال هذا الرابط والذي سنقف عليه من خلال الأمثلة التالية:

المثال 01:

جاء في معرض رسالة كتبها ابن أبي الخصال لصديقه يعلمه فيها بتوفير الرعاية لرجل أصيب في ماله، ويحثُّ الكاتب في ذلك بأنه لو كانت له المقدرة على توفير المساعدة لفعل، ولكنه سيسعى ويقدم الأسباب، ويبقى التوفيق بيد الله، حيث يقول: " ... ثم أردفها كتابٌ خطيرٌ في أمر الرجل المصاب بماله - جبره الله - استنفدت له وُسعي، و بلغت فيه جُهدي، ولو أتت قدرتي على جميع ما أمَل لما عاد إلا ظافرا، و لِدُنْبِ الزمان فيما جناه غافرا ، لكن على الله النجاح، وعلِيَّ المَغْدَى فيما يُرضيه و المَرَاخُ² ... و الله - عزَّ اسمه - يَنْهَضُ بما يُسْتَنْهَضُ إليه ، ويُعِينُ على ما يَزْكُو لديه ، فالخير أجمعه بيديه ، إن شاء الله"³ .

نلاحظ أن الكاتب قد وظف الرابط الحجاجي (لكن) لأن هناك تعارضا حجاجيا بين ما قبل الرابط وما بعده ، فقد استعملها الكاتب لعكس الاستدراك وتوجيه المحاجج لما يتلوها، وذلك بنفي ابن أبي الخصال القدرة عن نفسه، وإثباتها لله، لأن الكاتب قدم الأسباب وسعى في حاجة الرجل، إلا أن التوفيق والنجاح والقدرة بيده تعالى، وكأن الكاتب أراد أن يقول لصاحب المال (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) ليدفع عن نفسه شبهة عدم السعي وتقديم المساعدة، وقدم الأسباب وترك بقيته على الله.

¹ المرجع نفسه ، ص 511.

² من : غدا : خرج صباحاً (غداة) و راح : رجع في العشي .

³ رسائل ابن أبي الخصال، 87 - 88.

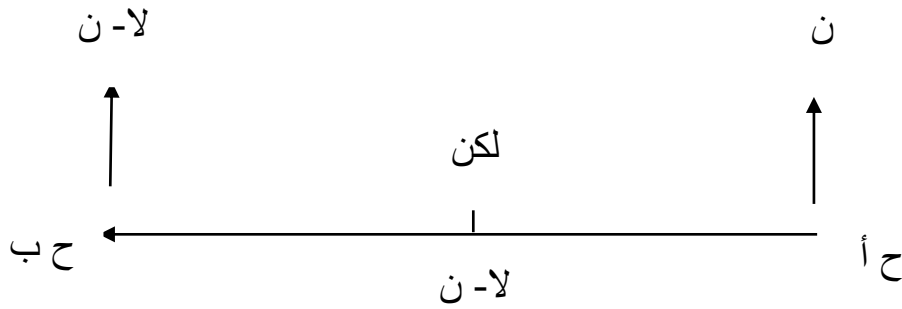
الحجة (أ) هي (لو أتت قدرتي على تقديم المساعدة وتعويض ما فقدت من المال لفعلت) نفى عن نفسه شبهة عدم السعي في حاجة الرجل وعلق القدرة والأمر بتوفيق الله.

الحجة (ب) هي (التوفيق والنجاح بيد الله والقدرة له، ومنا السعي وتقدم الأسباب) الدفع بالأسباب والرزق والتوفيق والسداد من الله.

فالحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، وهي عكس النتيجة الأولى، وقد وجهت القول بمجمله نحو النتيجة (لا - ن) حيث أننا نجد الحجة (ب) مضادة للحجة (أ) والنتيجة (لا - ن) مضادة للنتيجة (ن) و (أ) هي حجة بالنظر إلى (ن) و (ب) حجة بالنظر إلى (لا - ن) وهنا يمكن توضيح العلاقة كالاتي:

(القدرة والتوفيق والسداد لله وحده مع الأخذ
بالأسباب)

(نفى القدرة وشبهة عدم السعي عن
الكاتب)



(الدفع بالأسباب والقدرة لله وحده)

(عدم قدرة الكاتب رغم سعيه)

المثال 02:

في رسالة كتبها ابن أبي الخصال إلى أحد من ذوي الشأن والسلطان يتوسط لصديق عنده ويزكيه، يقول فيها: ((... و حُقَّ لمن فارق حنانك، و جانب مَكَانك ، و فَقَدَ قَبْلَ فَقْدِكَ إِحْسَانَكَ : أن يُمَسِّيَ خَاشِعًا، و يَمْشِي خَاضِعًا ، و لثوبِ التَّجَمُّلِ خَالِعًا . و إن كان - بحمد الله - ينزل في كل مكانٍ ينزله ، و محلًّا من محلك يستبدله ، على ما مهَّدت و أنثت¹ ، و وطأت و سهَّلت . فلا يلقى إلا صديقًا ، و لا يرى إلا من يرى لك عليه حُقوقًا . لكن قُرْبُكَ لَهُ أَوْلَى ، و رأيتُك في بَرِّهِ أَكْرَمُ و أَعْلَى؛ لا سِيَمًا و قد كنت قِيدته من تلك العصمة بما قِيدت ، و أَيْدَتُ إِقْبَالِكَ عَلَيْهِ بِمَا أَيْدَت . و مثلك إِذَا قَالَ قَوْلًا وَجِبَ، و إِذَا وَعَدَ وَعْدًا تَرْتَّبَ (...)).²

لقد وظف ابن أبي الخصال الرابط الحجاجي (لكن) لأن هناك تعارضًا حجاجيًا بين ما قبل الرابط وما بعده، وقد استعملها الكاتب لعكس الاستدراك وتوجيه الحاجج لما سيتلوها ، وذلك ليقنع ابن أبي الخصال المرسل إليه (وهو من ذوي الشأن والسلطان) أن الرجل المتشفع له، وإن وجد الرعاية من غيرك في أي منزل ينزله أو محل يجلب به، فهذه الرعاية من يدك وتحت سلطانك، لذا فإن قربه منك والرعاية المباشرة منك أولى له من رعاية غيرك ، وتكون الحجج كالآتي:

الحجة (أ) إذا نزل في أي منزل أو حل في أي محل، سيجد الرعاية ولكنها رعاية وإحاطة ناقصة.

الحجة (ب) إذا كانت هذه الرعاية مستمدة من سلطانك وتحت جنابك، فقربك والرعاية منك أولى وأوجب كمالًا وإحاطة.

فالحجة الثانية أقوى من الحججة الأولى، وهي عكس النتيجة الأولى، وقد وجهت القول بمجمله نحو النتيجة (لا - ن) حيث أننا نجد الحججة (ب) مضادة للحجة (أ) والنتيجة (لا - ن) مضادة

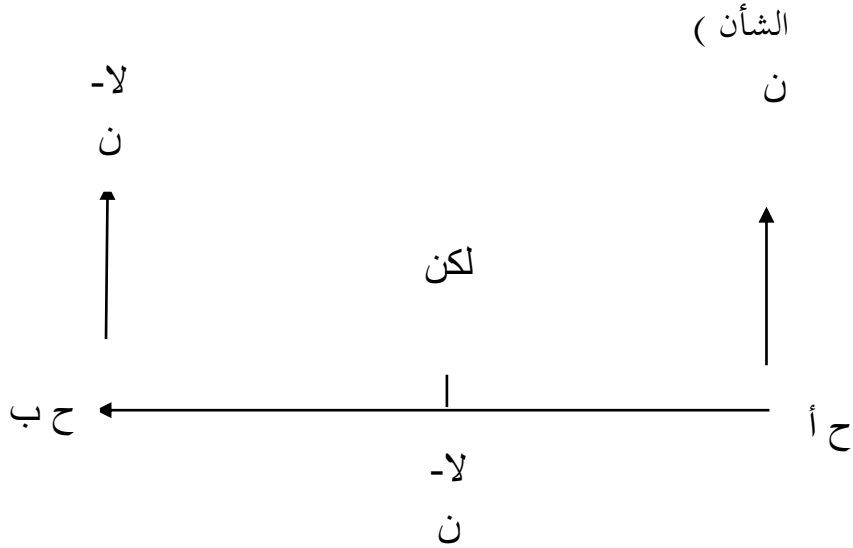
¹ أنث الله ماله : أصله و زكاه ، و منه : مجد مؤنث .

² رسائل ابن أبي الخصال، ص 130.

للنتيجة (ن) و (أ) هي حجة بالنظر إلى (ن) و (ب) حجة بالنظر إلى (لا - ن) وهنا يمكن توضيح العلاقة كالاتي:

(رعاية وإحاطة من هم دون السلطان ناقصة ومهما تكن فهذه مستمدة من سلطان أهل

(رعاية وإحاطة أهل السلطان كاملة والحصول عليها منهم مباشرة أولى وأوجب)



(رعاية عامة الناس والنزول بمنزلهم) (القرب من أهل السلطان أولى وأوجب)

المثال 03:

جاء في رسالة كتبها ابن أبي الخصال على لسان أمير المسلمين يوسف بن علي بن تاشفين إلى القاضي أبي محمد عبدالله بن أحمد بن عمر القيسي الملقب المعروف بالوحيدي، بمناسبة وفود جماعة من مالقة وما حولها في شكاوى لهم رفعوها إلى الأمير، يقول فيها: ((... تجمعت الآن بهذه الحضرة عصابات الشاكين ، و كثرت أرفاع المتظلمين ، و كان من أمورهم بين و مُشكِل ، و

فيهم مُحَقَّقٌ و مُبْطَلٌ ، فَلَمْ يَخْلُ ما كانوا يجيئون به من قَوْلٍ مُزَوَّرٍ ، و باطِلٌ في صورة الحق مُصَوَّرٌ . و عندما التبس الكذب من ذلك بالصدق ، و التفَّ المُبْطَلُ بِالْمُحَقِّقِ ، صددنا أرفاعَهُم عَنِ الوصولِ ، و صرفنا دُونَهَا وجهَ القُبُولِ ، و أوزعنا إلى جَماعَتِهِم لِمَا خِيفَناهُم من تَلْبِيسِهِم في الأُمُورِ ، و شَوْبِهِم المُبَاحَ بالمَحذورِ ، بِأَنَّا لا نَنظُرُ لأَحَدٍ مِنْهُمْ في حَقِّ يَدْعِيهِ ، و لا أمرٍ يُوجِبُهُ أو يَنْفِيهِ ، إلا بَعْدَ أن يَأْتِيَ بِبَيانٍ من قاضي بلده ، و كتابٍ يَنْطِقُ عَن صِحَّةِ ما بيده . فأنصَرَفُوا و في نُفوسِنَا - عَليمُ اللهُ - من قِبَلِهِم ما يَشُقُّ حَمْلَهُ ، و لا يَخِيفُ مِثْلَهُ ، فَإِنَّهُ لا يُمكنُ إلا أن يَكُونَ فيهِم الصَّادِقُ البَرُّ ، و الرَّجُلُ المُضْطَرُّ ، لكن الخَيْرَ أَرَدْنَا ، و البِرَّ قَصَدْنَا . ولَمَّا كان هذا وَجَبَ أن نَلتمس لأُمُورِهِم وَجهاً يُتَوَصَّلُ بِهِ إلى معرفة الصَّحيحِ مِنَ السَّقِيمِ ، و المُعَوَّجِ مِنَ القَوِيمِ (...)).¹

لقد وظف ابن أبي الخصال الرابط الحجاجي لعكس الاستدراك وتوجيه المحاجج وهو قاضي القضاة إلى النتيجة (لا - ن) وإقناعه بأن الأمير قد صرف الجماعة ولم ينظر في دعواهم لا لصرف النظر عن دعواهم ومظالمهم، ولكن ردعا لهم لحفظ هيبة القضاء ومكانة القاضي في أعين العامة لكي لا يتجرؤوا على القضاة، ولكن هذا لا يعني أنه لا يوجد فيهم المظلوم و صاحب الحق ، وتكون الحجج كالاتي:

الحجة (أ) صرفناهم رغم علمنا بأن فيهم الصادق تخدم النتيجة (ن) ظلمهم وإغماط حقهم والتهاون في نصرتهم ورد مظالمهم.

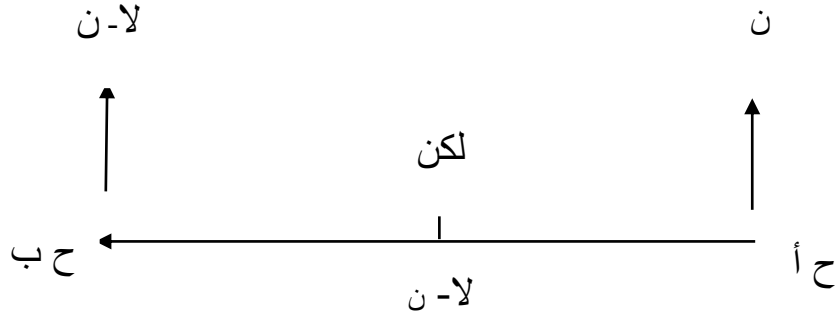
الحجة (ب) الخير أردنا والبر قصدنا، تخدم النتيجة (لا - ن) وهي حفظ هيبة القضاء وسلطانه.

فالحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، وهي عكس النتيجة الأولى، وقد وجهت القول بمجمله نحو النتيجة (لا - ن) حيث أننا نجد الحجة (ب) مضادة للحجة (أ) والنتيجة (لا - ن) مضادة للنتيجة (ن) و (أ) هي حجة بالنظر إلى (ن) و (ب) حجة بالنظر إلى (لا - ن) وهنا يمكن توضيح العلاقة كالاتي:

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 610 - 611.

(حفظ هيبة القضاء وسلطانه)

(ظلمهم وعدم رد مظالمهم)



((الخير أردنا والبر قصدنا))

(صرفناهم رغم وجود الصادق فيهم)

الرابط الحجاجي ((الواو)):

أدوات العطف من الروابط الحجاجية التي وظفها ابن أبي الخصال في رسائله لما لها من أثر في الربط بين الحجج وترتيبها أفقياً عكس ما هو موجود في السلم الحجاجي، كما أن الحجج تعضد بعضها البعض للوصول إلى النتيجة المقصودة ، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال بعض الأمثلة.

المثال 01:

يقول ابن أبي الخصال في رسالة وساطة لدى شخصية كبيرة لم يذكر اسمها بهدف إعانة صديق له أصابت جائحة ماله " سيدي الأعلى ، و ذخري الأكرم الأوفى ، و ظهيري في الجلى ، الذي أسكن إلى وفائه ، و أستظهر في المهمات بصفائه ... و يتأدى من فلانٍ جاري ، و مُعظّمك أبقاه الله ، و بيني و بينه من الأذمة الوكيدة¹ ، و الصُحبة الحميدة ، و المودّة

¹ الأذمة جمع الذمام : كلّ حقّ أو حرمة تُلزمك و تُلام إذا ضيعتها ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 78.

القديمة التليدة ، ما يقتضي مُساهمة في أحواله ، و التقدّم أمامه في عوارضِ هممه و آماله ، و تشبث من العمل بما علمته ، و وقف أمره حيثُ عَرَفْتَه ؛ و هو مطلوبٌ عنه بما لا يُبلّغه وُسعه ، و لا تَفِي به ذمته ، و غيرُ خافٍ عنك ما نالَه في مُدّة العَمَل من الجوائح المُجحفة¹ ، و الأعوام المُخلفة ، و النوائب المُتلفة ، و أنّ ذلك التّقصان لم يَكُن عن استهلاك فائدة ، و لا تضييع عائدة ، و ما كان على هذا السبيل مَجْرَاه ، و انفراد بإذهابه الله ، فسبيل صاحبه أن يُعان فيما فَدَحَه ، و يكشفَ عنه ما شَجَاهُ و تَرَّحَه² . و قد أنزلتُ هذه النَّازلةَ بدمامك ، و مثَلُهَا بعين اهتمامك ، و رَجَوْتُ فيها نافِذَ عزمك و قيامك ، لِتَضَعَ عَنِّي إصرها.³

نلاحظ أن الرابط الحجاجي وهو حرف العطف ((الواو)) قام بالوصل بين الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة المطروحة ودعمها وهي بيان قوة العلاقة التي تربطه بالشخص الذي أصابته الجائحة، وبيان الحال التي آل إليها هذا الشخص وذلك من خلال :

الحجة الأولى (ح 1) الأذمة الوكيدة

الحجة الثانية (ح 2) الصحبة الحميدة

الحجة الثالثة (ح 3) المودة القديمة التليدة

فهذه الحجج تخدم نتيجة واحدة وهي أن الكاتب يريد أن يقول للمرسل إليه إن هذا الشخص الذي يحتاج شفاعتك هو في صداقته مني بمنزلة صداقتك مني، وفي هذا استعطاف واستدراج من ابن أبي

¹ الجوائح جمع الجائحة : السنة (القحط) أو النَّازلة تحلّ بالرجل في ماله فتجتاحه ، و المجحفة من أجمعت السنة إذا أضرت بالمال ، و أجمعت به الفاقة أذهبت ماله و أفقرته . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 79.

² فَدَحَه الدَّيْن و الأمرُ و الحِمْلُ : أثقله . و تَرَّحَهُ : أحزنه ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 79.

³ رسائل ابن أبي الخصال، ص 78-79.

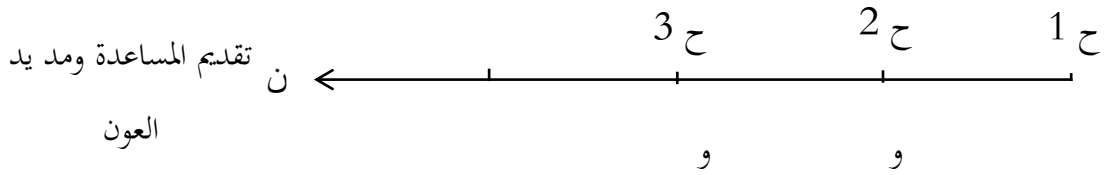
الخصال للمرسل إليه لخدمة النتيجة الكبرى، وكان هذه الحجج هي مقدمة لنتيجة كبرى حججها كالاتي:

الحجة الأولى (ح 1) الجوائح المخلفة

الحجة الأولى (ح 2) الأعوام المخلفة

الحجة الأولى (ح 3) النوائب المتلفة.

ويمكن أن نتصور الحجج كالاتي:



فالكاتب يستدل بهذه الحجج ليقنع المرسل إليه بالحال التي وصل إليها صديقه، هذه الحال التي لم تكن من تقصيره وتبذيره و إسرافه، بل نتيجة النوائب والجوائح والأعوام المخلفة، فهذه أدله للوصول إلى النتيجة وهي أن يقتنع المرسل إليه بضرورة تقديم يد المساعدة لصديقه.

المثال 02:

ومن ذلك أيضا في رسالة يتشفع فيها لأحد الفقراء، بمناسبة (الصيف) وهو موسم جني الثمار حيث يقول فيها " يا سادتي و أوليائي و أحبتي و أصفياي : أعزكم الله و أبقاكم ، و حرسكم و تولاكم ، الصَّيفُ - أكرمكم الله - موسم التقاط ، و معلّم استظهار على القوت و احتياط ... و فلان قد نظم مآثركم ، و سرد مفاخركم ، و أجاد أمداحكم ، و انتجع

سماحتكم ، و هو يرجع إلى عيال ، و يُمسي و يصبح على اختلال¹ ؛ و أنتم بكرم انفعالكم ، وعادة إجمالكم ، تنتبهون إلى مواساته ، و تُسُدُّون من خلاته² ، إن شاء الله.³

فقد عمل الرابط الحجاجي (الواو) على الجمع بين الحجج وتقويتها ببعضها البعض لتحقيق النتيجة المرادة، وهي كالآتي:

الحجة الأولى (ح1) نظم مآثركم

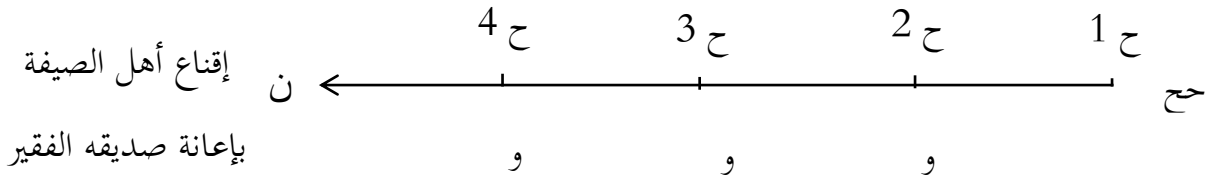
الحجة الثانية (ح2) سرد مفاخركم.

الحجة الثالثة (ح3) أجاد أمداحكم.

الحجة الرابعة (ح4) انتجع سماحتكم.

الحجة الخامسة (ح5) يرجع إلى عيال ويمسي ويصبح على اختلال.

والحجج كالآتي:



فالكاتب قدّم بواسطة الرابط الحجاجي (الواو) مجموعة من الحجج المترابطة المتساوقة المتساندة التي تسير في اتجاه حجاجي واحد، وقد جمعت بين رجاء وطمع الفقير في أهل الصيفة، وبين حال هذا الفقير

¹ الاختلال : الاحتياج ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 61

² الخلة : الفقر و الحاجة ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 61

³ رسائل ابن أبي الخصال، ص 61.

الكثير العيال المعدم ، وتخدم نتيجة واحدة وهي: إقناع أهل الصيفة بضرورة إعانة هذا الفقير بعد أن عرفوا حاله وحاجته.

الرابط الحجاجي (إذا):

((... ليس الوُدُّ - أعزك الله - بتزويق اللسان ، ولا تنميق البنان ، ولا الشأن في روية مكثثة ، ولا بديهية حثيثة، ولا في أساطير الصحف مبثوثة ، وإنما هو ما وقر في الفؤاد، و رسخ في الاعتقاد ، وثبت في مواطن الاعتداد ، وليس الجِدَّة والقَدَم ، وخامر اللحم والدم¹ ، و تلك سبلنا المستمرة، وحالنا المستقرة ، التي لا تنفصم - بحول الله - عُراها ، ولا تختل قواها، ولا تتقاصر - يد الزمان - يداها² ، ولا يقف دون مداه - والله المستعان - مداها... و إذا استندنا إلى هذه الثقة، و نفوس متففة ، و قلوب على الرضى مُصْفَقَة ، فلا مَدْرَج للارتباب ، و لا حَرَج في الإغباب . نعم ؛ و لو تَرْتَّب عن عَمْدٍ ، و وجب على تيمُّم و قصد (...)).³

نلاحظ أن ابن أبي الخصال بعد أن قدم مجموعة من الحجج للدلالة على الصداقة الحقيقية، وهي صداقة القلب والجنان ، لا صداقة المصالح واللسان، حيث وظف الأداة ((إذا)) وهي رابط حجاجي، وظيفته الحجاجية الربط بين الحجة والنتيجة ، لأنه من الروابط المدرجة للنتائج.⁴

فالرابط الحجاجي (إذا) ربط بين الحجة وهي أن الصداقة الحقيقية هي ما وقر في الفؤاد، ورسخ في الاعتقاد، لا ما تقتضيه المصلحة ويثبت باللسان فقط ، والنتيجة وهي أن صداقة كهذه تدوم ولا تتزعزع مهما طال بها الزمن، وعصفت بها الدسائس والفتن ، وقد كتبت هذه الرسالة لصديق له نُقل إليه كلام عن الكاتب كذبا و زورا .

¹ خامر : خالط ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 73 .

² تتقاصر : تتقلص و تقصر . و (يد الزمان) دائماً على الزمان ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 73 .

³ رسائل ابن أبي الخصال، ص 73 - 74 .

⁴ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 30.

الرابط الحجاجي (بل):

تعتبر الأداة (بل) من الروابط الحجاجية التي تستعمل للإبطال والحجاج، وله حالات تختلف باختلاف ما يقع بعدها، إلا أن ما يهمنا من هذه الحالات هو وقوع الإضراب ب (بل) على جهة الترك للانتقال من غرض إلى غرض آخر من غير إبطال.¹ للوصول إلى النتيجة المقصودة.

ومن أمثلة ذلك عند ابن أبي الخصال قوله في رسالة كتبها إلى أحد الفقهاء يوصيه برجل ((أعزَّ الله الفقيه الجليل الكاتب الأمين بالتقوى ، و أورده بالمورد الأروى ، وَ كَأَلُهُ حَيْثُ انْتَوَى ، وَ أَجْرَى أَحْوَالِهِ عَلَى الْمُرَادِ وَ الْهَوَى ، وَ لَا زَالَ يَتَعَرَّفُ الْمَزِيدَ فِي نِعْمِهِ ، وَ التَّمَكِينِ لِعِصْمِهِ ، وَ دَامَ فِي أَمْنٍ لَا يُذْعَرُ سِرْبُ حُرْمِهِ ، كَتَبْتُ عَنْ عَهْدِ انصافه أَنْ تُتَكَلَّفَ أوصافه ؛ وَ يَصُونَهُ لِأَلَاؤِهِ أَنْ تُعَدَّدَ آلَاؤُهُ ، هُوَ مَا عَرَفْتَ ، وَ عَهَدْتَ ، وَ بَلَوْتَ ، وَ شَهِدْتَ ، وَ رَحِمَ اللَّهُ زَمَانًا بَلْ إِخْوَانًا ، أَسَّسُوا لَهُ عَلَى التَّقْوَى بُنْيَانًا ، وَ أَحَلَّ عَلَيْهِمْ مَغْفِرَةً وَاسِعَةً وَ رِضْوَانًا ...)).²

نلاحظ أن الرابط الحجاجي (بل) قد أقام علاقة حجاجية بين علاقيتين حجاجيتين فرعيتين، وهو في هذه الحالة يشبه الرابط الحجاجي (لكن)، فالكاتب يريد أن يوصي الفقيه برجل فبدأ خطابه بالدعاء والتلطف مذكرا المرسل إليه الفقيه بالعهد الذي بينهما مشبها إياه بالبنيان المرصوص الذي لا تنفك دعائمه وأسسسه، وهدفه التأثير والإقناع، ويمكن أن نتصور العلاقة الحجاجية كالاتي:

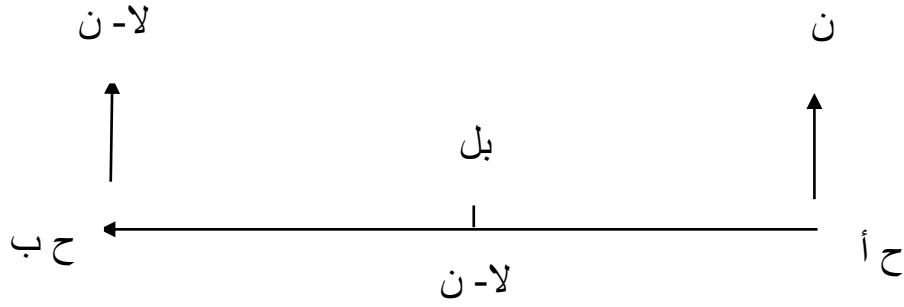
¹ ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 60 - 61.

² رسائل ابن أبي الخصال، ص 589 - 590.

(الشكر للإخوان الذين أداموا الود بالتقوى)

الشكر للزمن الذي أدام الود بين

(الإخوان)



(التقوى التي بين الإخوان تُدسم الود)

(رحم الله الزمن الذي أدام الود)

ومن هنا نخلص إلى أن النتيجة النهائية (لا - ن) لا يمكن فهمها إلا من خلال الرابط الحجاجي (بل) الذي وجه المتلقي إليها بعد ما كان في طريقه لاستخلاص النتيجة (ن) المرتبطة بالحجة الأولى، ومن هنا فالمرسل يوجه المرسل إليه إلى الحجة الثانية¹ ، فابن أبي الخصال انتقل بواسطة العامل الحجاجي من شيء إلى شيء آخر وترك ما سبق، ليذكر المرسل إليه الفقيه بأن التقوى بين الإخوان ستبني علاقة متينة كالبنيان المرصوص، وهي كأنه يقول له، هي حال العلاقة التي بيني وبينك، ليؤثر في الفقيه، وتجد وصيته إلى قلب الفقيه منفذا وأثرا.

ويمكن أيضا أن يشابه الرابط الحجاجي (بل) أيضا الرابط (حتى) ويؤديان نفس الوظيفة، باعتبار أن كليهما يربط بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي، كما أنهما يقدمان الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى التي تخدم النتيجة المقصودة.²

¹ ينظر: محمد بن صالح الغامدي، بل من الإضراب والاستدراك إلى الحجاج، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج 25، ع1، ص 130.

² ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 83.

ومن أمثلة ذلك عند ابن أبي الخصال في رسالة تعزية بعث بها إلى أحد أصدقائه يقول فيها: ((... و بلغني المُصاب الذي فَدَحَ ، و أَوْرَى زُنْدَ الحُزْنِ و قَدَحَ ؛ بثمرة الفؤادِ ، و فلذة الأُكْبَادِ ؛ و نورِ النَّاطِرِ ، و رُوحِ الخَاطِرِ ؛ و سِرِّ الضَّمِيرِ ، و مَشْرَعِ العَذْبِ النَّمِيرِ ؛ و شَفِيعِ الكَرَى ، و مُسْتَحَثِّ مطايا السَّرَى ؛ و رِيحَانَةِ الشَّمِّ و الذِّكْرَى ، أبي بكر ابنه المُرْتَجَى ، و ابن الذين سَبَقَتْ لَهُمُ الحُسْنَى ، و تُهُودِيَتْ بطلوعِهِمُ البُشْرَى ، نَضَرَ اللهُ أَعْظَمَهُ و أَوْصَالَهُ كما جعل برضاهُ و رُحْمَاهُ اتِّصَالَهُ ، فَيَكْتَبُهُ لا على قدر السَّنِّ بل على قَدْرِ النَّدْبِ المَسْنِ ، بل على قَدْرِ المَخِيلَةِ و الأَصْلِ ، و اعتقادِ المِزِيَةِ و الفِضْلِ...)).¹

فالملاحظ على الرابط الحجاجي (بل) أنه في هذا السياق قد عمِلَ عمَلُ الرابط الحجاجي (حتى)، ولذا ذهب النحاة العرب إلى أن دور الرابط (بل) لا يقتصر على مجرد الإضراب والانتقال ورفع التوهم، وإنما يندرج في تسلسل قوة الحجج، أي في إطار مجموعة حجج تهدف كلها للوصول إلى نتيجة واحدة.² وهذا الذي وظف الكاتب بقوله: ((فَيَكْتَبُهُ لا على قدر السَّنِّ بل على قَدْرِ النَّدْبِ المَسْنِ ، بل على قَدْرِ المَخِيلَةِ و الأَصْلِ ، و اعتقادِ المِزِيَةِ و الفِضْلِ)) للوصول إلى نتيجة واحدة، وهي إخبار المرسل و إقناعه بأن الفقيد وإن كان -إن شاء الله- من أهل الجنة لأنه ليس مكلفاً، فيكفيه فضلاً أنه من أسرة علم وتقوى وهذا كفيلاً بالشفاعة له.

وقد قدم حجة أقوى بعد الرابط (بل) ولا تعارض بين الحجتين، وإنما تخدمان نتيجة واحدة، وهي أن الفقيه وأسرته من أهل العلم والتقوى والدين والفضل، وهم أولى بالصبر واحتساب الأجر.

2/ حجائية العوامل:

العامل الحجاجي ((إنما)):

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 418.

² ينظر: محمد بن صالح الغامدي، بل من الإضراب والاستدراك إلى الحجج، ص 131.

تعد الأداة (إنما) من العوامل الحجاجية التي تفيد معنى القصر، بمعنى أنها تتضمن معنى الأداة (ما...إلا)، وقد ذهب أئمة النحو إلى أنها تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه¹، وفي هذا دليل على أن الحجج التي تأتي بعدها أقوى من الحجج التي تأتي قبلها.

وقد بين السكاكي الفرق بين الاستعمالين، ففي طريق النفي والاستثناء ب (ما إلا) المخاطب عند المتكلم مرتكبٌ للخطأ مع إصرار إما تحقيقا أو تقديرا ؛ وأما في طريق (إنما) فيُسلَك مع مخاطبٍ في مقام لا يصير على خطئه، أو يجب عليه ألا يصير على خطئه.²

وفي هذا السياق يقول عبد القاهر الجرجاني: " واعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء الخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة تفسير ذلك أنك تقول للرجل: إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقربه، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب..."³ وقد وظف ابن أبي الخصال هذا العامل في رسائله ومن أمثلة ذلك:

قوله في رسالة كتبها إلى صديق له سعى بينه وبين الكاتب ساع بكذب وزور ((... ليس الوُدُّ - أعزك الله - بتزويق اللسان ، ولا تنميق البنان ، ولا الشأن في روية مكيشة ، و لا بديهة حثيثة، ولا في أساطير الصحف مبثوثة ، وإنما هو ما وقر في الفؤاد، و رسخ في الاعتقاد ، وثبت في مواطن الاعتداد ، ولبس الجدة والقدم ، و خامر اللحم والدم ، و تلك سبيلنا المستمرة، وحالنا المستقرة ، التي لا تنفصم - بحول الله - عُراها ، ولا تختل قواها، ولا تتقاصر - يد الزمان - يداها ، ولا يقف دون مداه - والله المستعان - مداها...))⁴

¹ السكاكي، مفتاح العلوم، ص 291.

² المصدر نفسه، ص 295.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 330.

⁴ رسائل ابن أبي الخصال، ص 73.

فقد وظف ابن أبي الخصال العامل (إنما) توظيفاً حجاجياً من خلال نفيه للود الذي يقتصر على اللسان وتميق الكلام، و إثباته للود الذي يخالج النفس ويستقر في القلب، فيكون حبا صادقا لا يسقط بتقادم الزمن، وانتهاء المصالح ودسائس أهل الفتن، هذا من جهة، ومن جهة ثانية لم تكن وظيفة العامل الحجاجي الإبلاغ والإخبار وإنما هي التنبيه والتذكير بأمر معلوم للمخاطب ، لأن ابن أبي الخصال وصديقه كلاهما يعلم أن الصداقة الحقيقية موطنها القلب، ولكن يريد أن يذكره بالصداقة التي بينهما، ويثبت له بأنها صداقة حب وإخلاص ، و يؤكد له بأن الود الذي بينها هو وُد لا تمحوه الدسائس والفتن، وقد كان الاستثناء بأداة الحصر (إنما) قاعدة للمرور من المقدمة إلى النتيجة وهي أن الود يكون بما وقر في القلب ورسخ في الاعتقاد، وخالط اللحم والدم، وحب كهذا لا تسقطه الدسائس والمؤامرات.

العامل الحجاجي ((ما إلا)) ((لا إلا)):

يعتبر هذان العاملان من العوامل التي توجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض، وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه بفعل شيء ما¹ ، وتتجلى وظيفة العوامل في حصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما.²

فالقصر في اللغة العربية صورة من صور التراكيب التي تأتي للإثبات، ويزيد القصر على قيمة الإثبات بالتخصيص.³

¹ الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 519 – 520.

² أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.

³ حياة دحمان، تجليات الحجج في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، موسم 2013/2012. ص 192.

المثال 01:

مثال ذلك عند ابن أبي الخصال قوله في رسالة كتبها إلى أحد الفقهاء القضاة يوصيه برعاية أحد المؤذنين ((... .. المؤذنون - أدام الله نصرك - قد ورد فيهم الأثر المروي، والخبر الواضح الجلي، وهم - وإن كانوا في الأخرى أطول أعناقاً¹ - فهم في الدنيا أضيق الناس أرزاقاً، وأضعفهم أذماء² وأرماًفاً ، مأكُلهم رشحٌ، وشرابهم على الشهامة في النهامة نشحٌ³، ونومهم غرار، وليلهم حراكٌ وليل الناس سكونٌ وقرار، يحدون الشفق ويسيرونه، ويربؤون الفجر⁴ فيثيرونه؛ ويحلون عُقدَ الشيطان، ويرسلون على العتاة المردة رجوم السلطان، ويحصرون الدهر السارب إلى التحريد⁵ والأوزان ، فما تعبر بهم ساعة، إلا ولهم عليها سمةٌ أو طاعة ؛ و لا يمضي من الليل هذه⁶ إلا و منهم في ذكر الله تعالى عودٌ و بدء ، فكُلُّهم يكلُّ الليل و يتَمَلَّمُ تَمَلَّمُ السليم ، و يتعار⁷ - و الناس في سكرات السبات - عَرَّازَ الظلِّيم⁸ ، و هذه منقبةٌ لهم لهم بها مرتبةٌ عالية و مَرَقَبَةٌ...)).⁹

¹ من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : ((أطول الناس أعناقاً يوم القيامة المؤذنون)) ، المسند ، 3 ، ص 169 .

² أذماء جمع ذماء : و هو بقية الروح في الجسد ، أو قوة القلب . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 450.

³ نشح الشارب : أي شرب دون الري . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 450 .

⁴ الريء و الربيئة : الطليعة الذي يرقب العدو (من مكان عالٍ) لئلا يدهم قومه ، و المقصود هنا : يرقب الفجر ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 450 .

⁵ حرّده : منعه ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 450.

⁶ الهدء من الليل : الطائفة منه . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 450.

⁷ تعار فلان من الليل : سهر ، و تقلب على الفراش (ليلاً) و لا يكون إلا يقظةً مع كلام و هرت أو تمطّ ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 451 .

⁸ الظلِّيم : الذكر من النعام ، و عَرَّاز مصدر عَرَّ إذا صاح ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 451 .

⁹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 450 - 451.

فقد وظف ابن أبي الخصال أسلوب القصر والذي يتمثل في العاملين الحجاجيين (ما إلا) و (لا إلا) في المثالين الآتين ((فما تعبر بهم ساعة، إلا ولهم عليها سمة أو طاعة)) ((و لا يمضي من الليل هذء ، إلا و منهم في ذكر الله تعالى عوداً و)) لتدعيم حججه وتقويتها، حيث سرد مجموعة من الحجج بين من خلالها حال المؤذنين بين الناس، وما يميزهم عن الناس ليقنع المرسل إليه القاضي الفقيه بحال المؤذن أبي إسحاق الذي يحتاج إلى رعايته وكرمه وقربه.

وقد جاءت بعد هذه الحجج العوامل الحجاجية لتوجه القول برمته نحو وجهة واحدة، وهي التأكيد على مكانة المؤذنين وحالهم بين الناس وما يقتضي أن يكون عليه حالهم بين الناس ، وذلك لإقناع المرسل إليه بضرورة تقديم المساعدة والرعاية ومد يد العون للمؤذن أبي إسحاق.

ومن هنا نلاحظ أن العوامل الحجاجية حصرت الإمكانيات الحجاجية، وسارت في نفس الاتجاه مع الحجج الخالية من العوامل، وأفادت الحصر مع التخصيص، لتدعيم الحجج وتقويتها خدمة لنتيجة واحدة وهي إقناع المرسل إليه برعاية المؤذن أبي إسحاق.

المثال 02:

يقول في رسالة أرسلها الكاتب إلى صديق له يصف له صنعته وبراعته فيها، ويوصيه به، فيقول: ((عمادي الأعظم - أطال الله بقاءه ، ومكنّ علاءه - كالكوكب الوقّاد بعيد الهمة في الانتقاد إذا راز الناس الأشياء ، و سافها أحبّ معاليها و كره سفسافها ؛ فكأنه هندي في حكمته ، صيني في همّته ، لا يقبل إلا الإبريز¹ ، و لا يرضى إلا السبق و التبريز ، و لقد أفادني بال تكرار ، و مشاهدته في هذه الآثار ؛ شيمة من شيمه ، و إن لم أبلغ قطرة من ديمه ؛ فصرت لا أمرر باللحظة إلا مُحصّلا ، و لا أرسل القول إلا مُستقرا مُتأصّلا ، ثم سرى ذلك في خلقي، و انبثّ يمينا و شمالا في طريقي...)).²

¹ الإبريز : الذهب الخالص ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 111.

² رسائل ابن أبي الخصال، ص 111.

لقد وظف ابن أبي الخصال أسلوب القصر مرتين لغاية حجاجية، واتجه القول نحو وجهة واحدة وهي إقناع المرسل إليه بمذق ومهارة الرجل الذي يتوسط له ابن أبي الخصال في صنعته وافتقانه، حيث قدم له حججا بقوله: كأنه هندي في حكمته، وصيني في صنعته، وهذان الحججان تخدمان نتيجة ضمنية، وهي المهارة والذكاء اللذان تميز بهما صاحب الصنعة، وقد جاء العامل الحجاجي لتدعيم الحجج وتقويتها، وتوجيه القول إلى النتيجة المراد الوصول إليها في قوله: لا يقبل إلا الإبريز، ولا يرضى إلا السبق والتبريز. فقد حصر الإمكانيات الحجاجية، وخصّ صاحب الصنعة بهذه الصفة، وأثبتها له ليقنع المرسل إليه بضرورة رعاية هذا الرجل والاستفادة من صنعته ومهارته التي لا يوجد نظير لها.

ثم عزز الكاتب مرة أخرى قوله بتكرار العامل الحجاجي في قوله: فصرت لا أمر باللحظة إلا محصلا، ولا أرسل القول إلا مستقرا متأصلا، ليؤكد على إعجابه وافتقانه هو بصاحب الصنعة، ولو لم يكن كذلك لما أرسل هذه الرسالة، ولما تجشم عناء كتابتها وفي هذا تركية من ابن أبي الخصال لصاحب الصنعة، ولتعزيز القول الحجاجي وتوجيهه لخدمة النتيجة المقصودة، وهي استعمال هذا الرجل الماهر والاستفادة من صنعته.

المثال 03:

يقول ابن أبي الخصال في رسالة كتبها إلى صديق له من ذوي الشأن يصف له المكانة أو المنزلة أو الخطوة التي يحظى بها عند الكاتب، ويعتذر له عن القطيعة التي بينهما، وقد قدم حججا ليقنع بها متلقي خطابه فيقول: ((... هَنِيئاً لَكَ مَا اسْتَحَلَلْتُ ، وَ أَهْلاً وَ سَهْلاً بِكَ وَ بِمَا اسْتَسَهَلْتُ ؛ صَدَقْتُ ! أَنَا الْمُسِيءُ ، وَ الْمُسْتَقِيلُ الْمُسْتَفِيءُ ، وَفَت ذِمُّكَ ، وَ صَفَّتْ مَوَارِدُكَ وَ دِيْمُكَ ؛ مَا لِمَنْ تُؤَخِّرُهُ اسْتِقْدَامُ ، وَ لَا لِمَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ إِكْرَامُ ، وَ لَا لِمَنْ تَخَطَّاهُ رِضَاكَ وَرَاءَ وَ لَا أَمَامَ ، أَقْرُ بِالذَّنْبِ وَ لَمْ أَجْنِهْ¹ ، وَ أَرِدُ هَذَا الْمَاءَ عَلَى أَجْنِهْ² ، وَ

¹ لم أجنيه : لم أرتكبه ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 222 .

² أجن الماء أجنأً : تغيرت رائحته و طعمه و لونه ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 222 .

أَجْنَبُ - و لو قُطِعَ الوَرِيدُ - ما أُرِيدُ لما تريد ... أَلَمْ يَكْفِ الحَاسِدِ أَنِّي لَأَ أَخْلَعُ هَوَاكَ ، و لا أَلِينُ في يَدِي سِوَاكَ ، و لا أَصَافِحُ إِلَّا يُمْنَاكَ و لا أَقْتَبِسُ إِلَّا مِنْ سَنَاكَ ، و لا أَرْحَفُ إِلَّا تَحْتَ رَايَتِكَ ، و لا أَرَى غَايَةَ كُلِّ سَابِقٍ إِلَّا دُونَ غَايَتِكَ!...) ¹

فقد وظف ابن أبي الخصال العامل الحجاجي (لا - إلا) لغاية حجاجية، وهي إقناع المرسل إليه بأنه رغم الفتور الذي أصاب العلاقة التي بينهما إلا أن الكاتب لا زال يحفظ الود والعهد، ولا زال يحتفظ للمرسل إليه بمنزلته ومكانته، وأنه هو الغاية والمنتهى، ثم يواصل حديثه، فيقول: ((... لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمْسَكْتُ نَازِيًا ² ، و لا تَثَبَّطْتُ ³ تَجَازِيَا ، و لا تَأَخَّرْتُ لِنَفَاقٍ ، و لا كَانَ مَا كَانَ إِلَّا عَن حُسْنِ ظَنٍّ و اتِّفَاقٍ ، و رُبَّمَا وَفَاكَ بَيْنَ يَدَيِ هَذِهِ الصَّجْرَةِ كِتَابِي مَا شِئَا عَلَى أَنَاتِهِ ، و طَيْرُهُ فِي وَكَنَاتِهِ ⁴ ، و صَدْرُهُ مُطْمَئِنٌّ بِبَنَاتِهِ ⁵)) وقد وضع الكاتب للمرسل إليه سبب الفتور والإبطاء في لقائه، وأنه عن حسن ظن، وقد عمل العامل الحجاجي على إثبات ودعم وتأكيده صدق دعوى الكاتب فيما ذهب إليه.

ثم يواصل حديثه بالقول: ((... و على كُلِّ حَالٍ فَلَكَ السُّوْدُذُ حَتْمًا ، و الفَضْلُ افْتِتَاحًا و حَتْمًا ، و بَقِي الحَاسِدُ الأَثْلَبُ ⁶ يَهْتِمُ فَاهُ هَتْمًا ، و ماذا نُعِيدُ - أَيُّدِكَ اللهُ - مِنْ ذِكْرِ نَبْوَةٍ لَمْ يَنْبُ لَهَا حَدُّكَ ، و جَفْوَةٍ لَمْ يَتَضَعَّضْ بِهَا مَجْدُكَ ، مَا ضَرَّتْكَ إِلَّا كَمَا

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 222 .

² نزا : وثب ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 225 .

³ تثبَّط : تريت ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 225 .

⁴ من قول امرئ القيس (ديوانه : 19) ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 225 .

و قد أغتدي و الطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

⁵ بنات الصدر : ما يضمه الإنسان من الخير و الشر ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 225 .

⁶ الأثلب : الحجارة ؛ و هتم السنن : كسرهما ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 228 .

ضَرَّتِ الكَعْبَةَ القُلَيْسُ ، و لا آذتَكَ إِلَّا كَمَا آذَى عِيسَى بن مَرِيَمَ - صلى الله عليه وسلم -
 إِبْلِيسُ (...)¹ فقد شبه ابن أبي الخصال الجفوة التي بينه وبين المرسل، بالعلاقة التي بين مكة والقليس،
 والتي لم تزدد بعدها مكة إلا صمودا وعزة وشموخا، والعلاقة التي بين عيسى عليه السلام وإبليس التي لم
 يزدد عيسى بعدها إلا رفعة وسموا، وقد وضع الكاتب هذا القياس، وضممه العامل الحجاجي (ما إلا)
 الذي أكسبه قوة، وجعله أكثر إقناعا للوصول إلى النتيجة التي يرومها صاحب الرسالة، وهي إقناع المرسل
 إليه بأن الفتور الذي حدث لم يكن عن سوء، وأن ما بعده سيجعل العلاقة أفضل، وستقوى وتشتد
 دعائمها.

3- حاجية الصفات والألقاب والصيغ:

لقد انتهج ابن أبي الخصال في بعض رسائله استراتيجية وظف من خلالها بعض الصفات والألقاب في
 مخاطبة متلقي رسائله، لما لها من بعد حجاجي وأثر إيجابي على متلقي الرسالة ، ولقد عرف الكاتب
 كيف ينتقي من الصفات ما فيه دلالة الاحترام والتبجيل وعلو المكانة والقدر.

ثم إن استعمال الكاتب لمثل هذه الصفات في مقدمات رسائله يرجع إلى مدى معرفته بتأثير معناها
 وشدة وقعها على مخاطبه ، فالمرسل يستعمل صيغا تتفاوت في القوة وذلك وفقا لما يقتضيه السياق
 والمقام، لإنجاز التأثير الأقوى على المرسل إليه، أو التعبير عن وجهة نظره.²

فالصفة أو اللقب " لا يخلو اختياره أو إطلاقه من قصد حجاجي، إذ لا يقصد به تصنيف الموصوف
 بالنظر إلى السمات التي تشركه مع العناصر التي ينتمي إليها فحسب، ولكنه يعبر غالبا عن تحديد موقفه
 منه، وطريقة الحكم عليه ومعالجته."³

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 222 - 225 - 228.

² ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 119.

³ المرجع نفسه ، ص 487.

ومن هنا يمكن القول أن الصفة " أداة فاعلة في الفعل الحجاجي لكونها أكثر استعداد من الأسماء والأفعال لوضع المراتب المتفاوتة فلا يقتصر المرسل في استخدامها على توصيف معناها المعجمي أو تأويله بل يبتغي بها التقويم والتصنيف " ¹.

ولذا فإن " من مظاهر اختيار المعطيات وجعلها ملائمة للحجاج اختيار النعوت أو الصفات، فالصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة إذ نختارها تجلو وجهة نظرنا وموقفنا من الموضوع. " ²

ومما يلاحظ على رسائل ابن أبي الخصال أنه يطلق على مرسله جملة من النعوت والصفات يستدرجه من خلالها خاصة في مقدمة رسائله مما يجعلها مقدمات حجاجية وذلك لأن المرسل حينما " يستعمل جملة من النعوت دون غيرها فلأنها تخدم غايات حجاجية ما ، أي أنه سيبنى عليها بالضرورة جملة من الحجج تنسجم مع هدف الخطاب انسجاما كاملا ، ولذلك يعتبر البعض أن النعوت والأوصاف التي يطلقها المحتج على بعض عناصر مقدماته إنما هي ضرب من المصادرة على المطلوب. " ³

فنجد أن ابن أبي الخصال يستهل دائما مقدمات رسائله بمختلف النعوت والصفات لاستدراج المتلقي من جهة ، والدلالة على مكانته وعلو منزلته من جهة أخرى ومن ذلك :

يقول ابن أبي الخصال في رسالة يتوسط بها لدى شخصية كبيرة لم يذكر اسمها بهدف إعانة صديق له أصابت جائحة ماله " سيدي الأعلى ، و ذخري الأكرم الأوفى ، و ظهيري في الجلى ، الذي أسكن إلى وفائه ، و أستظهر في المهمات بصفائه ... و يتأدى من [قبلي] فلان

¹ أمة الكريم الذارحي، بلاغة الحجاج (في شعر الحسن بن علي الهبل أمير شعراء اليمن)، مجلة الأدب العربي، العدد 02، السنة الرابعة، 1391هـ، ص 285.

² عبدالله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج ، ص 316.

³ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص 187.

جاري ، و مُعَظَّمُكَ أَبَقَاهُ اللهُ ، و بيني و بينه من الأذمة الوكيدة¹ ، و الصُّحبة الحميدة ، و المؤدّة القديمة التليدة ، ما يقتضي مُساهمته في أحواله ، و التقدّم أمامه في عوارض هممه و آماله ، و تشبّث من العمل بما علّمته...²

لقد عمد الكاتب في مقدمة رسالته إلى إدراج مجموعة من الصفات من قبيل:

- سيدي الأعلى: للدلالة على علو مكانة المرسل إليه والحظوة التي يحظى بها لدى الكاتب.

- ذكري الأكرم الأوفى: للدلالة بها على كرم المرسل إليه ووفائه وحفظه للعهد والمودة.

- ظهيري في الجلى: للدلالة على أنه الحمى الذي يلاذ به في النوائب والمصائب.

والملاحظ أن هذه الصفات (العلو، و الوفاء، و الكرم،) ذات بعد حجاجي اعتمدها ابن أبي الخصال كمقدمات لحجج ، فهو يطلب يد المساعدة لصديقه الذي أصيب في ماله، ولا يساعد ويجير إلا من كان سيّدا في قومه، صفته الكرم فيساعد المحتاج، وطبعه الوفاء فيحفظ الود العهد.

وبما أن بنية الاستهلال في الرسالة هي التي توجه المرسل إليه إلى موضوع الرسالة، وتهمين على فضائه وتستجلب إحساسه وتشد ذهنه، وتنتج عنها ردود إيجابية باتجاه الدخول إلى موضوع الرسالة أو الخطاب، وهذه من وظائف الاستهلال في الخطاب³ ، وهي التي تحدد طبيعة العلاقة التواصلية بين المرسل والمرسل إليه وتعقد التواصل بينهما.

فإن مما يلاحظ على رسائل ابن أبي الخصال هو إدراجه للأدعية في مقدمات رسائله، وهذا ما يجعل من الدعاء " بروتوكولا مهما في البناء الاستراتيجي لكونه رسالة - ذات قيمة تداولية - تقدم في شكل

¹ الأذمة جمع ذمام : كل حق أو حرمة تُلزمك إذا ضيّعتها ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 78.

² رسائل ابن أبي الخصال، ص 78.

³ ينظر: فاطمة كريم رسن، بنية الحجج من منظور لسانيات الخطاب، مجلة الأستاذ، العدد 204، المجلد 01، 2013م، ص 41.

تنبيه للقارئ مشحونة بكثافة إيدولوجية (مقصدية) للدخول في خرائط توليد المعاني عن طريق التأويل والقراءة، فهو بمثابة عقد صلة التخاطب بينهما.¹

فالبراعة في الاستهلال من خلال استعمال الصفات والألقاب مشفوعة بالدعاء والمدح والثناء للمرسل إليه هو لاستمالاته وتهيئته لتلقي الخطاب والانفعال معه، ومن هنا فإن اختيار المقدمة ومناسبتها للموضوع المتحدث عنه، هي المفتاح للوصول إلى عوالم المتلقي والتأثير فيه وشد انتباهه، فابن أبي الخصال يفتتح رسائله بما فيه تهيئة للنفوس فإذا عُرف الغرض والقصد كانت النفوس سريعة الامتثال والانقياد له.

وإذا كانت اللغة " توفر مجالاً للتواصل وتحمل التلميحات والذاتية وعناصر جمالية تساهم كلها في تشكيل الخطاب الحجاجي وفي تزيين صورة المتكلم أو تشويهها."²

فإن براعة ابن أبي الخصال قد تجلت في حسن انتقائه للألفاظ والتراكيب وتوظيفها توظيفا حججيا، فيعمد إلى اختيار لفظ مكان لفظ أو تركيب مكان تركيب آخر وفق سياقات يقضيها المقام وبنية الخطاب ككل، مما يجعل من الانتقاء قانونا حججيا عاما يعني الاختيار الدقيق والواعي لدقائق الخطاب قبل قضايا الكبرى.³

ومن ذلك أيضا اختياره للصيغ الصرفية وتوظيفها وفق مقتضيات الخطاب الترسلية ومقامه، لأن العناية بصيغ الكلمات من شأنه أن يحول أبنيتها إلى رافد إقناعي هام.⁴

¹ زوليخة زيتون، الرسائل النقدية من (من القرن 3هـ إلى القرن 06هـ) بين سلطة الخطاب واستراتيجية الكتابة، دراسة تداولية، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة 1، 2016-2017م، ص 247.

² كورنيليا فون راد صكوجي، الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، دط، 2003م، ص 32.

³ ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص 102.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 106.

ومثال ذلك عند ابن أبي الخصال استعمال صيغة اسم الفاعل التي هي " من نماذج الوصف التي يحتاج المخاطب بها ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد أن تبني عليه النتيجة التي يرومها"¹، في رسالة رد بها على رجل أهدى إليه مديّة يوبخه عليها " ... أما بعد: تُبِلْتُ لخدك²، ودُبِحت بحدك، وعُلقت بنوطك³، و جُلدت بسوطك، وفُللت بشباك⁴، و حُمِلت على أسنتك و طُباك، فإنك تائه جهالة، و حائرُ ضلالة، و حائنُ مهانة⁵، و خائنُ أمانة، فاتحت بعنفٍ، و تاحفت بحتفٍ، و فتحت على نفسك بابَ خسفٍ..."⁶ فقد وظف الكاتب صيغة اسم الفاعل (تائه، حائر، حائن، خائن) ليست من أجل الوصف فقط، بل من أجل الحاجة والإقناع وإثبات أشنع الأوصاف المتعلقة بالموصوف.

فالمتكلم لا يدرج هذه الصيغ في خطابه من أجل الوصف في حد ذاته، وإنما من أجل إدراج الحجج القوية التي تسوغ له إصدار حكمه من أجل النتيجة المقصودة.⁷

ومنه فإن " مراعاة المقام ومقتضيات الحال أمر لا غنى للمتكلم عنه متى رام الفعل في الآخر وأراد إقناعه أو حمله على الإذعان لسلوك أو موقف، بل إن حاجة المتكلم إلى مراعاة المتلقي والاستحواذ على

¹ حافظ اسماعيلي علوي، الحجج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 89.

² تله: صرعه، و ألقاه على عنقه و خذه . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 58.

³ النوط : عرق غليظ ممتد من الرئتين علق به القلب . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 58.

⁴ الشبا : (جمع) شباة الشيء : حدّه و طرفه . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 58.

⁵ الحائن : الأحمق . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 58.

⁶ رسائل ابن أبي الخصال، ص 58.

⁷ ينظر: حافظ اسماعيلي علوي، الحجج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 90.

انتباهه في مرحلة أولى ثم الفعل فيه في مرحلة ثانية أمر قد أجمع عليه كل الدارسين المهتمين بالحجاج وأفانينه¹ لأنه مما يدعم طاقة النص الحجاجية.

فالمرسل إذا أحسن انتقاء اللفظ وأحله محلا مناسباً في بنية الخطاب مثل ذلك رافداً من روافد الحجاج فيستميل المتلقي ويوجهه إلى مقصود المرسل.²

ويدخل ضمن وسائل الإقناع في الخطاب الحجاجي أدوات أخرى يستعملها المخاطب في تعزيز التواصل مع المخاطب والتأثير فيه وذلك من قبيل براعة المتكلم في اختيار المفردات الموحية، والتراكيب الواضحة لإثارة المشاعر والانفعالات، وكذلك اعتماد أسلوب التكرار الذي يؤدي إلى زيادة حضور الموضوع في الذهن، وكذلك الإيجاء والتضمين واستحضار الوقائع والشخصيات التراثية لما لها من أثر في نفوس المتلقين.³

4/ حجاجية الجمل الاعتراضية:

إن المتأمل في رسائل ابن أبي الخصال يجد أن مما غلب على أسلوب الكاتب هو كثرة استعماله للجمل الاعتراضية فلا تكاد تخلو رسالة منه، إلا أن التساؤل الذي يطرح نفسه هل توظيف ابن أبي الخصال لهذا النوع من التراكيب هو ذا بعد قصدي وطاقة حجاجية أم العكس؟

إن توظيف الجمل الاعتراضية في الخطاب ذو غاية مقصدية وفعالية حجاجية لأن "ورودها ضمن الخطاب لا يكون لمعناها الدلالي البحت، بل ليدل بها المرسل على أنه يستحضر المرسل إليه في ذهنه؛ ليس قبل إنتاج الخطاب فحسب، بل وفي أثناء إنتاجه أيضاً، فيستحضر منه خصائصه، والعلاقة بينهما

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص 90.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 106.

³ ينظر: بلقاسم دفة، استراتيجيات الخطاب الحجاجي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب، جامعة بسكرة، العدد 10، 2014م، ص 500.

وكذلك المعارف المشتركة، مما يجعله يبنى عليها افتراضات مسبقة يجسدها في خطابه من خلال مجموعة من هذه الجمل الاعتراضية.¹

ومن ذلك رسالة كتبها إلى أحد العلماء الكبار وهو المشرف بن المهلب حيث يقول فيها: ((يا عمادي الأعظم ، و كهفي الأعصم ، و إمامي الذي ألزمه التشيع الأكرم ، و أعترف بحقه الأوجب الألزم ... من أحسن - أدام الله عزك - قرضا ، و قضى بعده واجبا و فرضا ، فإنما وضح عن جاهله إضرأ ، و عبّر إلى مكافأة المُنعم جسرا ، و حسبّه أن يُقال أذى برأ ، ... و تلك سبيلي - أدام الله عزك - فيما يسنح من عمل يجري بهواك ، و حال تقع موقع رضاك ، أنزل فيها منزلة المأمور و أسيّر - لولا طاعة الودّ - سير المحمول المحبور...))² فاعتماد الكاتب للجملة الاعتراضية - أدام الله عزك - فيه غاية مقصدية حجاجية تنبئ عن المكانة التي يتميز بها المرسل، وتنبئ أيضا عن العلاقة الودية التي بين المرسل والمرسل إليه والتي من خلالها يمكن أن يؤثر الكاتب في مخاطبه، وهي علاقة توحى باعتراف الكاتب بجميل المرسل إليه ونبله، وفي ذلك سبيل للتأثير على سلوك المرسل إليه، وإقناعه من لدن الكاتب بأن هذا التقصير منه لم يكن عن عمد، وإنما لضيق الوقت ومشاغل الكاتب.

ومما يزيد الجمل الاعتراضية طاقة حجاجية هو " تضمين هذه الجمل الاعتراضية، بدلالة الدعاء للمرسل إليه، وهو دليل على أن المرسل إليه لا يفارق مخيلة المرسل ، وبهذا نعتبر أن عدم مفارقتها له سمة من سمات السلطة ، وهذا مطلب تداولي قبل إنتاج الخطاب وفي أثناءه ، ليحافظ المرسل على ما تستحقه عناصر السياق من خطاب بالموازاة مع تحقيق الهدف والتعبير عن القصد."³

¹ الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 229.

² رسائل ابن أبي الخصال، ص 70.

³ المرجع السابق ، ص 229.

ولعل هذا مما تميزت به رسائل ابن أبي الخصال فلكل رسالة عنده مسارها الحجاجي الذي تتنامى فيه وسائل الإقناع، وذلك وفقا لمقتضيات الرسالة وموضوعها، لأن المسار الحجاجي يتأثر بقدرات المتكلم اللغوية والحجاجية، كما يتأثر بمقدار معرفة المتكلم لذهنية المخاطب وللسياق النفسي والاجتماعي له.¹

5/ حجاجية التكرار :

يعد التكرار من أساليب الخطاب الحجاجي التي يوظفها الشخص المحاجج بهدف دعم قضية أو أطروحة ولذا ذهب الدارسون والباحثون في ميدان الحجاج إلى أن أسلوب التكرار في الخطابات له وظيفة حجاجية فهو " يعد رافدا أساسيا يرفد الحجج والبراهين التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، بمعنى أن التكرار يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي وتساعد على نحو فعال في إقناعه أو حمله على الإذعان ذلك أن التكرار يساعد أولا على التبليغ والإفهام ويعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان".²

وقد أشار عبد الله صولة في هذا السياق نفسه إلى أن "من طرائق عرض الخطاب عرضا حجاجيا اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود ايصالها والتأثير بها".³

فالتكرار إذا " قادر على الاضطلاع بدور حجاجي هام متى اعتمد في سياقات محددة وتوفرت فيه شروط معينة، فتكرار اللفظة ذاتها في أكثر من موضع يعد من أفانين القول الرافد للحجاج المدعمة للطاقة الحجاجية في الدليل أو البرهان لما له من وقع في القلوب لا سيما في سياقات خاصة كالمدح والثناء".⁴

¹ جمعان بن عبد الكريم الغامدي، الحجاج في الخطبة النبوية، مجلة أم القرى لعلوم اللغة وآدابها، العدد 10، 2013، ص 287.

² سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص 168.

³ عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص 318.

⁴ المرجع السابق، ص 168.

وبما أن التكرار تقوية للمعنى فإن المحتج " إذا ردد لفكرة حجة ما أدركت مراميها وبانت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقي، وإن ردد رابطا حجاجيا أقام تناغما بينا بين أجزاء الخطاب وأكد الوحدة بين الأقسام أو أوهم المتلقي بها."¹

فالتكرار وسيلة لغوية " يقصد إليها المتكلم لتقوية حجته فيقولون إن الشيء إذا تكرر تقرر، والتكرار في أكثر من موضع يدعم الطاقة الحجاجية في الدليل والبرهان لما له من وقع في القلوب، فبقدر تكرار الشيء واستبقاؤه يعني تأكيداً واثباته والتشديد من أمره في مقابل دحض الضد."²

وهو إذا " يوفر طاقة حجاجية تحدث أثرا في المتلقي ذلك أنه يساعد على التبليغ والافهام ويعين المتكلم على ترسيخ الفكرة أو الرأي في الأذهان."³

كما أن الدور الحجاجي للتكرار لا يكمن في الألفاظ والتراكيب المكررة فحسب، بل هو الأثر الناتج لتكرار اللفظ، وهو بذلك يؤدي وظيفته الحجاجية على أكمل وجه ويحقق ثلاثة أغراض رئيسية هي، التوكيد، وتماسك النص ووحدته الموضوعية، والإيقاع المؤثر في النفس.⁴

ومن أمثلة التكرار الحجاجي عند ابن أبي الخصال، تكراره لكلمة ((سلوا)) في خطبة كتبها يستنهض الهمم ويدعو إلى الجهاد في سبيل الله حيث يقول: ((... سلُوا مَنْزِلَكُمْ عَنْ عُمَارِهَا ، وَ مَنْزَلِهَا عَنْ زَوَارِهَا ... سلُوا جِيَادَكُمْ مِنْ صَنَعِهَا وَ أَنْصَاهَا ، ... سلُوا ثَغَرَ الْفَجْرِ إِذَا افْتَرَّ ،

¹ المرجع نفسه ، ص 168.

² أمة الكريم الذارحي، بلاغة الحجاج (في شعر الحسن بن علي الهبل أمير شعراء اليمن)، مجلة الأدب العربي، العدد 02، السنة الرابعة، 1391هـ ص 292

³ المرجع نفسه، ص 292

⁴ المرجع نفسه، 293

وقرّن الشمس إذا ذرّ¹ ... سلّوا الكواكب إذا اصطفت في مجاريها ، و رقت في غدائر
الظلماء مداريها² عن أوانس كانت القصور ثوابها... سلّوا نشبكم المقتنى ، ونسبكم
الأقصى والأدنى: هل تجدون إلا أسماءً و كُنَى، و ألفاظًا خاليةً من المعنى ، و محلاً قيل
فيه : قد كان فلانٌ و فلان مرّةً هنا ؟ أرهفوا - رحمكم الله - غلظ الأكباد ، و مرّوا بأجداتِ
الآباء والأجداد ، و خذوا الموعظة عن الجَمادِ ...))³

فالكاتب يدعو الذين تراخت همهم عن الجهاد في سبيل الله، وسكنوا إلى الدنيا ومتاعها، وتنافسوا
في كسب الأموال، وإنجاب الأولاد، وبناء القصور، وغرّتهم الحياة الدنيا بزینتها، إلى جهاد النفس والهوى،
وأخذ العظة والعبرة، من السابقين الذين بنوا وعمروا ثم كان مصيرهم المحتوم هو الموت.

فقد وظف الكاتب الفعل المكرر (سلوا) توظيفاً حجاجياً ليخدم النتيجة التي يرمي إليها الكاتب،
وهي استنهاض الهمم للجهاد، بعدما سكنت الأنفس للحياة، وتراخت العزائم واستكانت للشهوات
والملذات، وقد عمل الفعل (سلوا) على حمل المتلقين للخطاب إلى النظر في حال الأولين أين كانوا،
وإلى أي مآل صاروا لأخذ العبرة والعظة، والسعي إلى ما فيه نجاة النفس ونعيمها وهو رضی الله، والعمل
للدنار الآخرة، وقد كان لهذا التكرار أثر في القلوب و وقع في الأسماع.

ومن ذلك أيضاً قوله في رسالة كتبها إلى صديق له تولى ولاية يتوسط لرجل ويوصيه به فيقول: ((-
أيّدك الله - ليست الأذنان كأعراف ، و لا الأنذاك كأشرف ، و لا كُلالٌ أشرفٍ بأشرف ،
فثمّ من يصمّ ما وُلّي ، و يعمى عن الصُّبح و قد جُلّي ، و إن دُكر نسي ، ... و جفا
الكريم، فألغينا الميم ، و له بعد ما ألغى ما بقي ، و إن أشرف فعلى الخطير العظيم،
... و أيقن الشرفُ أنّه في حرم و حمى ، أقسم بالمتسم البارد، و الحبيب الوارد، قسما

¹ قرن الشمس : أول ما يبرز عند طلوعها ، و ذرت الشمس ، ظهرت أول شروقها . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 525 .

² المداري جمع المدري : المشط . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 525 .

³ رسائل ابن أبي الخصال، ص 524، 525، 526.

تبقى على الشيب جدته ، و يعزُّ على المشيب جدته ، ذكرى من ذلك العهد مدّت بسببه ، و مئت إلى القلب بنسبه ، ليحنون على الكرام ، و ليجترأن على الأنام ... و ما هو إلا الشريف الأوحده ، و من لا يُنكرُ فضله و لا يُجحد، أبو بكر- أعزّه الله -))

فقد وظف ابن أبي الخصال لفظة الشرف أكثر من مرة، ليثبت المعنى أو المغزى الذي يرمي إليه، ويذكر متلقي خطابه بأن صاحبه من أهل المروءة والشرف، ولا يعرف قيمة الشرف إلا من كان من أهل الشرف، وقد كان لهذه اللفظة أثر على متلقيه من خلال وصفه بأجمل الأوصاف، وإقناعه بأن المتشقق له من أهل الشرف، لأن " تكرار اللفظة ذاتها في أكثر من موضع يعد من أفانين القول الرافد للحجاج المدعومة للطاقة الحجاجية في الدليل أو البرهان لما له من وقع في القلوب لا سيما في سياقات خاصة كالممدوح والثناء، ففي تكرار اسم الممدوح أو المرثي إشادة بذكره وتفخيم له في القلوب والأسماع."¹

ومنه أيضا في قصيدة شعرية خمسة كتبها في الأمير أبي إسحاق يستنهض همته ويدعوه إلى تحرير مدينتي (قورية وسمورية) من يد ملك أراغون الذي عاث فيهما فسادا، فاختار قصيدة أبي تمام في عمورية وبنى عليها، وبعد أن تحدث عن الأمير وأبيه، وأثنى عليهما بأجمل الأوصاف، ذكره بمآثر أجداده، وبأيام الفتح، ثم يدعوه إلى ضرب العدو دون رافة أو رحمة، بقوله:

وارم العدو بسهم منك لم يطش وانعش بحزمك ذاك الثغر ينتعش

وارغب بتابع أصحاب الهدى حنش عن كل رجس لحر الجمر مفترش

وأربأ بأعظمه عن ذلك اللهب

واها لوحشة مبيداها ومحصرها واها لرفض مُصلاها ومَنحرها

واها لمسجدها الأعلى ومنبرها لشد ما سُلبت إشراق منظرها.²

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص 168.

² رسائل ابن أبي الخصال، ص 48.

فقد كرر الكاتب لفظ (واها) ثلاث مرات حيث كان له وقع على نفوس السامعين، الذي فيه سيل من المشاعر ينبئ بالحالة الشعورية و الانفعالية للكاتب، الذي يخاطب الأمير ويدعو فيه الحمية والنخوة ممزوجة بالتلهف إلى مدينتي (قورية وسمورية) اللتان فيهما حاضر الأندلس وماضيها، ومما زاد في بهاء المدينة مسجدها ومنبرها الذي يحكي عن جمال المنظر وعبق الأصالة.

فالكاتب يتلهف لرؤية المدينة ومسجدها، وهما يعودان إلى سابق عهدهما تحت مظلة الإسلام ورايته، وفي تكرار هذا اللفظ دلالة على دعم وتأكيده للكاتب للقضية التي يصبو إليها، وهي رؤيته للمدينة منتصرة، فهذه الكلمة المكررة تركت أثرها على المتلقي، الذي سيشعر حتما بتوجع وآهات ابن أبي الخصال الذي يتشوق للنصر والفتح في أقرب الآجال.

فابن أبي الخصال انتخب من الألفاظ ماله وقع وسحر على متلقي خطابه لأن " إن انتقاء اللفظ لذو قيمة حجاجية ثابتة ¹ ومن هنا كان للفظ المكرر أثر في القلوب ووقع في الأسماع، بما يحقق الإثارة ويحدث الانفعال في المتلقي، ويسهل النفاذ إلى عوالمه.

6/ حجاجية الحجج الجاهزة:

تعد حجة الدليل أو ما يصطلح عليه بالحجج الجاهزة والشواهد من أهم " دعامات الحجج القوية إذ يضعها المخاطب في الموضع المناسب، وهنا تتبدى أهليته وبراعته في توظيفها بحسب ما يتطلبه السياق. ويمكن تصنيفها في السلم الحجاجي بالنظر إلى طبيعتها المصدرية، فهي ليست من إنتاج المخاطب بقدر ما هي منقولة على لسانه، ونقلها على لسانه ينبئ عن كفاءته التداولية ².

وبالنظر إلى مدونة بحثنا تتجلى لنا تلك الفعالية الحجاجية والمقدرة التداولية التي امتزجت فيها براعة الكاتب الأسلوبية واللغوية والبيانية، مع بداهته وقريحته وسعة اطلاعه، فقد استطاع ابن أبي الخصال من

¹ عبدالله صولة، الحجج أطرها ومنطقاته وتقنياته، ص 319.

² حافظ اسماعيلي علوي، الحجج مفهومه ومجالاته ج 1، ص 128.

خلال توظيفه لهذه الآلية أن يرقى بذاته إلى درجة أعلى، وبالتالي منحها قوة سلطوية بالخطاب، ومن هنا تصبح السلطة هي سلطة الخطاب الذي يتوارى صاحب الخطاب وراءه.¹

ولذا فإن إدراج المرسل للشواهد الدينية والأمثال والحكم ضمن الخطاب يعطيه بعدا حججيا بما تحتزنه هذه الآليات من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية، فهي معروفة من قبل وذات قيمة مجتمعية، وتظهر قيمتها الحججية في ما تقدمه من تصور وتجريد للأشياء والأحداث، وما تتضمنه من مشابهة يستدعيها سياق القول الحججى، وهي بذلك تدخل في إطار التمثيل الحججى المستخدم في القياس الاضمارى شريطة أن يكون توظيفها في الحجج توظيفا محكما حتى لا تفقد طاقتها وقوتها الإقناعية، كما تختلف توظيفاتها في الحجج حسب الخصائص المميزة لها ووفق الضرورة السياقية أو المقامية.²

وقد عمد ابن أبي الخصال في رسائله إلى توظيفها، وذلك وفق استراتيجية إقناعية راعى فيها صاحبها مقتضيات المقام الترسلية بما يخدم حججه، ويؤدي إلى غايته، ويأسر متلقيه، ومن ذلك اعتماده في رسائله على الآيات القرآنية والأحاديث، والأشعار، والأمثال والحكم وتوظيفها باعتبارها ذات طاقة حججية تعضد وتدعم كلامه وتعطيه شرعية وسلطة في خطابه خاصة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فابن أبي الخصال شخصية إسلامية مولعة ومفعمة بحب الوطن والدين، ملتزمة بحب القرآن والسنة، والتمسك بتعاليم الإسلام، وقد ظهر هذا التأثير جليا في بنية رسائله التي كثيرا ما يستشهد فيها بالقرآن والحديث كبيّنة تدعم القضية وتحمل على الإذعان، ويمكن أن نقف من خلال ذلك على بعض النماذج التي اعتمد فيها ابن أبي الخصال على الحجج الجاهزة لدعم مقدماته الحججية.

¹ ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 128 – 129.

² ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 94.

أ/القرآن الكريم:

وظف ابن أبي الخصال النصوص القرآنية بهدف التأثير في متلقي رسائله لما لها من أثر على نفسية الإنسان المسلم، المشبع بالثقافة الإسلامية الذي يستحضر أمامه سلطة ورهبة النص القرآني، وهذا ما جعل من النص القرآني سيد الحجج والأدلة.

فقد استطاع الكاتب من خلال استشهاده بالنصوص الدينية أن يمتلك سلطة دينية يستميل من خلالها مخاطبيه ويؤثر في سلوكهم، لأن الدين " يقوم بدور مهم في حياة الأفراد ويرتبط بتوجيههم نحو الإقدام على فعل أو الإحجام عنه، ثم إن التوجيه الديني مقرون بسلطة عليا هي سلطة الإله¹.

وقد يعمد ابن أبي الخصال إلى الاقتباس من القرآن الكريم وتضمين بنية رسائله شيئا من معانيه لتقوية حجته وتوكيدها

فتوظيف الشواهد الدينية والشعرية والتاريخية وغيرها أمور يلجأ إليها الخطاب لتأسيس الواقع رغبة في زيادة التصديق بأطروحة ما، أو المساهمة في تأسيسها.²

كما أن وفرة الشواهد وتنوعها في الخطاب حجة عالية يضمن لبانيه إصابة ما عقد العزم عليه وتحصيل ما وجه النوايا إليه، وهكذا يبدو أن الشاهد من أهم الآليات المهمة في تعضيد الحجج وإسناده، وبناء الواقع من أجل إقناع الآخر، وجعله يقتنع بفكرة المتكلم المتلفظ.³

¹ شيرت رحيمة، تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجاً، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008 – 2009م، ص 52.

² ينظر: جميل حمداوي، المقاربة الحجاجية بين النظرية والتطبيق، دار الريف للطباعة والنشر، ط1، 2020م، ص 121.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 122.

وقد أكد ابن أبي الخصال صراحة على القيمة الحجاجية للآيات القرآنية، وتأثيرها في النفوس ووقعها في الأسماع حيث يقول: (إن أبلغ الموعظة في القلوب و أولها بدرِكِ المطلوب كَلامُ عَلامِ الغُيوب ، فإذا قُرئَ القُرآنُ فاستمِعوا بيانه و اتبعوا قُرآنَه)¹.

ومن أمثله الاستشهاد بالقرآن الكريم أو الاقتباس منه قوله في رسالة كتبها إلى صديق يعتذر له عن عدم تلبية دعوته وحضوره للوليمة: ((يا عِمادِيّ الأعلى ، و كِبيرِي الموقَّر المُفدَى ، و مُنيري الأشرق الأهدى ، الذي يُنمُّ على ضَميره ما أبدى، و يُحيي ما دَرَسَ من آثارِ المُروءة و الندى ، و يدعُو إلى ما دُبة حين انتَقَر الناس الجَفلى² ، ... و يا ظفرَ الحاضرينَ وخيبة الغُياب ، (يا ليتني كنت معهم فأفوز)... و إنِّي - عَلمَ اللهُ - لسريعٌ إلى ناديك ، سميعٌ لمناديك ، غير أن منزلي - كما عَلمت أو أُعلِمت عورة³ - و لهذه الأيام - ألانها اللهُ - شِدَّة و سَورة ، فعذري بادٍ ، وناديك لي نادٍ...)).⁴ فقد استشهد ابن أبي الخصال بآية من سورة النساء، لتكون حجة للكاتب يبين من خلالها لصاحب الدعوة أن تخلفه عن إجابة الدعوة خيبة وخسران، وأن من حضر دعوتك فتلك الغنيمة والفوز، وأنه نادم ومتحسر عن عدم الحضور، ولكن الظروف حالت بينه وبين ذلك.

وفي رسالة كتبها عن رجل إلى أمير المسلمين يسأله ردّ أمواله التي نُهبت ظلماً، فقد عمد الكاتب من خلالها سلوك كل سبيل لتحقيق الهدف، وبلوغ الغاية، وهي إقناع الأمير يوسف بن تاشفين بانصاف هذا الرجل ورد ماله وقضاء حاجته، وقد عمد ابن أبي الخصال إلى الاقتباس من القرآن الكريم بما يتواءم

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 529.

² الجفلى أن يعمّ الداعي بدعوته إلى الطعام و لا يخصّ واحدا دون آخر ، و النَّقْرَى أن يخصّ بدعوته و لا يعمّ ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 98 .

³ العبارة قرآنية من الآية الكريمة 13 من سورة الأحزاب .

⁴ رسائل ابن أبي الخصال، ص 98 - 99.

ومقام خطابه الترسلية حيث يقول: "... فإن رأى أمير المؤمنين و ناصر الدين - أدام الله تأييده - أن يرحم كبرتي ، و يرقّ لضعفي و وخذتي ، و يسدي إليّ ما لا أزال له شاكراً، و يقدمني على الله الذي يصنع له الجميل شاكراً ((أقرض الله قرضاً حسناً)) و تعوض جنته و نعم الثواب ثمنا ... و الله يوفق أمير المؤمنين و ناصر الدين ، إلى ما يجده لديه مؤفراً ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، و يُبقية رؤوفاً بالمؤمنين عطفوا على المنقطعين بعزته ..."¹ لقد عمد ابن الخصال إلى الاقتباس من القرآن الكريم في رسالته وتوظيفه بما يتلاءم و سياق خطابه الترسلية، ليكون له أثر على نفسية المتلقي فيتحقق القصد، و تحدث الإصابة، و قد عملت الآيات المقتبسة على زيادة قوة ودرجة التصديق، وإضفاء طاقة حجاجية على الخطاب ففي قوله (أقرض الله قرضاً حسناً) و (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) استدراج واستعطاف للمتلقي ليشفق على المرسل فيقضي حاجته ويرد إليه حقوقه، و من جهة ثانية تنبيهه وتذكيره بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، وأنه محاسب عليها لا محالة يوماً ما ، وفي هذا ما يدفع أمير المسلمين إلى القيام بمسؤولياته اتجاه شعبه ورعيته.

ب/ الحديث النبوي الشريف:

تأتي الأحاديث النبوية في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث قوة دلالتها الإقناعية، و قد وظفها ابن أبي الخصال في رسائله، فكثيراً ما نجد في رسائله يستشهد بالأحاديث النبوية و يقتبس منها ليعطي خطابه الترسلية بعداً حجاجياً قوياً، و من أمثلة ذلك:

ما نراه في رسالة تعزية كتبها الكاتب إلى الفقيه القرطبي الشهر أبي الوليد بن رشد جد الفيلسوف ابن رشد حيث يقول: ((... فهنيئاً لقرطبه² الصالح و ذخره الزاكي الرجح ، ما اختاره الله له

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 497.

² القَرطُ (بفتح الواو و الراء) : الذي يموت و لم يبلغ الحلم من الأولاد (في سن الطفولة قبل البلوغ) يقال : افترد فلانُ ابناً صغيراً ، إذا مات قبله ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 94.

مِنْ كِرَامَةِ جِوَارِهِ، وَ اخْتَصَّهُ بِهِ مِنْ إِشَارِهِ ... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ) ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) وَقَالَ (ص) وَ قَدْ سُئِلَ : ((أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ فَقَالَ : الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَ إِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةً أُبْتَلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)) قَالَ (ص) : ((مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَ الْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَ وُلْدِهِ وَ مَالِهِ ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ))¹.

فالكاتب يعزي في هذه الرسالة الفقيه بوفاة ابنه ويدعوه إلى التحمل والصبر على هذه المصيبة التي ألمت به، وقد وظف هذه الأحاديث النبوية لما لها من وقع على النفوس، وأثر على نفسية الإنسان المسلم، كيف لا؟ والمخاطب فقيه، وهو أعلم من غيره بالكتاب والسنة.

وقد نجح الكاتب في اختيار الأحاديث التي توائم موضوع الرسالة ومقامها بوصفها حججا وأدلة، بما يحقق الإقتناع بضرورة الصبر واحتساب الأجر والثواب على الله.

ومن ذلك أيضا اعتماد الكاتب على الحديث الشريف في رسالة بعث بها إلى الأمير المرابطي أبي إسحاق يوسف بن تاشفين يثني عليه فيها، ويوصيه بالعالم أبي علي الصديقي، حيث يقول : ((فَإِنَّكَ لَا تَزَالُ بِحَمْدِ اللَّهِ تُحْيِي لِلْعِلْمِ أَثْرًا ، وَ تُجَرِّدُ فِي أَهْلِهِ نَظْرًا ، وَ تَسُنُّ سُنَنًا حَسَنَةً وَ سِيرًا ، وَ مِنْ أَعْلَاهَا مَظْهَرًا وَ أَسْنَاهَا سَنَاءً وَ مَفْخَرًا اشْتَمَأَلُكَ عَلَى الْفَقِيهِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي عَلِيٍّ ، مُعْظَمِ سُلْطَانِكَ وَ ظَهِيرِنَا - أَبَقَاهُ اللَّهُ ، وَ أَكْرَمَهُ بِتَقْوَاهُ - وَ تَقْيِيدِهِ فِي حَضْرَتِكَ وَ تَقْدِيمِهِ فِي أَثْرَتِكَ² ، وَ حَبَسَ مَعَارِفَهُ الْجَلِيلَةَ وَ رَوَايَاتِهِ الْحَفِيلَةَ عَلَى إِمْرَتِكَ ، فَالْعُلَمَاءُ لَا يُخْرِجُهُمْ فَاضِلٌ ، وَ لَا يَزْهَدُ فِيهِمْ عَادِلٌ ، وَ هُمُ الْقَوْمُ كَمَا جَاءَ

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 96.

² الأثر: البقية من العلم ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 506.

في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يَشْقَى جَلِيْسُهُمْ ، ولا تَنكَشِفُ أنوارُهُمْ و شُموْسُهُمْ)).¹

فقد قدم الكاتب مجموعة من الحجج ليقنع بها متلقي خطابه بضرورة الاحتفاء بالعالم أبي علي الصديقي وتقديمه ورعايته والاقْتِباس من مشعل علمه، وليعضد كلامه ويدعمه بالحجج القوية، استند إلى حجة جاهزة، فوظف الحديث الشريف لما له من أثر ووقع على المتلقي، وذلك لتحقيق الاقتناع بضرورة تقدير العلماء والتقرب منهم وإكرامهم وبالأخص العالم أبي علي الصديقي.

ومنه أيضا في خطبة كتبها يحث على الجهاد، ويحذر من خطورة الركون إلى الحياة الدنيا وزينتها، فقد استشهد بحديث النبي صلى الله عليه وسلم كدعامة يعضد بها قوله الحجاجي، ويقنع به متلقيه بضرورة الحذر من التمسك بالدنيا، والتراخي عن الجهاد في سبيل الله فيقول: رُويَ عَنِ الحَسَنِ بْنِ أَبِي الحَسَنِ البَصْرِيِّ - رحمه الله - أَنَّهُ قَالَ : دَخَلَ حَارِثَةُ الأَنْصَارِيِّ عَلَى النَّبِيِّ (ص) فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُؤْمِنًا حَقًّا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((إِنَّ لِكُلِّ إِيمَانٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ قَالَ : عَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بَدَأَ بِالدَّاءِ فَحَسَمَهُ))² ، فقد أراد الكاتب أن يوصل متلقيه إلى حقيقة الداء الذي ينخر النفوس ويؤدي بها إلى الهلاك، وهو الركون إلى الدنيا والتعاس عن الجهاد في سبيل الله والعمل للدار الآخرة.

ج/الشعر العربي:

للشعر مكانة كبيرة في نفوس العرب، فهو ديوانهم الذي فيه تاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم، فعلاقة الانسان العربي بالشعر، هي علاقة الجسد بالروح، ولقيمته وأثره ومكانته في نفوس متلقيه، عمد ابن أبي الخصال إلى توظيفه توظيفا حجاجيا وذلك من خلال نظمه هو، أو الاستشهاد به.

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 506.

² المصدر نفسه ، ص 527.

فبعض الرسائل يستهلها بالشعر ، و بعضها الآخر يكون في متن الرسالة، وقد أجاد الكاتب في المواءمة بين مضمون الرسالة وموضوعها، وبين الشعر المنظوم والمستشهد به. لأن الشعر لا يتوقف على الوظيفة الجمالية فهو أيضا ذو وظيفة تأثيرية انفعالية إقناعية.

وقد استطاع الكاتب أن يدعم حججه بالشواهد الشعرية التي تتطابق ومضمون رسالته، ومن ذلك مثلا في رسالة كتبها إلى صديق عزيز عليه مر بالقرب من المدينة التي يسكنها الكاتب، ولكنه لم يزره فعاتبه على عدم الزيارة، وكتب إليه يخبره أن هذا العتاب ما هو إلا حفظ للود والعهد والصدقة التي بيننا، وأن كثرة عتابي وسؤلي عليك هي في الحقيقة اشتياق مني إليك، وقد دعم الكاتب حججه في إقناع المرسل إليه بيت من الشعر لأبي الطيب المتنبي، ليزيد قوله طاقة حجاجية أخرى، وفي ذلك يقول: ((... قَدَ أَجَدْنَا فِي الْأَوْصَافِ فَأَجِدُ فِي الْإِنصَافِ وَ تَرَفَّقْنَا فِي الْإِسْتِلطَافِ ، فَجِئْنَا بِتِلْكَ الْقِطَافِ ، وَ تَعَطَّفَ فَإِنَّكَ ابْنُ الْعَطَافِ¹ ، وَ لَوْلَا ضَيْقُ الْأَنْفَاسِ ، وَ تَزَاخُمُ الْجُلَاسِ ، لَأَمْتَدَّتِ الْأَطْنَابُ ، وَ مَشَى فِي غُلُوءِهِ الْإِطْنَابُ ، لَكِنْ بَدُونِ هَذَا يُجْتَنَى الرُّطْبُ ، بَلْ يُقْتَنَى الذَّهَبُ ، وَ يَرْتَاخُ الْبَخِيلُ وَ يَهَبُ ، وَ كُلُّ يَسْتَيْقِنُ أَنَّ نَوَالِكَ لَا يَعْرُبُ² ، وَ لَكِنَّ مُنَاجَاتَكَ تَعَذُّبُ ، ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِهَذَا الْبَيْتِ

وَ كَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقٌ وَ كَثِيرٌ مِنَ رَدِّهِ تَعْلِيلٌ³))⁴.

¹ يقال : تعطف عليه أي وصله وبرّه ، و العطف : الرجل الحسن الخلق ، العطوف على الناس بفضله ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 169.

² عَرَبَ : غاب ، وَ بَعُدَ وَ خَفِيَ ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 169.

³ البيت لأبي الطيب المتنبي (ديوانه بشرح الواحدي : 615) ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 169.

⁴ رسائل ابن أبي الخصال، ص 169.

لقد وظف الكاتب البيت الشعري توظيفاً حجاجياً ليبرهن من خلاله على قوة العلاقة التي تربطه بصديقه المعائب، وأن هذه الصداقة منبعها الحب الصافي، والود الوافي، كما أكد أيضاً من خلاله أن هذا العتاب ليس عتاب غل وضغينة وكره، وإنما هو عتاب نابع عن الود و الاشتياق.

ومنه أيضاً في رسالة كتبها إلى الوزير أبي الحسين بن سراج معتذراً من المقامة القرطبية التي نسبت إلى الكاتب وهو منها براء، فقد حاول الكاتب من خلالها تبرئة نفسه وإقناع الوزير بأنه لم يكتبها ولا علاقة له بها فيبتدئ رسالته بقوله

مَا كُنْتُ أَشْتُمُ قَوْماً بَعْدَ مَدْحِهِمْ وَ لَا أَكْذُرُ نَعْمَى بَعْدَمَا تَجِبُ

فالكاتب يعترف في هذا البيت بفضل الوزير عليه، ومكانته عنده، وأنه ليس ممن ينكر الفضل وينكث عن العهد، ثم وظف بعد ذلك بيتين مشهورين لأبي عمرو بن ربيعة قد صارا يُضربان كمثال في كل أمر اختلف طرفاه في قوله: "

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَا سُهَيْلَا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَ سُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانُ¹

فقد استطاع الكاتب أن يوظف هذين البيتين توظيفاً حجاجياً من خلال عقد مشابحة ومقايسة بين الكاتب والمقامة القرطبية التي أتهم بها من جهة، والثريا وسهिला من جهة أخرى، وقد استحضر الكاتب هذه الواقعة التاريخية، ليقنع الوزير بأنه لا علاقة له بالمقامة القرطبية، وأن ما بينه وبينها كما ما بين الثريا وسهिला ، وقد كان لهدين البيتين طاقة حجاجية ، وأثر كبير على نفسيه المتلقي برهن من خلالهما الكاتب على براءته مما نسب إليه.

¹ المصدر نفسه ، ص 359.

د/ المثل :

كما وظف ابن أبي الخصال المثل أيضا في رسائله باعتباره رافدا حججيا يقوي الحجج ويزيد من فاعليتها لدى المتلقي، فالحجاج بالمثل يمثل قوة حججية، لأنه يشير إلى الأفكار المشتركة بين أفراد مجموعة بشرية معينة، كما يتسم بالعمومية والتدرجية والنسبية التي هي سمات للمبادئ الحججية، كما أنه يوظف في الخطاب باعتباره حجة، ولكنه ليس حجة عادية، إنه حجة قوة وحجة جاهزة¹

ومنه في رسالة كتبها إلى صديق له في شؤون بينها كما يخبره فيها بأنه محسود على ما هو عليه، وأن حساده يتربصون به، و ينتظرون عثرته ويتمنونها ثم يختم الكلام بقوله " ... و أقرأ عليك - دام عزك - أعم سلام تهاداه الأصفياء ، و تعاطاه الأوفياء ، يُحييك بأنفاس الرّياض و يُنوبُ عني في التّسلية و الارتماض² ، و يُبشّرُ حاسدك بالصدّ و الإعراض ، و فتكة كفتكة البرّاض³ " ففي قول الكاتب (و فتكة كفتكة البرّاض) إشارة إلى البرّاض الذي يضرب به المثل في الغدر والفتك والطغيان، وقد هدف الكاتب من خلال توظيفه لهذا المثل إلى طمأنة المتلقي وإقناعه بأن مصير حساده ومن يتربصون به، كمصير كل من تربص بالبرّاض وكاد له، فكانت نهايته الهلاك، ليعقد قياسا ومشابهة بين حالين، حال صديق الكاتب مع حساده، وحال البرّاض مع أعدائه، وأن نهاية أعداء صديق الكاتب كنهاية أعداء البرّاض، الذي أشتهر بهذا الأمر، وأصبح يشنع به حتى قيل (أفتك من البرّاض).

ومما سبق يمكن القول " أن طاقة الأمثال الحججية إنما تقوم في جوهرها على القياس ، قياس الحالة الحاضرة الراهنة على أخرى مشابهة يعرفها الجميع ويدركون أبعادها فمتى سلموا فإنهم يسلمون بالحاضرة

¹ جمعان بن عبدالكريم الغامدي، الحجج في الخطبة النبوية، ص 306.

² ارتمض من كذا : اشتدّ عليه و أفلقه ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 175.

³ هو البرّاض بن قيس الكناني ، ضُرب به المثل فقالوا : (أفتك من البرّاض) ، يراجع أمثال العسكري 2:110 ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 175.

⁴ رسائل ابن أبي الخصال، ص 175.

ومن ثم جاز القول بأن خطورة هذا النوع من الاستدلال تكمن في الإيهام بالتقارب الكبير بين الحالتين عن طريق علاقة الشبه التي يقيمها المرسل بينهما، فيفعل المثل في المتلقي كفعل التشبيه أو الاستعارة فيه، ولكنه يتفوق عن التشبيه والاستعارة من حيث أن المشبه به يكون حالة شائعة متداولة تحيل على حادثة كاملة راسخة في الذاكرة الجماعية كامنة في أعماق الجميع بحكم الشيوع والتواتر فيتأكد تأثير القياس ويثبت سحر المثل.¹

فالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال والحكم والنصوص الشعرية هي أدلة لها تأثير كبير على المتلقي، كما أنها تكشف عن الخلفية الفكرية والثقافية التي تميز بها الكاتب، والتي تنم عن براعته في التوظيف والاستحضار من جهة، والموهبة وسعة الاطلاع من جهة أخرى.

لأن امتلاك الشخص المحاجج لثقافة واسعة، فيما يتعلق بالمجال الذي يدور ضمنه الحجج، مثل المجال الديني أو السياسي، سيثري الرصيد المعرفي لديه والذي سيسهم في إيجاد الدعوى، وتبني الاعتراض المعين ، ودون ذلك تعوزه الحيلة للدفاع عما يراه، كما تعوزه الحيلة في بناء خطابه واختيار حججه.²

فابن أبي الخصال يستغل في رسائله ما أمكن من الوسائل اللغوية وغير اللغوية قصد التأثير في متلقيه والدفع به إلى الإذعان، واختيار المرسل لأدواته اللغوية وآلياته الحججية يكون وفق اعتبارات سياقية يراعي فيها مقتضيات التخاطب وحالة متلقيه، لأن لكل سياق اختيارات معينة مما يجعل الحجج ترجيح بين خيارات بواسطة أسلوب هو في ذاته عدول عن إمكانات لغوية إلى أخرى يتوقع أنها أكثر نجاعة في مقام معين.³

¹ سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، ص 295 – 296.

² الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 468.

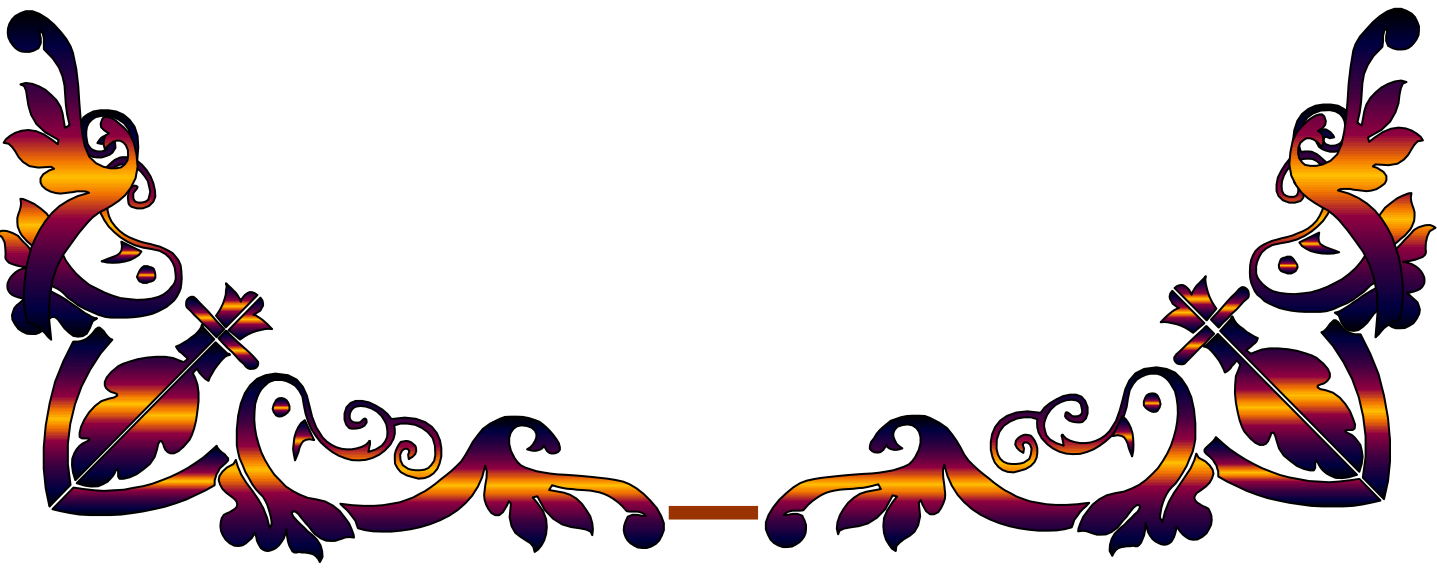
³ ينظر: المرجع نفسه، ص 460.

وفي الختام نخلص إلى أن الخطاب الترسلّي عند ابن أبي الخصال خطاب مشحون بطاقات حجاجية تمايزت في قوتها حسب طبيعة الرسالة وموضوعها، مما أكسب الرسالة فعالية تواصلية حجاجية تستهدف المرسل إليه قصد التأثير فيه وإقناعه بالوسائل اللغوية الممكنة في خطاب يُشهد لصاحبه بالبلاغة والفصاحة، وحسن الاختيار، وروعة الأسلوب، وبذلك استطاع ابن أبي الخصال أن يمتلك ناصية اللغة، ويوظفها في خطابه بما يلائم مقاصده ويحقق غاياته، فكان إذا كتب أوصل إلى النفوس، وأسر القلوب، و كسب العقول.



الفصل الرَّابِع :

آليات الحجاج البلاغية و
التداولية
في رسائل ابن أبي الخصال



تمهيد:

تعد البلاغة مرتعا خصبا للحجاج، فهي كانت ولا تزال العلم الذي يعنى بالتواصل بأشكاله المختلفة، إلا أنه في الدراسات اللسانية والتداولية الحديثة لم تعد وظيفتها تقتصر على تزيين وتنميق النصوص والخطابات، بل أصبحت الآلة التي يتوسل بها إلى الاستمالة والتأثير والإقناع.

فبعد ما كان ينحصر دور البلاغة خاصة في الدراسات الأدبية على وظيفة التزيين والتزويق، أصبح في نظر تيتيكاه و بيرلمان للصورة البلاغية طاقة حجاجية.¹

وذلك لأن الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية (كما هو مطلوب في سياق البلاغة) بل لتؤدي وظيفة إقناعية استدلالية (كما هو مطلوب في الحجاج)، ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية وإنجاز مقاصد حجاجية و لإفادة أبعاد تداولية.²

فالبلاغة مكون طبيعي في أشكال التواصل الإنساني، وهذا هو موضوع بحثها الذي يتجسد أحيانا في بنيات إقناعية (البلاغة الحجاجية) وأحيانا في مجموعة من الصور والوجوه الاسلوبية التحسينية ، وأحيانا أخرى في مجموعة من الصيغ التعبيرية والتصويرية التي تفرزها مختلف الأجناس والأنواع والأشكال والنصوص الأدبية (البلاغة الأدبية).³

وحيثما نتساءل عن طبيعة العلاقة بين الحجاج والبلاغة نقول أنها تكمن في توظيف الأساليب البلاغية توظيفا يقوي في الخطاب الجانب الإقناعي باعتبار أن الأساليب البلاغية لها طاقات وآثار

¹ ينظر: عبدالله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، ص 323.

² صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مدخل ونصوص، ص 50.

³ بوعافية محمد عبدالرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، قراءة في الانساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2018م، ص 19.

حجاجية ، ومنه يمكن أن نخلص إلى أنه في البلاغة حجاج وفي الحجاج بلاغة، وهو ما يجعل في العلاقة بين الخطابين علاقة اتصالية قائمة على التفاعل والتجادل.¹

وفي السياق ذاته يمكن القول أن قيمة الآليات والوسائل البلاغية في الخطاب تتجلى " فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب".²

فالبيان والبديع يسهمان في الإمتاع والتأثير، ولكنهما يملكان أيضا طاقة حجاجية من حيث أنهما يعبران عن حجج بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيرا وإصابة"³.

ومما سبق نخلص إلى أن البلاغة هي " آلية يتوسل بها منتجو الخطابات والنصوص لتوصيل آرائهم و إحداث التغيير بها، وهذه الآلية - البلاغة - قد تؤثر وتستميل وتمتع، ولكنها لا تقنع وتفحم إلا إذا تلاحمت مع الحجج والمحاجة".⁴

فآليات الحجاج البلاغية تسهم في " تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام، وتصل بين أقسامه أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب، أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي ما ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدتها

¹ ينظر: علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2010م، ص 335.

² سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص 120.

³ ينظر: عبد الله بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 456.

⁴ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 179.

لها، أي أن الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملية الإقناعية ويسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية والفعل فيه.¹

ولذا فإن الاستراتيجية التي تبناها ابن أبي الخصال رام من خلالها بناء رسائله وفق " متغيرات الوضع المقامي والخلفيات النفسية والمعرفية للمتكلم، وعلاقاته بالمستمع ومقتضيات المقام الخاصة والعامة."² فكل رسالة تقتضي نمطا وبناء يختلف عن الآخر حسب موضوع الرسالة، ووظيفتها، والشخص الموجه إليه الخطاب الترسل، وهنا تتجلى لنا الصلة القائمة بين البناء الشكلي للرسالة ومقتضيات الترسل والتخاطب لأن " الوظيفة العاملة للرسالة ذات البلاغة الخطابية هي عقد صلة التخاطب، واستمالة المخاطب."³

وذلك لأن الاستراتيجية الخطابية " عملية واعية يخطط لها المتكلم بشكل دقيق وباختيار موجه تحكمه نتائج الخطاب وغاياته الحجاجية."⁴

ومن هنا كان موضوع الحجاج هو " دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم."⁵

فابن أبي الخصال لا يتوقف في رسائله على إقامة التواصل من أجل تحقيق الفهم والإفهام بل يتجاوز ذلك، باعتبار أنّ إنشاء التواصل هو مرحلة أولى يتم من خلالها جلب القارئ المخاطب وتهيئته للمرحلة

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 120.

² عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 69.

³ صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة، ص 292.

⁴ حسن عفات غضيب الرواشي، رسائل ابن أبي الخصال، دراسة حجاجية، رسالة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، العراق، 2019م، ص 65.

⁵ عبدالله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص 297.

الثانية التي يتجلى من خلالها التأثير في المتلقي وإقناعه لأن " حاجة المتكلم إلى مراعاة المتلقي والاستحواذ على انتباهه في مرحلة أولى ثم الفعل فيه في مرحلة ثانية، أمر قد أجمع عليه كل الدارسين المهتمين بالحجاج وأفانينه ، فالمتلقي هدف الخطاب وموجهه في الآن، إذ يحدد ملامحه ويقرر اختيارات المتكلم وطرائقه في الإقناع ويتدخل في تنظيم الحجج وترتيب أقسام الكلام.¹"

ولذا فإن الدراسات والأبحاث وجهت جُلّ اهتمامها للبحث في الآليات التي تضمن نجاح الحجاج و نجاعته وفعاليتها، و تناول استراتيجيات الخطاب الحجاجي من مختلف أبعاده ومراميه وغاياته، باعتبار أن تلك الآليات والاستراتيجيات هي التي تنجح في تقوية انخراط المخاطب، بشكل يطلق لديه الاستعداد للعمل، أو الفعل، أو الاقتناع، أو الثقة، والتي يمكن أن تتحقق في الوقت المناسب، أو على الأقل تجعله غير قادر على رفض القول الحجاجي.²

و انطلاقا مما سبق سنحاول في ما يلي الوقوف على أهم الآليات البلاغية والتداولية التي وظفها ابن أبي الخصال في رسائله، والتي كان لها دور كبير في الإقناع والتأثير باعتبارها رافدا حجاجيا، يقوي الحجج، ويدعم النتائج ، وذلك من خلال الأبعاد الثلاثة الآتية:

أ/ البعد التوجيهي: ويتمثل في العلاقة التخاطبية التي يقيمها المرسل مع المرسل إليه من أجل إيصال مقصده وتوجيه غرضه الإقناعي ، وتوجيه سلوك المرسل إليه للهدف الذي يرمي إليه، وهو بعد إنحازي تداولي.

ب/ البعد التأثيري: ويتمثل في الأثر الذي يتركه القول الحجاجي على المرسل إليه، وبالتالي تحقيق الغرض على أرض الواقع سواء كان بلوغ هدف وغاية، أو تعديل موقف، أو تغيير سلوك.

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم (مرجع سابق)، ص 90.

² عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 126.

ج/ البعد الجمالي: ويتمثل في إضفاء الرونق والجمال والسحر على القول، وهذا ما يؤدي إلى تحقيق الاستمالة.¹

1/ حجاجية الاستعارة:

لقد أضحت الاستعارة من أهم وسائل الحجاج البلاغية التي لها أثر عميق في الخطاب الحجاجي، فهي فن لغوي تداولي يعطي للقول قوته الدلالية وإصابته النفسية تأثيرا وانفعالا واستحسانا² وتتجلى فعالية الاستعارة وقيمتها الحجاجية في أنها تمثل درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الذي جاءت تسد مسده.³

فالاستعارة إذا هي وسيلة بلاغية من حيث أنها تساهم في الامتاع والتأثير، ولكنها أيضا حجاجية من حيث إنها تعبر عن حجج بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثير وإصابة.⁴

ويمكن أن نميز في ضوء ذلك بين نوعين من الاستعارة، الأولى وهي الاستعارة الحجاجية وتتميز " برغبة المتكلم في إيصال فكرة ما إلى المستمع تأثيرا أو إقناعا ، أما الاستعارة البديعية أو الجمالية، فلا يقصد بها الحجاج أو الإقناع، بل هي وسيلة لغوية جمالية تراد لذاتها ليس إلا، وترد الاستعارة الحجاجية في الكتابات السياسية والصحفية والعلمية والأدبية، وهي مرتبطة بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية."⁵

¹ ينظر: بوخشة خديجة، حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، رسالة دكتوراة، جامعة وهران، 2013 - 2014م، ص 141-142.

² المرجع السابق، ص 114.

³ ينظر: حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 43.

⁴ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 456.

⁵ جميل حمدوي، نظريات الحجاج، ص 40.

ومما يتميز به القول الاستعاري في الخطاب الحجاجي أنه " لا يقف عند حدود التمثيل أو المشابهة بين فكرتين أو موضوعين، بل قد يتحول البناء الحجاجي بكامله إلى بناء استعاري يستدعي فيه المعنى الأول معنى ثانياً، اعتماداً على المقومات الأساسية في العملية الحجاجية (مقام ومستمع ومقتضيات تداولية) التي تشكل إلى جانب الآليات الأخرى (لسانية منطقية تداولية) هيكل الخطاب الحجاجي".¹

وهذا الذي أشار إليه الجرجاني حينما ذهب إلى أن موضوع الاستعارة " أنك تثبت بها معنى لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ، ولكن يعرفه من معنى اللفظ " ² ومن هنا " فليس تأثير الاستعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته، بل في إيجابه والحكم به. " ³

ويذهب الجرجاني أيضاً إلى أن كل ما كان فيه اتساع ومجاز وعدول باللفظ عن الظاهر أوجب الفضل والمزية ويذكر مثالا على ذلك حيث يقول: فإن قلت " هو كثير الرماد " كان له موقع وحظ من القبول لا يكون إذا قلت " هو كثير القرى والضيافة "، وكذا إذا قلت " هو طويل النجاد " كان له تأثير في النفس لا يكون إذا قلت: " هو طويل القامة" ⁴

ففي هذا الكلام تأكيد من الجرجاني على أن المجاز أبلغ من الحقيقة في التأثير ، ولذا فالاستعارة عنده هي " أمدُّ ميدانا، وأشدُّ افتنانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة وأبعد غورا، من أن تُجمع شُعبها وشُعوبها، وتُحصر فنونها وضروبها ... وأن تأتيك على الجملة بعقائل يأنس إليها

¹ عبد السلام عشير، عندما نتواصل بغير، ص 121.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ص 431

³ المصدر نفسه، ص 71.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص 430.

الدين والدنيا، وفضائل لها من الشرف الرتبة العليا، وهي أجل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها، وتستوفي جملة جمالها.¹

وذلك لأن الصور المجازية " تتنوع وظائفها داخل القول الحجاجي والعمليات الاستدلالية حسب الأهداف المتوخاة من استعمالها، فمنها ما هو متعلق بالقول الحجاجي نفسه كالتكثيف والتزيين ومنها ما هو متعلق بالمتكلم كتغيب المسؤولية الواضحة عن القول، ومنها ما هو متعلق بالسامع كتحريك مخيلته ومنها ما هو متعلق بالمقام أو الواقع الخارجي كإبداع صورة جديدة لمعالجة بعض القضايا والوقائع.²

وبما أن للاستعارة بعدد حجاجي وأثر نفسي جمالي على المتلقي، إضافة إلى الدور الذي تلعبه في تشكيل الخطاب وتأويله سنحاول أن نقف على بعض الأمثلة في خطاب الترسل عند ابن أبي الخصال لبيان طاقاتها الحجاجية وآثارها على بنية الخطاب الترسلية و متلقيه

فالاستعارة تقوم على توريث المتلقي وإجباره على تأويل النص وتفكيك الصورة وبذلك يقع إلزامه بالنتيجة التي انتهى إليها بعد تفكيك وتأويل³.

ويرى ميشال ماير أنه " إذا كانت الاستعارة الشعرية تملك السامع أكثر مما ترغمه، فإن الاستعارة الحجاجية تكون أكثر قهرا ، ويتميز القول الاستعاري عن القول الحرفي في الحجاج بكونه يؤدي عدة وظائف في عملية التخاطب وعمليتي الفهم والتأويل بين المتكلم والسامع⁴ ، ومن هنا فإن الخطاب

¹ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تع: محمود محمد أبو شاكر، دار المدني، جدة، ص 42.

² عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 122.

³ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص 269.

⁴ المرجع السابق، ص 120 - 121.

الحجاجي لا يخلو من المجاز الذي تعد الاستعارة الصورة المثلى له، على اعتبار أنها مجاز يقوم على علاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى القيمي.¹

يقول ابن أبي الخصال في رسالة كتبها إلى الوزير الكاتب أبي محمد القاسم يرد عليه في رسالته التي فضل فيها بديع الزمان الهمداني على أبي إسحاق الصابي، وقد انتصر الكاتب للصابي وفصل في ذلك واحتج لآرائه، يقول فيها: " ... أبو إسحاق مَعِينُ الْقَوْلِ ، مُقَدِّمٌ عَلَى الْهَوْلِ ، يَصُولُ صَوْلَ الْقَرْمِ فِي الشُّوْلِ² ، إِنْ غَضِبَ حَسِبْتَ النَّاسَ غَضَابًا³ ، وَ رَأَيْتَ السَّهُولَ وَغُورًا وَ هِضَابًا ، أَوْ رَضِيَ أَعَادَ الْمَشِيبَ شَبَابًا ، وَ فَتَحَتِ السَّمَاءُ أَبْوَابًا ، وَ ضَرَبَتِ النَّجْمُ قَبَابًا ، وَ لَبَسَتِ الْأَرْضُ مِنْ وَشِي النَّوْرِ ثِيَابًا ، كُتِبَتْ تُغْنِي عَنِ الْكُتَاتِيْبِ وَ تُقِيمُ الْمُجْرِمَ مَقَامَ الْعَائِدِ التَّائِبِ ، كَمْ جِيوشٍ فَلَّتْ ، وَ عَزَائِمٍ انْقَضَتْ وَ حَلَّتْ ، وَ رِقَابٍ كَرِقَابِ الْأُسْدِ أُذِّلَّتْ ، وَ كَيْفَ تُجَارَى أَقْلَامٌ أَرْضَعَتِ الْخِلَافَةَ الْهَاشِمِيَّةَ⁴ بِلِسَانِهَا ، وَ أَوْتَتْ إِلَى رُبُوعِ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ مِنْ بَيَانِهَا ، وَ نَطَقَتْ فَأَفْحَمَتِ النَّاطِقِينَ بِلِسَانِهَا ، وَ أَخَذَتْ عَلَى الْأَيَّامِ بِطَرْفِي شَمَائِلِهَا وَ أَيْمَانِهَا..."⁵

لقد لجأ ابن أبي الخصال إلى توظيف الاستعارة الحجاجية لإثبات دعواه وهي أفضلية أبي إسحاق الصابي على بديع الزمان الهمداني، فكان لها أثرا في تقوية الأطروحة والإدعاء الذي يحمله الخطاب

¹ ينظر: طه عبدالرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 232.

² أصل المعين الماء الظاهر الذي تراه العين يجري على وجه الأرض، و القرم: من الفحول الذي يُترك من الركوب و العمل و يودع للضراب؛ و الشول: جمع الشائلة: التي فُصل عنها أولادها و نقص لبنها و لا تزال شولاً حتى يرسل فيها الفحل، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 146.

³ تضمين من بيت جرير من الدامغة: (ديوانه 823)، إذا غضبت عليك بنو تميم ** حسبت الناس كلهم غضابا، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 146.

⁴ هي الخلافة العباسية، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 146.

⁵ رسائل ابن أبي الخصال، ص 146.

الترسلي المحتج به، ومن هذه الاستعارات قوله: (فتحت السماء أبوابا، ضربت النجوم قبابا، لبست الأرض من وشي النور ثيابا، أقلام أرضعت الخلافة الهاشمية بلبانها، أوت إلى روبة ذات قرار معين من بيانها، نطقت فأفحمت الناطقين بلسانها، وأخذت على الأيام بطرفي شمائلها وأيمانها) فقد ذكر الكاتب المشبه وهو (السماء، النجوم، الأرض، والأقلام.) وحذف المشبه به، وترك لازما للدلالة عليه في قوله (فتحت، ضربت، لبست، أرضعت، أوت، نطقت، أخذت) على سبيل الاستعارة المكنية.

فكان القول الاستعاري أقوى وأبلغ في تصوير المعنى والتعبير عنه، وأكثر تأثيرا من الكلام العادي، لأن حجاجية الاستعارة قائمة على الإثبات والتدليل، يجعل المستعار منه دليلا على إثبات صفة يدعيها المتكلم للمستعار منه، ومنه كانت الصفة التي يريد ابن أبي الخصال أن يثبتها ويقنع بها متلقي خطابه من خلال الادعاء والمطابقة بين المستعار والمستعار له هي تَفَوُّق الصابي على بديع الزمان الهمداني في النظم والحسن والروعة والجمال والكمال والتمام، فكيف يجارى نظم الهمداني، بنظم الصابي الذي فتحت له السماء أبوابا، ولبست له الأرض وشي النور ثيابا، وهو إضافة إلى ذلك قلم الخلافة الهاشمية ولسان حالها.

ومما زاد في جمالية القول الاستعاري وقوته وتأثيره عند ابن أبي الخصال هو براعة الكاتب في اختيار ألفاظه وتصوير معانيه، وكمال النظم عنده، فهو من أهل البلاغة وأرباب البيان، فتجده يدغدغ عواطف المتلقي، ويحرك خياله، ويشغل ذهنه لتأويل وتفسير القول الاستعاري، الذي يصبح طاقة حجاجية وفعالية إقناعية تنفذ إلى عوالم المتلقي فتأسره وتؤثر فيه، وهذا ما لا يتحقق في القول العادي.

ومثال ذلك أيضا قوله: في رسالة كتبها إلى صديق له يعتذر بعد ما سعى بينهما ساع كذبا وزورا " ... ليس الودُّ - أعزك الله - بتزويق اللسان ، ولا تنميق البنان ، ولا الشأن في روبة مكيشة ، و لا بديهة حثيثة، ولا في أساطير الصحف مبثوثة ، وإنما هو ما وقر في الفؤاد، و رسخ في الاعتقاد ، وثبت في مواطن الاعتداد ، ولبس الجدة والقدم، و خامر اللحم والدم ، و تلك سبيلنا المستمرة، وحالنا المستقرة ، التي لا تنفصم - بحول الله - عُراها ، ولا تختل قواها، ولا تتقاصر - يد

الزمان - يداها ، ولا يقف دون مداه - والله المستعان - مداها... هذه - أعزك الله - طريقة ودنا المثلى، وعقيدة عهدنا الوثقى ، عليها نحتمل ، -و بردائها- رداء الضمير نشتمل ، و كالنا - أعزك الله - كيف دار و أيّا ما اختار ، في سعةٍ و رخاء ، و على منهج بر وإخاء ، إن والى فعن فضل ، وإن أغبّ ففي غير معتبة و لا عزل ، و إذا ثبتت هذه العقيدة ، والحجج المستقيدة ، فلا عليك - أعزك الله - أن تخفض لأخيك الصدق جناحا، و تخفض عنه: إيجابا واسجاحا " ¹

لقد وظف ابن أبي الخصال مجموعة من الحجج ليقنع بها صديقه بالود الحقيقي الذي تظل عراه ثابتة قوية متينة لا تعصف بها رياح الفتن، ولا يؤثر فيها بعد المكان وقلة اللقاء، وإنما الود الحقيقي يكون بما وقر في الفؤاد، ورسخ في الاعتقاد، وثبت في مواطن الاعتداد، ولبس الجدة والقدم، وخامر اللحم والدم... لا تنفصم عراها، لا تختل قواها، لا تتقاصر يد الزمان يداها، عليها نُحتمل، وبردائها رداء الضمير نشتمل . فقد لجأ ابن أبي الخصال في هذه الحجج إلى استعمال القول الاستعاري (الاستعارة المكنية) ذكر المشبه، وحذف المشبه به، وترك لازما يدل عليه (لبس، خامر، تنفصم، تختل، نشتمل، نُحتمل) لأنه أقوى حجاجيا من الأقوال العادية في تبليغ المقصد الحجاجي والتأثير في المتلقي، فقولنا على سبيل المثال:

- طريقة ودنا في الماضي وفي المستقبل هي نفسها لا تتغير.

- طريقة ودنا ما لبس الجدة والقدم .

نلاحظ أن القول الاستعاري أقوى وأبلغ لأنه عملية ذهنية تحرك العقل، وتسبح به في الخيال، فتجلب انتباه المتلقي، وتنفذ إلى عوالمه، فتدغدغ عواطفه ومشاعره وتؤثر فيه، وتدفعه إلى مشاركة المتكلم الأحاسيس والانفعالات.

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 37-74.

ومن هنا فإن الكاتب وظف القول الاستعاري كحجة قوية تتعاضد مع الحجج التي قبلها لتحقق الهدف الحجاجي، وهو إقناع صديق الكاتب بحقيقة الود الذي بينهما، وبأن هذا الود لا يمكن لنميمة حاقدة كاذبة أن تؤثر فيه أو تفك وثاقه.

ومنه أيضا في رسالة كتبها إلى شخصية كبيرة لم يسمها يتوسط لرجل به فاقه يقول: " سيدي الأعظم، وملاذي الأعصم، وملجئي الأمنع الأكرم، ومن أطال الله بقاءه، للعدل يمد ظلاله، و الفضل يفسح مجاله، والدهر يطول أفراده و رجاله ، قد تقرر إسنادي إلى عُلاه، واعتمادي على جلاله نهاه، و اعتدادي في جملته ، وأدائي لحمته ، وتشيعي في مجده، وتشيعي في شكره وحمده ..."¹ حيث بدأ الكاتب بنية رسالته بجملة من الأوصاف والأدعية، وهذا من حسن الابتداء والاستهلال، الغرض منه استدراج متلقي الخطاب واستدعاؤه واستمالاته والتأثير فيه، فذلك أدعى للتأثير وبلوغ الهدف والغاية، ومما زاد في براعة الاستهلال أنه جاء مشفوعا بالأقوال الاستعارية التي هي أقوى حجاجيا من القول العادي ، ففي قول الكاتب (ومن أطال الله بقاءه ، للعدل يمد ظلاله) جعل من المجرد (و هو العدل) محسوسا (و هي الشجرة الوارف ظلها) على سبيل الاستعارة ، فحذف المشبه به، وترك لازما يدل عليه.

و قد جعل من امتداد الظل مقابلا لسواد العدل في حكمه العادل ، و هي استعارة تجسد المتعة و الراحة التي يحظى بها الباحث عن الفيء في حر الصحراء و التي يقابلها الراحة و الطمأنينة التي يبحث عنها و ينشدها المظلوم ، حينما يلجأ إلى القضاء في مظلمة تعرض لها .

فالاستعارة أدعى في تحريك همة المرسل إليه وجلب انتباهه ودفعه إلى التسليم والإذعان. لأنها تخاطب عقل المتلقي وتنفذ إلى عوالمه، كما أن " الاستعارة إذا كانت في غايتها الأولى تهدف إلى التقريب بين

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 76.

المتخاطبين، فإنها كذلك قوة قولية تجبر الخصم أحيانا على قبول الموقف القضوي والاستسلام له وقت دفع حجته.¹

2/ حجاجية التشبيه:

يدخل التشبيه أيضا ضمن آليات الحجج التداولية والبلاغية التي يوظفها المرسل بغرض الإقناع و الإمتاع، وذلك من خلال عقد صلة مشابهة بين صورتين من خلال خاصية تجمع بينهما لأن قوة كل من التشبيه والاستعارة " تتأتى من خلال قدرتهما على التقريب بين عنصرين من نظامين مختلفين مع محاولة جاهدة لطمس ما بينهما من فروق."²

فالصورة لها وقع شديد على المتلقي، وهي التي تدفعه إلى التفكير وإعمال الذهن، ومن هنا كان التشبيه تصويرا قويا للمعنى، وقيمته لا تقصر على العلاقة بين طرفيه بل تكمن في قوته وإيضاحه وإظهاره للمعنى وهو " الدلالة على مشاركة شيء لشيء في معنى من المعاني أو أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرض ما ولا يكون وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد "³.

وتتجلى قيمة التشبيه وأثره في الرسالة أو الخطاب في أن المتكلم يوظفه بهدف توضيح المعنى أو توكيده أو توصيله بأدق وأجمل وأبلغ صورة، وهذا عينه ما أشار إليه أبو هلال العسكري حينما ذهب إلى أن التشبيه " يزيد المعنى وضوحا، يُكسبه تأكيدا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد عنه."⁴ ومن أمثله عند ابن أبي الخصال:

¹ محمد بن عبدالله المشهوري، الخطاب الحجاجي في رواية (الموت يمر من هنا) لعبد خال، مجلة حقول للدراسات الأدبية والنقدية، العدد 15، 2020م، ص 61.

² سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، ص 253.

³ عبد الرحمان حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م، ص 162.

⁴ المرجع نفسه، ص 166.

يقول في رسالة يحتج فيها بأفضلية الصابي على بديع الزمان الهمداني " ... أبو إسحاق الصابي ... فأما نظمه فالأرزي المشور¹، والفستق المقشور، و الخسرواني المنشور²، ووجه الحبيب يملأ عين محبه و يصور، يزيد في السبك أضعافا وينصع، وتود الثغور أنها بكلماته الغر تصرع أو ترصع³، وهو - بعد - على مهيع العرب، وأسلوبها الأبعد الأقرب، لا يحرم توفيقها، ولا يخرم⁴ على حال طريقها..."⁵

فقد وظف أبو عبد الله محمد ابن أبي الخصال التشبيه توظيفا حجاجيا في خطابه ليحتج به على متلقي خطابه بأفضلية الصابي على بديع الزمان الهمداني في النظم والكتابة والأسلوب، فشبه نظمه بالعسل في حلاوته، والفستق المقشور في وضوحه وبيانه، والحرير في رفته ونعومته، ووجه الحبيب الذي يطل عليك ببهاء منظره وحسن ابتسامته، فقد عمل الكاتب على حذف الأداة ووجه الشبه على سبيل التشبيه البليغ، وهو تشبيه في درجته الحجاجية أشد قوة وأكثر تأثيرا في نفس المتلقي من أنواع التشبيه الأخرى.

وقد عمل الكاتب من خلال هذه التشبيهات على إحداث الفعل الإقناعي في متلقي خطابه من خلال إثارة مجموعة من الخصائص الموجودة في المشبهات (الأري أو العسل، الفستق المقشور، الخسرواني أو اللباس الحريري المنشور، ووجه الحبيب و مٌحياه) و إسقاطها و تشبيهها بنظم الصابي، ففي قوله: (فأما نظمه فالأرزي المشور) فنجده قد استعمل (العسل و حلاوته)

¹ الأري: العسل. المشور: من شار العسل: استخرجه من الخلية. عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 147.

² الخسرواني: نوع من الثياب من نسج الحرير الرقيق منسوب إلى أحد الأكاسرة، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 147.

³ التصريع و التّرصيع: ضربان من البديع في الشعر، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 147.

⁴ يقال: ما حرم الدليل عن الطريق: أي ما عدل عنه، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 147.

⁵ رسائل ابن أبي الخصال، ص 147.

تشبيها و تدليلا على ما في عبارات أبي اسحاق من اختيار و إجادة بل و حلاوة حتى أن الثغور توذ أن ترصع بها و تترين (وتود الثغور أنها بكلماته العرّ تصرّع أو تُرصّع) .

كما استدل على وضوح عبارات نظمه و جلاء معناها بتشبيهاها بالفسق المقشور ، و الذي يجمع بين مكانة ثمرة الفستق - الطيبة و الشهية - و بين كونها مقشورة سهلة المنال (عكس غير المقشور الذي تختفي ثمرته تحت قشرة صلبة ، شأنها شأن الوحشي من الألفاظ و المُعرب من المعاني) ، و هذا الوضوح من الصفات المحمودة في نظم الصابي كما يرى الكاتب .

إضافة إلى خاصية الوضوح في ألفاظ الصابي ، لم ينس الكاتب أن يذكر قضية سهولة المعنى و التي شبه فيها نظم ابن الصابي بالخسرواني - و هو نوع من الثياب من نسج الحرير الرقيق - المنشور ، فسهولة ألفاظه - أي الصابي - تشبه سهولة و انسياب الحرير المنشور ، في غير تكلف و لا تصنع ، فلا يحدّ بذلك عن ديدن العرب في صنعها (وهو - بعد - على مهيع العرب، وأسلوبها الأبعد الأقرب، لا يُحرم توفيقها، ولا يخرمُ على حال طريقها) .

لقد استطاع الكاتب في احتجاجه (باستعمال التشبيه) تقريب الصورة إلى المتلقي ، فجعلها مجسدة أمامه محسوسة جلية، فنظم الصابي هو عينه العسل في حلاوته، والفسق المقشور في وضوحه وبيانه ، فجعل من المشبه به عين المشبه بغرض المبالغة والتأثير، فكان ذلك أدعى في تقريب المعنى ووضوحه وتأكيد له لتحقيق الاقتناع، وإثبات أفضلية الصابي على بديع الزمان الهمداني.

ومثال ذلك أيضا في رسالة كتبها ابن أبي الخصال هي عبارة عن موعظة يتحدث فيها عن أهمية صلة الرحم حيث يقول: " أولوا الأرحام - أعلى الله في مراتب الموقّقين قَدْرَكَ، وأجرى على سُنن الصالحين أمرَك- فيما ينشأ بينهم من تنافٍ وتنازع، ويؤولون إليه من تكافٍ وتوازٍ¹، و يتعاملون به من تواصل وتعاطف، وتراحمٍ وتلاطف، كالروضة المُعشبة، والدّوحة الأشبة² ، إن

¹ وزع الإنسان و غيره : كفه و منعه و حبسه . عن رسائل بن أبي الخصال، ص 471 .

² أشبَ الشجر : اشتدّ التفافه ، و كثر حتى لا يحاز فيه ، عن رسائل بن أبي الخصال، ص 472 .

تُرِكَت ومطرح الهوى، وتشعّب المواد والقوى ، هانت من حيث عَزَّت، وجفت من حيث أثَّت، وإن صافحتها يد التهذيب، ومرت عليها مُدى التلقيح والتشذيب؛ استوت على سوقها، وطمحت في بُسوقها، وتم نَشُوها، واعتَمَّ زهوها، ونمت عَرَفًا زَكِيًا، و اسَاقطت رُطبا جنيا.¹

لقد تحدث ابن أبي الخصال في موعظته المختصرة التي راعى فيها مطابقة المقال للمقام إذ أن مقام الوعظ والإرشاد يقتضي الإيجاز محاولا من خلالها إقناع مخاطبيه بأهمية صلة الرحم ودورها في الحفاظ على أواصر الرحمة والمحبة والود، حيث شبه صلة الرحم بالروضة المعشبة والدوحة الأشبية، إن طالتها يد العناية والاهتمام والرعاية والتراحم والتلاطف رَبَّتْ وأنبَت واحضرتْ وازَّيَّنت، وجادت بأطيب الثمار، وأجمل الأزهار، وإن طالها التنافي والتناز، والقطيعة والتنازع، جَعَّتْ أنهارها، ودَبَّلت ثمارها، وماتت أزهارها، وذهب جمالها ورونقها.

وقد استطاع الكاتب من خلال هذا التشبيه (كالروضة المُعشبة ، والدَّوحة الأشبية) أن يجعل من المجرد محسوسا، ومن البعيد قريبا، ومن الخفي جليا، فقرب الصورة من متلقي رسالته فجعلها حاضرة في ذهنه مجسدة أمامه كأنه ينظر إليها، فكان لهذا التشبيه أثرا في تصوير المعنى، وبلوغ الموعظة إلى القلوب، ووقوع أثرها في النفوس ، لأن المتكلم من خلال التشبيه يلجأ إلى عقد مقارنة بين شيئين يشتركان في وجه من الوجوه من أجل تصوير المعنى و إيضاحه وجعله أكثر إصابة وتأثيرا، فالعلاقة بين المشبه والمشبه به تجعل حضور المعنى في ذهن المتلقي أقوى.

ومما زاد في وضوح المعنى، وإقراره وتأكيد توظيفه للقول الاستعاري في قوله (صافحتها يد التهذيب) فالقول الاستعاري هو الذي زاد و أضفى طاقة حجاجية كبرى على المعنى، وذلك لأن القول الاستعاري هو " استدعاء للشيء وحضوره في الذهن كأنه مائل أمامه." ²

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 471 – 472.

² عبد الفتاح يوسف، السيمياء والاستعارة في شعر المعارضات، مجلة سيميائيات، العدد 02، 2006م، جامعة وهران، ص 106.

ومنه أيضا في قصيدة خمسة كتبها ابن أبي الخصال إلى الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين يث فيه الحماسة ومحاولا إقناعه بضرورة تحرير مدينة (قورية) من قبضة ابن رزمير الذي عاث فيها فسادا حيث يقول فيها بعد أن أطال في مدح الأمير ووصفه بأحسن الأوصاف، وتذكيره بشجاعة آباءه وأجداده وغيرتهم على الدين :

الدين جسمٌ سويٌّ باسق القَدَرِ وإن ألمَّ بَعْضُو مِنْهُ ذِي خَطَرِ

داءٌ تضعع بالحمى وبالسهر فانظر وفي الجسمِ مدعاةً إلى النَّظَرِ

فإنما الغوثُ قبل الفَوتِ والعَطَبِ

إليك بعد يا أمير المؤمنين علي¹ نشكو ونفرغُ عند الحادثِ الجَلِيلِ

فاكشف أراجيفَ هذا الرَّوعِ والوهلِ بعارضٍ للمنايا مُسبِلِ هَاطِلِ

بالمشرفية والأرواح منسكب².

لقد عمل ابن أبي الخصال من خلال قصيدته هذه على بث روح الحماسة في الأمير وإقناعه بضرورة تحرير (قورية) من الظلم والطغيان، وبعد ما أفاض في وصف الأمير، وذكَّره بمآثر آباءه وأجداده، وظف التشبيه في قوله (الدين جسم سوي باسق القدر) توظيفا حجاجيا، شبه الدين بالجسم الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسم بالسهر والحمى، مذكرا الأمير بأن (قورية) هي جزء من ملكه، وما يصيب الجزء يصيب الكل.

وقد استطاع الكاتب من خلال حنكته وتجربته، وهو من خبير الحياة وصاحب الملوك والقواد، أن يدغدغ عواطف ومشاعر الأمير، فجعل الدين هو موضع التشبيه بدل الملك، لأن الكاتب خبير المرابطين

¹ هو أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (حكم من 500هـ إلى 537 هـ)، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 49 .

² رسائل ابن أبي الخصال، ص 48 - 49.

وعرف عقائدهم وأعرافهم والسبيل إلى التأثير فيهم، ثم ذكّر الأمير بأن ينظر في حال (قورية) قبل فوات الأوان وفي تحذير الأمير من المخاطر المحدقة بدولة المرابطين، مدعاة للتحرك وتجهيز الجيوش.

وفي لجوء الكاتب إلى التشبيه البليغ حيث جعل المشبه عينه المشبه به مبالغة في تصوير المعنى وتأكيدهِ وتوضيحه، لأن المقام يقتضي ذلك، ولذا كان للتشبيه قوة حجاجية، وذلك من خلال لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق عقد صورة مشابهة ليؤكد الكاتب ويبرهن على صحة دعواه.

و يمكن القول أن " الجملة البيانية (تشبيه ، استعارة ، كناية) بمثابة مقدمة كبرى طرفاها هما طرفا الصورة البيانية ، و على هذه الجملة أو المقدمة يبني السامع جملة أخرى هي بمثابة مقدمة صغرى ، مبتدؤها المشبه به أو المستعار أو المُكْتَبَى به ، و خبرها لازم من لوازمه بحكم العقل أو الاعتقاد ، و من ثم يتوصل السامع أو القارئ إلى جملة ثالثة ، مبتدؤها مبتدأ الجملة الأولى (المشبه - المستعار له - المُكْتَبَى له) و خبرها خبر الجملة الثانية ، أي يتوصل إلى استنتاج باصطلاح المناطقة ، أو معنى المعنى باصطلاح عبدالقاهر ، أو دلالة عقلية باصطلاح السكاكي¹

ومما سبق فإن وظيفة الصورة هي جعل الغائب مشاهدا، وإظهار المجرد في شكل محسوس، وتقوية الشعور لدى المتلقي من أجل حمله على الاقتناع والتأثير فيه² وهذا ما أضفى على بنية رسالته قوة حجاجية إقناعية، فالتشبيه وسيلة من وسائل الإقناع والتأثير في النفوس، يوضح المعنى ويؤكدده ليحقق اقتناع المتلقي ، فالصورة إذا " وظيفتها وغايتها تبليغ المعنى في أحسن صورة بسهولة ويسر وجعل المتلقين يقتنعون من خلال الصورة الحسية التي تظهر عليها ويكون حضورها في ذهن السامع أقوى ووقعها عليه أشد وأثرها عميق"³.

¹ ينظر : جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، ، دار غريب ، القاهرة 2000م ، ص 166 .

² ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 563.

³ أمة الكريم الذارحي، بلاغة الحجاج (في شعر الحسن بن علي الهبل أمير شعراء اليمن)، مجلة الأدب العربي، العدد 02، السنة الرابعة، 1391هـ ص 296.

3/ حجاجية التفريع: أو تقسيم الكل إلى أجزائه:

وهو أن يذكر المرسل حجته كلياً في أول الأمر، ثم يعود إلى تفريعها وتعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه¹، ومن أمثلة ذلك عند ابن أبي الخصال:

يقول في رسالة كتبها إلى أحد القضاة يوصيه بصهره: "أطال الله بقاء الفقيه الأجلّ، القاضي الأفضل، الفارج للمهمّات، الكاشف للأزمات، الناهض بأقوى المُنن²، ... مؤديه - دام عزك - أبو جعفر بن سليمان مني بالمصاهرة والمظاهرة بمكان، و نفسي بالخطبِ ينوبه محترقة، وعيني للمكروه يصيبه مسهّدة أرقّة، وحديثه في ذلك الكرى، فعلى يديك دار، ... وقد كان - أعزك الله - بثقل ظهره مفدوحا، وبنوائب دهره مفضوحا، لا يجد من العيش بلاغا، ولا يلقي لشكواه مساعا، فكيف به الآن وقد مُدّت الثأطة³ بماء، وكرّ التعقب منه على رمق خافت وذمّاء؟ ولما بغتته هذه البديهة، والحادثة الكريهة، عول على الاستسرار، وطوى كشحا⁴ على الفرار؛ فأشفقت لحاله... ورأيت له أن يتوجه إليك، ويُعيد أمره عليك، ويعلمك بما عنده من خسارة وجائحة، وحجة واضحة لائحة... ولكنني أعلم ما يرجع إليه من إقلال⁵، ومؤلم فقر واختلال، وأفزع إليك فزع الضاحي⁶ إلى الظلال، والضمآن إلى العذب الزلال"⁷.

¹ الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 494.

² المنن: (بضم الميم و كسرهما) جمع المنّة و المنّة : القوّة . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 91 .

³ الثأطة : الحمأة أو الطين ، و في المثل (ثأطة مُدّت بماء) أي ازدادت فسادا لأن الحمأة إذا صُب عليها الماء زادت فسادا . يُضرب للأحمق يزداد حمقا أو يزداد منصباً . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 91 .

⁴ طوى كشحا : أي أضمر أمراً . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 91 .

⁵ أقلّ الرجل (إقلالاً) : افتقر و فيه بقيّة . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 92 .

⁶ الضاحي : البارز للشمس ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 91 .

⁷ رسائل ابن أبي الخصال، ص 91 - 92 .

بعد أن استفتح الكاتب خطابه بمقدمة يستنهض بها همة مخاطبه ، مستعرضا فيها نبيل خصاله و ما ينبغي لكريم مثله من نجدة المستغيث و إغاثة للمستجير (أطال الله بقاء الفقيه الأجلّ، القاضي الأفضّل، الفارج للمهمّات، الكاشف للأزمات) ، بدأ بعرض أطروحته أو قضيته التي تتمثل في إقناع القاضي بمساعدة صهره أبي جعفر بن سلمان، وذلك بأن ينظر في حاله ويشفق عليه ويكرمه، لأنه وصل إلى حال أصبح الكاتب لا يقوى على رؤيته بها ، وقد عبر ابن أبي الخصال عن تألمه لمُصاب صهره بقوله: (ونفسي بالخَطْبِ ينوبه محترقة، وعيني للمكروه يُصيبه مسهّدة أرقّة) .

فالحجة الأساسية أو الأصلية التي طرحها الكاتب هي : الفاقة أو العوز الذي ألمّ بصهره (أبي جعفر بن سليمان)، فيشرع في تفرّيع الحجة و تجزيئها ، طلبا لزيادة التأثير في نفس القاضي و حصول الاقتناع لديه ، و ذلك من أجل الوصول إلى النتيجة المنشودة و هي مساعدة صهره و تقديم يد العون له .

الحجج :

الحجة 01: بثقل ظهره مفدوحا ، (أي : وقع له أمر فادح و جلل و هو ثقل ظهره ، كناية عن ثقل مسؤولية إعالة أهله مع ما به من فاقة) .

الحجة 02: وبنوائب دهره مفضوحا (أي أن نوائب الدهر المتعاقبة عليه جعلت أمر فاقته معلوما و مفضوحا) .

الحجة 03: لا يجد من العيش بلاغا (أي : لم يتمكن من الحصول على عيشة كريمة) .

الحجة 04: لا يلقي لشكواه مساعا (أي : لا يستسيغ و لا يتقبّل أن يشكو حاجته و فاقته)

الحجة 05: لكنني أعلم ما يرجع إليه من إقلال. (أي : أعلم ما به من عوز و فاقة) .

فالحجج متعاضدة مع بعضها البعض ، وتصبّ في معنى واحد و هو (الحاجة و الفقر ، مع التعفف و عزة النفس التي تمنع صاحبها التسول) ، و هي بهذا التفرع و التقسيم أشدّ وقعا في النفس و أوكد للدعوى ، من أن تكون حجة واحدة ، كأن يقول الكاتب - مثلا- : (فلانٌ به فاقة و يحتاج المساعدة)

الحجة 06: أفزع إليك فزع الضاحي إلى الظلال، والضمآن إلى العذب الزلال، (أي : أنني أجبأ إليك في فزع - كناية عن شدة وقوة الدافع الذي أجبأني إليك - فزع الضاحي إلى الظلال ، أي : اندفاع من أحرقه حر الشمس إلى الظلال ، و سعي الضمآن إلى الماء العذب الزلال).

و في الحجّة السادسة يقدم الكاتب طلبه المباشر إلى القاضي ، لمساعدة أبي جعفر ، و بالتالي تحقيق الغرض النهائي من هذا الخطاب الحجاجي و هو استمالة قلب القاضي و تقديم المساعدة بالنتيجة ، فهذه الحجج المتفرعة و المُقسمة متفرقة بتركيبها ، دالة بمجموعها، وإذا حذف أي جزء منها فإن الدعوى تضعف .

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله في رسالة كتبها إلى أحد الفقهاء يوصيه بتقديم المساعد إلى أحد المؤذنين: "... المؤذنون - أدام الله نصرك - قد ورد فيهم الأثر المروي، والخبر الواضح الجلي، وهم - وإن كانوا في الأخرى أطول أعناقاً¹ - فهم في الدنيا أضيق الناس أرزاقاً، وأضعفهم أذماء² وأرماقاً ، مأكّلهم رشحٌ، وشرابهم على الشهامة في الشهامة نشحٌ³، ونومهم غرار، وليلهم حراكٌ وليل الناس الناس سكونٌ وقرار، يحدون الشفق ويسيرونه، ويربؤون الفجر⁴ فيثيرونه؛ ويحلّون عُقَدَ

¹ من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : ((أطول الناس أعناقاً يوم القيامة المؤذنون)) ، المسند ، 3 ، ص 169 .

² أذماء جمع ذماء : و هو بقية الروح في الجسد ، أو قوة القلب . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 450.

³ نشح الشارب : أي شرب دون الرئي . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 450 .

⁴ الربيء و الربيفة : الطليعة الذي يرقب العدو (من مكان عالٍ) لئلاّ يدهم قومه ، و المقصود هنا : يرقب الفجر ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 450 .

الشیطان، ویرسلون علی العتاة المردة رجوم السلطان، ویحضرون الدهر السارب إلى التحريد¹ والأوزان ، فما تعبر بهم ساعة، إلا ولهم علیها سمة أو طاعة ...

والمؤذن أبو إسحاق - مؤديها سلمه الله- مختص من هذه الفضيلة بسمات مشهورة، وأصوات مذكورة، ونغمات كنغمات أبي محذورة² ، ويمت إلى بساط القاضي الأجل أبي سعيد- أدام الله توفيقه - بخدمة وسدانة، و تبدل بين يدي كل ذي قدر منكم وصيانة ، وهذا ذمام عند مثلك من الزعماء والجلّة العظماء: يدني من البرّ، و يُسنّي حظه من البرّ، فلولا عدمه³ ، لَمَا سَعَت قدمه ، ولولا أمعأؤه لما طال نداؤه ودعأؤه ، وقد تقفّم نحوك لفح الهجير، وألقى بيد المستغيث المُستجير، ولغيره زكاة جمالٍ وجمال، وله فضلة جاهٍ أو مال، وراه عيال، وأم عيال. لازلت تجبرُ مهيضاً⁴ ، وتعتقد في أعناق الرجال النعم بيضا بحول الله ...⁵

تمثل أطروحة الكاتب أو قضيته في محاولته إقناع القاضي والتأثير فيه بهدف تقديم العون للمؤذن أبي إسحاق، وهذه الأطروحة هي النتيجة التي يرمي إليها ابن أبي الخصال، فبدأ رسالته بالحديث عن المؤذنين بصفة عامة، فتكلم عن مكانتهم في الإسلام، وعن حالهم في الدنيا، ثم خص صاحبه فوصف حاله، ومبتغاه وحاجته ، وقد كانت الحجة الأساسية التي يعتمد عليها من أجل استعطاف المتلقي و ذلك لحثّه على تقديم يد العون للمؤذن أبي اسحاق هي أن : " المؤذنين أضيق الناس أرزاقا في الدنيا ، رغم علو مكانتهم في الآخرة ، و أبو اسحاق في فاقة و حاجة " .

¹ حرّده : منعه ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 450.

² أبو محذورة هو أوس بن معير بن لوذان الجمحي : صحابي جليل ولّاه رسول الله صلى الله عليه و سلم الأذان بمكة ، فتوارثه ولده إلى انقراض آخرهم في أيام الرشيد ، قاله ابن حزم في الجمهرة : 163 ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 451 .

³ يقال : العُدم و العُدْم و العَدَم : أي الفقر . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 452.

⁴ يقال :عظم مهيض إذا كُسر بعد الجبر،ويستعار لمعنى مجازي فيقال : فلان مهيض الجناح،عن رسائل ابن أبي الخصال، ص452.

⁵ رسائل ابن أبي الخصال، ص 450 – 452.

و قد قام ابن أبي الخصال في خطابه هذا بتفريع الحجج و تقسيمها طلباً للتأثير على المتلقي و استجلاباً لعطفه على هذه الفئة عموماً ، و أبي اسحاق على وجه الخصوص ، لما قدّمه من خدمات جليلة فقد تَبَدَّلَ بين يدي كلّ ذي قدرٍ منكم و صيانة ، كما أنّ المشفوع له يتميز عن غيره ، ذلك أنّه مختصٌّ من هذه الفضيلة بسماتٍ مشهورة، وأصواتٍ مذكورة، و نغماتٍ كنغمات أبي محذورة ، فهو أولى بالعناية من غيره ، خاصة إذا ما عُلم ما به من عوزٍ و فاقة.

و جاءت الحجج على النحو الآتي :

الحجة 01: المؤذنون في الأخرى أطول الناس أعناقاً.

الحجة 02: في الدنيا أضيق الناس أرزاقاً، وأضعفهم أذماء وأرماقاً.

الحجة 03: . مآكلهم رشحٌ، وشرابهم على الشهامة في النهامة نشحٌ.

الحجة 04: نومهم غرار، وليلهم حراك وليل الناس سكون وقرار.

الحجة 05: يريؤون الفجر فيثيرونه؛ ويحلقون عقد الشيطان، ويرسلون على العتاة المرذّة رجوم السلطان.

الحجة 06: ما تعبر بهم ساعة، إلا ولهم عليها سمة أو طاعة.

الحجة 07: مختص من هذه الفضيلة بسمات مشهورة.

الحجة 08: وأصوات مذكورة، و نغمات كنغمات أبي محذورة.

الحجة 09: ويمت إلى بساط القاضي الأجل أبي سعيد- أدام الله توفيقه - بخدمة وسدانة.

الحجة 10: فلولا عدمه، لما سعت قدمه؛ ولولا أمعاؤه لما طال نداؤه ودعاؤه.

الحجة 11: وقد تقحم نحو لفح الهجير، وألقى بيد المستغيث المستجير.

الحجة 12: وراءه عيال، وأم عيال.

فقد قدم الكاتب في خطابه مجموعة من الحجج يشترك فيها حال عموم المؤذنين ، (الحجج: من الحجة الأولى إلى السادسة ، ثم خصّ أبا إسحاق بحجج أخرى : من الحجة السابعة إلى الحجة الثانية عشر) ، و هو في تفرّيعه للحجج و تقسيمه لها ، إنما يقصد التأثير في نفس المشفوع لديه بقدر أكبر مما قد تحدثه حجة واحدة (غير مفرّعة أو مقسمة) من قبيل : المؤذنون أصحاب فاقة ، و بالأخص المشفوع له أبو إسحاق .

فهذه الحجج التي قدمها الكاتب هي حجج متعاضدة يقوي بعضها البعض ، و هي بمثابة مقدمة للنتيجة التي يريد ابن أبي الخصال أن يصل إليها، فالكاتب ذكّر مخاطبه أولاً بحال المؤذنين ومكانتهم في الدنيا والآخرة، على سبيل الاستدراج لينتقل بمخاطبه إلى حال المؤذن أبي إسحاق الذي حاله من حالهم ومكانته من مكانتهم، إلا أن ابن أبي الخصال خصه من بينهم بالخطاب وطلب المعونة والتوصية.

4/حجاجية البديع:

يعد علم البديع من أهم فنون البلاغة، فهو علم يبحث في " طرق تحسين الكلام، وتزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي."¹

إلا أن وظيفة المحسنات البديعية في النصوص والخطابات لم تعد تقتصر -في الدراسات الحديثة- على الجانب الجمالي بل هي أيضا وسيلة من وسائل التأثير والاستمالة، التي يعمد إليها المرسل في خطابه فتضفي عليه مسحة فنية، ولمسة جمالية حيث يرى بيرلمان أن المحسن البديعي هو حجاجي " إذا كان استعماله وهو يؤدي إلى تغيير زاوية النظر يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس

¹ الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ص 06.

من ذلك فإن لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب، ويؤدي ذلك لتقصيره عن أداء دور الإقناع.¹

فدور المحسنات إذا لا يتوقف على الجانب الشكلي و زخرفة الخطاب فقط، بل لها وظيفة إقناعية حجاجية ومنه فإننا " إذا أدركنا أن الآليات القياسية التي تتحكم في بناء الخطاب الطبيعي، تقوم في عمليات التفريق والإثبات والإلحاق، وأن هذه الآليات الاحتجاجية هدفها الإفهام، تبيننا أن أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعا للتحسين والبديع وإنما هي أصلا، أساليب للإبلاغ والتبليغ."² ويتضح من خلال بيرلمان أن للبديع وظيفتان إحداهما جمالية والأخرى إقناعية.

ثم إن الوظيفة الجمالية لها بعدان " فالجمال الغامض البعيد عن الإدراك الموهل في أجزاء النص، الذائب في نسيجه الداخلي ، أشد تأثيرا وأقدر على الفعل والإغراء من الجمال الظاهر الواضح الذي لا لبس فيه ، والسطحي الذي لا عمق له ، ذلك الذي لم يتشربه النسيج الداخلي للنص ، فالأول لخفائه يتحول إلى ضرب من العجيب الذي يمارس سلطته على المتلقي ويهزه من الداخل."³

وإن الناظر في رسائل ابن الخصال سيدرك ذلك لا محالة، فالكاتب من خريجي المدرسة البلاغية البيانية، فقد اعتمد على كفاءته اللغوية، وقوته البلاغية، ووظفهما في خطابه الترسلية توظيفا حجاجيا يملك القلوب ويأسر النفوس ويؤثر في العقول ، وإذا جئنا للحديث عن المحسنات البديعية في رسائل ابن الخصال، فهي كثيرة ومتنوعة، لذا سنقتصر على بعضها:

¹ محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص 457 – 458.

² الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 498.

³ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص 176.

1-4 / الطباق:

وهو الجمع في الرسالة أو الخطاب بين معنيين متضادين لإيجاد علاقة بينهما، وقد تكون هذه العلاقة موجّهة لخدمة أطروحة أو قضية ما فتأخذ بعدا حجاجيا، ومن أمثلته عند ابن أبي الخصال:

يقول في رسالة تعزية " الدنيا - أعزك الله - جفاءٌ ومَبْرَةٌ ، و مساءةٌ ومسرّةٌ، وسالٍ و عاشقٍ ، وقالٍ و وامقٍ¹، وميّتٍ ومولودٍ، ومعدومٍ وموجودٍ، ولقاءٌ وفراقٍ، أناتها إعجال، وخطوبها ارتجال، وحروبها سجال ..."² .

فقد وظف الكاتب مجموعة من الألفاظ المتضادة على سبيل طباق الإيجاب، في رسالة التعزية التي كتبها إلى أحد معارفه، وهو بصدد مواساته في مصابه بفقد الأحبة، يخبره فيها الكاتب أن الدنيا أحوالها متقلّبة فهي بين عطاء ومنع، وحب وكره، وموت و ولادة، ولقاء وفراق، وموجود و معدوم، وقد عملت هذه الثنائيات المتضادة على تصوير حقيقة الدنيا، وتقريبها من ذهن المخاطب المكلم في فقدٍ من يجب، ليثبت عنده اليقين الذي لا شك فيه، وهو أن الدنيا متاع الغرور، ويقنع متلقي خطابه بضرورة الصبر واحتساب الأجر والثواب، وعدم الركون إلى الدنيا وشهواتها.

و يقول الكاتب في رسالة كتبها إلى صديق له يعتذر له فيها على عدم حضوره للوليمة التي دعاه إليها " ... كتبتُ وقد وافى الكتاب المستحثّ، و رائد الوئيل يلطّ و يلبث³، و سطره تندى طيبا و تمت⁴، فقلت : شب الزمان على الهوى، وعاودته أريحية الكرم.

¹ قال : اسم فاعل من قلى : كره و أبغض . و وامق : اسم فاعل من ومق : أحبّ ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 483.

² رسائل ابن أبي الخصال، ص 483.

³ لَطَّ : لزم . و لثَّ المطر : دام أياماً . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 98.

⁴ مَثَّ الرجل : عرق . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 98.

و يا للعامظة¹ أهل القرى ! لقد وافاهم الموسم ، وطالعتهم غرّة ذلك المجد تبسم ، (انفروا خفافا و ثقالا²) ، و أجدّوا لشهواتكم صقالا ، و حُطوا على البواذخ من شمام أثقالا³ ، على آفة الكوم على العارض المركوم⁴ ، وحيّ على لُبَاب يُلبك بلباب⁵ ، و شباب يُحبك بشباب، و قباب مجد تُسمك بقباب⁶ ، و يا ظفر الحاضرين و خيبة الغيّاب ، (يا ليتني كنت معهم فأفوز)⁷ ...

و إنّي - عليم الله - لسريع إلى ناديك ، سميع لمناديك ، غير أن منزلي - كما علمت أو أعلمت عورة⁸ - و لهذه الأيام - ألانها الله - شدّة و سؤرة ، فعذري بادٍ ، و ناديك لي نادٍ، و برك رائح و غادٍ⁹ ...

لقد عمل الكاتب على توظيف طباق الإيجاب في قوله: (يا ظفر الحاضرين و خيبة الغيّاب) وفي قوله (برك رائح و غاد) حيث عمل الطباق على إضفاء طاقة حجاجية على الخطاب الترسلي الاعتدالي ، و أثبت من خلاله الكاتب على المكانة و المحبة التي يُكثنها للمعتذر له، و أن حضور وليمته ظفر، و عدم حضورها خيبة ، و مما زاد في تقوية الحجاج و صدق دعوى ابن الخصال اقتباسه من

¹ اللعموظ : من لعمظ الرجل : إذا نهم و شره ، و هو أيضا : الذي يخدم بطعام بطنه . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 98.

² اقتباس من الآية الكريمة من سورة التوبة : 41/9 . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 98.

³ البواذخ جمع الباذخ : العالي . شمام : اسم جبل . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 98.

⁴ الكوم : القطعة من الإبل ، و هو آفة الكوم لأنه ينحر منها . العارض : السحاب المعترض في الأفق . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 99.

⁵ اللباب : طحين مرقق ، لبك : خلط . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 99.

⁶ سمك البيت : رفعه . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 99.

⁷ من الآية الكريمة من سورة النساء 73/4 .

⁸ العبارة قرآنية من الآية الكريمة 13 من سورة الأحزاب .

⁹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 97 - 98.

القرآن الكريم في قوله: (يا ليتني كنت معهم فأفوز) ، فقد أراد ابن أبي الخصال من خلال توظيفه للطباق أن يثبت للمتلقي أسفه وخيبته لعدم حضوره الوليمة التي حالت بينه وبينها الظروف التي يعيشها الكاتب.

ومنه أيضا في رسالة تعزية كتبها إلى صديق له يعزیه بوفاة ولده يقول فيها: " سيدي الأعظم ، وعتادي الأكرم، و مَفزعي فيما أهُمُّ ، ومن أطل الله بقاءه ثابتاً في الملماتِ جَلَدُهُ، أنسا عند الصدمات خَلَدُهُ ، لولا أن للدين - أعزك الله - سُنّة في المواساة ، راکبها متّبع ، و تاركها مبتدع ، لما ذكّرتُ منك ذاكراً ، و لا نَبّهتُ حامداً لله تعالى ، فيما ناب ، شاكراً ، و بلغتني الفجيعَةُ الوجيعَةُ بالنجيب الحسيب ريعانُهُ أنسِك ، و مَنْ نَفْسُهُ مشتقّةٌ من نَفْسِك... و أنت - أدام الله عزّك - تعلمُ أن أمري من أمرك ، في شؤون دهرك، و حلوك ومُرك، وقُلّك وكُثرك..."¹ فقد عمل الطباق في قوله (حلوك، مرك) و (قلّك، كثرک) على إضفاء طاقة حجاجية أراد الكاتب من خلالها أن يوصل رسالة لمتلقي خطابه وهي أن مصابك هو مصابي، وأن ما يسوؤك يسوؤني، وأني بجانبك في السراء والضراء، وذلك لخدمة القضية أو الأطروحة التي يعالجها الكاتب والتي تتمثل في قوة الرابطة التي تجمع بين الكاتب وصديقه، وقد عمل الطباق على إثباتها وتقوية المعنى الذي يدل عليها وتوضيحه.

2-4 / السجع:

لا تخلو رسائل ابن أبي الخصال من السجع الذي أكسب البنية التركيبية في الخطاب الترسلية بعدا فنيا جماليا ينبئ بقوة الأسلوب ، و يضيف إيقاعا موسيقيا ينبئ بحسّ و ذوق مميّز لديه ، على اعتبار "أن الموسيقى رافد من روافد الحجاج من جهة استيلاء ما وقع على النفوس وامتلاك الأنغام للأسماع، وما كان أملك للسمع كان أفعال باللب والنفس"².

¹ المصدر نفسه ، ص 56.

² سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص 127

وقد استطاع الكاتب بفضل براعته وحسه المرهف أن يوظف السجع توظيفا تستدعيه المعاني، وتطلبه الألفاظ، ويكون له وقع على الأسماع، وأثر على الأذهان، لأنك " لا تجد تحنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا."¹

ومن أمثله عند ابن أبي الخصال: يقول في رسالة كتبها إلى رجل أهداه مُدِيَّة ، وبينه وبين الكاتب جفاء قديم، فكتب إليه رسالة موبخا " ... أما بعد: تُلِّتْ لِحَدِّكَ²، وُدُبِحْتْ بِحَدِّكَ، وُعَلِّقْتْ بِنَوْطِكَ³ ، و جُلِدْتْ بِسَوْطِكَ، وُقِلِّتْ بِشِبَاكَ⁴، و حُمِلْتْ عَلَى أَسْنَتِكَ و طُبَاكَ ، فَإِنَّكَ تَائِهْ جِهَالَةً ، و حَائِرٌ ضَلَالَةً ، و حَائِنٌ مَهَانَةً⁵ ، و حَائِنٌ أَمَانَةً ، فَاتَحْتْ بَعْنِفِي ، و تَاحَفْتْ بِحَتْفِي ، و فَتَحْتْ عَلَى نَفْسِكَ بَابَ خَسْفٍ..."⁶ . فقد وظف الكاتب السجع الذي لم تقتصر وظيفته على الجانب الجمالي والموسيقي، بل كان له أثر حجاجي، فقد أعطى التراكيب التي توشحت به قوة و وضوحا ونغما موسيقيا يصل من خلاله المعنى إلى المتلقي فيحدث الأثر، و يكون له الوقع ، و بما أن الكاتب متضلع في البلاغة والبيان فقد استطاع أن يجذب انتباه متلقيه ليسهل عليه ترسيخ أشنع الأوصاف في ذهنه، وذلك ما أعطى للرسالة قوة وتأثيرا.

¹ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 11.

² تَلَّهْ : صرعه ، و ألقاه على عنقه و خَدَه . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 58.

³ النوط : عرق غليظ ممتد من الرئتين علق به القلب . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 58.

⁴ الشبا : (جمع) شباة الشيء : حدّه و طرفه . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 58.

⁵ الحائن : الأحمق . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 58.

⁶ رسائل ابن أبي الخصال، ص 58.

و بما أن الكاتب يريد أن يصل إلى غايته ويبلغ منتهاه، وهو الرد على خصمه فقد وسمه بأشنع الألقاب والصفات ، و ذلك حينما تنبّه إلى دلالة و رمزية إهداء المُدِيّة أو السكين من شخص بينه و بين الكاتب جفاء ، و بما فيها من إضرار للضعيفة و قصد الإهانة ، و لهذا افتتح الكاتب رسالته بقوله :

يا مُهديا أهدي المُدى ذُق من هديّك الردى

و اجن القطيعة إنّها ثمرات كلّ من اعتدى

و قد استعمل ابن أبي الخصال ما للسجع من خصائص نفسية و إيقاعية ، تنفذ إلى عقل المتلقي و وجدانه فنجده في (تُلِلتْ لخدك، و دُبحت بحدك) ، (وعُلقت بِنوطك ، و جُلدت بسوطك) ، (تائه جهالة ، و حائر ضلالة) ، (حائن مهانة ، و خائن أمانة) ، (فاتحت بعنفي ، و تاحفت بحتفي ، و فتحت على نفسك باب خسفي) ، قد بنى رسالته على مجموعة من العبارات القصيرة المسجوعة ، المحمّلة بالدلالات القوية ، التي لا بدّ أن تستقرّ في قلب سامعها و نفسه ، لما للسجع من دورٍ في جلب إنتباه المتلقي ، و تمكين المعاني من النفس و الوجدان ، و هنا يتجلى بعده الحجاجي في الخطاب .

و للسجع أثر جليّ على المتلقي، فسماع المتلقي لذاك النغم الموسيقي الذي تتركه الفواصل المسجوعة في النص أو الخطاب له أثر نفسي، وبعده في جمالي، يستحوذ من خلاله صاحب النص على عقل المتلقي ونفسه، وذوقه، خاصة إذا كان السجع لا تكلف فيه.

ولذا فإن جل رسائل ابن أبي الخصال تعتمد في بنية تركيبها على التراكيب المسجوعة التي تخلق الإيقاع والموسيقى، وتخلق جوا من الإثارة والإطراب " فالكلام متى كان موزونا ذا نغم موسيقي أثار انتباهنا وحرك عواطفنا، وترك فينا أثرا نفسيا يدفعنا للتفاعل الحجاجي مع الهدف الذي يبتغيه المتكلم، حتى وإن لم يكن هدفه دفع المتلقي للاقتناع أو توجيهه لفعل شيء ما، - لكنه على الأقل - يحتج

بقدرته على حسن التعبير، وينتزع اعترافاً من المتلقي بجمالية أدبه و مفرداته ، ولعل هذا ما يبرر عدّ الموسيقى رافداً مهماً من روافد الحجاج يسهم في استمالة المتلقي والتأثير فيه وحمله على الإذعان.¹

ولعلنا نكتفي بمثال واحد - فيما يخص السجع - لأن جل رسائل الكاتب تميزت بعمق العبارة، وقوة اللفظ، وجودة النظم، وبراعة الأسلوب الموشح بالسجع ، مما جعل ابن أبي الخصال يخرج رسائله في أبهى حلة وأجمل صورة إضافة إلى ما فيها من صور بيانية ومحسنات بديعية سحرت العقول، و أطربت الأسماع ، وقد أضفى كل ذلك على رسائله إيقاعاً موسيقياً سحر به العقول وملك القلوب وجذب الآذان، وما هذه الأمور إلا مدخل للإقناع ، فالموسيقى في بنية الرسالة، والبني التركيبية المتوازية شكلت رافداً من روافد الحجاج عند ابن أبي الخصال.

5/حجاجية الفعل الكلامي :

إن نظرية الفعل الكلامي التي وضع أسسها كل من أوستين و سيرل و غرايس، قد أعطت مكانة كبيرة للأثر الذي تتركه اللغة على المستعملين في صنع الأحداث، وتجسيدها في الواقع الاستعمالي، خاصة إذا كان المتلفظون ومنتجو الخطابات من ذوي الكفاءة في المحاجة والإبانة.²

واللغة بوصفها نشاطاً كلامياً يتحقق في الواقع وفق مقتضيات التخاطب والسياس، يهدف المتكلم من خلاله إلى نقل تصوراتهِ ومدركاتهِ للمتلقى قصد التأثير والإقناع، سيجعل للغة بعداً تداولياً يعود إلى طبيعة القضية الحجاجية، وإلى السياق، ثم إلى المتلقي الذي ينعكس عليه الفعل الحجاجي قبولاً أو رفضاً.³

¹ حسن عفات، رسائل ابن أبي الخصال، دراسة حجاجية، ص 106.

² ينظر: محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 181 - 182.

³ ينظر: حمدي منصور جودي، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، حوليات المخبر، العدد 01، جامعة بسكرة، ص 105.

ولذا فإن الدراسات التداولية تعاملت مع نظرية الحجج باعتبارها " ظاهرة لسانية نصية لا يمكن تفسيرها دون إبراز مراتب المتكلمين وأدوارهم في أفعال الكلام"¹ .

ومن هنا فإن " الجانب التداولي للحجاج يظهر من خلال استعمال بنية لغوية معينة تتحكم فيها ضوابط خارجة عن هذه البنية ، وتدفع المتلقي إلى فعل معين سواء على مستوى سلوكياته أو على مستوى قناعاته وأفكاره ، وبالتالي تتجسد بنية الحجج في شكل فعل كلامي مؤلف من الفعل النطقي، والفعل القضوي ، والفعل الإنجازي ، والفعل التأثيري"² .

ويعد أوزفالد ديكر من اللسانيين الذين تبنا هذا الطرح من خلال تأكيده على الأبعاد الدلالية والتداولية للخطاب الحجاجي الذي ترسله ذات متكلمة هي المسؤولة عنه ، وهو يميز في هذا المقام بين المتكلم والمتلفظ ، على اعتبار أن هذا الأخير هو الذي يعبر باسم المتكلم عن الآراء والمواقف المطروحة في الخطاب الحجاجي.³

وبما أن الفعل الكلامي هو تغيير معتقد أو توجيه سلوك أو إثبات قضية ما، فقد أصبحت نظرية الحجج التداولي امتدادا لنظرية الفعل الكلامي التي أرسى قواعدها كل من أوستين و سيرل، ويمكن النظر في ضوء ذلك إلى أن تسلسل الجمل والأقوال في بنية الخطاب لا يعتمد المعنى الإخباري أو المحتوى الإعلامي، وإنما يعتمد بالأساس المعنى الحجاجي أو القيمة الحجاجية للقول.⁴

وهذا الذي قال به ديكر حينما ذهب إلى أن " كثيرا من الأفعال الكلامية لها وظيفة حجاجية توجه المتلقي إلى نتيجة محددة أو تصرفه عنها ، حين نبتعد قليلا عن العمومية يمكن أن نقول إن الوظيفية

¹ المرجع السابق، ص 192.

² حمدي منصور جودي، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقارنة مفاهيمية) ص 107.

³ ينظر: محمد سالم الأمين الطلبة، الحجج في البلاغة المعاصرة، ص 192 – 193.

⁴ ينظر: حافظ اسماعيلي علوي، الحجج مفهومه ومجالاته، ص 71.

الحجاجية تحمل علامات داخل الجملة نفسها منها: القيمة الحجاجية للمفوض ما، فهي ليست فقط نتيجة المحمولات الخبرية له، ولكن الجملة يمكن أن تحمل عدة دلالات وعدة صيغ أسلوبية، والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباري يمكنها أن تدلي بتوجيهات حجاجية للمفوض حيث تعمل على توجيه المتلقي وجهة دون أخرى"¹ .

وفي هذا السياق يصبح الخطاب أو الرسالة بنية لا يستند فيها ترابط الأقوال " إلى قواعد الاستدلال المنطقي، وإنما هي ترابط حجاجي لأنه مسجل في أبنية اللغة بصفته علاقات توجه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول دون آخر، فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما"² .

فقد انبنت نظرية ديكرود على البحث في الخصائص الحجاجية للمفوض ، أي البحث عن القيمة الحجاجية للمفوضات اللغوية، والتي لم تكن محل اهتمام أصحاب نظرية التواصل الذين كانوا ينظرون إلى اللغة على أنها نشاط تواصل يقتصر على التواصل ونقل الأخبار³ .

و البنى الحجاجية للمفوضات ليست ذات طبيعة منطقية، وإنما هي لغوية بالأساس داخلية في اللغة التي تحتوي في بنيتها على معلومات تتعلق بالحجاج ، وبذلك أضحي الحجاج نشاطا لسانيا ، وهو أساس المعنى وأساس تأويله في الخطاب⁴ .

¹ Oswald Ducrot les échelles argumentatives , Edition de Minuit, Paris, 1980.p. 15.

² شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب نظريات الحجاج من أرسطو حتى اليوم، ص 352.

³ ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 131.

⁴ صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، ص 18.

ومن هنا كان مفهوم الفعل الكلامي أنه كل " ملفوظ ينهض على شكل نظام دلالي إنجازي تأثيري ، وعلاوة على ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية *actes locutoires* إلى تحقيق أغراض إنجازية *actes illocutoires* كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... وغايات تأثيرية *actes perlocutoires* تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا ، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثم إنجاز شيء ما"¹ .

ومن هذا المنطلق تصبح اللغة أداة لإنجاز أفعال أكثر منها لوصف حالات ، ومن هنا فإن " الفعل الحجاجي عبارة عن نظام متوارٍ في صميم الخطابات اللغوية وقوانينها الداخلية ، وليس مجرد بناء منطقي مفروض عليها ، والسبيل إلى كشف هذا النظام يتحقق من خلال التأسيس لتداولية تدمج المكون التداولي في البنية التداولية، وتسند إليه دورا محوريا لفهم الملفوظات "² .

وفي ضوء هذا التوجه أصبح فعل الإقناع والحجاج أهم وظيفة في الاستعمال اللغوي، حيث أن المتكلم في عملية التواصل يتجه بشكل معين نحو التأثير في المتلقي، لأن هذه الرغبة في التأثير تمثل نشاطا موجها إلى هدف ، فهي سلوك مقصود³ .

ويذهب أوستن إلى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال:

¹ مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م، ص 51 – 52.

² جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 132.

³ ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، تر: حسن سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر، ط1، 2005م، القاهرة، ص

- الفعل اللفظي: و يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.

- الفعل الإنجازي: وهو ما يؤديه المعنى اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي، أو يعنى به محاولة المتكلم إنجاز غرض تواصلية معين.

- الفعل التأثيري: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع¹، ويعد هذا الفعل، هو الفعل المنوط بالحجاج، على اعتبار أن الحجاج هو التقنيات المستعملة للوصول إلى هدف، كتغيير سلوك أو معتقد ...

ويرى أوستين أن للفعل الكلامي ثلاث خصائص:

- أنه فعل دال.

- أنه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).

- أنه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا)².

ويمكن أن ننظر إلى نظرية أفعال الكلام في ضوء الحجاج وفق التصور الآتي:

- الفعل النطقي في الحجاج يمثل الهيئة التركيبية لما يتلفظ به المتكلم، وبما انتظم من أصوات لغوية داخل تركيب نحوي سليم له دلالة معجمية.

¹ نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، ط1، 2013، دط، ص 43.

² مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 44.

- الفعل القضوي، وهو في الحجاج يمثل مقصد المتكلم من ذلك الفعل النطقي، وهو نيته لإقناع واستمالة المتلقي والتأثير فيه ، من خلال دعوى الحجاج ونتيجته ، فتصبح بذلك دعوى الحجاج فعلا قضويا.

- الفعل الإنجازي ، ويمثل في الحجاج جملة ما يؤديه الفعل النطقي والفعل القضوي من معاني إضافية يتضمنها المعنى الأصلي، وتمثل - غالبا- استنتاجات المتلقي وردود أفعاله الممكنة والمحتملة تجاه دعوى الحجاج، قبولا أو رفضا.

- الفعل التأثيري، ويمثل في الحجاج أقصى غاية، فالفعل التأثيري يكمن فيما يتركه الفعل الإنجازي من أثر في المتلقي، والحجاج يهدف إلى التأثير في المتلقي وإقناعه بقضية أو فكرة أو سلوك يظهر في واقعه الفعلي ، لذا فأثر الفعل الإنجازي المتمثل في الفعل التأثيري هو غاية ما يهدف إليه الحجاج.¹

وبالمقابلة بين تصنيف سيرل للأفعال الكلامية وبين الحجاج فإنها تتضح وفق المخطط الآتي:

الفعل النطقي: ما يتلفظ به المتكلم المحاجج.

الفعل القضوي: دعوى ونتيجة الحجاج.

الفعل الإنجازي: ردود أفعال المتلقي.

الفعل التأثيري: أثر الحجاج في واقع المتلقي.²

¹ حمدي منصور جودي، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، مخبر اللسانيات واللغة العربية، حوليات المخبر، العدد 01، ديسمبر 2013م، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 107.

² المرجع نفسه، ص 108.

وأما برونونير Brendonner فيرى أن " كل فعل كلامي هو تحقيقي لذاته ولجرد كونه إنتاجا كلاميا في حين أن القيمة التأثيرية تختص بتحقيق موقف ملموس تحقيقا فعليا بواسطة التكلم وحده"¹ .
لقد أصبح الفعل الكلامي بفضل الأبحاث والتوجهات التي قدمتها التداولية المدججة من أهم آليات و وسائل الإقناع، إذ أضحي الحجاج فعلا إقناعيا يوجه القول وجهة ما ضمن تسلسلات الخطاب، وفق السياق والمقام المحدد.

ولذا فإن قيمة وأثر وتحليل الفعل الكلامي في الخطاب الحجاجي، والوقوف على أثره الإنجازي على المتلقي، هو الغرض الرئيسي للأبحاث التداولية²، ومنه يمكن القول أن الخطاب الحجاجي هو خطاب تداولي لأنه " يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد وشروط القول والتلقي... وتبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية، وبالتالي قيمة ومكانة أفعال الذات المتخاطبة."³

ويتجلى البعد التداولي في الخطاب الحجاجي من خلال مستويات عدة أهمها:

- على مستوى أفعال اللغة المتداولة في الحجاج: هناك الأفعال العرضية والتي تستعمل حسب أوستين لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات، وضبط مراجع، مثال ذلك: أنكر، فسر، أكد، أجب ...

- على مستوى السياق: هناك أدوات وصيغ وتعابير تضيفي السمة الحجاجية على تخاطب ما، مما يجعل الحجاج يكون ضمنيا أو صريحا.

¹ جورج مولينييه، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 2006م، ص 160.

² ينظر: فان دايك، النص والسياس، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيبي، إفريقيا الشرق، دط، 2000م، ص 227.

³ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 35.

- على المستوى الحوارى: سواء كانت ذوات الحوار مضمرة أو متعددة الأصوات والأمرات¹ ، وهذا المستوى ضرورى فى العملية الحجاجية، لأنه هو ما يجعل الذوات المتحاجة تتفاعل .

فالمتلفظ حينما يتلفظ بالقول أو الخطاب فإنه:

- يقول شيئاً ما للمرسل إليه.

- يفعل فعلاً ما فى المرسل إليه من خلال ذلك القول الموجه إليه.

- يؤثر فى المرسل إليه بواسطة ذلك الفعل.

ونجد من خلال هذا التفاعل أن الفعل الإنجازى يتعلق بالمرسل، وأما الفعل التأثيرى فإنه يتعلق بالمرسل إليه، لأنه يتوجه إليه، وقد لا تكتمل دائرة التأثير فيه إلا عند حدوث ردة فعل من المرسل إليه² .

ومما سبق نخلص إلى أن ديكر و أنسكومبر وغيرهم من اللسانين الذين تبنا منهجهم قد استفادوا كثيراً من الطروحات التى قدمها أوستين وسيرل فى نظرية الأفعال الكلامية ، التى أصبحت فيما بعد تنظر إلى بنية الخطاب على أنها نسيج قولى يوجه فعلاً كلامياً حجاجياً إنجازياً ، ومنه تصبح قيمة الفعل الكلامى الحجاجى فى الأثر الذى يتركه على المتلقى.

وبما أن حجاجية الفعل الكلامى منبثقة عن نظرية الفعل الكلامى فإنه تفادياً للوقوع فى التكرار ارتأينا الإيجاز والاختصار فى الحديث عن نظرية الفعل الكلامى لأننا تطرقنا إليها فى الفصل الأول، وما يهمنا فى هذا البحث هو الوقوف على الأبعاد الحجاجية للفعل الكلامى وسماته التداولية.

وفى ضوء هذا التوجه يمكن أن نتطرق إلى أفعال الكلام عند ابن أبي الخصال ودراستها تداولياً مع بيان دورها الحجاجى فى خطابه الترسلية، والوقوف على فعاليتها الحجاجية، التى هى كفعالية خطابية لا

¹ المرجع نفسه ، ص 36.

² الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 75.

تظهر وتتجسم لغويا إلا بمهارات أسلوبية وتأثيرات بلاغية يتلبسها مسار الحجاج وعلاقاته الداخلية، والتي تظهر من خلالها الذات المحاجة، وقوتها في الإقناع والتأثير، وكذا قيمة النص الحجاجي وتفاوته في الطاقة الحجاجية مع نصوص أخرى.¹

وبما أن الحجاج يعود في طبيعته للبنى اللغوية التي توجه القصد الحجاجي وإلى الاستراتيجيات الحجاجية التي يستخدمها الشخص المحاجج، فإن أكثر وأهم الأفعال التي يبرز فيها الفعل الكلامي الحجاجي هي التوجيهيات والإلزاميات، لأن غرضها الإنجازي في الحجاج مرتبط بردود أفعال المتلقين.² ولهذا سنقتصر على هذين النوعين، لأنهما النمط الغالب على رسائل ابن أبي الخصال، كما أنهما أكثر من غيرهما إظهارا وتمثالا للبعد الحجاجي في الفعل الكلامي.

5-1/ التوجيهيات:

وهي صنف من الأفعال الكلامية يهدف من خلالها المتكلم إلى توجيه المتلقي إلى فعل شيء ما، أو كما عرفها الشهري بأنها " المحاولات الخطائية التي يقوم بها المرسل بدرجات مختلفة للتأثير في المرسل إليه ليقوم بعمل معين في المستقبل"³ ، وإذا كانت التوجيهيات تتمحور حول الأثر الذي يتركه الفعل التوجيهي على المتلقي، فإن الحجاج يهدف إلى إقناع المتلقي لتظهر دعوى ونتيجة الحجاج في آرائه أو سلوكه في واقعه الفعلي ، وأفعال هذا الصنف من نصح وأمر واستعطاف وتشجيع وطلب تظهر في التراكيب اللغوية المعتمدة عموما في الحجاج⁴ .

وأما بالنسبة لتيتيكاه و بيرلمان فقد حصرا الموجهات في :

¹ ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي (المرجع السابق)، ص 41.

² ينظر: حمدي منصور جودي، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، ص 108.

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 336.

⁴ حمدي منصور جودي، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، ص 108.

أ/ - التوجيه الإثباتي **Modalité assertive** : وتستخدم في أي حجاج .

ب/ - التوجيه الإلزامي **Modalité injonctive** : و صيغته اللغوية الأمر، ويستمد طاقته الإقناعية من شخص الأمر وليس من ذات الصيغة، ولهذا يتحول الأمر إلى معنى الترحي حين لا يكون الأمر مؤهلاً شرعياً لتوجيه الأوامر .

ج/ - التوجيه الاستفهامي **Modalité interrogative** : وهو ذو قيمة خطابية جلييلة، إذ يفترض السؤال شيئاً تعلق به ذلك السؤال ويوحي بحصول اجماع على وجود ذلك الشيء ، كما أن اللجوء إلى الاستفهام يهدف أحيانا إلى حمل من وجه إليه الاستفهام على ابداء موافقته - إذا أجب - على ما جاء الاستفهام يقتضيه.

د/ - التوجيه بالتمني **Modalité optative** : ومداره على الصيغ التي تفيد التمني، وهذه الصيغ يستفاد منها الاعتماد على فكرة ما أو رأي ما تُقَرَّر به المجموعة¹ .

وتندرج تحت التوجيهيات مجموعة من الأفعال التي صنفها العلماء العرب القدماء ضمن الإنشاء الطلبي، وحددوا أغراضها البلاغية، وهي الأمر، والاستفهام، والنهي، والنداء، وسنحاول فيما يلي أن نقف على بعض الأمثلة التي وظفها ابن أبي الخصال في رسائله وبيان دورها الحجاجي في الإقناع والتأثير وتوجيه سلوك المتلقين.

5-1-1/ الاستفهام:

الاستفهام من الأساليب الإنشائية الطلبية وهو طلب معرفة أمر لم يكن معلوما عند الطلب، وهذا هو غرضه الأصلي إلا أنه قد يخرج عن هذا الغرض للدلالة على أغراض أخرى كالتشويق، والإنكار، والفخر، والتقرير...² ومن هنا فالاستفهام " بنية حجاجية تقوم على طرح القضية المخصوصة ويلعب

¹ عبدالله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، ص 321 - 322.

² عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه - إعرابه، مطبعة الشام، ط1، 2000م، ص 17 - 18.

دورا كبيرا في الإقناع وخاصة في العملية الحجاجية نظرا لما يعمله من جلب المتلقي إلى فعل الاستدلال بحيث أنه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه التي تخدم مقاصد الخطاب ويلعب دورا أساسيا في الإقناع بالحجة¹.

فالاستفهام يعمل على جلب المتلقي و إقحامه في ثنايا الخطاب من خلال طرح الأسئلة مما يجعل المتلقي ذاتا محاورة ، ولذا فإن " الأسئلة أشد إقناعا للمرسل إليه، وأقوى حجة عليه "².

والاستفهام الذي نرومه في الخطاب الحجاجي هو " كل استفهام يخرج عن غرض الاستفهام الأصلي ليؤدي وظيفة أخرى ، فإذا كان في مقام حجاجي زاد من قوة الحجاج وبلغ به الذروة القصوى "³ ، وهذا هو الذي يسميه أوستين و سيرل (الاستفهام الحجاجي) أو (السؤال الحجاجي) الذي ليس استخبارا وطلب جواب بل هو وسيلة حجاج⁴.

ويمكن أن نميز بين نوعين من الاستفهام:

- الاستفهام الحجاجي: و قد درسه كل من ديكرو و أنسكومبر ، و يستلزم هذا النمط من الاستفهام تأويل القول المراد تأويله انطلاقا من قيمته الحجاجية على أنه يتجه وجهة القول المنفي.

- الاستفهام العادي: وهو الذي يقصد المستفهم من ورائه إلى معرفة صدق الخبر أو كذبه، ولكن هذا النوع قد يوظفه المتكلم ويصبح بالتالي عنصرا من عناصر العلاقة الحجاجية ويكون له إذ ذاك بُعد وطابع حجاجي⁵ ، ومن أمثلة الاستفهام الحجاجي عند ابن الخصال مايلي:

¹ أمة الكريم الذارحي، بلاغة الحجاج ، ص 289.

² عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص 484.

³ جمعان بن عبد الكرم الغامدي، الحجاج في الخطبة النبوية، ص 309.

⁴ عبدالله صولة، الحجاج في القرآن الكريم ، ص 425.

⁵ أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 57 - 58.

يقول ابن أبي الخصال في قصيدة خمسة كتبها إلى الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين
بيث فيه الحماسة ويستنهض همته لتحرير مدينة (قورية) من الظلم والطغيان:

واهاً لَوَحْشَةٍ مَبْدَاهَا وَمَحْضَرِهَا واهاً لَرَفْضِ مُصَالَاهَا وَمَنْحَرِهَا

واهاً لِمَسْجِدِهَا الْأَعْلَى وَمَنْبَرِهَا لَشَدِّ مَا سُلِبَتْ إِشْرَاقَ مَنْظَرِهَا

و غُودِرَتْ وَخَشَةَ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ

مَعَاهِدَ تَعْرِفُ التَّوْحِيدَ وَالسُّورَا وَ سُنَّةَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارَا وَ الْأَثَرَا

وَ جَنَّةَ أَصْبَحَتْ رَوْضَاتِهَا صَقْرَا وَ بُدِّلَتْ بِذَوِي الْإِيمَانِ مِنْ كَفْرَا

فَأَيُّ طِفْلِ لِهَذَا الْهَوْلِ لَمْ يَشِبْ؟¹

لقد جاءت هذه الأبيات في سياق وصف الكاتب ابن أبي الخصال للحال التي آلت إليها مدينة
(قورية) المسلمة، فبعد أن كانت مدينة آمنة مطمئنة، عامرة بالإيمان والتوحيد، أصبحت مدينة خراب
وسراب، تئن تحت وطأة الكفر والدمار، وأن الظلم والدمار والقتل الذي حدث فيها تشيب من هوله
الصبيان، وهذا ما جعل الكاتب يتحسر ويتأوه لشناعة هذه الحال.

وليصور الكاتب هذه الحالة للأمير ويؤثر فيه ويقنعه بضرورة الانتصار لهذه المدينة وردّها إلى حضن
الإسلام ودين التوحيد، وظّف الاستفهام في قوله (فأى طفل لهذا الهول لم يشب؟) توظيفاً حجاجياً، لأن
الكاتب لا يريد أن يستعلم عن شيء يجهله، وإنما يتعجب ويتحسر ويتألم من شناعة ما آلت إليه المدينة
من قتل وتدمير، ونقل المشهد بهذه الصورة للأمير كفيل بالتأثير فيه وإقناعه بتجهيز الجيوش وتحرير المدينة
من براثن الظلم والاستبداد.

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 48.

وهذا الذي سعى إليه الكاتب لأنه استخدم الاستفهام بهدف السيطرة على مجريات الأحداث، وذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب اتجاه ما يريد المرسل، لا حسب ما يريد الآخرون¹.

ومنه أيضا في خطبة كتبها يحضّ على الجهاد ويحدّر من التهاون عنه خضوعا للدنيا وملذّاتها فيقول: " ... قَدْ أَمَّتْكُمْ² جَهَارًا بِأَحْجَارِهَا ، و لدغتمكم مِرَارًا مِنْ أَحْجَارِهَا ، و عَمَّتْكُمْ صِغَارًا بِذُحُولِهَا و أوتارها³ ، و أنتم - على ذلك - تتهافتون تَهَاتِفَاتِ الْفَرَّاشِ عَلَى حُطَامِهَا و نارها ، أَيُّ مَصُونٍ مِنْكُمْ لَمْ تَنْلَهُ بِهَتِّكَ ، أم أَيُّ مَنِيْعٍ لَمْ تَعْلُهُ⁴ بِفِتِّكَ ، أم أَيُّ مُصَافٍ لَهَا لَمْ تُذِلَّهُ⁵ بِنَبْدٍ و تَرَكَ؟..."⁶

فالكاتب بعدما رأى بأن الناس قد خارت عزائمهم، وذبلت همهم عن الجهاد، باستكانتهم للدنيا وملذّاتها، و زخرفها وشهواتها، أراد أن يذكرهم بحقيقة الدنيا وأتته لا يؤمن جانبها، فهي تُعطي وتمنع، وتُضحك وتُبكي ، وتُحسن وتُسيء ، و أراد أن يقنعهم بضرورة الجهاد في سبيل الله فهو عز وأمان في الحياة الدنيا، ورضى ونعيم في الدار الآخرة ، وأنه السبيل لحفظ الدين والمال والنفس والولد.

وقد وظف الاستفهام توظيفا حجاجيا من خلال قوله مستفهما عن حقيقة الدنيا (أي مصون منكم لم تنله بهتك، أم أيّ منيع لم تَعْلُهُ بفتك، أم أيّ مُصَافٍ لها لم تُذِلَّهُ بنبد وترك؟) ليكشف للناس حقيقة الدنيا التي تعلقوا بها وملذّاتها وغفلوا عن مكرها ، ويقنعهم بضرورة الجهاد في سبيل الله والعمل للدار الآخرة.

¹ ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 352.

² أمّه يؤمه أمّا : شجّه شجّةً أصاب أمّ رأسه ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 526 .

³ ذحول جمع ذخل ، و أوتار جمع وتر : الثأر . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 526 .

⁴ غاله الموت : أهلكه . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 526 .

⁵ أذّله : أهانه و ابتذله . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 527 .

⁶ رسائل ابن أبي الخصال، ص 526 - 527.

فما كانت تلك العبارات التي تلبس ثوب الاستفهام إلاّ تذكيرا و تأكيدا ، (بصيغة : من منكم لم تفعل به الدنيا كذا ؟ و من منكم في مأمّن من غدها ؟ و أيّ منيع لم تغله بفتك ؟) فقد كان الغرض من الاستفهام حجاجياً ، لأنّ الكاتب يعرف الأجوبة مسبقاً ، فهو لا يطلبها (لأن الجميع متفق على كونها دار متاعٍ فانية ، متقلبة في أحوالها ، لا يدوم صفوها لأحد) بل كان هذا تذكيرا بحقيقتها ، و استنهاضا للهمم ، حيث يقول مباشرة بعد هذه العبارات : " .. فانفُظوا -رحمكم الله- أيديكم بها نفضا ، و أجمِعوا لها¹ -كما رفضتكم - رَفُضا ، و استبدلوا مِنْ نَصَبِ غُرُورها بِالزُّهدِ فيها دَعَةً و خَفُضا "

وقد تمثلت القوة الإنجازية غير المباشرة للاستفهام في تقرير وإثبات، حقيقة الحياة الدنيا الفانية لدى الناس، ليعملوا على رضی الله وتحقيق الفوز في الحياة الآخرة الباقية ، وقد حمل هذا الاستفهام افتراضات ضمنية غير مصرح بها جعلته يحمل طاقة حجاجية.

ومثال ذلك أيضا في خطبة يحث فيها على قيام الليل حيث يقول: "... فالحازم - رحمكم الله كلُّ الحازم- من استبرأ لدينه و ترك الشكّ ليقينه ، و تأهب ليومه و حينه ، قبل غُصص² الحُلُقُوم و شَرِقِه ، و شُخوصِ البَصَرِ و بَرِقِه³ ، و تَبَجُسِ الجِيبِ بِعَرِقِه ، و حُلُولِ المَوْتِ و فَرِقِه ، و إدراجِ الجِسمِ في حِرْقِه ، قبلَ كَشْفِ العِطاء ، و موقِفِ الحرمان والعطاء ، و تبريزِ السَّوابق و تعجيزِ البِطاء ، ألا تعتبرون ما بقي من الدنيا بما مضى ؟ أمّا دَيْنُ الحياة فمُقتضى ، وأمّا سَيْفُ الصراطِ فمُنتضى ، و سَتْفُضُونِ إلى ما قَدِمْتُمْ مع من أفضى ، وها أنتم تُقرِضُونَ السُّخْطَ و تَأَمَّلُونَ الرِّضَى ، و لو عُوِمِلَ أحدكم بهذا ما تجاوز و لا أغضى ، ألا نادِمٌ على ما سَلَفَ من ذنوبه و فَرَطَ ؟ ألا خائفٌ من طول ما جَمَحَ و أفرطَ ؟ ألا مُستَنقِضٌ لِنفسِ أوْتَقِها و

¹ أجمع الرأي و الأمر : و أجمع عليه ، عزم عليه . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 527 .

² غصص الحلقوم: حين تبلغ روح المختضر الحلقوم و تشارف على الخروج من جسده . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 537 .

³ يرق البصر : تحير حتى لا يظفر ، أو دهش فلم يبصر ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 537 .

أشْرط؟ أَلَا مُنَاجِي لِمَوْلَاهُ؟ أَلَا هَاجِر لِكِرَاهِهِ؟ أَلَا حَامِدٌ عِنْدَ الصَّبَاحِ لِسُرَاهُ¹؟ أَلَا مُبَدِّدٌ لِعِبْرَاتِهِ؟ أَلَا مُرَدِّدٌ لِحِسْرَاتِهِ؟ أَلَا مُصْعِدٌ لِرَفْرَاتِهِ؟...²

لقد سعى الكاتب من خلال هذه الخطبة إلى حث الناس على التوبة والإنابة إلى الله تبارك وتعالى، ولا يكون ذلك إلا بالعمل والطاعة، والاستغفار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أن من أفضل الأعمال وأجلها قربة لله هو قيام الليل لما فيه جزيل الثواب، وكمال الأجر، وليقنع الكاتب متلقي خطابه ووظف الفعل التوجيهي (الاستفهام) توظيفا حجاجيا مما أضفى على الخطاب طاقة حجاجية، وقد تمثلت القوة الانجازية للاستفهام في الإنكار والتعجب من حال أناس يعصون الله ولا يطيعونه، ويكثرون من الذنوب، واستكانت أنفسهم للمعصية والخذلان، كيف لا يتوبون إلى الله ويرجعون إليه بالتوبة والاستغفار وصالح الأعمال.

وقد تمثل الفعل التأثيري في محاولة الكاتب تحذير الناس مغبة الذنوب والمعاصي والشهوات، محاولا إقناعهم بالرجوع إلى الله ومناجاته وذكره في كل وقت وحين ، وهذه هي النتيجة الضمنية للأطروحة أو الدعوى التي يعالجها الكاتب بأسلوب تفاعلي حجاجي .

أورد ابن أبي الخصال مجموعة من العبارات على شكل استفهامي ، و لكنها تحمل في طياتها التعجب و التقريع حيث يقول : (أَلَا تَعْتَبِرُونَ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا مَضَى؟) ، (أَلَا نَادِمٌ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِ وَفَرَطٌ؟) ، (أَلَا خَائِفٌ مِنْ طَوْلِ مَا جَمَعَ وَأَفْرَطُ؟) ، (أَلَا مُنَاجِي لِمَوْلَاهُ؟) ، (أَلَا هَاجِرٌ لِكِرَاهِهِ؟) ، (أَلَا حَامِدٌ عِنْدَ الصَّبَاحِ لِسُرَاهُ؟) ، (أَلَا مُبَدِّدٌ لِعِبْرَاتِهِ؟) ، (أَلَا مُرَدِّدٌ لِحِسْرَاتِهِ؟) ، (أَلَا مُصْعِدٌ لِرَفْرَاتِهِ؟) ، فهو يتعجب من غفلتهم ، و يقرعهم عليها ، و يحاول إيقاظهم منها بهذا الأسلوب الاستفهامي الذي يُشعر المخاطب بضرورة الإجابة و بالتالي التفاعل .

¹ من المثل العربي : (عند الصباح يحمد القوم الشورى) (جمهرة الأمثال للعسكري 42/2) عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 538 .

² رسائل ابن أبي الخصال، ص 537 – 538 .

فلو أن الكاتب في خطابه هذا سرد لهم نفس هذه الحجج بأسلوب خبري ، تقريرى كقوله مثلا : (أنتم لا تعتبرون من الدنيا بما مضى) و (أنتم مفرطون في دينكم من غير خوف) ، و لا تحمدون الله و لا تناجونه) و غيرها من العبارات الخبرية التي لا تتطلب التفاعل ، لما حصل في النفس ما حصل - بأسلوب الكاتب الاستفهامي و التفاعلي - ، و لَمَّا وقع في القلب و وقر .

5-1-2 / الأمر:

وهو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى حقيقة أو ادعاء، أي سواء أكان الطالب أعلى في واقع الأمر، أم مدعيا لذلك ، والأصل في الأمر أن يكون لطلب الفعل على سبيل الإيجاب، وقد يأتي لمعان أخرى تفهم من المقام، كالاتماس، والدعاء، والتمني، والتهديد...¹ ومن مظاهر حاجية فعل الأمر في رسائل ابن أبي الخصال:

يقول ابن أبي الخصال في رسالة كتبها على لسان أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين إلى القاضي أبي محمد عبدالله بن عمر القيسي المعروف بالوحيدي، وهو قاضي الجماعة بمناسبة وفود جماعة من مالقة في شكاوى لهم " ... وقد تجمعت الآن بهذه الحضرة عَصَابُ الشَّاكِين ، و كَثُرَتْ أَرْفَاعُ الْمُتَظَلِّمِينَ ، و كان مِنْ أُمُورِهِمْ بَيْنٌ وَمُشْكَلٌ ، و فِيهِمْ مُحَقٌّ و مُبْطِلٌ ... و أَوْعَزْنَا إِلَى جَمَاعَتِهِمْ لِمَا خَفِنَاهُ مِنْ تَلْبِيسِهِمْ فِي الْأُمُورِ ، و شَوِبَهُمُ الْمُبَاحُ بِالْمَحْذُورِ ، بَأْنَا لَا نَنْظُرُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي حَقِّ يَدْعِيهِ ، و لَا أَمْرٍ يُوجِبُهُ أَوْ يَنْفِيهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيَانٍ مِنْ قَاضِي بَلَدِهِ ، و كِتَابٍ يَنْطِقُ عَنْ صِحَّةِ مَا بِيَدِهِ ... و قَدْ قَلَّدْنَاكَ تَقْلِيدًا تَامًا أَنْ تَنْظُرَ بِجَهْتِكَ مِنْ شَكَاوَى الْعَامَّةِ فِي اللَّطِيفِ و الْجَلِيلِ ، و سُمْنَاكَ الْقِيَامَ بِالْخَفِيفِ مِنْهَا و الثَّقِيلِ ، فَتَفْقَدَ مَا قَبْلَكَ حَقَّ تَفْقِيدِهِ و تَعَهَّدَهُ أَحَقَّ تَعَهُّدِهِ ، ... فَاسْتَكْشِفْ - وَفَقِّكَ اللَّهُ - الْأَحْوَالَ و تَعْرِفْ صُورَهَا ، و اسْتَعْلِمْ مَعَ الرَّعِيَّةِ شَأْنَ الرَّعِيَّةِ و خَبَرَهَا... و تَحْفَظْ مِنْ كُلِّ مَنْهُومٍ لَا يَشْبَعُ ، و مُسِفًّا لَا يَتَوَرَّعُ ، ... و بَعْدَ تَوَلِّيَتِكَ إِيَّاهُمْ فَأَشْرِفْ عَلَيْهِمْ إِشْرَافًا يَتَعَقَّبُ أَحْوَالَهُمْ...

¹ عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، دت، 2001م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 14 - 15.

فانظر في هذه الأمثلة و الجُمَل إلى أقصَى ما يَنقَسِم إليه أقسأُها ، و قَفها على حَدِّ ما تَقِفُ عَلَيْهِ الشَّرِيعَةُ و أحكامها ، و اكفنا ما استكفيناك ، و انهضْ نُهوضَ المُستَقَلِّ بما حَمَلناك...¹

جاءت هذه الرسالة في سياق مجموعة من الشكاوى التي وردت على أمير المؤمنين على بن تاشفين، ينقل فيها أصحابها ظلم القضاة والولاة في الأقاليم ، وقد رد الأمير هؤلاء خوفا منه على تجراً هؤلاء وغيرهم مستقبلا على عمال الدولة وقضاةها، ولكنه بالمقابل أنصفهم حينما كلف قاضي الجماعة الوحيد بالنظر في شؤونهم وإنصافهم ورد المظالم إلى أهلها، وقد تضمنت هذه الرسالة مجموعة من الأفعال التوجيهية بصيغة الأمر، تتمثل قوتها الإنجازية المباشرة في طلب الأداء والقيام بالواجبات التي تضمن تحقيق العدل وسلامة الدولة، والدليل الإنجازي هو أفعال الأمر (تفقد، فاستكشف، فاستعلم، تحفظ، فأشرف، فانظر، و اكفنا، و انهض)، وهذا هو المعنى الحرفي المباشر، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة فهي النصح والإرشاد ، بينما يتمثل الفعل التأثري في محاولة أمير المؤمنين إقناع القاضي وتوجيهه بضرورة إقامة العدل، والعمل على توفير الأسباب الكفيلة بتحقيقه، لأنه أساس الملك، وهو الذي يشعر الرعيّة بالأمن والأمان ، وهذه هي النتيجة الضمنية ، وذلك من خلال جملة من النصائح والإرشادات في صورة أوامر، و قد امتلك الخطاب الترسلي سلطةً لأن صاحب الرسالة أعلى منزلة ومكانة من المتلقي.

ويقول في خطبة يحض فيها على الجهاد " ... أيها الناس ! بالنصيحة ما أنطقُ ، و الذُّبالة² تُضيء وتحترق ، لو صدقتم أجسادكم عن موحش مآلها ، و تغير جمالها ، و حؤول أحوالها ، و انتقاض أجزائها و أوصالها ، و توديع الحياة وانفصالها ، لواجهتكم العبر ، و شافهكم بيقينه الخبر ، و لعلمتم أن آمالككم سرابٌ ، و عُمرانكم خرابٌ ، و كل الذي تصوؤونه فوق تُرابكم تُرابٌ . اللسان - رحمكم الله - يَجُورُ و يعدل ، و الناطقُ يُحرفُ كثيراً و يُبدل :

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 610-614.

² الذبالة : الفتيلة التي تُسرجُ (تكون في السرج و تشتعل) ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 524 .

فاتركوا الناطق للصامت ، و المتحرك للسّاكن السّاكت ، و سلّوا منازلكم عن عمّارها ، و منازهمكم عن زوّارها ، و مياهمكم عن فراطها¹ و وزادها ، ... سلّوا جياذكم من صنعها و أنضاهها ، و صوارمكم من طبعها وانتضاهها ، و سوابغكم من جمعها وقضاهها². سلّوا ثغر الفجر إذا افتّر ، وقرن الشمس إذا ذرّ³ ، أما سحب على القرون ذيوله و جرّ ، و غاب على أمم قد خلت من قبلها أمم و كّر ؟ سلّوا الكواكب إذا اضطفت في مجاريها ، و رقت في غدائر الظلماء مداريها⁴ عن أوانيس كانت القصور ثوابيها... سلّوا نشبكم المقتنى ، و نسبكم الأقصى والأدنى: هل تجدون إلا أسماء و كنى، و ألفاظًا خالية من المعنى ، و محلاً قيل فيه : قد كان فلان و فلان مرّة هنا ؟ أرهفوا - رحمكم الله - غلظ الأكباد ، و مروا بأجدات الآباء والأجداد ، و خذوا الموعظة عن الجماد ، و اعلموا أنّ أديم الأرض مشوبّ بهذه الأجساد... فاستقبلوا - رحمكم الله - عشاركم ، و استقبلوا عدوكم و خذوا ثاركم ، و خلدوا في صُحف القبول آثاركم ، و اخلصوا لله طاعتكم ، و حَقّقوا إنابتكم وضراعتكم...⁵

لقد سعى الكاتب من خلال هذه الخطبة إلى استنهاض الهمم والحث على الجهاد في سبيل الله، لأنه السبيل إلى حفظ المال والنفس والوطن، فبعد ما رأى الكاتب أن أهل بلده خارت همهم، وسكنت عزائمهم، وكثرت شهواتهم، وازداد تعلقهم وتمسكهم بالدنيا ونعيمها ، وأنساهم ذلك حب الله والدار الآخرة، وأنساهم كذلك الخطر المحدق بهم من كل الجوانب، أراد أن يذكرهم بأن الدنيا دار فناء، وأن العمل للآخرة لأنها هي دار البقاء، وأن طاعة الله والجهاد في سبيل الله هو الفوز المبين، وهذه هي النتيجة الضمنية التي أراد الكاتب أن يصل إليها .

¹ فرط البئر : تركها حتى يثوب ماؤها ، اسم الفاعل : فارط و الجمع فراط عن رسائل ابن أبي الخصال، ص525 .

² قضى الشيء : قدره و صنعه ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص525 .

³ قرن الشمس : أول ما يبرز عند طلوعها ، و ذرت الشمس ، ظهرت أول شروقها . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص525 .

⁴ المداري جمع المدري : المشط . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص525 .

⁵ رسائل ابن أبي الخصال، ص 522 - 526.

وقد وظف ابن أبي الخصال مجموعة من الأفعال الإنجازية التوجيهية بصيغة الأمر (سلوا ، استبدلوا، مرّوا ، خذوا ، خلدوا ، أرهفوا ، فاستقبلوا، فاتركوا...) تتمثل قوتها الإنجازية غير المباشرة في الوعظ والنصح والإرشاد، والدعوة إلى التفكّر وأخذ العبر من السابقين، وأما الفعل التأثيري فيتمثل في محاولة الكاتب إقناع الناس بضرورة الحذر من التعلق بالدنيا و ملذاتها، والركون إلى الشهوات وزخرفها، فيكون ذلك سببا في تباطئ الهمم و خور العزائم عن الجهاد في سبيل، لذا حذر الكاتب الناس من الدنيا ودعاهم الى النظر في حال الأمم السابقة وأخذ العبر منهم ، ليصل إلى مبتغاه فيغير من سلوك هؤلاء ويؤثر فيهم فيتحقق له الإقناع.

ويقول في رسالة كتبها إلى صديق له سعى بينه وبين الكاتب ساع بزورٍ وبهتان، فكتب إليه ابن أبي الخصال رسالة يفند فيها ويكذب ما نُقِلَ عنه ، جاء فيها : " ... و إنني - أعزك الله - لمدفوعٌ من هذه الأعمال - أوضَحَ اللهُ موافِعَهَا ، وأنهض واقِعَهَا- إلى ما يُبَلِّد و يُذهِل ، و يُعمي و يُجهِل ، فمتى كان مِنِّي توقُّفٌ في مُطالعة ، أو إبطاءٌ فيّ بما يجب له الإسراعُ من مُراجعة؟ فليهذا الشَّغَبِ الدَّائم ، و الشُّغْلِ القائم ، لا لِمَا لَعَلَّهُ يُتَوَهَّمُ من إغفالٍ: بُعدي عنه جليّ ، و أنا -عَلِمَ اللهُ- منه خَلِي .

فمهد لي- أعزك الله - كَنَفِكَ ، و أزل من هذه الظنون الكاذبة ما اكتنفك ، والله أستحفظه على صفائك ، و أستقرضه قياماً بحقوق وفائك ، و أعلمني فلان مؤدّيه بالكلام الذي زور، و الأمر الذي نسب وصور ، و أنت - أعزك الله - تعلمُ منبع تلك الكذوب ، و مُسيلمَة ذلك الإفك المنسوب ، فمن أفقه طلع ، و من معدنه نبع ، فنزه سمعك المصون عن افترائه..."¹.

لقد كتب ابن أبي الخصال هذه الرسالة محاولاً إقناع صديقه بحفظ حبل الود والصدقة الذي بينهما، لأن بين الكاتب وصديقه من الود أكبر من أن تفسده نيمة حاسد أو دسياسة كاره، يحاول أن يوقع بين الكاتب وصديقه، وقد وظف الكاتب الأفعال الكلامية التوجيهية بصيغة الأمر في قوله (فمهد، وأزل،

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 75.

فنزهه) وتمثل قوتها الإنجازية في الاستعطاف والالتماس والرجاء، والنصح والإرشاد وأما الفعل التأثري فيتمثل في محاولة الكاتب استعطاف صديقه ونصحه وإرشاده وتوجيهه وإقناعه بأن ما وصل إلى مسامعه محظ كذب وافتراء. وأنه يجب عليه أن يبسط يده لحفظ الود الذي بينهما.

5-1-3/ النداء :

وهو طلب الإجابة لأمر ما بحرف من حروف النداء ينوب مناب (أَدْعُو) وقد يخرج النداء عن معناه الحقيقي ليدل على معان أخرى تفهم من سياق الحال كالاستغاثة، والتعجب، والتحسر، والتمني...¹ والمتأمل في رسائل ابن أبي الخصال يجد أن افتتاحياته لا تخلو من النداء سواء بالأداة أو بدونها، إلا أن هذا النداء ليس الغرض منه طلب الإقبال، وإنما لغرض بلاغي آخر يستدعيه مقام الخطاب الترسلية ومقتضياته، ومما يميز رسائله أيضا حسن الابتداء الذي يعد أول ما يقرع السمع، فإذا كان حسنا كان له أثر على السمع، وإذا كان عكس ذلك أعرضت عنه النفس ورفضته، ومن أمثلة ذلك :

يقول في رسالة وساطة وعقد زواج " يا سيّدي الأعلى، و كيري الأوفى، و شيخي المُفدّي الذي التزم برّه ، و أتوخي في كلّ حالٍ ما سرّه . أدام الله جانبك منيعا ، و جنابك مريعا ، و ذكرك في الصّالحين مُستطيرا مُستديعا..."² ، لقد عمد ابن أبي الخصال في رسائله إلى توظيف أسلوب النداء كاستراتيجية تتحدد من خلالها العلاقة التواصلية بين الكاتب ومخاطبيه، وتكون مدخلا للاستدراج والتأثير في المتلقي، خاصة وأنها مشفوعة بالأوصاف والألقاب الحسنة، والأدعية المؤثرة التي يكون لها وقع على القلوب وأثر على النفوس، فيجد الكاتب من خلاله البيئة الخصبة للحجاج للإقناع.

¹ عبد الرحمان حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م، ص 240 – 241.

² المصدر السابق ، ص 598 – 599.

ومنه يكون توظيف الكاتب لأداة النداء (يا) التي هي للبعيد، مع قرب المتلقي من الكاتب - كقارئ للخطاب الذي بين يديه- توظيفا حجاجيا يدل على تعظيم المخاطب وتوقيره وعلو شأنه، وذلك أجلب للسيطرة على المتلقي والتأثير فيه، فيتحقق الهدف من الخطاب الترسلية، وهو انفاذ الشفاعة واطمام عقد الزواج.

و يقول في رسالة أخرى كتبها إلى شخصية مرموقة يتوسط لرجل أصابته ضائقة يقول مطلعها:
 " سَيِّدِي الْأَعْظَمُ ، وَمَلَاذِي الْأَعْصَمُ ، وَمَلْجئِي الْأَمْنَعُ الْأَكْرَمُ ، وَمَنْ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِهِ
 لِلْعَدْلِ يَمُدُّ ظِلَالَهُ ، وَالْفَضْلُ يَفْسَحُ مَجَالَهُ ، وَالذَّهْرُ يَطُولُ أَفْرَادَهُ وَرِجَالَهُ ، قَدْ تَقَرَّرَ
 إِسْنَادِي إِلَى عُلاهِ ، وَاعْتِمَادِي عَلَى جَلَالَةِ نُهَاهِ ، وَاعْتِدَادِي فِي جُمْلَتِهِ ، وَأَدَائِي لِحَمَّتِهِ¹
 ، وَتَشْيِيعِي فِي مَجْدِهِ ، وَتَشْيِيعِي فِي شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ ..."² ، أما هنا فقد عمد ابن أبي
 الخصال إلى حذف حرف النداء ، لضرورة يقتضيها المقام ، وفي ذلك إشارة من الكاتب إلى
 قرب الصلة والعلاقة الوطيدة بينه وبين متلقي رسالته، فالكاتب يعرف قيمة العلاقة التي تربطه بالمتلقي
 لذا لا يحتاج إلى النداء ، فكان للقرب النفسي و المعنوي بين الكاتب و متلقي خطابه أثر و
 انعكاس (مادي و شكلي) أثناء التوجه بالخطاب و ذلك بالتخلي عن أداة النداء ، و في ذلك
 أيضا مبعث للحجاج والإقناع.

و يقول ابن أبي الخصال في مطلع رسالة أخرى كتبها إلى واحد من أولي الشأن يزكي عنده
 رجلا وبنوه به :

يَا مُشْرِفًا أَشْرَفَتْ مَكَانَتُهُ وَمَيَّزَتْ قَدْرَهُ صَيَانَتُهُ

كَمْ رُضْتَ مِنْ كُلِّ جَامِحٍ أَرِنِ أَهْلَكَتِ الْحَرِثَ خُنْزَوَانَتَهُ³

¹ كذا من الأصل ، و لعله : " و أدائي (حق) لحمته " ، على أن سهو الناسخ نادر جداً ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 76.

² رسائل ابن أبي الخصال، ص 76.

³ الخنزوانة : و الخنزوان و الخنزوانية ، و الخنزوة : الكبير ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 596.

فَانْقَبَضَتْ كَفَّهُ وَكَمْ عَبَثٌ فِي كُلِّ مَحْظُورَةٍ خِيَانَتُهُ
 دَيْنُكَ يَا أَبَى لَكَ الدَّيْنِيَّةُ وَالْإِنْسَانُ نِسِيٌّ لَوْلَا دِيَانَتُهُ¹

لقد كتب ابن أبي الخصال هذه الرسالة في سياق الشفاعة والتوسط لرجل لدى واحد من أهل الشأن والسلطان ، فخاطبه الكاتب منوها بمكانته و رفعته بأسلوب النداء ، لا ليكون ذلك للفت الانتباه ، وإنما ليكون مدخلا للاستدراج ، وقد تمثلت القوة الإنجازية للنداء في تعظيم شأن المتلقي وعلو مكانته ، وقد استعمل أداة النداء (يا) المستعملة لنداء البعيد، مع أن المتلقي من الكاتب بالقرب المعنوي تعظيما للمتلقي وتوقيرا له ، فهو من أهل الشرف والمكانة العالية ، ومن كانت فيه صفة من هذه الصفات، فهو أولى من غيره في قضاء حوائج الناس وتحقيق مصالحهم ، وهذه سبيل الكاتب لإقناع المتلقي وتحقيق الشفاعة مبتغاها .

5-2/ الإلزاميات :

وهي أفعال كلامية يُلزم فيها المتكلم نفسه بفعل شيء في المستقبل² ، وأما في الحجاج فيمثل هذا الالتزام من المتكلم تدعيما للمصداقية ، و الذي من شأنه أن يبرز قناعة هذا المتكلم اتجاه ما يطرح ليكون دليلا وحجة لإقناع المتلقي ، و هذا ما نجده في أفعال الوعد والوصية³ .

ومثال ذلك في رسالة كتبها ابن أبي الخصال إلى أحد القواد يلتمس منه انتظام رجل في الخدمة عنده، فيقول : " أطال الله بقاء القائد الأجل ، السيد الأفضل ، ذي الهمة البعيدة ، والمآثر المشيدة ، والمكارم العتيدة ، متسابقاً إليه الآمال ، متغايرة في جلالته الولايات الخطيرة والأعمال ، متناسقة في فضائله الأحاديث والأمثال ، قد علم - دام عزه - التزامي

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 595 - 596.

² ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 49.

³ حمدي منصور جودي، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، ص 108.

لعهده ، وانتظامي في عقده ، وقيامي بواجبات شكره وحمده ، و تلك - بحول الله - سبيل ما أزال لها سالكاً، و لما سواها تاركا ... و أنا المُرْتَهَنُ بِقَرَضِهِ ، الْمُتَصَدِّي إِلَى قِضَاءِ فَرَضِهِ ، إن شاء الله ¹

يتضمن الخطاب الترسلّي للكاتب أفعالاً كلامية التزامية تمثلت في قوله (التزامي، انتظامي، قيامي، وأنا المرتهن، المتصدي.) وقد تمثلت قوتها الإنجازية المباشرة في تعهد الكاتب بالولاء التام للقائد، والتزام أمره، والانتظام في عقده، والاعتراف بالفضل والشكر والعطاء ولو كان قليلاً، والبقاء على هذا العهد وهذه الحال مهما كانت الحال والظروف.

وأما القوة الإنجازية غير المباشرة فتمثلت في إعلام المخاطب بأن الكاتب ابن أبي الخصال يعظمه ويحمله ويحترمه ويرفع من شأنه، وأنه باق على هذا العهد معه، ومن هنا فإن إثبات هذه الالتزامات والتعهدات والتأكيد عليها مدعاة للتأثير في المرسل إليه وقبول طلب الكاتب وتحقيق الإقناع، والوصول إلى الهدف أو الغاية أو المقصد الحجاجي من الرسالة، وهو انتظام الرجل الذي يتشجع له الكاتب في الخدمة.

ومثال ذلك أيضاً قوله في رسالة كتبها إلى أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين فيقول فيها : " أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرِ الدِّينِ ، عَزِيزِ النَّصْرِ مُضَاعَفِ التَّمَكِينِ ، حَافِظِ اللِّبَاقِينَ عَهْدِ الْمَاضِينَ ... قَدْ عَلِمَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرُ الدِّينِ أَعْلَى اللَّهِ أَمْرَهُ ، مَا أَسْلَفَهُ عَمِّي - رَحْمَةُ اللَّهِ - مِنْ طَاعَتِهِ الَّتِي مَضَى عَلَيْهَا حَمِيداً ، وَانْفَصَلَ عَنْهَا شَهِيداً ، وَ مَنْ قَاتَلَ لِيُوفِيَ حَقَّ إِسْلَامِهِ ، وَ يُعَلِّي دَعْوَةَ إِمَامِهِ ، فَقَدْ اسْتَوْجَبَ رَغْبِي ذِمَامَهُ ² ، وَ حَفِظَهُ فِي تَرْكِيهِ وَ أَيْتَامِهِ ؛ وَ كَانَ - رَحْمَةُ اللَّهِ - قَدْ اسْتَشَعَرَ قُبَيْلَ تَوْدِيْعِهِ مَا نَفَدَ بِهِ

¹ رسائل ابن أبي الخصال، ص 137 - 138.

² الذمام : العهد ، و الحق و الحُرمة ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 105.

الْقَدْرُ مِنْ اخْتِرَامِهِ¹ ، فَعَهَدَ إِلَيَّ أَلَّا أَلْتَزِمَ دِيوانًا و أَلَّا أَحْمِلَ لِمُنْعِمٍ - غيرَ أمير المسلمين أيده الله - إِنْعامًا و لا إِحسانًا ، و أَلَّا أَتَقَدَّمَ و لا أَتَأخَّرَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ و تَحْتَ عَالِي أَمْرِهِ . فَالْتَزِمْتُ وَصِيَّتَهُ و لَزِمْتُ أَلَيْتَهُ² ، و لولا أن أَخَالَفَ قَصْدَهُ ، و أَفَارِقَ عَهْدَهُ ، لَكُنْتُ مَكَانَ كِتَابِي هَذَا لِأَحْلَ مَحَلِّ الاغْتِباطِ ، و أَتَشْرَفَ بِلَثْمِ البِساطِ...³

تضمنت الرسالة أفعالاً كلامية إنجازية في قول الكاتب (عهد ، ألتزم ، أحمل ، أتقدم ، أتأخر ، لزم ، وصى) تمثلت قوتها الإنجازية المباشرة في محاولة الكاتب إخبار أمير المؤمنين بوفاة عمه ، وأن سبب تأخره عن الجيئ إلى بلاطه هو إلتزامه بعهد عمه ووصيته في أولاده . وأما القوة الكلامية غير المباشرة فقد تمثلت في الاعتذار ، والفعل التأثيري تمثل في محاولة الكاتب إقناع أمير المؤمنين بأنه باق على العهد والوفاء للأمير ، وأنه لم يمنع عن الأمير إلا إلتزامه بوصية عمه وعهده ، وهذه أفعال التزامية الغرض منها التأثير في المتلقي وإقناعه لكسب عطفه وإرضائه .

ومنه أيضا في رسالة كتبها إلى شخصية كبيرة في الدولة يتوسط لرجل ألمت به ضائقة مالية ، فيقول : "... و فلان جاري ، و أمله المُتْرَمِي على فضله - صَنَعَ اللهُ لَهُ - تَكْلَفَ في قَصْدِي شَقًّا⁴ ، و استَوْجَبَ إلى حُقُوقِهِ القَدِيمَةِ عِنْدِي حَقًّا ، و ما إذا أُغْنِي في قَصْدِهِ ... و شَرَحُ قَصِيَّتِهِ التي أَشْخَصْتَهُ ، و الهُمُومُ تَنْفُحُهُ ، و السَّمُومُ تَلْحُفُهُ و تَلْفُحُهُ ، أَنَّهُ تَشَبَّثَ لضروراتٍ لِحَقَّتِهِ و نَوَائِبَ رَمَقْتَهُ بِكِرَاءِ قِطْعَةٍ مِنَ المُسَجَّلَةِ صادفَ فيها ما لا يَدْفَعُ في حَقِيقَتِهِ دافِعٌ ، و لا يُعَدِّمُ عَلَيْهِ بُرْهانًا ساطِعٌ ، من ارتفاعِ البَرَكَاتِ ، و نَقْصِ الثَّمَراتِ ، و إِخْلافِ الإِصاباتِ ، فَقَصَّرَتِ الحالُ فيما أورد ، و بَرَدَ عَلَيْهِ لِهذهِ العِلَّةِ ما بَرَدَ⁵ ، و ذِمَّتُهُ مَطْلُوبَةٌ ، و السَّطُوةُ

¹ اخترمته المنية : أخذته . عن رسائل ابن أبي الخصال ، ص 105 .

² الألية : اليمين ، عن رسائل ابن أبي الخصال ، ص 106 .

³ رسائل ابن أبي الخصال ، ص 105 - 106 .

⁴ الشق (بفتح العين و كسرهما) : الجهد و المشقة ، عن رسائل ابن أبي الخصال ، ص 76 .

⁵ بَرَدَ : لزم و ثبت ، عن رسائل ابن أبي الخصال ، ص 77 .

عليه مرهوبة ؛ و لا بَلاغَ لَهُ اليومَ إِلَّا بِشَفَاعَةِ مَنْهُ - أيده الله - كريمة تُدرِكُهُ و عنايةٍ تتلافى رَمَقَهُ و تُمسِكُهُ ؛ و سَجدُ إن شاءَ اللهُ مُرتقى الرغبة سهلا ، و يلقي في نَاديها مرحبًا و أهلا ، و تُصادفُ الصنِيعَةُ مِنْهُ فِي تَقَلُّدِهَا و مِنِّي فِي شُكْرِهَا أهلا ؛ و فلان - أَعَزَّهُ اللهُ - لا يَزهدُ بِفَضْلِ مُسَاهَمَتِهِ فِي هَذِهِ الْفَضِيلَةِ و لا يُخِلُّ بِكَرَمِ الْوَسِيلَةِ ، و هي حالٌ أنا بِشُكْرِهَا مُرتَهَنٌ ، و هُوَ بِثَمَارِهَا قَمَنٌ¹ ، و معها مِن رِضَى اللهُ - سبحانه - ما لا كِفَاءٌ² لَهُ و لا ثَمَنٌ...³

أراد ابن أبي الخصال في رسالته هذه التي يتوسط فيها لرجل أصابته ضائقة مالية، إقناع المرسل إليه بتقديم يد العون والمساعدة لهذا الرجل، وبعد أن وصف الكاتب حال الرجل، ومعاناته بالحجج والبراهين، وظف الفعل الكلامي الإلزامي في قوله (وهي حال أنا بشكرها مرتهن، وهو بثمارها قمن)، توظيفاً حجاجياً إقناعياً، حيث التزم فيها الكاتب بتقديم الشكر والامتنان لهذه الشخصية، كما تعهد له بضمان أحقية الشخص المتشقق له للشفاعة وحاجته إليها وأنه جدير بها.

وقد تمثلت القوة الإنجازية المباشرة للفعل الإلزامي في الإخبار والإعلام والوصف، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة، فهي التعهد، والوعد، والضمان، وأما فيما يخص الفعل التأثري فيتمثل في إقناع المرسل إليه بأن ابن أبي الخصال ممن لا ينسون الفضل، وممن لا يتشفع إلا لأهل الفضل، وأن صاحب الشفاعة جدير بها ويستحقها، وفي هذا تأثير على المتلقي ودفع له لتقديم يد العون والمساعد، وهي الغاية التي يرمي إليها الكاتب.

ومن أمثله عند ابن أبي الخصال قوله في رسالة كتبها إلى رجل من ذوي الشأن يخبره فيها بالتزامه في أمورٍ لرجل لم يسمّه: " أطل الله بقاء شَيْخِي الْأَكْرَمِ ، و إمامِي الْأَعْظَمِ ، الذي أَعْتَرَفُ

¹ قَمَنٌ : جديراً ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 77.

² الْكِفَاءُ : المماثل ، عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 77.

³ رسائل ابن أبي الخصال، ص 76 - 77.

بإجماله ، و أسندُ إلى جلاله ... ما ألتزمه لشيخه و إمامي من توقيري و إعظامي ، و شكري الذي أقطع به مسافة عمري و أيامي مُستمرُ الترتيب ، مُستقرُّ عند البعيد و القريب ، و مَهْمَا اخْتَلَّتْ سَرِيرَةٌ أَوْ كَلَّتْ بَعْدَ مَضَائِهَا بَصِيرَةٌ ؛ فَسَرِيرَتِي كَمَا شَفَّ الغَديرُ الصَّافي عن الرِّضراض¹ ، و بصيرتي كما خَلَصَ السَّهْمُ المَصِيبُ إلى الأغراض ، لا أَنشِي حَتَّى يَنْشِي السَّيْلُ المُعْتَلِجُ ، و لا أَنِي حَتَّى يَنِي الصُّبْحُ المُنْبَلِجُ ، و يَلِجُ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِياطِ و لا يَلِجُ² ... و ما زِلْتُ - عَليمَ اللهُ - إلى مَفاتِحِهِ بالأشواق ، و على مُكاتِبِهِ بالعَشِيِّ و الإِشراق ، فلا أَحَلُّو من شاغِلٍ يَتَصَدَّى ، و قاطِعٍ يَتَعَدَّى ؛ إلى أن أَسْمَعَ نِداؤَهُ ، و صَدَعَ ابْتِداؤَهُ ، و تَوَسَّعَ حَقُّهُ و أَعْرَضَ أَدَاؤُهُ³ ، فَلَبَّيْتُ مُعْتَرِفًا بالقُصور ، مُتَعَرِّضًا إلى صَفْحَةِ الميسور ، مُسْتَكْثِرًا مِن بَرِّهِ المَوْفُور ، مُسْتزِيدًا استزادة الشُّكور ، مُهْتَمًّا بما يُكَلِّفُهُ مِن أَرْبِ أَرْمِيهِ بِهَمَّتِي ، و أَجْمَعُ لَهُ جَرَامِيزَ خِدْمَتِي⁴ ، فَإِنَّهُ لا يَأْمُرُ مِنِّي إِلَّا مُطِيعًا ، و لا يَدْعُو إِلَّا سَرِيعًا ، إلى دَاعِيهِ سَمِيعًا ، يَرى عُقُوقَهُ كَبِيرَةً تُحِيطُ العَمَلُ ، و تَقْبِضُ الأَمَلَ ؛ و مَهْمَا امْتَثَلْتُ فِيهِ ما رَسَمَ ، و نَزَلْتُ فِي خِدْمَتِهِ على ما حَكَمَ أَمْرُ فُلانٍ و قد نَفَذَ لَطِيبَتَهُ بَعْدَ إِعْمالِ الجَدِّ ، و بُلُوغِ الحَدِّ ؛ و تلك سبيلي فيما يتزید من رَغباتِهِ ، و يَعْنُ من شِفاعاتِهِ المُشَفِّعَةِ ، و عِنايَتِهِ ..."⁵

يتوجه الكاتب ابن أبي الخصال في هذه الرسالة بالخطاب إلى أحد الشخصيات المرموقة، يعلمه فيها بأنه قد تعهد بالتزام ما وصاه به، وأنه وفي بما وعد به، وهذا يدخل في نطاق الأفعال الالتزامية

¹ الرِّضراض : الحِصا الصَّغار في مجاري الماء . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 85.

² إشارة إلى الآية الكريمة في سورة الأعراف 40 .

³ أَعْرَضَ لكَ الخَيْر (و غيره) أمكنك أن تفعله . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 85.

⁴ يقال : جمع فُلانٌ لفلان جراميزه إذا استعدَّ له ، و عزم على قصده . عن رسائل ابن أبي الخصال، ص 85.

⁵ رسائل ابن أبي الخصال، ص 85-86.

وقد تضمنت هذه الرسالة مجموعة من الأفعال الإلزامية في قوله: (أعترف، أسند، ألتزم، أوقر، أعظم، أشكر، ألبى، أجمع، أمتثل، أطيع) وتمثلت قوتها الإنجازية المباشرة في اخبار الكاتب صديقه بأن يحفظ له مكانته ويؤدي شكره وامتنانه، وأنه ملتزم بما وصاه به من إكرام ورعاية من وصاه به، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة فهي الإعلام، أي اعلام الكاتب وإقناعه لمتلقي رسالته بالاحترام، والود، والمكانة الكبيرة التي يحفظها له، وأنه ملتزم بأدائها وأداء كل ما هو متعلق بها.

لقد وقفنا من خلال هذا الفصل على بعض الآليات البلاغية والتداولية التي لجأ إليها ابن أبي الخصال في رسائله والتي استطاع من خلالها أن يمارس نوعا من الضغط والتأثير على متلقي رسائله لحملهم على التصديق بمضمون الدعوى والتسليم للخطاب بالبرهان والحجة والدليل مخاطبا عقولهم من جهة ، و قلوبهم و عواطفهم من جهة أخرى من خلال الصور البلاغية التي " تكتسب قيمتها الحجاجية من كونها رموزا للانفعالات العاطفية ، و بما تثيره من استحسان و انفعال لدى المتلقي ، فلو أن المحاجج استطاع أن يضرب على أوتار العاطفة لدى المتلقين باعتبارها مدخل من مداخل الإقناع و التأثير فإنه سيكون قادرا على إقناعهم بأفكاره أو إتباع سلوك بعينه ، ذلك أن الأدلة العاطفية تقيم رباطا محكما من الثقة بين المتلقين و المحاجج ، فالمتلقي الذي يتماهى عاطفيا مع المتحدث ، يكون أكثر ميلاً لقبول دعواه"¹

و مما يوحي كذلك بالتصور العميق لدى ابن أبي الخصال لمقامات رسائله ومقتضياتها، أنه عمد في خطاباته الترسلية إلى مراعاة أحوال المرسل إليه وظروفه واستحضار معرفته وقدرته، وكذلك ما يحيط به من ظروف نفسية وأحداث اجتماعية² ، ومن هنا فإن المتأمل في بنية الخطاب الترسلية عند ابن أبي الخصال يجده عبارة عن نماذج تواصلية ذات طاقات حجاجية وغايات وأهداف محددة ، انفردت فيها كل رسالة

¹ جميل عبد المجيد ، مدخل إلى بلاغية الخطاب القضائي ، ص 109 ، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه و مجالاته) دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة العربية ، ط 1 ، ج 1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد 2010 .

² ينظر: الشهري، استراتيجيات التخاطب، ص 455.

عن الأخرى من حيث البنية والموضوع والقضية التي تعالجها والأدوات التي يُتوسل بها، وفقاً لمقتضيات السياق والمقام.

وختاماً لما سبق يمكن القول أن الخطاب الترسلّي عند ابن أبي الخصال استمد طاقته الحجاجية وقوته في التأثير والاقناع من البراعة الأسلوبية التي تميز بها، فبراعته و حسن بنائه لتراكيب الجمل داخل الرسالة، والدقة في اختيار الألفاظ التي تستدعيها المعاني، للدلالة على المعنى المراد، وتوافر عنصر الملاءمة بين البنية ومقام الرسالة بوجه عام، كلّها آليات حجاجية بلاغية و تداولية وظفها ابن أبي الخصال وفق أساليب متنوعة للوصول إلى أهدافه والتأثير في متلقي رسائله، و ليس هذا بدعاً على من امتلك آلة البلاغة و طوّعها .

الخاتمة

خاتمة :

بعد أن استوت الدراسة على سوقها و باحت بما حملت بين طياتها و فصولها ، من نظريات و مدارس للتداولية و الحجاج ، و بعد تقديم المدونة و صاحبها و معالجة الأمثلة و تحليلها ، لا بد لنا أن نقدم خاتمة موجزة و مركزة ، توضح و تلخص ما جاء في فصول هذه الدراسة ، و تلمّ أطرافها و تجمع شتاتها ، و تستجلي أهم النتائج و تعرضها .

- فقد تعرضنا في المدخل بشيء من التفصيل لحياة الكاتب صاحب الرسائل (ابن أبي الخصال الأندلسي) و خلّصنا فيه إلى كونه علماً من أعلام البلاغة ، استطاع أن يتدرج بأسلوبه المميز و فطنته و نباهته المتّقدة إلى أسمى المراتب العلمية الأدبية و السياسية ، حيث قال فيه الحافظ المحدث أبو القاسم بن بشكوال " ذو الوزارتين السيد الكامل، الشهر الأثير، الأديب اللغوي السري، الكاتب البليغ معجزة زمانه، وسابق أقرانه، ذو المحاسن الجمّة، الجليّة الباهرة، والأدوات الرفيعة الزكية الطاهرة الكاملة، المُجمع على تناهي نباهته، وحمد خصاله وفصاحته، من لا يُشق غباره، ولا تلحق آثاره، معجزة زمانه في صناعة النظم والنثر... كان آخر رجال الأندلس علما وحلما، وفهما ومعرفة، وذكاء وحكمة ويقظة، وجلالة ونباهة، وتفننا في العلوم، وكان صاحب لغة وتاريخ وحديث، وخبر وسير، ومعرفة برجال الحديث مضطلعا بها ، ومعرفة بوقائع العرب وأيام الناس، وبالنثر والنظم، وكان جزل القول، عذب اللفظ، حلو الكلام، عذب الفكاهة، فصيح اللسان، بارع الخط حسنه و متقنه ، كان في ذلك كله واحد عصره، ونسيج وحده، يُسَلّم إليه في ذلك كله "

- كما أنّ رسائله اتسمت بطاقة إيحائية و بيانية عالية ، إذ لم تكن عباراته مُغربة ، و لا موحشة ، بل جاءت ملائمة لسياقها و مقامها ، فلم تكن رسائله الديوانية التي تهتم بشؤون الملك و الدولة ، بنفس طابع الرسائل الإخوانية ، كما أنّ الرسائل الإخوانية منها

ليست سواء ، فما كانت بغرض الاعتذار لم تكن كتلك الموجهة للشفاعة ، ففي الاعتذاريات مثلا ، طالما استعمل التذكير بوصول المودة ، و عدم قصد الجفاء ، و أنّ الروح تهفو للأحبة و لكن مشاغل الحياة قد تقف دون التعبير عن ذلك ، بينما نجد في رسائل الشفاعة يستعمل أسلوبا ، يتراوح بين المودة و التقدير و بين الحثّ على فعل الخير و قضاء حاجات المسلمين ، و بين ذكر مناقب و مزايا المشفوع له ، فهو بهذا التركيب مثلاً ، قد قام فعليا بأركان العملية الحجاجية ، فهو ينطلق من مقدمات معينة و يبني جسراً ، توصلنا يهيه المشفوع لديه لتقبّل النتائج الطبيعية لهذه العملية التخاطبية الحجاجية و بالتالي قبول الشفاعة و قضاء الحاجة بالنهاية .

- في الفصل الأول الموسوم بـ "التداولية و البلاغة .. المفهوم و المجال" ، و الذي سلّط الشقّ الأكبر منه على التداولية و نشأتها و مجالاتها من أفعال الكلام خصوصا عند أوستين و سيرل ، و كذلك لسانيات التلفظ و الاستلزام الحواري و نظرية الملائمة و متضمنات القول و الافتراض المسبق ، أما الشق الثاني فكان للوقوف على علاقة التداولية بالبلاغة ، و قد توصلنا إلى مجموعة من النتائج هذه بعضها :

- إنّ من أهم ما قامت به التداولية هو محاولتها سدّ الثغرة التي تركتها الدراسات اللسانية البنيوية و التي لم تتجاوز حدود الجملة، واعتبرت أن كل ما هو خارج عن سياق البناء التركيبي للجملة ليس من اهتماماتها ، إذ عملت التداولية على حل كثير من المشكلات اللغوية من خلال الاهتمام بسياقات الكلام والتخاطب ، و استطاعت من خلال مقاربتها الفريدة للغة (و هي دراسة اللغة في الاستعمال) أن تستثمر حدودها -اللغة - إلى أقصى قدرٍ ممكن ، حتى ينعكس ذلك في مردود الفعل التواصلي ، و تتحقق الاستفادة المثلى من الخطاب ، و قد تأتّى ذلك بفضل إجابة التداولية على الكثير من الأسئلة التي بقيت عالقة في ساحة الدرس

اللغوي من قبيل من المتكلم؟ إلى من يتكلم؟ ما الغاية المرجوة من الكلام؟ إلى من يتكلم، ما هي ظروف وملابسات التواصل .

- يعتبر الدرس التداولي من أكثر النظريات اللسانية مرونة ، فقد أضفى بعدا جديدا للدرس اللساني ، فليست اللغة هي منتهى الرسالة ، مهما ارتفع و ارتقى مستواها الفني البلاغي ، بل إن هنالك مستويات أخرى مشاركة في الفعل التواصل ، و هي المتلقي الذي يشكل حلقة أساسية في الفعل التواصل ، حيث تشكل معتقداته و مكتسباته القبليّة لبنة أساسية ، يمكن للمخاطب أن يستثمرها بغرض الوصول إلى الاستجابة المنشودة .

- إنّ البلاغة و التداولية و رغم ما بينهما من اختلافات من حيث النشأة و التاريخ و العراقة ، إلا أنهما تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة و وسيلة حجاجية للتأثير على المتلقي ، فإذا كانت التداولية في أوضح صورها هي دراسة اللغة في الاستعمال، والوقوف على مقتضيات التخاطب وآلياته، والعناية بأطراف الخطاب ومقاماته، فإن هذه القضايا تعد من صميم الدرس البلاغي فقد ألفها علماء البلاغة، وتحدثوا عنها وضمنوها كتبهم، وكانت حاضرة في تحليلاتهم النحوية والبلاغية، وكانوا على وعي تام بأهميتها في إنتاج الخطاب وبنائه، وتلقي الخطاب وتحليله ، وهنا يتلاقى المحور التداولي مع الدرس البلاغي في تشكيل وتحليل الخطاب اللغوي .

- و في الفصل الثاني المتعلق بالخطاب الحجاجي و مساره و تجلياته و آلياته - و الذي استحوذ على الجزء الأكبر من الرسالة ، كون (الحجاج) بمثابة العمدة أو الواسطة في موضوع بحثنا -، عرضنا مفهوم الحجاج و أبعاده التداولية و البلاغية ، و حاولنا بيان أوجه الترابط و التعالق بين الحجاج و التداولية و البلاغة ، كما قمنا بمسح ابستمولوجي و كرونولوجي مقتضبٍ للحجاج ، إبتداء من الفكر الغربي القديم عند السوفسطائيين ثم أفلاطون و أرسطو ، حيث سَمَتِ الخطابة و شَرُفَ أهلها ، وصولا إلى الفكر الغربي الحديث ، حيث نسجّل أنّ الحجاج كما قدمه علماء اللسانيات الغربية يُعتبر بعثاً لنظرية الخطابة لدى أرسطو التي عانت

من جمودٍ و تنكّر كاد يوصلها لحدود الاندثار خصوصا في القرون الوسطى بأوروبا ، إلا أن الاهتمام بالدرس اللساني و التداولي و خصوصا الحجاجي من طرف مجموعة من الباحثين في هذا المجال لعل من أهمهم : بيرلمان ، و تيتكاه ، و ديكر ، و ماير ... الذين جعلوا من هذا الموروث القديم ركيزة أساسية نشأت على إثرها نظرية الحجاج المعاصرة، و قد صبّت جهود هؤلاء في سبيل إعادة قراءة التراث القديم و توصيفه و قراءته قراءة جديدة في ضوء ما قدمته النظريات اللسانية الحديثة .

- كما حاولنا أثناء هذا (المسح الكرونولوجي للحجاج) أن نبين المكانة التي حظي بها الحجاج في الفكر العربي قديمه و حديثه ، فعلى الرغم من أنه لم يظهر في التراث العربي كعلم مكتمل الأركان ، إلا أنّ جُلّ العلوم اللغوية و الشرعية و علوم الكلام لم تخلُ منه ، و ذلك بفضل الدور المهم الذي لعبه الحجاج و الجدل في الحياة العقدية والسياسية في البيئة العربية الإسلامية ، و قد عرضنا جزءاً - يسيرا - من إسهامات كلِّ من الجاحظ و عبد القاهر الجرجاني و السكّاكي ، و بيّنا مدى اهتمامهم بالمباحث التداولية و الحجاجية ، كدور المقام و الخطيب و مقتضى الحال ، و الدعوى و الاعتراض ، أما عن الفكر العربي الحديث فقد حاولنا أن نبين الدور الذي لعبه الباحثون العرب من أمثال (صلاح فضل و عبد الله صولة و طه عبد الرحمان و أبو بكر العزاوي وغيرهم ..) ، و مدى إثرهم لحقل التداولية و الحجاج من خلال ترجماتهم للدراسات الغربية ، و تنقيحهم عن الموروث العربي -خصوصا البلاغي منه- و تحليلهم له و بعثه من جديد ، و قد قدمنا محمد العُمري و طه عبد الرحمن كمثالين .

- كما تطرقنا للمجال المفاهيمي للحجاج من خلال محاولة توضيح الفروق بين الحجاج و الجدل و المجادلة من جهة و الحجاج و البرهان من جهة أخرى ، حيث وصلنا إلى نتيجة تفيد بأن الحجاج أوسع من البرهان و أرحب أفقا على حدّ قول طه عبد الرحمان ، و عرضنا في هذا

الفصل أنواع الخطاب الحجاجي و خصائصه و كذا آلياته و تقنياته من الأدوات اللغوية الصرفة و الآليات البلاغية و شبه المنطقية .

- أما في الفصل الثالث و هو الفصل التطبيقي الأول ، ارتأينا أن نتناول آليات الحجاج اللغوية في رسائل ابن أبي الخصال ، من خلال تحليل بعض الأمثلة المنتقاة من المدونة ، و البحث عن حجاجية العوامل و الروابط اللغوية فيها ، كما تطرقنا لحجاجية الصفات و الألقاب و الصيغ ثم حجاجية الجمل الإعتراضية في أسلوب ابن أبي الخصال و حجاجية التكرار ، وصولاً إلى حجاجية الحجج الجاهزة أو حجاجية الشواهد من خلال القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و الشعر العربي و المثل في مراسلات ابن أبي الخصال ، و قد توصلنا إلى:

- أن الكاتب قد استعمل الروابط الحجاجية التي تعمل على الربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسد لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية : بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، إذ...) ، كما استعمل كذلك العوامل الحجاجية وهي التي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم أدوات من قبيل: (كاد، قليلاً، ربما، تقريباً، كثيراً، ما...إلا، وجل أدوات القصر) ، و هذا من أجل الربط بين المقدمات أو المسلمات التي يُفترض أن يكون المتلقي موافقاً تماماً عليها ، دون أي تحفظٍ ، إدراكاً منه - ابن أبي الخصال - أن نجاح العملية الحجاجية مرتبط بسلامة الانتقال بين الحجج و نجاعة السلم الحجاجي .

- كما ركز الكاتب في مراسلاته على أن تكون حججه محل قبول و إجماع (فلا يمكن أن تنطلق من مسلمة - في نظرك - لا يعتقد بها غيرك ، كأن تخاطب الملحد مثلاً عن يوم البعث كمسلمة و عقيدة!) ، حيث أن عدم التوافق التام على المقدمات من طرف متلقي الخطاب ، يُربك العملية التواصلية ، و يعتبر من باب المصادرة على المطلوب ، و هو شرخ

كبير قد يفسد العملية الإقناعية في النهاية ، فلا يمكن بناء نتيجة أو الوصول إليها إذا لم تنطلق من معطيات و مقدمات مقبولة لدى المخاطب .

- أنّ الخطاب الحجاجي عبارة عن عملية بناء واعية ، يستثمر فيها المخاطب طاقاته اللغوية و الفنية ، و يوظف فيها معارفه المسبقة سواء الاجتماعية أو التاريخية أو المنطقية ، من أجل بناء تفاعل عقلي أو عاطفي مع المتلقي ، يرتّب فيه مجموعة من الحجج ، يرى أنّها في ترتيبها تفيد معنى ما ، يمكن أن يؤثر في المتلقي و يجعله متفاعلا مع الطرح الفكري للمخاطب أو المحاجج ، و هي الاستراتيجية التي اعتمدها الكاتب ابن أبي الخصال ، حينما كان يختار من الصيغ و الصفات أنسبها ليخاطب (الأمراء أو القادة أو غيرهم من المتلقين ..) ، و ذلك استجابا لاهتمامهم ، و استعطافا ، و إيقاظا لهممهم ، من أجل إقناعهم و التأثير فيهم ، و بالتالي تحقيق الغرض من المراسلة سواء كانت شفاعة لأحدهم ، أو قضاء حاجة من حوائج المسلمين ، أو إيضاح أمرٍ ما و دفع اللبس عنه .

- و قد وقفنا في الفصل الرابع (الفصل التطبيقي الثاني) و الذي اختصّ بالآليات البلاغية و التداولية للحجاج في رسائل ابن أبي الخصال ، على مجموعة من النقاط بغرض معالجتها ، فكانت البداية من حجاجة الاستعارة لما لها من أهمية من بين الآليات البلاغية للحجاج ، ثم انتقلنا إلى حجاجة التشبيه فحجاجة التفرّيع أو تقسيم الكل إلى أجزائه إلى حجاجة البديع وصولا إلى حجاجة الفعل الكلامي و التوجيهيات من خلال الاستفهام و الأمر و النداء و كذا الإلزاميات ، و قد أوردنا ما تيسر من أمثلة عليها (من الرسائل) و حاولنا تحليلها أو التعليق عليها ، و وصلنا إلى في الأخير إلى نتيجة مفادها :

- لقد أدرك ابن أبي الخصال بأنّ الخطاب الحجاجي الناجح ، هو ذلك الخطاب الذي يسير بخطة واضحة و وعي بمسار الخطاب أو الحوار ، فهو ليس مجرد استرسال أو تنميق عبارات ،

فالاستراتيجية هي في وجه من وجوها ، عبارة عن خطة أو ورقة طريق ينتهجها الخطيب أو المُحاجج بغرض الوصول إلى نتيجة معينة ، و يسلك في سبيل الوصول إليها مسلكا معينا .

- و أنّ الاستراتيجية الخطابية تكاملٌ بين أدوات لغوية و عوامل نفسية ، و ملكاتٍ فنية و بلاغية و أحوال و مقامات تخاطبية (سياقية) ، يمزج بينها الخطيب أو المُحاجج الناجح ، و يصبها في قالب مرِن يتشكل على حسب المتلقي ، فترتسم معالم الطريق التي ينبغي عليه اتّباعها في سبيل تحصيل القبول بالطرح و القضية ، فتكون المقدمات متسقة مع السياق منتخبةً بعناية ، تلائم ذوق المتلقي و ميوله و مستواه ، و تتحقق في الأخير الغاية المنشودة من هذه الاستراتيجية ، و هي النجاح في تمرير الرسالة .

- و لذلك نجد - ابن أبي الخصال - يتماهي مع أهداف الخطاب و الرسالة و ملابساتها ، فيكون حجاجه توجيهيا أحيانا إذا ما كان الغرض تغيير رأي أو تصحيحه ، بينما يلبس - ابن أبي الخصال - أحيانا ثوب الواعظ ، (إذا ما كان مقام الخطاب و الحجاج حجاجا تقويميا) مثلما يقول مستنهضا هم الرجال للجهاد و محذرا لهم من الاستكانة و الخضوع للدينا و ملذاتها : " قَدْ أَمْتَكُم جَهَّارًا بِأَحْجَارِهَا ، و لدغتم مِرَارًا مِنْ أَجْحَارِهَا ... و أنتم - على ذلك - تتهافتون تَهَافَتِ الْفَرَاشِ عَلَى حُطَامِهَا و نارها ، أَيُّ مَصُونٍ مِنْكُمْ لَمْ تَنْلُهُ بِهَتْنِكَ ، أم أَيُّ مَنِيعٍ لَمْ تَغْلُهُ بِفَتِكَ ، أم أَيُّ مُصَافٍ لَهَا لَمْ تُذِلَّهُ بِبِنْدٍ و ترك...؟" ، فقد استعمل الكاتب عدّة أساليب حجاجية هنا ، كالاستفهام الحجاجي ، و الاستعارة و التشبيه ، و كذلك البديع من خلال الطباق و المقابلة و السجع ، و هذا التزاوج ما بين الآليات اللغوية و الآليات البلاغية و الآليات التداولية كأفعال الكلام الإنجازية (من طلب و أمر و نداء و غيرها) ، يزيد درجة التأثير و بالتالي التسليم و الإذعان ، و هو مرام الخطاب الحجاجي و مبتغاه .

- و بخصوص التوصيات فإن الباحث يرى بضرورة قيام عمل جاد تجتمع فيه مجموعة من المعايير ، التي تمكّن بحق من تنظيم ما تحقق في مجال الدرس اللساني بصفة عامة و التداولي منه على وجه الخصوص ، فالدراسات كثيرة و متعددة و تستحق الإشادة و التشجيع ، ولكن ما يلاحظ عليها هو اتّسامها بالتشعب من جهة و باختلال - أو على الأقل اختلاف - في ضبط المصطلحات المترجمة ، من جهة ثانية ، فالسهر على خلق بيئة بحثية ، تتضافر فيها جهود الباحثين من شأنه أن يرتقي بالدرس التداولي و المحاجي ، و الخروج به من دائرته النظرية إلى المستوى التطبيقي الاستعمالي و الإفادة منه في حياتنا اليومية ، و على كل المستويات ، الإعلامية ، التربوية ، و حتى في التكنولوجيا و الذكاء الاصطناعي من خلال الثورة التي يعرفها العالم اليوم في مجال التعرف الصوتي .

و الله نسأل التوفيق و السداد ، فإن أصبت فمن الله وحده ، و إن كان دون ذلك ، فهو النقص الذي وسم به الله عزّ و جلّ عباده ، ليتّم الكمال لله وحده ، و الحمد لله رب العالمين .



المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم (يوافق رسم مصحف المدينة المنورة - برواية حفص عن عاصم -)

أولا / المصادر العربية :

1. ابن أبي الخصال (أبو عبد الله محمد بن مسعود - 540 هـ -) : رسائل ابن أبي الخصال، تح: محمد رضوان الداية ، دار الفكر، دمشق، سوريا ، ط1، 1988م . (و هو مدونة الرسالة)
2. ابن الأثير (أبو عبد الله محمد بن عبد الله - 658 هـ -) : المعجم في أصحاب القاضي الامام أبي علي الصديقي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2000م .
3. ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد - 529 هـ -) : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، مكتبة المنار، ط1، 1989م .
4. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد - 1406م) : مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م .
5. ابن فارس (أبو الحسين أحمد - 395 هـ -) : معجم مقاييس اللغة، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج2 ، دط، 1979م .
6. ابن منظور (محمد بن مكرم - 711 هـ -) : لسان العرب ، تح : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، دط ، دت .
7. ابن وهب (أبو الحسين إسحاق بن ابراهيم بن سليمان - 335 هـ -) : البرهان في وجوه البيان ، تحقيق : أحمد مطلوب و خديجة الحديشي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، 1967م .
8. الأندلسي (أبو الحسن بن سعيد - 685 هـ -) : رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1987م
9. بن عاشور (أبو عبد الله محمد الطاهر - 1393 هـ -) : تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م .
10. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر - 255 هـ -) : البيان و التبيين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط1 ، 1988م .

11. الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمان -471هـ-) : دلائل الإعجاز ،قرأه و علق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3، 1992 .
12. الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمان -471هـ-) : أسرار البلاغة، تع: محمود محمد أبو شاكر، دار المدني، جدة ، دت .
13. الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمان -739هـ-) : الايضاح في علوم البلاغة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003 .
14. الزمخشري (جار الله ، ابو القاسم محمود بن عمر -538هـ-) : أساس البلاغة، تع: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 1998 .
15. السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي - 626هـ -) : مفتاح العلوم ، ضبطه و علق عليه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط2 ، 1987 .
16. الشريف الجرجاني (محمد بن علي بن محمد -729هـ-) : كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة 1985م .
17. الشنتريني (أبو الحسن علي بن بسام -542هـ-) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تع: احسان عباس، ط3، مج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997م .
18. الفيروز أبادي (أبو طاهر مجد الدين محمد - 817هـ -) : القاموس المحيط، تع: مكتب التراث مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م .
19. لسان الدين ابن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد - 776هـ-) : الإحاطة في أخبار غرناطة، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 2003م .

ثانيا / المراجع العربية :

1. إبراهيم مشروح : طه عبدالرحمان - قراءة في مشروعه الفكري ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2009 .
2. أبو بكر العزاوي : الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010 .
3. أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، ط1، 2006م .

4. أبو بكر العزاوي : حوار حول الحجاج ، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء ، ط1، 2010م.
5. إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997م .
6. أحمد فهد صالح شاهين : النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015م .
7. أيمن أبو مصطفى : الحجاج ووسائله البلاغية في النثر القديم ، سلسلة الرسائل الجامعية ، د.ط ، الرياض ، د.ت .
8. بدوي طبانة : البيان العربي ، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب و مناهجها و مصادرها الكبرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة الرسالة، ط3 1962م .
9. بشير خليفي : الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2010م.
10. بوعافية محمد عبدالرزاق : البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، قراءة في الانساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2018م .
11. تمام حسان : الأصول : دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، 2000م .
12. الجابري محمد عابد : نقد العقل العربي (2) بنية العربي ، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، المركز الثقافي العربي بيروت ، ط3 ، 1993 .
13. جميل حمداوي : المقاربة الحجاجية بين النظرية والتطبيق، دار الريف للطباعة والنشر، المغرب ط1، 2020م .
14. جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، افريقيا الشرق، المغرب، 2014م
15. جميل حمداوي : نظريات الحجاج، شبكة الألوكة ، دط، دت .
16. جميل عبد المجيد : البلاغة و الاتصال ، دار غريب ، القاهرة 2000م
17. جميل عبد المجيد : مدخل إلى بلاغية الخطاب القضائي ، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه و مجالاته) دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة العربية ، ط1 ، ج1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد 2010 .

18. جواد ختام : التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016م .
19. الجيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1992م .
20. حبيب أعراب : الحجاج والاستدلال الحجاجي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3.
21. حسن المودن : بلاغة الخطاب الإقناعي - نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب- ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع ، ط1 ،الأردن ، 2014م .
22. حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ، 1981 .
23. حمادي صمود : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الانسانية تونس 1 .
24. خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، 2009م.
25. خولة طالب الابراهيمى : مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، د ت
26. ذهبية حمو الحاج : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط ، 2005م .
27. سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه ، ط2، عالم الكتب الحديث ، إريد ، الأردن 2011م .
28. شكري المبخوت : الحجاج في اللغة ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم جامعة الآداب و الفنون و العلوم الانسانية تونس 1 .
29. صابر الحباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، سوريا ط1، 2008م .
30. صابر الحباشة : لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والخطاب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ، ط1، 2010م .
31. طه عبد الرحمان : تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2 . دت .
32. طه عبد الرحمان : في أصول الحوار وتجدد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م

33. طه عبدالرحمان : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط1، الدار البيضاء ، 1998.
34. عباس حشاني : خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2014م .
35. عبد الرحمان حسن : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م .
36. عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، افريقيا الشرق، المغرب، 2012م .
37. عبد السلام محمد هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.
38. عبد الكريم محمود يوسف : أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه - إعرابه، مطبعة الشام، ط1، 2000م .
39. عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف، لبنان ، ط1، 2013.
40. عبد الله صولة : الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة - لبرلمان وتيتكاه ، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الانسانية تونس 1 .
41. عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2007 م .
42. عبد الله صولة : في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م.
43. عبد الملك مرتاض : نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2010م.
44. عبدالعالي قادا : بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية ، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع ، ط1 ، عمان، 2016م
45. عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004 م .

46. **علوي حافظ اسماعيلي** : الحجاج مفهومه و مجالاته ،دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة ،الجزء الرابع (الحجاج و المراس) : (مقدمة كتاب مصنف في الحجاج ل شاييم بيرلمان و أولوريجت تيتيكا ، ترجمة: رشيد الراضي) ،عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن
47. **علوي حافظ إسماعيلي** : الحجاج مفهومه و مجالاته دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة ، عالم الكتاب الحديث، إربد - الأردن، 2010 .
48. **علي الشبعان** : الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2010م .
49. **علي رزق** : نظريات في أساليب الإقناع، دراسة مقارنة، دار الصفوة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م .
50. **علي محمد علي سلمان** ، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله أمودجا)، دار الفارس للنشر و التوزيع، الأردن ، ط1، 2010 .
51. **فايز عبد النبي** : أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، 1989م .
52. **فوزي سعد عيسى** : رسائل ومقامات أندلسية، منشأة المعارف، الاسكندرية، دط، دت
53. **قدور عمران** : البعد التداولي والحجاجي في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012 .
54. **كورنيليا فون راد صكوشي** : الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، دط، 2003م.
55. **محسن الزكي** : الحجاج و التداول في البلاغة العربية القديمة عند محمد العمري ، ضمن الكتاب الجماعي : البلاغة و الخطاب ، إعداد و تنسيق محمد مشبال ،منشورات ضفاف ، ط1 ، 2014.
56. **محمد العمري** : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، افريقيا الشرق، المغرب، 2012م.
57. **محمد العمري** : البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1999 .
58. **محمد العمري** : في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2002 .

59. محمد القارصي : البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الانسانية تونس1.
60. محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، منشورات دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، 2005 .
61. محمد سالم الأمين الطلبة : الحجاج في البلاغة المعاصرة لحت في بلاغة النقد المعاصر ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1 ، 2008 م .
62. محمد علي يونس : مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة، ط1، 2004 م .
63. محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 2002 م .
64. محمود فهمي زيدان : في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1985م.
65. مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي - ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 2005 .
66. مسعود صحراوي : في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م.
67. معاذ بن سليمان الدخيل : منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، مقارنة تداولية ، دار التنوير للطباعة و النشر ، تونس ، ط1 ، 2014 .
68. منجد مصطفى بهجت : الأدب الأندلسي، من الفتح حتى سقوط غرناطة، جامعة الموصل، 1988.
69. نادية رمضان النجار : الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، ط1، 2013 .
70. ناظم رشيد : الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1989م .
71. نعمان بوقرة : الخطاب والنظرية والإجراء، دار جامعة الملك سعود للنشر
72. نور الدين اجعيط : تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م
73. هشام الربيفي : الحجاج عند أرسطو، بحث ضمن : كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الانسانية تونس1 .

ثالثا / المراجع المترجمة :

1. إلفي بولان : المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ليلي أحمياني، تق: سعيد جبار، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2018م .
2. آن روبول ، جاك موشلار : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، تر : سيف الدين دغفوس ، محمد الشيباني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2003 م .
3. جان سيرفوني : الملفوظية، تر:قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م .
4. جورج مولينييه : الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 2006م.
5. فان دايك : النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيفي، إفريقيا الشرق، دط، 2000م .
6. فان دايك : علم النص : ترجمة وتعليق، سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001 .
7. فيليب بروتون : جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 2011م .
8. كلاوس برينكر : التحليل اللغوي للنص، تر: حسن سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر، ط1، 2005م.

رابعا / المراجع الأجنبية :

1. Cambridge advanced learner dictionary cambridge university press 2nd pub 2004 .
2. George Elia Sarfati précis de pragmatique édition Nathan paris 2002 .
3. Le grand robert: Dictionnaire de la langue français, T, 1 paris 1989 .
4. Oswald Ducrot les échelles argumentatives , Edition de Minuit, Paris, 1980.

خامسا / المجالات و الدوريات :

1. أمة الكريم الذارحي: بلاغة الحجاج (في شعر الحسن بن علي الهبل أمير شعراء اليمن)، مجلة الأدب العربي، العدد 02، السنة الرابعة، 1391هـ.
2. باديس لهويمل : التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 7، 2011م .
3. بلقاسم دفة : استراتيجيات الخطاب الحجاجي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب، جامعة بسكرة، العدد 10، 2014 م.
4. جمال شلاب : التداولية والبلاغة العربية، مجلة المقرري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، مارس 2020 .
5. جمعان بن عبد الكريم الغامدي : الحجاج في الخطبة النبوية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغة وآدابها، العدد 10، ماي 2013 م .
6. حافظ إسماعيلي علوي و منتصر أمين عبد الرحيم : التداوليات وتحليل الخطاب، بحوث محكمة، كنوز المعرفة، ط 1 2014 .
7. حبيب أعراب : الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 30، العدد 01، يوليو/ سبتمبر، 2001م.
8. حمدي منصور جودي : بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقارنة مفاهيمي)، مخبر اللسانيات واللغة العربية، حوليات المخبر، العدد 01، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، ديسمبر 2013 م .
9. عبد الحميد جريوي : بنية الاستدراج الحجاجي في القرآن الكريم : قصة ابراهيم عليه السلام نموذجا ، مجلة البحوث و الدراسات ، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي ، العدد 12 ، الجزائر ، 2011 م .
10. عبد الفتاح يوسف : السيمياء والاستعارة في شعر المعارضات، مجلة سيميائيات، العدد 02، جامعة وهران، 2006م .
11. فاطمة كريم رسن : بنية الحجاج من منظور لسانيات الخطاب، مجلة الأستاذ، العدد 204، المجلد 01، 2013 م .

12. قوبيعه حافظ : سياق الحجاج في دلائل الإعجاز، بحث منشور في :عبد القاهر الجرجاني (أعمال ندوة) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس، 1998م.
13. محمد العبد : النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، العدد 60، 2002م.
14. محمد بن صالح الغامدي : بل من الإضراب والاستدراك إلى الحجاج، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج 25، ع 1 .
15. محمد بن عبدالله المشهوري : الخطاب الحجاجي في رواية (الموت يمر من هنا) لعبده خال، مجلة حقول للدراسات الأدبية والنقدية، العدد 15، 2020 م .
16. مسعود صحراوي : الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلة اللغة العربية، العدد 10، الجزائر، 2004 م .
17. مصطفى الطاهري : حول ابن أبي الخصال، دعوة الحق، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية، العدد 266، أوت 1987 م .
18. هاجر مدقن : آليات تشكل الخطاب الحجاجي، بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الآداب واللغات، ورقة، العدد 05، مارس 2006 م .
19. يوسف رحيم : التكامل المعرفي بين البلاغة والتداولية من بلاغة الصورة إلى بلاغة المتكلم، المدونة، مج 06، العدد 03، ديسمبر 2019 م .

سادسا / الرسائل العلمية :

1. أمبارك بن مصطفى : المنحى التداولي في تفسير الكشاف للزمخشري، رسالة دكتوراه ، جامعة تلمسان، 2020 / 2019 م .
2. بوخشة خديجة : حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2013 – 2014 م .
3. حسن عفات غضيب الرواشي : رسائل ابن أبي الخصال، دراسة حجاجية، رسالة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية، العراق، 2019 م .
4. حياة دحمان : تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، موسم 2013/2012 .

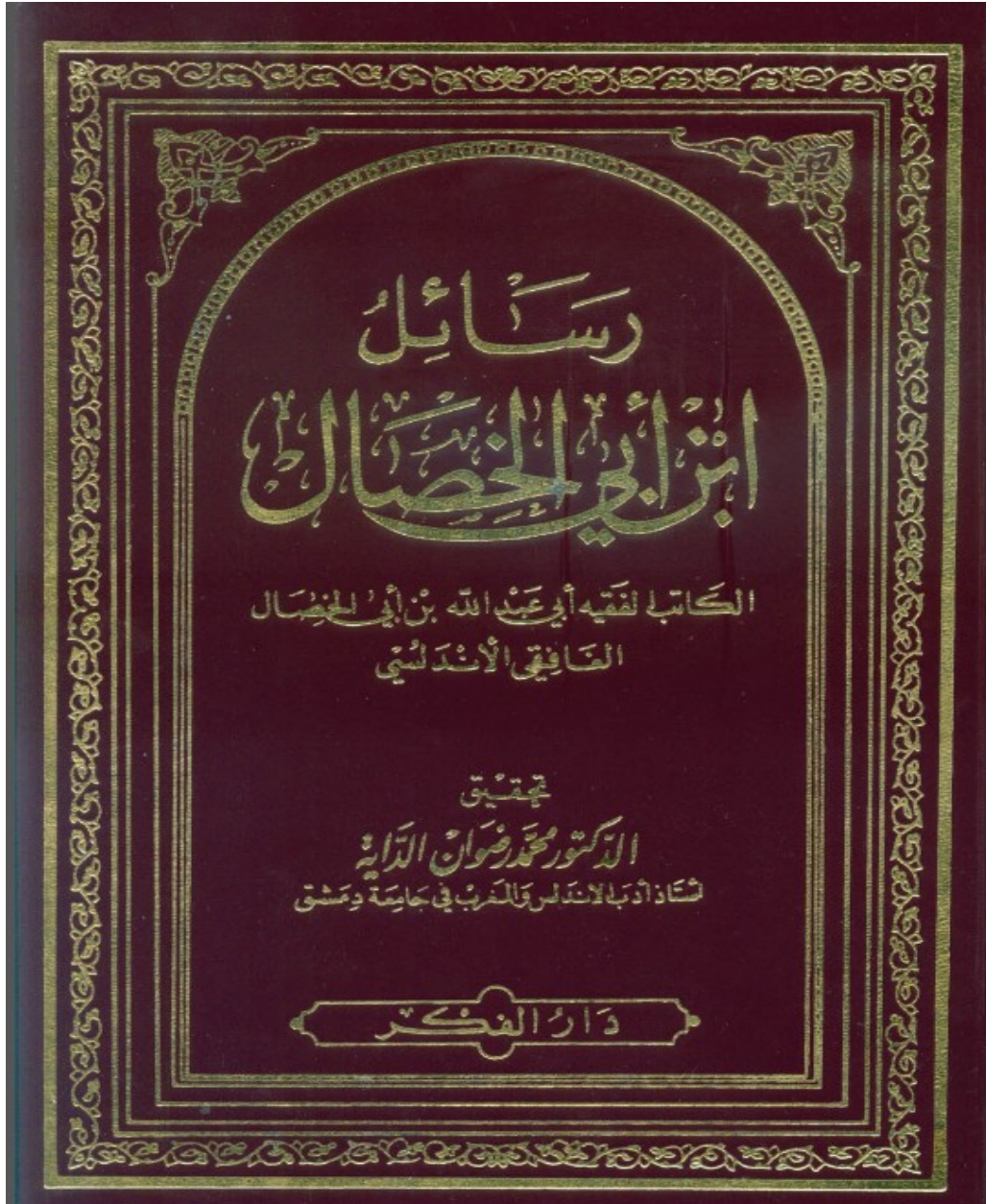
5. زوليخة زيتون : الرسائل النقدية من (من القرن 3هـ إلى القرن 06 هـ) بين سلطة الخطاب واستراتيجية الكتابة، دراسة تداولية، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة1، 2016-2017 م .
6. شيتو رحيمة : تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجاً، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008 – 2009م.
7. غالم عبد الصمد : استراتيجيات الخطاب الإقناعي في بخلاء الجاحظ ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور بوجمعة بوعمار ،جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بلعباس ،الجزائر ، 2016-2017.
8. فاطمة مفلح العبد اللات : الحض على الجهاد في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كانون الأول، 2007 م .
9. نورالدين بوزناشة : الحجاج بين الدرس البلاغي العربي و الدرس اللساني الغربي -دراسة تقابلية مقارنة- ، أطروحة دكتوراه ، جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف 2 ، الجزائر ، 2015-2016 .



نماذج من
المدونة

أولاً : واجهة الكتاب (مدونة التطبيق) :

"رسائل ابن أبي الخصال" - تحقيق : أ.د محمد رضوان الداية



رسالة ابن أبي الخصال

الطّيب الفقيه أبي عبد الله به أبي الخصال الفاضل الأندلسي

« ولأبي عبد الله ديوان رسائل يدور بأيدي
أدباء الأندلس قد جعلوه مثلاً يحتذونه .
ونصبوه إماماً يقتفونه » .

تحقيق

الدكتور محمد رضوان الداية
أستاذ أدب الأندلس والمغرب في جامعة دمشق

دار الفكر
دمشق - سورية

ثانيا : شذرات من مخطوطات الرسائل - المجمّعة ، المحقّقة و المنسقة في

كتاب: (رسائل ابن أبي الخصال) - تحقيق : أ.د محمد رضوان الداية

1 / غلاف المخطوطة الأصلية ¹ :



غلاف المخطوطة

¹ رسائل ابن أبي الخصال ، ص 23 .

3/ الورقة رقم 34 من مخطوطة (رسائل أندلسية) ³ :

روى العمري في تاريخه من خلاته بالمال في الملك ثم مات
 اودت على شربها طالت حياته فلان ما ازودن ابي يعقوب
 ثم اصطرب يعرب فكان اخر العمري
كتب الوزير الكاتب ابو محمد العبد لله
 ابو محمد بن المنبري المالكى رحمه الله
الى الوزير الفقيه الامير الجلالت ابو عبد الله هـ
 بطلب الخصال رحمه الله
 انا مع عمادي لا اعلم اذ ام الله على كفى بظلمه الجور فاواه من زمانه
 وهذا وماه زخا العميم ولا غيرها المفقود اليم عهد بر فضعت به منبرها
 المعرت وشربها المعرت في ضمام ما شوى من ذلك الخيم ودمر له لادى
 ارحم هذه كرمه على العمام نوال الزبون من رايها وساجال واراق
 مستصاها لليلط من اناسها بوساطه جلا بوزارها به بالاحتر
 فحبه بليل من شربها العليل فاحسبه د وانا ما نصرت ثا حطه ما اليك
 لا قد ملك بفعال الاجناد وانا سلك سبيل الاقتناء وابتعت دليل
 الاهتداء وادرت الاستنباط فواكك واستنتج من سلك الحسوة
 تهرى في فسي الظالم ارحوم ما قد عرف على شمتى سمع الكلام
 فان صح عمادي لوراب رحمة ما عطلت فها جعلت لادى ووصل
 الى الخمام في جمعته والاضاع في حسانها والاعصار في ثيابها وطما
 سة ولرها وحبيها وسعدا في طرها وشبهها وعزوت بها اعا حراج
 وانا بر ابراج حجب محازن طر ادم ادع لابي الخافيه في ثيابها العز
 ولا في غيبته المطرب اربا وطويت كخطها عملها فابرحسبها واضربت

قلت اية بالله عهد الله برعائنه من اجمعه السيطان وعقل الصيقل
 وهو الجمله مني علم ومفترسا رونا ملك فيه على بيت برعمار
 قمار القار وولاهم انا ما عتبا ثورا طورا لا
 قلت فاقول في انا سم بن ابي درامه قال تلموز لوراب الحسا
 ركض حبي كبا فترقت مراهمه اذ يهسب منبر الخماري وفيها
 من وطيبها الحزبي فلاح السوره في سورههم ولا يخ الاجا في الخيكي
 قلت فاقول في الفرس لا استناد قال وما عسى ان تزل فيه هم
 فلك حمت ودماداب لك ليل الخب فبر اعقب قال ضل اصاعوا
 الصلوة وابتغوا الشهوات فسوف يلقون غيا قلت فاقالك في خطاب
 اذ العجز وكرا المنبر فانشد
 على بهر الفات وسلعة وسعة ففتنرت وقال صاحح
 قلت فاقول في المنبر بن قسي قال درهم قسي وسعها بن قسي
 عنه اسوي قلت فكيف نظره في الرعيه فانا لا يقسم بالسوي ولا يول
 في الغيبه ومن ستم على النبي ظلم قلت لله درك
 لا يعرف ترك ولا مال مصيولك فاقول اخبارك واصان اخبارك
 اسم لوقعت بعد الطيه لوهيك العطيه فلما زجر حماره ونوع في
 نفسي انا عفا اثاره فثارته تشرك الله كيف تركت حانوز ابو عبد الله
 بن العز قال سمه للنبي وسسمه للفصل قلت فاهن العضا يد الظا بة
 والعرايا الكاشيه فمال ريد بها اربا والاسر بعدك صفان منوعا سمد
 ذلكها هذيان زاد الشرايح فسداد وسوق الشعر كحبا دانو هسه
 نورا سائل عذرا

الورقة رقم 34 من مخطوطة رسائل أندلسية

³ رسائل ابن أبي الخصال ، ص 26 .

ثالثاً / نماذج من الرسائل (من المدونة المعتمدة في التطبيق : رسائل ابن أبي

الخصال : تحقيق أ.د محمد رضوان الداية) :

1/ الرسالة الأولى - رسالة إلى شيخه وإمامه - 7 :

[١٩]

وله (*) - رحمه الله - :

أطالَ اللهُ بقاءَ شيخِي الأكرم ، وإمامِي الأعظم ، الذي أَعْتَرَفُ
بإجماله ، وأُسْنِدُ إلى جلاله ، وأَضْرَعُ إلى الله سبحانه في اتِّصالِ علائِهِ ،
واشتالِ آلائِهِ ، والدِّفاعِ الجميلِ عن حُوبائِهِ^(١) ، وسَبَلُ آمالِهِ منتهجةً ،
والألسنةُ بشكرِهِ بهجةً ، والصُّدُورُ بدوامِ عافيتِهِ مُنْشِرةً مُبتهجةً ، ولا
زالت بَقِيَّتُهُ الصَّالِحَةُ ، ومَحَجَّتُهُ الواضحةُ ، مرفوعةُ الأعلامِ . موضوعةُ
لمصالحِ الأنامِ . ما أَلْتَزَمَهُ لِشِخِي وإمامِي من تَوَقِيرِي وإِعْظامي ،
وشُكْرِي الذي أَقْطَعُ بِهِ مَسافةَ عُمْرِي وأَيامِي مُستمرَّ التَّرتيبِ ، مُستَقِرٌّ عند
البعيدِ والقريبِ ، ومهما اِخْتَلَّتْ سَريرةٌ أو كَلَّتْ بعدَ مَضائِها بِصيرةٌ ؛
فَسَريرَتِي كما شَفَّ الغَدِيرُ الصَّافي عن الرِّضاضِ^(٢) ، وبصيرَتِي كما خَلَصَ
السَّهْمُ المصيبُ إلى الأَغْراضِ ، لا أَنتَني حتى يَنْثِي السَّيلُ المُعتلِجُ ، ولا أَنِي
أو يَنْبِي الصُّبْحُ المُنبِلِجُ ، وَيَلِجُ الجَمَلُ في سَمِّ الخياطِ ولا يَلِجُ^(٣) . وقد
كُنْتُ حَرِيًّا بِبِدايَتِهِ ، فيما شاءَ لي بعدَهُ من أَمَلٍ ، وَسَنَحَ من تَصْرِيفِ

[١٩]

(٢٤) رسالة إلى من دعاه شيخه وإمامه ، وقد قره فيها الكاتب توقيراً شديداً ؛ يخبره فيها

بامتثال رغبته في أمور أوصى بها لرجل غير مستمى .

(١) الحوباء : النفس .

(٢) الرِّضاض : الحَصَا الصَّغارُ في مجاري الماء .

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة في (الأعراف ٧ : ٤٠) .

- ٨٥ -

⁷ رسائل ابن أبي الخصال ، ص 85-86 .

وعملٍ ، ساقَةَ القَدَرِ دون إشرافٍ ولا إسفافٍ ، وحَدَاهِ على قَنَاعَةٍ وكِفَافٍ ،
وانتِباسٍ وتَجَافٍ ، لكنْ أبا الله إلا أن يُفَرِّدَهُ بالإِثَارِ ، وَيَخُصَّهُ بِمَكَارِمِ
الإِيرَادِ والإِصْدَارِ ، وَيَجْعَلُ لَهُ فَضِيلَةَ التَّقْدِيمِ والخِيَارِ ، وَيُعَقِّبُهُ عن تَوَاضُعِهِ
في شرفه شَرَفَ المِقْدَارِ . وما زِلْتُ - علمَ الله - إلى مَفَاتِحِهِ بالأشْوَاقِ .
وعلى مَكَاتِبِهِ بالعَشِيِّ والإِشْرَاقِ ، فلا أَخْلُو من شَاغِلٍ يَتَصَدَّى ، وقَاطِعٍ
يَتَعَدَّى ؛ إلى أن أَسْمَعَ نِدَاؤَهُ ، وَصَدَعَ ابْتِدَاؤَهُ ، [١٦/أ] وَتَوَسَّعَ حَقُّهُ
وَأَعْرَضَ أَدَاؤَهُ^(٤) ، فَلَبَّيْتُ مُعْتَرِفاً بالقُصُورِ^(٥) ، مُتَعَرِّضاً إلى صَفْحَةِ المِيسُورِ ،
مُسْتَكْتَرِفاً من بَرِّهِ المَوْفُورِ ، مُسْتَزِيداً استِزَادَةَ الشُّكُورِ ، مَهْتِماً بما يُكَلِّفُهُ من
أَرْبِ أَرْمِيهِ بِهِمِّي ، وَأَجْمَعُ لَهُ جِرَامِيزَ خِدْمَتِي^(٦) ، فَإِنَّهُ لا يَأْمُرُ مِنِّي إلا
مُطِيعاً ، ولا يَدْعُو إلا سَرِيعاً ، إلى دَاعِيهِ سَمِيعاً ، يَرى عَقُوقَهُ كَبِيرَةً
تُحْبِطُ العَمَلَ ، وتَقْبِضُ الأَمَلَ .

ومَا امْتَثَلْتُ فِيهِ ما رَسَمَ ، وَنَزَلْتُ فِي خِدْمَتِهِ على ما حَكَمَ أَمْرُ فِلانٍ
وَقَدْ نَفَذَ لَطِيئَتَهُ بَعْدَ إِعْمَالِ الجَدِّ ، وَبَلُوغِ الحَدِّ ؛ وَتَلِكِ سَبِيلِي فيما يَتَزَيَّدُ
من رَغْبَاتِهِ ، وَيَعْنُ من شِفاعاتِهِ المَشْفَعَةِ ، وَعِنايَاتِهِ .

وَمِنَ الله - جَلَّ اسْمُهُ - أَسْتَوْهَبُ مَعُونَةَ تَفِي بَبْرِهِ ، وَتَأْتِي على قَدْرِهِ ،
وَهُوَ الجَوَادُّ ، الوَهَّابُ لارِبِّ غَيْرِهِ إِلَيْهِ المَالُ والمَأْبُ .

(٤) أَعْرَضَ لَكَ الخَيْرُ (وَغَيْرِهِ) أَمَكْنَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ .

(٥) هَذَا السَّطْرُ مِنْ رَأْسِ الصَّفْحَةِ مُسْتَجْلِي وَبَعْضُ الأَحْرَفِ والإِعْجَامِ غَائِبٌ .

(٦) يُقالُ : جَمَعَ فِلانٌ لِفِلانٍ جِرَامِيزَهُ إِذا اسْتَعَدَّ لَهُ ، وَعَزَمَ على قِصْدِهِ .

2/ الرسالة الثانية - رسالة توصية -⁸ :

[٤٩]

وله^(*) - رحمة الله عليه - :

سَيِّدِي الْأَعْظَمَ ، وَسَنَدِي الْأَعْصَمَ ، وَوَزْرِي الْأَمْنَعِ الْأَكْرَمَ ، الَّذِي أَرَى
لَهُ الْحَقَّ الْأَلْزَمَ ، وَأَعْتَرَفُ لَهُ بِالْفَضْلِ الْأَقْدَمِ ؛ وَمَنْ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ مُعْتَلِي
المراتبِ ، مُحْتَمِي الْجَوَانِبِ ، نَامِي الْأَلَاءِ وَالْمَوَاهِبِ .

ما بيننا - أدامَ اللهُ عزك ؛ وَاللَّهُ يَحْمِيهِ وَيُعْرِفُنَا الْمَزِيدَ الْمَوْفُورَ فِيهِ -
يَقْتَضِي التَّنْبِيَةَ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَالْأَنْبِسَاطِ فِي الرِّغْبَاتِ .

وَ (فَلَانٌ) تَوَجَّهَ فِي أَمْرِهِ مِنَ الْاِسْتِدْعَاءِ لَهُ مَا تَعْلَمُهُ وَهُوَ يظنُّكَ
الْمُطَّرَّقَ^(١) إِلَى تَلَاْفِيهِ وَالْمَسَبِّ لِذَلِكَ الرَّأْيِ الْكَرِيمِ فِيهِ . وَبِذَلِكَ وَبِمَا قَوِيَ
فِي نَفْسِهِ مِنْهُ تَأَنَسَ ، وَنَشِطَ وَسُرَّ وَانْبَسَطَ وَسَارَ مَنْفَسِحَ الرَّجَاءِ مَعْوَلًا
عَلَيْكَ فِي جَمِيعِ الْأَنْحَاءِ ؛ مُعْتَقِدًا أَنَّ مَا يَنَالُهُ مِنْ مَبَرَّةٍ وَيَلْقَاهُ مِنْ بُشْرٍ
وَمَسْرَّةٍ ؛ وَيُفْضِي إِلَيْهِ مِنْ اسْتِقْرَارٍ فِي أَوْطَانِهِ ، وَعَوْنٍ عَلَى زَمَانِهِ ، مَعْدُودٌ
فِي حَسَنَاتِكَ ، مَنْبَعَثٌ عَلَى الْكَرِيمَةِ ذَاتِكَ ، مَطْرَدٌ فِي سَيْرِكَ الْجَمِيلَةِ
وَعَادَاتِكَ .

وَأَنْتَ - دَامَ عِزُّكَ - تَرِيشُ جَنَاحَهُ ، وَتَتَعَهَّدُ صِلَاحَهُ ؛ وَتَسْتَجْزِلُ
الثَّوَابَ فِي جَمْعِ شَمْلِهِ ، وَصِلَةَ حَبْلِهِ ، مَوْفَقًا مُعَانًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

[٤٩]

(*) رسالة توصية .

(١) طَرَّقَ لها : جعل لها طريقاً . وطرق الطريق : سَهَّلَهُ .

- ١٣٦ -

⁸ رسائل ابن أبي الخصال ، ص 136 .

3/ الرسالة الثالثة - رسالة وجهها إلى من قاموا بواجب تعزيتته في ابنه - 9 :

[٧٦]

وله ^(٥٤) - رحمه الله - :

ياساداتنا وكبراءنا وأعزتنا وظهراءنا ^(١) الذين نبأى ^(٢) لمصافاتهم ،
ونعترف في كل حال بموالاتهم ، ونستدفع الخطوب بمسأمتهم ومواساتهم ،
لا ترقت ^(٣) إليكم النوب ، ولا ألمت بساخرتكم الكرب ، ولا زالت الأيام في
مبرتكم ^(٤) تداب ، وبما أحببتهم تشبث وتسبب ، وعن مكروهمم تتجافى
وتتنكب .

[٦١ ب] كتبناه - كتب الله في كل صالحه آثاركم ، وكافأ عنا إجمالكم
وبداركم ^(٥) ، وشكر قربكم وجواركم - وقد وصلت الكتب الخطيرة ،
والمساهمات المشكورة المبرورة في وفاة الفقيه أبي إسحاق ابننا البر بكم
- كان - أزلفه الله برضوانه ، وتغمده برحمته وغفرانه ، ولا شك عندنا في

[٧٦]

(٥٤) رسالة إلى جماعة غزوه بوفاة ابنه الفقيه أبي إسحاق [إبراهيم ؟] يشكرهم تعزيتهم .

(١) الظهير : المعين .

(٢) نبأى : نفخر ، وتعاظم .

(٣) ترقى ورقي : صعد .

(٤) المبرة : مصدر ميمي من البر .

(٥) بدار ومبادرة ، مصدر : باذر : أسرع .

- ٢٩٦ -

تألّمكم لِفقدانه ، فقد كان لكم - حيث كان لنا - تَوْقيراً لذوي الفضل وأهله ، وبرّاً بِلِدَيْهِ ومِثْلِهِ^(٦) ، يُنْزِلُكُمْ على منازلِ الإِجْلالِ ، ويتقدّم برّاً بكم في كل حال .

وإنّ فقدان مثله من بَرَّةِ الأبناء ليهيئ^(٧) ، وإن العبراتِ عليه لتفيضُ ، وإنّ الصَّبْرَ إلّا ما وقى الله ليغيض^(٨) ؛ قارِضِ الله احتفاءكم^(٩) ، وكافاً وفاءكم ، وحمى أكنافكم وأرجاءكم ، كما أنا نسكنُ له إلى مغفرةٍ من الله تعالى واسعة ، ورَحْمَةً لأشْثاتِ الرُّضَى جامعَة ؛ فقد كان على هُدْيِ صالح ، وطريقٍ من العملِ واضح ؛ فالأنفسُ عن ماله تطيبُ ، ورحمةُ الله من أحسن قريب^(١٠) . وما عندنا - والله المُستعانُ - إلا ما ندبتم إليه ، وخصّضتم عليه ، من إجمالِ صبرٍ ، واحتسابِ أجرٍ . وتيقنُ أنّ سبيلَهُ سبيلُ الجميع^(١١) ، وكلُّ شملٍ فإلى تفريقٍ وتصدّيع . جعلكم الله وإيانا من يديم الذاكرة ، ويؤالي الاعتبار ؛ ويقدر بقيّة العمرِ حقَّ قدرها ، ويتأهبُّ للأيام بأهبتها وصبرها .

(٦) اللدّة : التّربُّ : (الذي ولد يوم ولادتك) .

(٧) هاض (العظم) كسره . ويقال أيضاً : تماثل المريضُ فهاضه كذا .

(٨) غاض الماءُ : نزل في الأرض وغاب فيها . واستعمل الكاتب الغيظَ مجازاً .

(٩) قارِضه : جازاه خيراً .

(١٠) في سورة الأعراف ٥٦٧ : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(١١) هذا قريبٌ من قول قطري بن الفجاءة (شعر الخوارج : ٤٣)

سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حيٍّ فداعيه لأهلِ الأرضِ داعي

الفهرس

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
--	الإهداء
--	شكر و عرفان
10-2	المقدمة
36-12	مدخل : التعريف بابن أبي الخصال و رسائله
12	تمهيد:
13	1/ ابن أبي الخصال
13	نسبه ولقبه:
13	مولده ونشأته وحياته
15	وفاته
15	مشايخه
15	مؤلفاته وآثاره
15	أ- الكتب
16	ب- الرسائل
16	ج- الخطب والمقامات
16	أقوال العلماء فيه
19	2/ رسائل ابن أبي الخصال
21	1-2 الرسائل الديوانية
21	2-2 الرسائل الإخوانية
22	أ- قسم فكري

22	ب- قسم بياني
22	3/ منهجه
24	3-1/ شكل الرسالة
25	3-2/ توظيف الجمل الدعائية والمعتضة
26	3-3/ التنوع بين النثر والشعر
27	3-4/ الاقتباس والتضمين
28	3-5/ اللغة والأسلوب
29	4 / المجال المفاهيمي للفظ الحجاج في التراث العربي
30	4- 1 / بين الحجاج و الجدل و المجادلة
31	4- 2/ أنواع الجدل
32	4- 3/ الحجاج و البرهان
87-38	الفصل الأول : التداولية و البلاغة .. المفهوم و المجال
38	تمهيد
40	التداولية
40	1/ مفهومها عند الغرب
42	2/ مفهومها عند العرب
42	2-1/ لغة
43	2-2/ إصطلاحا
44	3/ نشأتها
45	3- 1/ جهود علماء الفلسفة التحليلية philosophie Analytique
46	3- 1-1/ لودفيغ فيتغنشتاين Wittgenstein
47	3- 1-2/ أوستين Austin

47	3-1-3 / بيرس
50	3-2-1 / إسهام علم الاجتماع مع ريناتش
51	3-2-2 / - إسهام الدراسة اللغوية مع غاردنر
52	4 / إرصاصات التداولية عند العرب
55	4-1 / التداولية في الدرس العربي الحديث
56	5 / أهميتها
57	6 / فروعها
57	أ- التداولية الاجتماعية sociopragmatics
57	ب- التداولية اللغوية Linguistic pragmatics
57	ج- التداولية التطبيقية applied pragmatics
58	د - التداولية العامة general pragmatics
58	7 / درجاتها
58	7-1 / تداولية من الدرجة الأولى
58	7-2 / تداولية من الدرجة الثانية
58	7-3 / تداولية من الدرجة الثالثة
59	8 / إتجاهات التداولية
59	8-1 / إقتراح غرينيغ grunig
59	8-2 / إقتراح جورج كيلبر
60	8-3 / إقتراح جاك موشلر و آن روبول
61	9 / مجالات التداولية
61	9-1 / أفعال الكلام Actes de language

63	9-1-أ / أوستين ونظرية الفعل الكلامي
64	1/ فعل القول أو (الفعل اللغوي) Acte locutoire
64	2/ الفعل المتضمن في القول Acte illocutoire
64	3/ الفعل الناتج عن القول Acte perlocutoire
65	9-1-ب / سيرل و الفعل الكلامي
68	الإخباريات assertives
68	التوجيهيات directives
68	الإلتزاميات commissives
68	التعبيريات expressives
68	الإعلانيات declarations
69	1/ الفعل الكلامي المباشر direct
69	2/ الفعل الكلامي غير المباشر indirect
70	9-2- / لسانيات التلفظ linguistique de l'Enonciation
70	9-2-1 / التلفظ
71	9-2-2 / الملفوظ
72	9-2-3 / سياق التلفظ
73	9-3 / الاستلزام الحوارى L' implication Conversationnelle
74	أ- قاعدة الكمية Maxim of Quantity

74	ب- قاعدة الكيفية Maxim of Quality
74	ج- قاعدة الملاءمة Maxim of Relevance
75	د- قاعدة الجهة Maxim of Manner
76	4/ نظرية الملاءمة Théorie de la pertinence
79	5/ متضمنات القول les Implicites
79	5-1/ الافتراض السابق Presupposition
80	5-2/ الأقوال المضمرة Les Sous-entendus
82	ثانيا : بين التداولية والبلاغة
156-89	الفصل الثاني : الخطاب الحجاجي : مساره تجلياته و آلياته
89	تمهيد
90	1/ الجهاز المفاهيمي الحجاجي
90	1-1/ الحجاج وأبعاده التداولية والبلاغية
91	أ/ البلاغة
92	أ/ الاتجاه اللساني (بلاغة الصور والخطابات)
92	ب/ الاتجاه الأسلوبي (البلاغة أسلوب)
93	ج/ الاتجاه الحجاجي (البلاغة حجاج وإقناع)
93	د/ الاتجاه السيميائي (البلاغة في خدمة السيمياء)
93	هـ/ الاتجاه التداولي (البلاغة أفعال كلامية واستلزام حوار)
94	ب/ التداولية

95	1-2/ الحجاج : (المصطلح و المفهوم)
96	أ/ الحجاج لغة
99	ب/ الحجاج اصطلاحا
101	2/ الحجاج في الفكر الغربي
102	2-1/ الحجاج في الفكر الغربي القديم
103	2-1-1/ الحجاج عند السفسطائيين
104	2-1-2/ الحجاج عند أفلاطون و أرسطو
106	2-2/ الحجاج في الفكر الغربي الحديث
106	2-2-1/ الحجاج عند بيرلمان و تيتيكاه
110	2-2-2/ الحجاج عند ديكر و أونسكومبر
112	2-2-3/ الحجاج عند ميشال مايير
116	3 / الحجاج في الفكر العربي
118	3-1/ الحجاج في الفكر العربي القديم
119	3-1-1/ الجاحظ (ت 255 هـ)
121	3-1-2/ عبدالقاهر الجرجاني (471هـ)
123	أ- الاستعارة
124	ب- التقديم و التأخير
125	ج- الحذف
126	3-1-3/ السكاكي (626 هـ)
130	3-2/ الحجاج في الفكر العربي الحديث
132	3-2-1/ محمد العُمري
135	3-2-2/ طه عبدالرحمان
139	4/ الخطاب الحجاجي (مفهومه ، أنواعه ، خصائصه و آلياته)
140	4-1/ المفهوم

142	2-4 / أنواع الخطاب الحجاجي
142	1-2-4 / أنواع الخطاب الحجاجي (من حيث الحقل أو المجال)
142	1-1-2-4 / الخطاب الحجاجي البلاغي
143	2-1-2-4 / الخطاب الحجاجي الفلسفي
143	3-1-2-4 / الخطاب الحجاجي التداولي
144	2-2-4 / أنواع الخطاب الحجاجي (من حيث الغرض أو المؤدى - نمط الاشتغال)
145	1-2-2-4 / الخطاب الحجاجي التوجيهي
146	2-2-2-4 / الخطاب الحجاجي التقويمي
146	3-2-2-4 / الخطاب الحجاجي التجريدي
147	4-2-2-4 / الخطاب الحجاجي السلطوي
147	5-2-2-4 / الخطاب الحجاجي الجماهيري
148	3-4 / خصائص الخطاب الحجاجي
148	أ / خاصية البناء والدينامية
148	ب / خاصية التفاعل
149	ج / خاصية الالتباس
149	د / خاصية التأويل
150	هـ / خاصية الاعتقاد
150	و / خاصية الانتهاض إلى العمل
151	4-4 / آليات الخطاب الحجاجي و تقنياته
151	1-4-4 / الأدوات اللغوية الصرفة
152	2-4-4 / الآليات البلاغية

153	4-4-3/آليات شبه المنطقية
211-158	الفصل الثالث: آليات الحجاج اللغوية في رسائل ابن أبي الخصال
158	تمهيد
161	1/آليات الحجاج اللغوية عند ابن أبي الخصال
163	1-1/الآليات اللسانية
165	أ- الروابط والعوامل الحجاجية
165	- الروابط الحجاجية: les connecteurs
166	-العوامل الحجاجية: les opérateurs
166	ب/ الأفعال اللغوية
167	ج/ الوصف
167	1-2/الآليات شبه المنطقية
167	السلم الحجاجي
170	1/ حجاجية الروابط
170	الرابط الحجاجي ((لكن))
170	المثال 01
172	المثال 02
173	المثال 03
175	الرابط الحجاجي ((الواو))
175	المثال 01
177	المثال 02
179	الرابط الحجاجي (إذا)
180	الرابط الحجاجي (بل)
182	2/ حجاجية العوامل
182	العامل الحجاجي ((إنما))

184	العامل الحجاجي ((ما إلا)) ((لا إلا))
185	المثال 01
186	المثال 02
187	المثال 03
189	3- حجاجية الصفات والألقاب والصيغ
194	4/ حجاجية الجمل الاعتراضية
196	5/ حجاجية التكرار
200	6/ حجاجية الحجج الجاهزة
202	أ/ القرآن الكريم
204	ب/ الحديث النبوي الشريف
206	ج/ الشعر العربي
209	د/ الممثل
269-213	الفصل الرابع: آليات الحجاج البلاغية و التداولية في رسائل ابن أبي الخصال
213	تمهيد
217	1/ حجاجية الاستعارة
224	2/ حجاجية التشبيه
230	3/ حجاجية التفريع: أو تقسيم الكل إلى أجزائه
235	4/ حجاجية البديع
237	4-1 / الطباق
239	4-2 / السجع
242	5/ حجاجية الفعل الكلامي
250	5-1 / التوجيهيات
251	أ/ - التوجيه اثباتي

251	ب/ - التوجيه الإلزامي
251	ج/ - التوجيه الاستفهامي
251	د/ - التوجيه بالتمني
251	5-1-1 / الاستفهام
257	5-1-2 / الأمر
261	5-1-3 / النداء
263	5-2 / الإلزاميات
271-278	خاتمة
280-290	قائمة المصادر و المراجع
292-304	نماذج من المدونة
306-315	فهرس الموضوعات
317-319	الملخص
320-322	الملخص باللغة الأجنبية 1 (English)
323-325	الملخص باللغة الأجنبية 2 (Français)



الملخصات

عربي

English

Français

ملخص الرسالة :

يعتبر الخطاب الحجاجي من بين أهم المباحث التداولية و البلاغية ، ذلك أنه جمع بين مجالين أو أكثر ، فهو نتاج تعالق الدراسات اللسانية و التداولية ، و الدرس البلاغي ، و حتى النظريات النفسية و الاجتماعية ، و كذا الفلسفة و المنطق ، فكل هاته العلوم و المجالات تعمل في تناسق و تناغم ، لتنتج خطابا بلاغيا هادفا و واعياً ، يمكن المخاطب أو المحاجج من بناء استراتيجيته التواصلية أو الخطابية تجاه المتلقي أو المخاطب .

و الخطاب الحجاجي ليس كما يتبادر للأذهان بتلك الصورة النمطية التي تظهره على شكل جدال حاد أو مناظرة سياسية أو علمية ، بل هو كل خطاب أو رسالة تحقق الإقناع سواء كانت على شكل مناظرة أو قصيدة أو رسالة أو حتى إعلانٍ يحقق التأثير و يجد طريقاً إلى عقل أو وجدان السامع أو المتلقي ، فيجعله يقتنع بفكرةٍ أو يغير وجهة نظره تجاه أمرٍ معين .

و على هذا سعينا في أطروحتنا هذه و الموسومة بـ (آليات الخطاب الحجاجي في رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي - دراسة بلاغية تداولية -) أن نفهم هذا التعالق بينه (الخطاب الحجاجي) و بين التداولية باعتبارها علم يدرس اللغة في الاستعمال ، و كذا البلاغة لكون أن وظيفتها لم تعد تقتصر على تزيين و تنميق النصوص و الخطابات، بل أصبحت الآلة التي يُتوسل بها إلى الاستمالة و التأثير و الإقناع .

و هذا من خلال تطبيقها على مدونة تراثية أندلسية هي عبارة عن رسائل مجموعة للفقهاء " ابن أبي الخصال الأندلسي " ، و ذلك لاعتقادنا أن الرسائل تعدُّ بيئة جيدة لاستشفاف البعد التداولي ، ذلك أن التداول في أحد معانيه هو عبارة عن أخذٍ و رد ، الأمر الذي يكاد ينطبق على الرسائل المتبادلة ، فهي ذلك الحضور للمتلقي في ذهن المرسل حينما ينشئ رسالته ، و ذلك الاستشراق لفهم و رد المتلقي على الرسالة و توقعه ، و بالتالي مجاراته و الاهتمام بآرائه و انطباعاته و توقع ردود أفعاله ، و هذا فعلٌ تداولي يحصل على مستوى التراسل .

لنحاول الوقوف على مدى تمكّن صاحبها (ابن أبي الخصال) و الذي يعتبر علماً من أعلام البلاغة في الأندلس ، من استعمال هذه النظريات (الحديثة) لتحقيق مآربه من تلك الرسائل سواء كانت رسائل ديوانية أو اخوانية أو اعتذارية أو رسائل شفاعة ..

و ستكون الدراسة ذات طابع بلاغي تداولي يركز على آليات الخطاب الحجاجي في شقها البلاغي التداولي ، و بهذا يمكننا فهم مدى تمكّن الدرس البلاغي قديماً من جلّ النظريات اللسانية و التداولية الحديثة ، و بأن أغلب ما جاءت به العلوم اللغوية الحديثة لم يكن سبقاً أو (مستجداً فعليا) على الدرس القديم ، بل كانت جلّ هذه القضايا متناثرة - كأفكارٍ و مبادئ - في بطون الكتب التراثية ، و أنّه يمكن تطبيق المناهج اللسانية و التداولية الحديثة على درّةٍ من دُرر موروثنا العربي خصوصا الأندلسي منه .

وإيماننا بهذا الطرح ارتأينا - من خلال هذا البحث- أن نقف على الاستراتيجية الحجاجية التي سلكها ابن أبي الخصال في رسائله، وتحديد أبعادها، والوقوف على أهم الوسائل الحجاجية التي تضمنها الخطاب الترسلّي عنده لخلق دينامية وفعالية للرسالة التي تعتبر من بين أهم مظاهر التواصل آنذاك .

و قد ارتأينا أن تتكون الدراسة من مقدمة و مدخل و فصول أربعة ، لتختتم بخاتمة تُجمل فيها أهم النتائج ، و يمكن تلخيص بنية الدراسة كالاتي :

مقدمة : و بها تقديم لموضوع البحث و أسباب اختياره و مسوغاته

المدخل : و المعنون بـ **التعريف بابن أبي الخصال و رسائله** ، و قسمناه إلى أربعة محاور ، يتحدث الأول منها على ابن أبي الخصال بينما خُصّ الثاني برسائله و أنواعها أما ثالث المحاور من المدخل فقد حاولنا فيه إبراز منهجه في الرسائل من حيث شكلها ، مضمونها و لغتها . بينما جاء المحور الرابع في المجال المفاهيمي للحجاج و بيان الفرق بينه و بين الجدل و المجادلة و البرهان .

الفصل الأول : و الموسوم بـ **التداولية و البلاغة .. المفهوم و المجال** ، تطرقنا فيه أولاً إلى التداولية كمبحث أساسي للفصل ، من خلال مفهومها لدى الغرب و كذا العرب ، و نشأتها ، كما تناولنا أهميتها و مجالاتها .

الفصل الثاني : و الذي جاء تحت عنوان الخطاب الحجاجي : مساره تجلياته و آلياته ، ربطنا في بداية هذا الفصل بين أهم مكونات بحثنا (البلاغة ، التداولية ، و الحجاج) بيّننا مدى التعالق و التواشج بينها في بناء الخطاب الحجاجي ، و ذلك قبل أن نعرج على مفهوم الحجاج و كذا أهم مدارسه في الفكرين الغربي و العربي القديم منهما و الحديث ، و قبل أن نتطرق في هذا الفصل إلى أنواع الخطاب الحجاجي و خصائصه ، مروراً بمفهومه ، أفردنا جزءاً للحديث عن المجال المفاهيمي للخطاب الحجاجي عند العرب و تعالقه ببعض المفاهيم كالجدل و البرهان ، و أوجزنا في نهاية هذا الفصل الحديث عن آليات الحجاج و تقنياته من أدوات لغوية صرفة إلى آليات بلاغية و آليات شبه منطقية .

الفصل الثالث : و جاء تحت عنوان آليات الحجاج اللغوية في رسائل ابن أبي الخصال ، و تطرقنا فيه إلى الآليات اللسانية و الروابط و العوامل الحجاجية ، و الأفعال اللغوية ، ثم الآليات شبه المنطقية ، و السلم الحجاجي ، بالإضافة إلى حجاجية الصفات و الألقاب و الصيغ ، و كذا حجاجية الجمل الاعتراضية و دورها الدلالي و التداولي ، و حجاجية التكرار و الحجج الجاهزة و هذا من خلال تحليل أمثلة منتقاة من رسائل ابن أبي الخصال .

الفصل الرابع: و الموسوم بـ آليات الحجاج البلاغية و التداولية في رسائل ابن أبي الخصال ، حاولنا تخصيص الجزء الأول من هذا الفصل إلى الآليات البلاغية ، فكانت البداية بـ (حجاجية الاستعارة) ثم (حجاجية التشبيه) ثم (حجاجية التفرع أو تقسيم الكل إلى أجزاءه) وصولاً إلى (حجاجية البديع) أما الجزء الثاني من الفصل ، فقد خصصناه للآليات الشبه منطقية ، حيث تطرقنا إلى حجاجية الفعل الكلامي من خلال حجاجية الاستفهام و الأمر و النداء ، و حجاجية الإلزاميات ، و ما لهذه الأساليب من طاقة تأثيرية و أسلوب حجاجي .

خاتمة : و فيها ملخص بأهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج .

و لسنا ندّعي - في الأخير- إلمامنا بالموضوع ، فلا حقّ موضوع الحجاج أوفينا ، و لا الشرف الذي تستحقّه (رسائل ابن أبي الخصال) بيّننا و أدّينا ، فهو جهد المُقلِّ - الذي حسبه الجدّ و الاجتهاد -

و الحمد لله رب العالمين

of argumentation, as well as its most important schools in Western and Arab culture , both ancient and modern, and explained the types of argumentative discourse and its characteristics, we also explained the mechanisms and techniques of pilgrims through linguistic tools, rhetorical mechanisms and semi-logical mechanisms.

Chapter Three: "The Linguistic Mechanisms of the argumentative discourse in the Letters of Ibn Abi Al-Khisal", In it, we studied linguistic mechanisms, argumentative connections, argumentative factors, linguistic verbs, then semi-logical mechanisms, and argumentative scale, in addition to argumentative adjectives, titles and formulas.

The fourth chapter: entitled the Rhetorical and Deliberative Mechanisms of the argumentative discourse in the Letters of Ibn Abi Al-Khisal , and we have studied the rhetorical mechanisms in it, like metaphor and similes, argumentative division of the whole into its parts, And we studied the arguments of speech acts such as the interrogative, the order and the call, and the argumentation of the imperatives, and the influence and persuasive power of these methods.

These chapters followed by a brief conclusion, recorded the most important results of the study, and summarized the most influential.

Finally, I do not pretend to be perfect of this study, and I do not claim that it has reached all its objectives. It is inaccessible aspiration. But I really hope is that I have successes in the performance of the honesty as much as I can.

Researcher

and that is to see that its author (Ibn Abi Al-Khisal), who is considered one of the most prominent figures of rhetoric in Andalusia, was able to use these (modern) theories to achieve his goals from those messages, whether they were Diwaniyah, brotherhood, apologetic, or intercession messages..

And this study will be of a rhetorical and pragmatic nature that focuses on the mechanisms of argumentative discourse, and with this we can understand how ancient rhetoric was earlier to What modern linguistic sciences have discovered from modern linguistic and pragmatic theories , Rather, most of these theories were scattered – as ideas and principles – in traditional rhetorical books, and it is possible to apply modern linguistic and deliberative approaches to the messages of our Arab heritage, especially Andalusian ones .

Believing in this proposition, we decided – through this thésis – to clarify the argumentative strategy that Ibn Abi Al-Khisal used in his messages, determine its dimensions, and indicate the most important argumentative strategies included in his messages to create dynamism and effectiveness for the message, which is considered among the most important aspects of communication at the time.

We decided that the study should consist of an introduction, four chapters, and a conclusion summarizing the most important results.

The structure of the study can be summarized as follows:

The first chapter: entitled Pragmatics and Rhetoric... The concept and scope, in which we studied pragmatics, through its concept in the West as well as the Arabs, and its origin, as well as its importance and fields .

The second chapter: which came under the title of the argumentative discourse: its path, manifestations and mechanisms. We defined the concept

Abstract :

The argumentative discourse is among the most important deliberative and rhetorical topics, because it combined two or more fields, and because it is the result of the interrelation of linguistic and pragmatic studies, and rhetorical lesson, and even psychological and social theories, As well as philosophy and logic , all these sciences and fields work in harmony, to produce a purposeful and conscious rhetorical discourse that enables the addressee or argument to build his communicative or discursive strategy towards the recipient.

The argumentative discourse is not, as one might think, the stereotyped image that appears in the form of a sharp debate or a political or scientific debate.

Rather, it is every discourse or message that achieves persuasion, whether it is in the form of a debate, poem, message, or even publicity that achieves persuasion , and it finds a way into the mind or conscience of the listener or recipient, making him believe in an idea or change his point of view on a particular matter.

Based on this, we wanted in our thesis entitled (Mechanisms of the argumentative discourse in the letters of Ibn Abi al-Khasal al-Andalus - a rhetorical and pragmatic study —) to understand this interrelationship between the argumentative discourse and pragmatics as a science that studies language in use, and also rhetoric because its function is no longer limited to decorating texts and discourses, but rather it has become a tool for influence and persuasion.

And we will try to apply it to an Andalusian heritage blog, which is a collection of messages by the rhetorician "Ibn Abi Al-Khasal Al-Andalus.",

Le deuxième chapitre : qui s'inscrivait sous le titre du discours argumentatif: son parcours, ses manifestations et ses mécanismes. Nous avons défini le concept d'argumentation, ainsi que ses écoles les plus importantes dans la culture occidentale et arabe, ancienne et moderne, et expliqué les types de discours argumentatif et ses caractéristiques, nous avons également expliqué les mécanismes et les techniques des pèlerins à travers des outils linguistiques, rhétoriques mécanism.

Chapitre Trois : "Les Mécanismes Linguistiques du discours argumentatif dans les Lettres d'Ibn Abi Al-Khisal", Dans celui-ci, nous avons étudié les mécanismes linguistiques, les connexions argumentatives, les facteurs argumentatifs, les verbes linguistiques, puis les mécanismes semi-logiques, et l'échelle argumentative, en complément des adjectifs argumentatifs, des titres et des formuleuses et mécanismes semi-logiques.

Le quatrième chapitre : intitulé les Mécanismes rhétoriques et délibératifs du discours argumentatif dans les Lettres d'Ibn Abi Al-Khisal , et nous y avons étudié les mécanismes rhétoriques, comme la métaphore et les comparaisons, la division argumentative du tout en ses parties, Et nous étudié les arguments des actes de langage tels que l'interrogatif, l'ordre et l'appel, et l'argumentation des impératifs, ainsi que l'influence et le pouvoir de persuasion de ces méthodes. Ces chapitres, suivis d'une brève conclusion, ont enregistré les résultats les plus importants de l'étude et résumé les plus influents.

Enfin, je ne prétends pas être parfait de cette étude, et je ne prétends pas qu'elle ait atteint tous ses objectifs. C'est une aspiration inaccessible. Mais j'espère vraiment que j'aurai autant de succès que possible dans la performance de l'honnêteté.

le Chercheur

c'est pour voir que son auteur (Ibn Abi Al-Khisal), qui est considéré comme l'une des figures les plus importantes de la rhétorique en Andalousie, a pu utiliser ces théories (modernes) pour atteindre ses objectifs à partir de ces messages, qu'il s'agisse de messages de Diwaniyah, de fraternité, d'excuses ou d'intercession .

Et cette étude sera de nature rhétorique et pragmatique qui se concentre sur les mécanismes du discours argumentatif, et avec cela, nous pouvons comprendre comment la rhétorique ancienne était antérieure à ce que les sciences linguistiques modernes ont découvert à partir des théories linguistiques et pragmatiques modernes , Plutôt, la plupart de ces les théories ont été dispersées – en tant qu'idées et principes – dans les livres de rhétorique traditionnels, et il est possible d'appliquer des approches linguistiques et délibératives modernes aux messages de notre héritage arabe, en particulier l'héritage andalou.

Croyant en cette proposition, nous avons décidé – à travers cette thèse – de clarifier la stratégie argumentative utilisée par Ibn Abi Al-Khisal dans ses messages, de déterminer ses dimensions et d'indiquer les stratégies argumentatives les plus importantes incluses dans ses messages pour créer dynamisme et efficacité pour le message, qui est considéré parmi les aspects les plus importants de la communication à l'époque.

Nous avons décidé que l'étude devrait comprendre une introduction, quatre chapitres et une conclusion résumant les résultats les plus importants.

La structure de l'étude peut être résumée comme suit :

Le premier chapitre : intitulé Pragmatique et Rhétorique... Le concept et sa portée, dans lequel nous avons étudié la pragmatique, à travers son concept en Occident comme chez les Arabes, et son origine, ainsi que son importance et ses domaines.

Résumé :

Le discours argumentatif est parmi les sujets délibératifs et rhétoriques les plus importants, parce qu'il combine deux ou plusieurs domaines, et parce qu'il est le résultat de l'interrelation d'études linguistiques et pragmatiques, et de leçons rhétoriques, et même de théories psychologiques et sociales, ainsi que philosophie et logique, toutes ces sciences et domaines travaillent en harmonie, pour produire un discours rhétorique intentionnel et conscient qui permet au destinataire ou à l'argument de construire sa stratégie communicative ou discursive envers le destinataire.

Le discours argumentatif n'est pas, comme on pourrait le penser, l'image stéréotypée qui apparaît sous la forme d'un débat acerbe ou d'un débat politique ou scientifique.

Au contraire, c'est tout discours ou message qui parvient à la persuasion, que ce soit sous la forme d'un débat, d'un poème, d'un message ou même d'une publicité qui parvient à la persuasion, et il trouve un chemin dans l'esprit ou la conscience de l'auditeur ou du destinataire, faisant lui faire croire à une idée ou changer son point de vue sur un sujet particulier.

Partant de là, nous avons voulu dans notre thèse intitulée (Mécanismes du discours argumentatif dans les lettres d'Ibn Abi al-Khasal al-Andalus – une étude rhétorique et pragmatique –) comprendre cette interrelation entre le discours argumentatif et la pragmatique comme une science qui étudie la langue en usage, mais aussi la rhétorique car sa fonction ne se limite plus à décorer les textes et les discours, mais elle est devenue un outil d'influence et de persuasion.

Et nous essaierons de l'appliquer à un blog du patrimoine andalou, qui est un recueil de messages du rhéteur « Ibn Abi Al-Khasal Al-Andalus », et

ملخص الرسالة :

لقد أدت صفة التواصل بين بني البشر منذ الأزل إلى ضرورة ابتكار أسلوب يمكن من إيصال الفكرة و التأثير في المتلقي و إقناعه بما يريد المتكلم ... هذا الأسلوب القديم الجديد هو الحجاج

و ستعالج هذه الأطروحة الموسومة بـ (آليات الخطاب الحجاجي في رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي - دراسة بلاغية تداولية -) الآليات و الخطوات التي يتبعها المرسل في تأسيس خطاب حجاجي مبني على المسلمات و المعطيات التي ينطلق منها معه المتلقي ، و كيف يصل به (بالمتلقي) إلى التسليم بالنتائج مروراً بتلك الآليات كـ (السلالمة الحجاجية ، الاستدلال ، المسلمات ، البرهنة ، الإقناع و التسليم) .

و هذا من خلال تطبيقها على مدونة البحث و التي هي عبارة عن رسائل مجموعة للفقير " ابن أبي الخصال الأندلسي " والذي يعتبر علماً من أعلام البلاغة في الأندلس ، و ستكون الدراسة ذات طابع بلاغي تداولي يركز على آليات الخطاب الحجاجي في شقها البلاغي التداولي .

abstract :

الملخص بالإنجليزية :

From the dawn of history, communicability as a human vocation has given rise to the creation of methods ensuring the transmission of ideas, influence on others and their persuasion...These old modes, constantly revisited, constitute the theory of argument ...

Our thesis titled by : **the strategies of argumentation in the correspondences dibn abi alkhissal el andaloussi – a rhetorical–pragmatic study** – deals with the steps and strategies put in place by the sender in order to reconstruct an argumentative discourse based on shared data and axiomatic maxims...and how this discourse leads the receiver through a series of stages in order to arrive on common ground.

Our study revolves around a corpus made up of correspondence from the famous apostle: ibn abi al khissal the Andalusian... Who is one of the luminaries of rhetoric in Andalusia... This study has a rhetorical–pragmatic aspect dealing with argumentation in its pragmatic aspect with a rhetorical component.

synopsis:

الملخص بالفرنسية :

Dès l'aube de l'histoire , la communicabilité comme vocation humaine a suscité la création des modalités assurant la transmission d'idées, l'influence sur autrui et sa persuasion...Ces anciens modes incessamment revisités constituent la théorie de l'argumentation..

Notre thèse intitulé par : **les stratégies de l'argumentation dans les correspondences dibn abi alkhissal el andaloussi –une étude rhétorico–pragmatique–** traite les étapes et stratégies mises en place par le destinataire afin de reconstituer un discours argumentatif en se basant sur des données et des maximes axiomatiques partagées...et comment ce discours conduit le destinataire à travers des séries d'étapes à fin d'arriver sur un terrain d'entente.

Notre étude s'articule autour d'un corpus constitué de correspondances du fameux apôtre : ibn abi al khissal l'andalous... Qui est l'un des sommités de la rhétorique en Andalousie... Cette étude revêt un aspect rhétorico–pragmatique traitant de l'argumentation dans son volet pragmatique avec une composante rhétorique.

ملخص الرسالة - عربي -

لقد سعينا من خلال هذا البحث إلى الوقوف على آليات الحجاج في الخطاب الترسلّي عند ابن أبي الخصال، والمتمثلة في التقنيات الحجاجية والآليات التداولية والبلاغية، وكذا الأدوات اللسانية التي لها أثر في توجيه الرسالة وشحنها بطاقة حجاجية تجعلها قادرة على الرد و مواجهة الخصوم بالحجة والكلمة المؤثرة و مقارعة الدليل بالدليل.

ومن هنا يمكننا القول أن الخطاب الحجاجي في الدراسات اللسانية الحديثة لم يعد بتلك الصورة النمطية التي تظهره على شكل جدال حاد أو مناظرة سياسية أو علمية، بل هو كل خطاب أو رسالة تحقق الإقناع سواء كانت على شكل مناظرة أو قصيدة أو رسالة أو حتى إعلان يحقق التأثير و يجد طريقا إلى عقل أو وجدان السامع أو المتلقي، فيجعله يقتنع بفكرة أو يغير وجهة نظره اتجاه أمر معين.

ونظرا لقيمة الخطاب الحجاجي وأهميته في شتى مناحي الحياة الفكرية و الأدبية أو حتى الاجتماعية ارتأينا أن تكون مقارنتنا هذه مقارنة بلاغية تداولية نستقرئ من خلالها الأدب الأندلسي محاولين بذلك فهم خباياه و أسراره مقتصرين في ذلك على مدونة أدبية ثرية، تحمل طاقة فنية حجاجية عالية استطاع من خلالها ابن أبي الخصال أن يكشف عن قوته البلاغية وبراعته الأسلوبية وطاقاته الحجاجية.

وقد كانت مدونة بحثنا عبارة عن مجموعة رسائل ديوانية تخص أمور الملك و الدولة أو اخوانية تخص المخاطبات اليومية بين الاخوان و الأصدقاء بشأن مختلف أغراض الحياة كالتوصية و الشفاعة و التهئة و التعزية و المراجعات و الوساطة و غيرها، يغلب عليها الطابع الفني الجمالي، و لكنها لا تخلو من الجانب الحجاجي (فيما نرى).

و قد وسمنا هذه الدراسة بـ " آليات الخطاب الحجاجي في رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي - دراسة بلاغية تداولية - ، ارتأينا أن نزاوج فيها بين ما وصلت إليه النظريات اللسانية الحديثة خصوصا في مجال التداولية و استعمال اللغة ، و بين مدونة عربية بلاغية - عبارة عن مجموعة رسائل ، و ذلك لاعتقادنا أن الرسائل تعدُّ بيئة جيدة لاستشفاف البعد التداولي والحجاجي في الخطاب ، لأن التداول هو أخذ و رد ينشأ عنه فعل التواصل، والذي يتجلى بوضوح خاصة في الرسالة التي تستدعي مرسلا ومرسل إليه ومقاما ترسلها يقتضي استحضر المرسل في ذهنه المرسل إليه ، و بالتالي مجارته و الاهتمام بآرائه و انطباعاته و توقع ردود أفعاله ، و هذا فعلاً تداولي يحصل على مستوى التراسل ، و هو الأمر الذي أردنا إثباته من خلال الاستقراء و الاستنباط الموضوعيين اللذين يكشفان عن الأبعاد و الأوجه الحجاجية في مدونة بحثنا (الرسائل) ، و يؤكدان إمكانية تطبيق المناهج اللسانية و التداولية الحديثة على درّة من دُرر موروثنا العربي الأندلسي.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود بعض الدراسات التي تناولت حياة ابن أبي الخصال و نتاجه الأدبي من زاوية فنية ، ومن بينها : (ابن أبي الخصال رئيس كتّاب الأندلس ، للدكتور فوزي عيسى) ، و رسالة ماجستير للباحث ستّار جبار رزيّج بعنوان " ابن أبي الخصال الكاتب ، حياته و أدبه " رسالة مقدمة في كلية الآداب بجامعة بغداد ، 1993 م ، و كذلك أطروحة دكتوراه للباحث إيمان ناصر حسن أحمد المسفر ، بكلية الآداب جامعة البصرة 2016 م، و أطروحة دكتوراه مستجدة بعنوان رسائل ابن أبي الخصال (ت540هـ) دراسة حجاجية للباحث حسن عفات ، رسالة مقدمة إلى جامعة المستنصرية - العراق ، و هي الرسالة الوحيدة التي تمكنا من الاطلاع عليها - رغم محاولتنا الحثيثة - في آخر محطات إنجاز بحثنا ، بعد تواصلنا مع الباحث الذي تكرم علينا بمجموعة من المصادر و المراجع في المجال ، كما أنّنا

اعتمدنا ديوان رسائل الكاتب متنا و مصدرا وحيدا للمدونة و الذي جمعه و حققه محمد رضوان الداية تحت عنوان " رسائل ابن أبي الخصال "

و قد سطر البحث جملة من الأهداف لتحقيقها و الوصول إليها أهمها :

- السعي إلى الإسهام في تأسيس الدرس التداولي العربي الذي يعرف ثورة مفاهيمية جديدة، تؤسس لقاعدة ابستمولوجية متينة .

- محاولة إضاءة بعض الجوانب التي يتعالق فيها الدرس التداولي و الدرس البلاغي .

- المساهمة في تكوين وعي بأهمية الخطاب الحجاجي في عصر المعلومة و الإعلام و الإقناع، حتى يكتسب المجتمع تلك المناعة (الجماعية) ضدّ ما يمكن أن يؤدي إليه الإعلام الموجه أو المؤدلج الذي يستهدف الشعوب .

- محاولة إزالة الغبار عن درّة من دُرر البلاغة العربية (مدونة البحث) و الاجتهاد في تقديم جزء و لو بسيطٍ عن الرسائل و صاحبها .

و ليحقق هذا البحث أهدافه و مراميه ارتأينا الانطلاق من مجموعة من التساؤلات تشكل في مجملها إشكالية البحث ، و يمكن صياغة بعضها كالآتي :

- ما هو الخطاب الحجاجي ؟ و ما التداولية ؟ و فيم تجلّت الأبعاد الحجاجية في رسائل ابن أبي الخصال ؟ و أين يمكن استشفاف النظريات و الإجراءات التداولية و الحجاجية الحديثة في الرسائل ؟ و هل يمكن القول أن الكاتب ابن أبي الخصال استعمل ولو جزئيا ما توصلت إليه النظريات اللسانية و التداولية الحديثة في رسائله إبان أزهى فترات الحضارة الأندلسية؟

و للإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي و ذلك ل من خلال تحليلنا للرسائل والكشف عما تزخر به من شحناتٍ فنيةٍ عالية ، و ربطها بما يقابلها من مستجدات الدرس اللساني و التداولي الحديث ، كما أنّنا استعنّا في بعض المواطن

بالمناهج المقارن لتحديد أوجه التشابه و الاختلاف و محاولة فهم كيفية تعالق الأنظمة اللغوية ببعضها في سبيل توجيه القيم الحجاجية.

و في سبيل الإجابة عن هذه الإشكاليات المطروحة و الوصول إلى الأهداف المتوخاة من هذا البحث ، ارتأينا أن تتشكل خطة البحث من الآتي : مقدمة و يليها مدخل ، ثم أربعة فصول (فصلين نظريين و آخريين تطبيقيين) و انتهاءً بخاتمة تُسجّل فيها النتائج المتوصل إليها ، و هي موزعة كالتالي :

مقدمة :

و تكلمنا فيها عن أهمية الخطاب الحجاجي و دوره المحوري في عالمنا المعاصر الذي يعيش عصر المعلومة و الخطاب و الصورة و الإعلام ، و مدى إمكانية تأثير الخطاب الحجاجي في شتى مستويات التواصل ، كما تطرقنا فيها إلى مدونة بحثنا و مدى ارتباطها بموضوع التداولية من جهة و الحجاج من جهة أخرى ، بالإضافة إلى ذكر أسباب اختيار الموضوع و المنهج المتبع و الدراسات السابقة و الأهداف المرجوة ، و الإشكالية المطروحة ، و غيرها من مكونات تقديم البحوث الأكاديمية .

المدخل : و المعنون بـ **التعريف بابن أبي الخصال و رسائله** ، و قسمناه إلى أربعة محاور ، يتحدث الأول منها على ابن أبي الخصال من نسبه و لقبه ، مولده و نشأته و حياته إلى وفاته ، مروراً بمشايخه و مؤلفاته و أقوال العلماء فيه ، أما المحور الثاني من المدخل فقد خُصّ برسائله و أنواعها أم ثالث المحاور من المدخل فقد حاولنا فيه إبراز منهجه في الرسائل من حيث شكلها ، مضمونها و لغتها .

كما أننا حاولنا في المحور الرابع الحديث عن الحجاج من حيث تعالقه مع بعض المفاهيم التراثية من نفس مجاله كالجدل و المجادلة و البرهان ، و بيان بعض الفروق بينها (من باب التوطئة لمبحث الحجاج الذي سنتناوله في الفصل الثاني من الدراسة) .

الفصل الأول : و الموسوم بـ **التداولية و البلاغة .. المفهوم و المجال** ، فبعد التمهيد له ، تطرقنا أولاً إلى التداولية كمبحث أساسي للفصل ، من خلال مفهومها لدى الغرب و كذا العرب ، و نشأتها و جهود علماء الفلسفة التحليلية فيها من أمثال فيتغنشتاين و أوستين و بيرس ، كما حاولنا الكشف عن إرهاصات البحث التداولي عند العرب القدامى ، و قد أوردنا جزءاً يسيراً من إسهامات طه عبد الرحمان كعينة عن جهود العرب المحدثين في مجال التداولية ، كما تناولنا أهميتها و مجالاتها من نظريات أفعال الكلام و لسانيات التلفظ و الاستلزام الحوارية و نظرية الملائمة و متضمنات القول ، هذا فيما يخصّ التداولية ، بينما خصصنا الشطر الثاني من الفصل إلى البلاغة العربية و تعالقتها مع التداولية ، تحت عنوان (بين التداولية و البلاغة) ، و هذا ربطاً بفصل الخطاب الحجاجي و تمهيداً للانتقال إليه.

الفصل الثاني : و الذي جاء تحت عنوان **الخطاب الحجاجي : مساره تجلياته و آلياته**، حاولنا في بداية هذا الفصل أن نربط بين أهم مكونات بحثنا (البلاغة ، التداولية ، و الحجاج) و أن نبين مدى التعالق و التواشج بينها في بناء الخطاب الحجاجي ، و ذلك قبل أن نعرض على مفهوم الحجاج و كذا أهم مدارسه ابتداءً من السفسطائيين إلى أفلاطون الذي رفض طريقتهم إلى تلميذه أرسطو وصولاً إلى المدارس الحديثة ، كما حاولنا استشفاف ملامح الدرس الحجاجي و أولى إرهاصاته المخبوءة بين أمهات الكتب و المصادر العربية من (سواء في مجال علوم القرآن أو النحو أو البلاغة و غيرها ..) ، و في سبيل ذلك أوردنا إسهامات بعض الأعلام العرب كالجاحظ مثلاً و صاحب الأسرار و الدلائل و صاحب مفتاح العلوم ، هذا عن الجهود الحجاجية في التراث العربي ، أما عن جهود و إسهامات المحدثين من الباحثين العرب ، فإن بناء الفصل بل و جُلَّ البحث هو من تحليلات و إسهامات - أو على الأقل - ترجمة هؤلاء -الباحثين- الذين حاولوا التأسيس لنظرية حجاجية لا تححف في حق التراث البلاغي - لما له من سبق في عديد القضايا و الملامح الحجاجية - و لكن من غير تكلف أو محاولة لتلبس

و اقتناص كل واردة و إقحامها في الدرس التداولي و الحجاجي العربي القديم ، و لم يكن الاختيار في إدراج علمين كمثالين على كوكبة من الباحثين (كعبد الله صولة و أبي بكر العزاوي أو صلاح فضل أو حمادي صمود أو طه عبد الرحمان أو محمد العمري ...) مبنيا على تفاضل أو أفضلية - فقد كان لكلٍ منهم إسهامه المميز - و لكن من باب الذكر و التمثيل لا الحصر ، و كذلك الأمر بالنسبة لاختيار النماذج من القدماء (الجاحظ و عبد القاهر الجرجاني و السكاكي) .

و قبل أن نتطرق في هذا الفصل إلى أنواع الخطاب الحجاجي و خصائصه ، مروراً بمفهومه ، أفردنا جزءاً للحديث عن المجال المفاهيمي للخطاب الحجاجي عند العرب و تعالقه ببعض المفاهيم كالجدل و البرهان ، و أوجزنا في نهاية هذا الفصل الحديث عن آليات الحجاج و تقنياته من أدوات لغوية صرفة إلى آليات بلاغية و آليات شبه منطقية .

الفصل الثالث : و جاء تحت عنوان آليات الحجاج اللغوية في رسائل ابن أبي

الخصال ، بعد التمهيد له ، تطرقنا إلى الآليات اللسانية و الروابط و العوامل الحجاجية ، و الأفعال اللغوية ، ثم الآليات شبه المنطقية ، و السلم الحجاجي ، و حجاجية الروابط ك (لكن) و (الواو) و (إذا) و (بل) و أدرجنا أمثلة من المدونة لكل منها ، كما تطرقنا لحجاجية العوامل مثل (إنما) و (ما - إلا) و (لا - إلا) و عالجناها كأمثلة من المدونة ، بالإضافة إلى حجاجية الصفات و الألقاب و الصيغ ، و كذا حجاجية الجمل الاعتراضية و دورها الدلالي و التداولي ، و حجاجية التكرار و الحجج الجاهزة من القرآن الكريم ثم الحديث النبوي الشريف إلى الشعر العربي و المثل ، و هذا من خلال أمثلة منتقاة من رسائل ابن أبي الخصال .

الفصل الرابع: و الموسوم بـ آليات الحجاج البلاغية و التداولية في رسائل ابن أبي

الخصال ، بعد التمهيد بدور البلاغة و التداولية في الحجاج ، حاولنا تخصيص الجزء الأول من هذا الفصل إلى الآليات البلاغية ، فكانت البداية بـ (حجاجية الاستعارة) ثم (

حجاجية التشبيه (ثم حجاجية التفريع أو تقسيم الكل إلى أجزاءه) وصولاً إلى (حجاجية البديع) ، حيث قدمنا في كل نوع من الأنواع مثالين أو أكثر - على حسب ما أمكن و ما تقتضيه الضرورة - من المدونة (رسائل ابن أبي الخصال الغافقي الأندلسي) و حاولنا تحليل المثال وفق العنصر المدروس، و بيان مكانم الحجاج فيه و طاقته التأثيرية ، أما الجزء الثاني من الفصل ، فقد خصصناه **للآليات الشبه منطقية** ، حيث تطرقنا إلى حجاجية الفعل الكلامي من خلال (التوجيهيات) و ما ينضوي تحتها من حجاجية الاستفهام و حجاجية الأمر و حجاجية النداء ، و في الأخير (الإلزاميات) ، و ما لهذه الأساليب من طاقة تأثيرية حجاجية .

وبعد أن استوت الدراسة على سوقها و باحت بما حملت بين طياتها و فصولها ، خلصنا من خلال هذه الخاتمة الموجزة و المركزة إلى النتائج الآتية.

- لقد تعرضنا في المدخل بشيء من التفصيل لحياة الكاتب صاحب الرسائل (ابن أبي الخصال الأندلسي) و خلصنا فيه إلى كونه علماً من أعلام البلاغة ، استطاع أن يتدرج بأسلوبه المميز و فطنته و نباهته المتقدمة إلى أسمى المراتب العلمية الأدبية و السياسية ، حيث قال فيه الحافظ المحدث أبو القاسم بن بشكوال " ذو الوزارتين السيد الكامل، الشهير الأثير، الأديب اللغوي السري، الكاتب البليغ معجزة زمانه، وسابق أقرانه، ذو المحاسن الجمّة، الجليلة الباهرة، والأدوات الرفيعة الزكية الطاهرة الكاملة، المُجمع على تناهي نباهته، وحمد خصاله وفصاحته، من لا يُشق غباره، ولا تلحق آثاره، معجزة زمانه في صناعة النظم والنثر... كان آخر رجال الأندلس علماً وحلماً، وفهماً ومعرفة، وذكاءً وحكمة ويقظة، وجلالة ونباهة، وتفننا في العلوم، وكان صاحب لغة وتاريخ وحديث، وخبر وسير، ومعرفة برجال الحديث مضطلعاً بها ، ومعرفة بوقائع العرب وأيام الناس، وبالنثر والنظم، وكان جزل القول، عذب اللفظ، حلو الكلام،

عذب الفكاهة، فصيح اللسان، بارع الخط حسنه وامتقنه ، كان في ذلك كله واحد عصره، ونسيج وحده، يُسَلِّم إليه في ذلك كله "

- كما أنّ رسائله اتسمت بطاقة إيجائية و بيانية عالية ، إذ لم تكن عباراته مُعربة ، و لا موحشة ، بل جاءت ملائمة لسياقها و مقامها ، فلم تكن رسائله الديوانية التي تهتم بشؤون الملوك و الدولة ، بنفس طابع الرسائل الإخوانية ، كما أنّ الرسائل الإخوانية منها ليست سواء ، فما كانت بغرض الاعتذار لم تكن كتلك الموجهة للشفاعة ، ففي الاعتذاريات مثلا ، طالما استعمل التذكير بوصول المودة ، و عدم قصد الجفاء ، و أنّ الروح تهفو للأحبة و لكن مشاغل الحياة قد تقف دون التعبير عن ذلك ، بينما نجد في رسائل الشفاعة يستعمل أسلوبا ، يتراوح بين المودة و التقدير و بين الحثّ على فعل الخير و قضاء حاجات المسلمين ، و بين ذكر مناقب و مزايا المشفوع له ، فهو بهذا التركيب مثلاً ، قد قام فعليا بأركان العملية الحجاجية ، فهو ينطلق من مقدمات معينة و يبني جسراً ، تواصليا يهيء المشفوع لديه لتقبُّل النتائج الطبيعية لهذه العملية التخاطبية الحجاجية و بالتالي قبول الشفاعة و قضاء الحاجة بالنهاية .

- في الفصل الأول الموسوم بـ "التداولية و البلاغة .. المفهوم و المجال" ، و الذي سلّط الشقّ الأكبر منه على التداولية و نشأتها و مجالاتها من أفعال الكلام خصوصا عند أوستين و سيرل ، و كذلك لسانيات التلفظ و الاستلزام الحواري و نظرية الملائمة و متضمنات القول و الافتراض المسبق ، أما الشق الثاني فكان للوقوف على علاقة التداولية بالبلاغة ، و قد توصلنا إلى مجموعة من النتائج هذه بعضها :

- إنّ من بين أهم ما قامت به التداولية هو محاولتها سدّ الثغرة التي تركتها الدراسات اللسانية البنيوية و التي لم تتجاوز حدود الجملة، واعتبرت أن كل ما هو خارج عن سياق البناء

التركيبى للجملة ليس من اهتماماتها ، إذ عملت التداولية على حل كثير من المشكلات اللغوية من خلال الاهتمام بسياقات الكلام والتخاطب ، و استطاعت من خلال مقارنتها الفريدة للغة (و هي دراسة اللغة في الاستعمال) أن تستثمر حدودها -اللغة - إلى أقصى قدرٍ ممكن ، حتى ينعكس ذلك في مردود الفعل التواصلي ، و تتحقق الاستفادة المثلى من الخطاب ، و قد تأتى ذلك بفضل إجابة التداولية على الكثير من الأسئلة التي بقيت عالقة في ساحة الدرس اللغوي من قبيل من المتكلم؟ إلى من يتكلم؟ ما الغاية المرجوة من الكلام؟ إلى من يتكلم، ما هي ظروف وملابسات التواصل .

- يعتبر الدرس التداولي من أكثر النظريات اللسانية مرونة ، فقد أضفى بعدا جديدا للدرس اللساني ، فليست اللغة هي منتهى الرسالة ، مهما ارتفع و ارتقى مستواها الفني البلاغي ، بل إن هنالك مستويات أخرى مشاركة في الفعل التواصلي ، و هي المتلقي الذي يشكل حلقة أساسية في الفعل التواصلي ، حيث تشكل معتقداته و مكتسباته القبليّة لبنة أساسية ، يمكن للمخاطب أن يستثمرها بغرض الوصول إلى الاستجابة المنشودة .

- إنّ البلاغة و التداولية و رغم ما بينهما من اختلافات من حيث النشأة و التاريخ و العراقة ، إلا أنهما تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة و وسيلة حجاجية للتأثير على المتلقي ، فإذا كانت التداولية في أوضح صورها هي دراسة اللغة في الاستعمال، والوقوف على مقتضيات التخاطب وآلياته، والعناية بأطراف الخطاب ومقاماته، فإن هذه القضايا تعد من صميم الدرس البلاغي فقد ألفها علماء البلاغة، وتحدثوا عنها وضمنوها كتبهم، وكانت حاضرة في تحليلاتهم النحوية والبلاغية، وكانوا على وعي تام بأهميتها في إنتاج الخطاب وبنائه، وتلقي الخطاب وتحليله ، وهنا يتلاقى المحور التداولي مع الدرس البلاغي في تشكيل وتحليل الخطاب اللغوي .

- و في الفصل الثاني المتعلق بالخطاب الحجاجي و مساره و تجلياته و آلياته - و الذي استحوذ على الجزء الأكبر من الرسالة ، كون (الحجاج) بمثابة العمدة أو الواسطة في موضوع بحثنا -، عرضنا مفهوم الحجاج و أبعاده التداولية و البلاغية ، و حاولنا بيان أوجه الترابط و التعالق بين الحجاج و التداولية و البلاغة ، كما قمنا بمسح ابستمولوجي و كرونولوجي مقتضبٍ للحجاج ، إبتداءً من الفكر الغربي القديم عند السوفسطائيين ثم أفلاطون و أرسطو ، حيث سَمَتِ الخطابة و شُرِفَ أهلها ، وصولاً إلى الفكر الغربي الحديث ، حيث نسجّل أنّ الحجاج كما قدمه علماء اللسانيات الغربية يُعتبر بعثاً لنظرية الخطابة لدى أرسطو التي عانت من جمودٍ و تنكّر كاد يوصلها لحدود الاندثار خصوصاً في القرون الوسطى بأوروبا ، إلاّ أنّ الاهتمام بالدرس اللساني و التداولي و خصوصاً الحجاجي من طرف مجموعة من الباحثين في هذا المجال لعل من أهمهم : بيرلمان ، و تيتكاه ، و ديكرو ، و ماير ... الذين جعلوا من هذا الموروث القديم ركيزة أساسية نشأت على إثرها نظرية الحجاج المعاصرة، و قد صبّت جهود هؤلاء في سبيل إعادة قراءة التراث القديم و توصيفه و قراءته قراءة جديدة في ضوء ما قدمته النظريات اللسانية الحديثة .

- كما حاولنا أثناء هذا (المسح الكرونولوجي للحجاج) أن نبين المكانة التي حظي بها الحجاج في الفكر العربي قديمه و حديثه ، فعلى الرغم من أنه لم يظهر في التراث العربي كعلم مكتمل الأركان ، إلاّ أنّ جُلَّ العلوم اللغوية و الشرعية و علوم الكلام لم تخلُ منه ، و ذلك بفضل الدور المهم الذي لعبه الحجاج و الجدل في الحياة العقدية و السياسية في البيئة العربية الإسلامية ، و قد عرضنا جزءاً - يسيراً - من إسهامات كلِّ من الجاحظ و عبد القاهر الجرجاني و السكّاكي ، و بيّنا مدى اهتمامهم بالمباحث التداولية و الحجاجية ، كدور المقام و الخطيب و مقتضى الحال ، و الدعوى و الاعتراض ، أما عن الفكر العربي الحديث فقد حاولنا أن نبين الدور الذي لعبه الباحثون العرب من أمثال (صلاح فضل و عبد الله صولة و طه عبد الرحمان و

أبو بكر العزاوي وغيرهم ..) ، و مدى إثرائهم لحقل التداولية و الحجاج من خلال ترجماتهم للدراسات الغربية ، و تنقيهم عن الموروث العربي -خصوصا البلاغي منه- و تحليلهم له و بعثه من جديد ، و قد قدمنا محمد العُمري و طه عبد الرحمن كمثالين .

- كما تطرقنا للمجال المفاهيمي للحجاج من خلال محاولة توضيح الفروق بين الحجاج و الجدل و المجادلة من جهة و الحجاج و البرهان من جهة أخرى ، حيث وصلنا إلى نتيجة تفيد بأن الحجاج أوسع من البرهان و أرحب أفقا على حدّ قول طه عبد الرحمان ، و عرضنا في هذا الفصل أنواع الخطاب الحجاجي و خصائصه و كذا آلياته و تقنياته من الأدوات اللغوية الصرفة و الآليات البلاغية و شبه المنطقية .

- أما في الفصل الثالث و هو الفصل التطبيقي الأول ، ارتأينا أن نتناول آليات الحجاج اللغوية في رسائل ابن أبي الخصال ، من خلال تحليل بعض الأمثلة المنتقاة من المدونة ، و البحث عن حجاجية العوامل و الروابط اللغوية فيها ، كما تطرقنا لحجاجية الصفات و الألقاب و الصيغ ثم حجاجية الجمل الإعتراضية في أسلوب ابن أبي الخصال و حجاجية التكرار ، وصولا إلى حجاجية الحجج الجاهزة أو حجاجية الشواهد من خلال القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و الشعر العربي و المثل في مراسلات ابن أبي الخصال ، و قد توصلنا إلى:

- أن الكاتب قد استعمل الروابط الحجاجية التي تعمل على الربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسد لكل قول دورا محددًا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية : بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، إذ...) ، كما استعمل كذلك العوامل الحجاجية وهي التي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم أدوات من قبيل: (كاد، قليلا، ربما، تقريبا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر) ، و هذا

من أجل الربط بين المقدمات أو المسلمات التي يُفترض أن يكون المتلقي موافقاً تماماً عليها ، دون أي تحفظٍ ، إدراكاً منه - ابن أبي الخصال - أن نجاح العملية الحجاجية مرتبط بسلامة الانتقال بين الحجج و نجاعة السلم الحجاجي .

- كما ركز الكاتب في مراسلاته على أن تكون حججه محل قبول و إجماع (فلا يمكن أن تنطلق من مسلمة - في نظرك - لا يعتقد بها غيرك ، كأن تخاطب الملحد مثلاً عن يوم البعث كمسلمة و عقيدة!) ، حيث أن عدم التوافق التام على المقدمات من طرف متلقي الخطاب ، يُربك العملية التواصلية ، و يعتبر من باب المصادرة على المطلوب ، و هو شرخٌ كبير قد يفسد العملية الإقناعية في النهاية ، فلا يمكن بناء نتيجة أو الوصول إليها إذا لم تنطلق من معطيات و مقدمات مقبولة لدى المخاطب .

- أن الخطاب الحجاجي عبارة عن عملية بناء واعية ، يستثمر فيها المخاطب طاقاته اللغوية و الفنية ، و يوظف فيها معارفه المسبقة سواء الاجتماعية أو التاريخية أو المنطقية ، من أجل بناء تفاعل عقلي أو عاطفي مع المتلقي ، يرتب فيه مجموعة من الحجج ، يرى أنها في ترتيبها تفيد معنى ما ، يمكن أن يؤثر في المتلقي و يجعله متفاعلاً مع الطرح الفكري للمخاطب أو المُحاجج ، و هي الاستراتيجية التي اعتمدها الكاتب ابن أبي الخصال ، حينما كان يختار من الصيغ و الصفات أنسبها ليخاطب (الأمراء أو القادة أو غيرهم من المتلقين ..) ، و ذلك استجاباً لاهتمامهم ، و استعطافاً ، و إيقاظاً لهممهم ، من أجل إقناعهم و التأثير فيهم ، و بالتالي تحقيق الغرض من المراسلة سواءً كانت شفاعاً لأحدهم ، أو قضاء حاجة من حوائج المسلمين ، أو إيضاح أمرٍ ما و دفع اللبس عنه .

- و قد وقفنا في الفصل الرابع (الفصل التطبيقي الثاني) و الذي اختصّ بالآليات البلاغية و التداولية للحجاج في رسائل ابن أبي الخصال ، على مجموعة من النقاط بغرض معالجتها ،

فكانت البداية من حجاجية الاستعارة لما لها من أهمية من بين الآليات البلاغية للحجاج ، ثم انتقلنا إلى حجاجية التشبيه فحجاجية التفرع أو تقسيم الكل إلى أجزائه إلى حجاجية البديع وصولاً إلى حجاجية الفعل الكلامي و التوجيهيات من خلال الاستفهام و الأمر و النداء و كذا الإلزاميات ، و قد أوردنا ما تيسر من أمثلة عليها (من الرسائل) و حاولنا تحليلها أو التعليق عليها ، و وصلنا إلى في الأخير إلى نتيجة مفادها :

- لقد أدرك ابن أبي الخصال بأن الخطاب الحجاجي الناجح ، هو ذلك الخطاب الذي يسير بخطة واضحة و وعي بمسار الخطاب أو الحوار ، فهو ليس مجرد استرسال أو تنميق عبارات ، فالاستراتيجية هي في وجه من وجوهها ، عبارة عن خطة أو ورقة طريق ينتهجها الخطيب أو المُحاجج بغرض الوصول إلى نتيجة معينة ، و يسلك في سبيل الوصول إليها مسلكاً معيناً .

- و أنّ الاستراتيجية الخطابية تكاملٌ بين أدوات لغوية و عوامل نفسية ، و ملكاتٍ فنية و بلاغية و أحوال و مقامات تخاطبية (سياقية) ، يمزج بينها الخطيب أو المُحاجج الناجح ، و يصبها في قالب مرِن يتشكل على حسب المتلقي ، فترتسم معالم الطريق التي ينبغي عليه اتّباعها في سبيل تحصيل القبول بالطرح و القضية ، فتكون المقدمات متسقة مع السياق منتخبةً بعناية ، تلائم ذوق المتلقي و ميوله و مستواه ، و تتحقق في الأخير الغاية المنشودة من هذه الاستراتيجية ، و هي النجاح في تمرير الرسالة .

- و لذلك نجد - ابن أبي الخصال - يتماهي مع أهداف الخطاب و الرسالة و ملابساتها ، فيكون حجاجه توجيهياً أحياناً إذا ما كان الغرض تغيير رأي أو تصحيحه ، بينما يلبس - ابن أبي الخصال - أحياناً ثوب الواعظ ، (إذا ما كان مقام الخطاب و الحجاج حجاجاً تقويمياً) مثلما يقول مستنهضاً هم الرجال للجهاد و محذراً لهم من الاستكانة و الخضوع للدنيا و ملذاتها : " قَدْ أَمْتَكُم جَهَّاراً بِأَحْجَارِهَا ، و لدغتم مِرَّاراً مِنْ أَجْحَارِهَا ... و

أنتم - على ذلك - تتهافتون تَهَافَتِ الْفَرَاشِ عَلَى حُطَامِهَا وَ نَارَهَا ، أَيُّ مَصُونٍ مِنْكُمْ لَمْ تَنْلُهُ بِهَتِّكَ ، أَمْ أَيُّ مَنْعٍ لَمْ تَغْلُهُ بِفَتِكَ ، أَمْ أَيُّ مُصَافٍ لَهَا لَمْ تُذِلَّهُ بِنَبْذٍ وَ تَرَكَ "...؟" ، فقد استعمل الكاتب عدّة أساليب حجاجية هنا ، كالاستفهام الحجاجي ، و الاستعارة و التشبيه ، و كذلك البديع من خلال الطباق و المقابلة و السجع ، و هذا التزاوج ما بين الآليات اللغوية و الآليات البلاغية و الآليات التداولية كأفعال الكلام الإنجازية (من طلب و أمر و نداء و غيرها) ، يزيد درجة التأثير و بالتالي التسليم و الإذعان ، و هو مرام الخطاب الحجاجي و مبتغاه .

- و بخصوص التوصيات فإننا نرى بضرورة قيام عمل جاد تجتمع فيه مجموعة من المعايير ، التي تمكن بحق من تنظيم ما تحقق في مجال الدرس اللساني بصفة عامة و التداولي منه على وجه الخصوص ، فالدراسات كثيرة و متعددة و تستحق الإشادة و التشجيع ، ولكن ما يلاحظ عليها هو اتسامها بالتشعب من جهة و باختلال - أو على الأقل اختلاف - في ضبط المصطلحات المترجمة ، من جهة ثانية ، فالسهر على خلق بيئة بحثية ، تتضافر فيها جهود الباحثين من شأنه أن يرتقي بالدرس التداولي و الحجاجي ، و الخروج به من دائرته النظرية إلى المستوى التطبيقي الاستعمالي و الإفادة منه في حياتنا اليومية ، و على كل المستويات ، الإعلامية ، التربوية ، و حتى في التكنولوجيا و الذكاء الاصطناعي من خلال الثورة التي يعرفها العالم اليوم في مجال التعرف الصوتي .

و الله نسأل التوفيق و السداد ، فإن أصبنا فمن الله وحده ، و إن كان دون ذلك ، فهو النقص الذي وسم به الله عزّ و جلّ عباده ، ليتمّ الكمال لله وحده ، و الحمد لله رب العالمين .

الطالب : خليل تيوقة

مقدمة + خاتمة الرسالة - إنجليزي (English)

Introduction + conclusion

Introduction :

The argumentative discourse is among the most important deliberative and rhetorical topics, because it combined two or more fields, and because it is the result of the interrelation of linguistic and pragmatic studies, and rhetorical lesson, and even psychological and social theories, As well as philosophy and logic , all these sciences and fields work in harmony, to produce a purposeful and conscious rhetorical discourse that enables the addressee or argument to build his communicative or discursive strategy towards the recipient.

The argumentative discourse is not, as one might think, the stereotyped image that appears in the form of a sharp debate or a political or scientific debate.

Rather, it is every discourse or message that achieves persuasion, whether it is in the form of a debate, poem, message, or even publicity that achieves persuasion , and it finds a way into the mind or conscience of the listener or recipient, making him believe in an idea or change his point of view on a particular matter.

Based on this, we wanted in our thesis entitled (Mechanisms of the argumentative discourse in the letters of Ibn Abi al-Khasal al-Andalus - a rhetorical and pragmatic study —) to understand this interrelationship between the argumentative discourse and pragmatics as a science that studies language in use, and also rhetoric because its function is no longer limited to decorating texts and discourses, but rather it has become a tool for influence and persuasion.

And we will try to apply it to an Andalusian heritage blog, which is a collection of messages by the rhetorician "Ibn Abi Al-Khasal Al-Andalus.",

and that is to see that its author (Ibn Abi Al-Khisal), who is considered one of the most prominent figures of rhetoric in Andalusia, was able to use these (modern) theories to achieve his goals from those messages, whether they were Diwaniyah, brotherhood, apologetic, or intercession messages..

And this study will be of a rhetorical and pragmatic nature that focuses on the mechanisms of argumentative discourse, and with this we can understand how ancient rhetoric was earlier to What modern linguistic sciences have discovered from modern linguistic and pragmatic theories , Rather, most of these theories were scattered – as ideas and principles – in traditional rhetorical books, and it is possible to apply modern linguistic and deliberative approaches to the messages of our Arab heritage, especially Andalusian ones .

Believing in this proposition, we decided – through this thésis – to clarify the argumentative strategy that Ibn Abi Al-Khisal used in his messages, determine its dimensions, and indicate the most important argumentative strategies included in his messages to create dynamism and effectiveness for the message, which is considered among the most important aspects of communication at the time.

We decided that the study should consist of an introduction, four chapters, and a conclusion summarizing the most important results.

The structure of the study can be summarized as follows:

The first chapter: entitled Pragmatics and Rhetoric... The concept and scope, in which we studied pragmatics, through its concept in the West as well as the Arabs, and its origin, as well as its importance and fields .

The second chapter: which came under the title of the argumentative discourse: its path, manifestations and mechanisms. We defined the concept of argumentation, as well as its most important schools in Western and Arab

culture , both ancient and modern, and explained the types of argumentative discourse and its characteristics, we also explained the mechanisms and techniques of pilgrims through linguistic tools, rhetorical mechanisms and semi-logical mechanisms.

Chapter Three: "The Linguistic Mechanisms of the argumentative discourse in the Letters of Ibn Abi Al-Khisal", In it, we studied linguistic mechanisms, argumentative connections, argumentative factors, linguistic verbs, then semi-logical mechanisms, and argumentative scale, in addition to argumentative adjectives, titles and formulas.

The fourth chapter: entitled the Rhetorical and Deliberative Mechanisms of the argumentative discourse in the Letters of Ibn Abi Al-Khisal , and we have studied the rhetorical mechanisms in it, like metaphor and similes, argumentative division of the whole into its parts, And we studied the arguments of speech acts such as the interrogative, the order and the call, and the argumentation of the imperatives, and the influence and persuasive power of these methods.

These chapters followed by a brief conclusion, recorded the most important results of the study, and summarized the most influential ones.

Conclusion :

- In the introduction, we discussed in some detail the life of the author of the letters (Ibn Abi al-Khasal al-Andalusi), and we concluded in it that he is one of the most important scholars of rhetoric.

In his distinctive style, he was able to reach the highest scientific, literary and political ranks.

His messages were characterized by a high symbolic and rhetorical energy, as his expressions were not strange, nor difficult, but were from the heart of the Arab heritage and were appropriate to its context and position.

That is why his Diwaniya messages that are concerned with the affairs of the kingdom and the state were not in the same style that predominates in the Brotherhood's messages.

And the Brotherhood's messages themselves are not the same, so what was for the purpose of apology was not like those directed at intercession, for example, in apologies, people always reminded their addressees of friendship, affection, and not intending to be estranged, and that the soul longs for loved ones, but life's troubles prevent people from expressing their feelings, while we find him in the messages of intercession using a method, ranging between affection and appreciation and between urging to do good and fulfilling the needs of Muslims, and between mentioning the virtues and advantages of the person interceded for.

With this structure, for example, he has actually done the pillars of the argumentative process, as it proceeds from certain premises and builds a communicative bridge that prepares the person to whom the intercession is directed to accept the argumentative and the practical outcomes of the argumentative process.

- In the first chapter, which is entitled “Pragmatics and Rhetoric... Concept and Field”, which is concerned with pragmatics and its beginnings and fields such as speech acts, especially in Austin and Searle, as well as linguistics of articulation, dialogical imputations and presuppositions.

As for the second part, it was to determine the relationship of pragmatism to rhetoric, and we reached a set of results, some of which are :

- Among the most important of what pragmatics has done is its attempt to bridge the gap left by structural linguistic studies, which did not go beyond the limits of the sentence, and considered that everything outside the context of the syntactic structure of the sentence is not among its interests, as pragmatics worked to solve many linguistic problems because of the focus On the contexts of speech and communication

The pragmatic lesson is one of the most flexible linguistic theories, as it has added a new dimension to the linguistic lesson.

Language is not the only main factor in the message, no matter how high its technical rhetorical level may be.

Rather, there are other levels involved in the communicative act, and it is the recipient who forms a basic link in the communicative act, where his tribal beliefs and knowledge are an essential factor, which the addressee can invest in order to reach the desired response.

- Rhetoric and pragmatics, despite the differences between them in terms of origin, history and ancestry, they agree in their reliance on language as a tool and argumentative tool to influence the recipient.

If pragmatics in its clearest form is the study of language in use, an attempt to clarify the mechanisms of communication, and a study of the elements of discourse and its contexts.

However, These issues are at the core of the rhetorical lesson. The rhetoric scholars wrote them, talked about them and included them in their books, and were present in their grammatical and rhetorical analyzes, and they were fully aware of their importance in producing and constructing discourse, and receiving and analyzing discourse.

Here, the pragmatic lesson converges with the rhetorical lesson in the construction and analysis of linguistic discourse.

- In the second chapter related to the argumentative discourse and its path, manifestation and mechanisms - which took up the bulk of the thesis, since (argument) was the main topic in the subject of our research - we presented the concept of argumentation and its pragmatic and rhetorical dimensions, we have attempted to clarify what argumentation, pragmatism, and rhetoric have in common.

We have also done a brief epistemological and chronological survey of the pilgrims, starting with the ancient Western thought of the Sophists, then Plato and Aristotle, where the status of rhetoric and the honor of its people rose to the modern Western thought.

Where we note that the argument, as presented by Western linguists, is considered a revival of Aristotle's rhetoric theory, which suffered from stagnation and disgust that almost brought it to the point of extinction, especially in the Middle Ages in Europe.

However, the interest in the linguistic and pragmatic lesson, especially the argumentative one, was made by a group of researchers in this field,

including: Perelman, Tettekah, Decro, and Mayer... who made this ancient heritage a basic pillar on which the contemporary argumentation theory arose. These efforts were directed towards re-reading the ancient heritage, describing it and reading it a new reading in the light of what was presented by modern linguistic theories.

- We also tried, during this (chronological survey of arguments), to show the place that arguments had in Arab thought, ancient and modern, although it did not appear in the Arab heritage as a complete science, most of the linguistic and religious sciences and the sciences of speech were not without it.

This is thanks to the important role that argumentation and debate played in the doctrinal and political life in the Arab-Islamic environment.

-We have presented a small part of the contributions of Al-Jahiz, Abdul-Qaher Al-Jurjani and Al-Sakaki, and explained their interest in deliberative and argumentative topics, such as the role of the maqam (the context) and the khatib (the addressing speaker).

As for modern Arab thought, we have tried to show the role played by Arab researchers such as (Salah Fadl, Abdullah Sula, Taha Abd al-Rahman, Abu Bakr al-Azzawi and others...), and how they contributed to developing the field of pragmatism and argumentation through their translations of Western studies. , and their excavation in the Arab heritage - especially the rhetoric - and their analysis of it and resurrecting it, and we have given Muhammad al-Omari and Taha Abd al-Rahman as examples.

In this chapter, we presented the types of argumentative discourse and its characteristics, as well as its mechanisms and techniques from linguistic tools and rhetorical and semi-logical mechanisms.

- As for the third chapter, which is the application of the first, we decided to deal with the linguistic mechanisms of argumentation in the letters of Ibn Abi Al-Khasal,

Through the analysis of some examples selected from the blog, and the search for the argumentation of the factors and the argumentation of the linguistic link in those messages.

We also touched upon the arguments of adjectives, titles and formulas, then the arguments of the objectionable sentences in the style of Ibn Abi al-Khasal and the arguments of repetition, leading to the arguments of ready-made arguments or the arguments of evidence.

Through the Holy Qur'an, the Noble Hadith, Arabic poetry and the proverb in the correspondences of Ibn Abi Al-Khasal, and in sum, we have reached:

- That the writer (Ibn Abi Al-Khasal) has used the argumentative links that serve to link two sayings, or between two arguments more correctly (or more), and assigns each saying a specific role within the general argumentative strategy. Links can be represented by the following tools: rather, but, even, especially, then, because, since...)

He also used the argumentative factors, which do not link argumentative variables (i.e., an argument and a result or between a set of arguments), but rather limit and restrict the argumentative possibilities that are for a statement, and include tools such as: (a little, perhaps, almost, a lot, and most of the exception tools), and this is in order to link the premises or postulates with which the recipient is supposed to fully agree, without any reservation, realizing - Ibn Abi Al-Khasal - that the success of the argumentative process depends on the safety of the transmission

Between arguments and the efficacy of ordering arguments.

The writer (Ibn Abi Al-Khasal) focused in his correspondence that his arguments should be accepted (it cannot be based on an axiom and a premise – In your opinion – no one believes in it except you, as if addressing an atheist, for example, about the Day of Resurrection as an axiom and a creed!).

Whereas the complete lack of agreement on the postulates on the part of the recipients of the speech confuses the communicative process, and is considered a matter of confiscating ideas, and it is a major defect that may spoil the persuasion process in the end.

It is not possible to build a conclusion or reach it if it is not based on data and premises that are acceptable to the addressee.

– The argumentative discourse is a conscious construction process, in which the addressee invests his linguistic and technical abilities, and uses his prior knowledge, whether social, historical or logical.

In order to build a mental or emotional interaction with the recipient, he arranges in it a set of arguments, which he sees in this order benefiting a certain meaning.

It can affect the recipient and make it interact with the intellectual presentation of the addressee or the argument,

And it is the strategy adopted by the writer Ibn Abi al-Khasal, when he was choosing from the most appropriate formulas and adjectives to address (princes, leaders, or other recipients...), in order to attract their attention, sympathize with them, support them , in order to convince them and influence them, and thus achieve the purpose of correspondence, whether it

is an intercession for someone, or fulfilling a Muslim need, or clarifying a matter and deflecting confusion.

- In the fourth chapter (the second applied chapter), which is concerned with the rhetorical and pragmatic mechanisms of argumentation in the letters of Ibn Abi Al-Khasal, we have discussed a number of points for the purpose of addressing them.

The beginning was with the arguments of metaphor because of its importance among the rhetorical mechanisms of the pilgrims, then we moved to the arguments of the analogy, the arguments of subsection or the division of the whole into its parts, to the arguments of rhetoric, all the way to the arguments of the verbal acts and the directives through the interrogative, the command and the appeal, as well as the imperatives .

- Ibn Abi Al-Khasal realized that the successful argumentative discourse is that which proceeds with a clear plan and is aware of its path.

It is not just embellishing phrases, for the strategy is in one way or another a plan or a road map that the preacher or the argumentant pursues with the aim of reaching a specific result, and he takes a certain path in order to reach it.

- And that the discursive strategy is a combination of linguistic tools, psychological factors, technical and rhetorical abilities, and discourses (contextual) conditions and contexts.

The successful preacher or argumentative composes between them and makes a persuasive speech that fits with the recipient.

- With regard to the recommendations, the researcher sees the need for serious work in which a set of criteria are combined, which truly enable the organization of what has been achieved in the field of linguistic study in

general and the pragmatic one in particular, the studies are many and numerous and deserve praise and encouragement, but what is noted is their bifurcation on the one hand and an imbalance – or at least a difference – in controlling the translated terminology, on the other hand.

And all of this in order to ensure the creation of a research environment, because the combined efforts of researchers would elevate the pragmatic and argumentative lesson, and bring it out of its theoretical circle to the level of application and use and benefit from it in our daily life, and at all levels, the media, educational, and even in technology and artificial intelligence such as the revolution in the field of voice recognition.

Finally, I do not pretend to be perfect of this study, and I do not claim that it has reached all its objectives. It is inaccessible aspiration. But I really hope is that I have successes in the performance of the honesty as much as I can.

Researcher



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور بالجلفة . الجزائر



العدد
- 01 -

المجلد السابع

مَجَلَّة

العلوم القانونية والاجتماعية

علمية-دولية-محكمة



العدد الأول - المجلد السابع - 01 مارس 2022 تصدرها جامعة زيان عاشور بالجلفة . الجزائر

issn 2507-7333

العنوان: قسم الحقوق - كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة زيان عاشور بالجلفة

Eissn 2676-1742

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/434>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
مجلة العلوم القانونية والاجتماعية
علمية.دولية.محكمة



Issn: 2507-7333 - Eissn: 2676-1742

دليل المؤلف

1- تقديم المقالات :

ندعو المؤلفين الراغبين في نشر مقالاتهم في " مجلة العلوم القانونية والاجتماعية " الاطلاع على الأقسام: "تعليمات للمؤلفين" و "دليل للمؤلفين" لمساحتنا المحجوزة على منصة المجلات العلمية الجزائرية :

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/434>

المؤلفون مدعوون لتقديم أوراقهم البحثية عن طريق المنصة ASJP بصيغة Word . يمكن القيام بذلك عن طريق النقر على الأيقونة إرسال المقالة على يسار الشاشة في رابط المنصة ASJP:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/434>

إذا كان لدى المؤلفين اسم مستخدم / كلمة مرور ل " مجلة العلوم القانونية والاجتماعية " :

[Aller à la connexion](#)

هل تحتاج إلى اسم مستخدم / كلمة مرور؟ |

[Aller à l'inscription](#)

ملاحظة: مطلوب التسجيل والدخول لتقديم المقالات عبر الإنترنت وللتحقق من وضعية المقالات

2 - المبادئ التوجيهية للمؤلف:

• ندعو المؤلفين إلى قراءة ومتابعة هذه التوصيات بعناية ؛ • يحق لرئيس التحرير إعادة الأوراق البحثية التي لم يتم تقديمها وفقا لهذه التوصيات.

3 - عملية تقييم المقال:

3-1. الخطوة الأولى:

يتم فحص المقال بشكل سري على مستوى لجنة القراءة للمجلة، التي تجتمع بانتظام وتتدخل في مرحلة ما قبل التقييم . حيث تقدم قرارا بأهلية المقالات قبل إرسالها إلى المحررين المساعدين. إذا كان القرار سلبيا فسيتم رفض المقال على المنصة مع إعلام صاحب المقال بسبب الرفض. يمكن للمؤلف إعادة إرساله مع الأخذ بعين الاعتبار التوصيات المقدمة .



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
مجلة العلوم القانونية والاجتماعية
علمية.دولية.محكمة



3-2 . الخطوة الثانية:

في الحالة التي تكون فيها المقالة مؤهلة للتقييم (تم إعدادها وفق قالب المحلة ووفق شروط النشر)، سيتم إرسالها في حالة مشفرة للمحرر المساعد ذي الاختصاص، والذي بدوره سيقدمه إلى مراجعين إثنين في شبكته. سيتولى المراجعين مسؤولية تحكيم الورقة البحثية وفقا لاستمارة تقييم موحدة متوفرة على المنصة ASJP بشكل إلزامي.

ملاحظة: يمكن للمحرر المساعد المرتبط أيضا تقييم المقالة إذا رغب في ذلك. توفر سكرتارية المحلة المواجهة بين مؤلفي المقالات والمحريين، المساعدين.

4- فترة تقييم المقالات : تمنح فترة تقييم مدتها 30 يوما ، ولكن يستغرق المراجعون مدة تمتد لشهرين في المتوسط لإرسال نتائج التقييم إلى أمانة المحلة .

5- حالة تقييم المقالات : فعندما يتلقى مشروع المقال رأيا إيجابيا وآخر سلبيا، يطلب إجراء تقييم ثالث من مراجع آخر، مع مراعاة أصله، وطنيا أو أجنبيا.

6- إعداد المقال :

التسريع عملية نشر المقالات في " مجلة العلوم القانونية والاجتماعية " ندعو المؤلفين لاستخدام نموذج المحلة. يتوفر قالب للمؤلفين في قسم "تعليمات للمؤلف" لإدراج مقالاتهم. يمكن للمؤلفين تنزيل القالب من قسم "تعليمات للمؤلف"، حيث يمكنهم الوصول إلى هذا الفضاء عن طريق زيارة :

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/434>

ثم انقر على "تعليمات للمؤلف" على الجانب الأيسر من الشاشة.

7- الاطلاع على ملف دليل المؤلف:

بالضغط على أيقونة "دليل المؤلف" يتم تحميل ملف مضغوط، وهو توجيه لصاحب المقال يوضح طريقة إرسال المقال، كما يتضمن حقوق المؤلف الخاص بالمحلة ويتضمن أيضا خطاب تعهد يمضي عليها صاحب المقال توضح أن الملكية الفكرية تعود للمجلة فقط.

8- إرسال المقال:

بعد إعداد المقال وفق القالب المحلة الذي تم تحميله، والإطلاع على دليل المؤلف، يتم الضغط على أيقونة "إرسال مقال". تظهر استمارة للملء تتضمن مختلف البيانات الخاصة بالمقال وبالمؤلفين : لغة المقال؛ عنوان المقال؛ الملخص؛ كلمات مفتاحية؛ الاسم الكامل للمؤلف؛ مؤسسة الانتماء؛ الايميل (ويمكن إضافة مؤلف ثان)؛ اقتراح مراجعين.



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
مجلة العلوم القانونية والاجتماعية
علمية.دولية.محكمة



9- إشعار باستلام مقال :

في حالة نجاح عملية إرسال المقال على المنصة تظهر رسالة على الشاشة تبين ذلك. وفي مرحلة موائية يستلم المؤلف المرسل على إيميله الشخصي إشعار بتقديم مقال، وإشعار للمؤلف الثاني على إيميله لتأكيد اشتراكه في المقال.

10- إشعار برفض المقال:

إذا تبين أن المقال لا يحترم قالب المحلة وشروط النشر فسيتم إشعار المؤلف برفض المقال.

11- متابعة وضعية المقال على المنصة:

يمكن للمؤلف الدخول على حسابه في المنصة ومتابعة وضعية مقاله مرحلة بمرحلة وذلك بالضغط على أيقونة:

"المقالات" ثم الضغط على أيقونة: "المقالات المرسله" سيظهر جدول يحمل تفاصيل المقال من: عنوان؛ تاريخ الإرسال؛ اسم المحلة؛ التفاصيل الحالية. وهذه الأخيرة تمر على عدة مراحل :

- المرحلة 1: قبول أو رفض التحكيم - المرحلة 2: مقال في انتظار المراجعة - المرحلة 3: اسناد المقال للمراجعين - المرحلة 4: قرار المراجعين بقبول المقال أول رفضه أو طلب التعديل

(أنظر المخطط المرفق في الصفحة الموالية)

12- سياسة الانتحال:

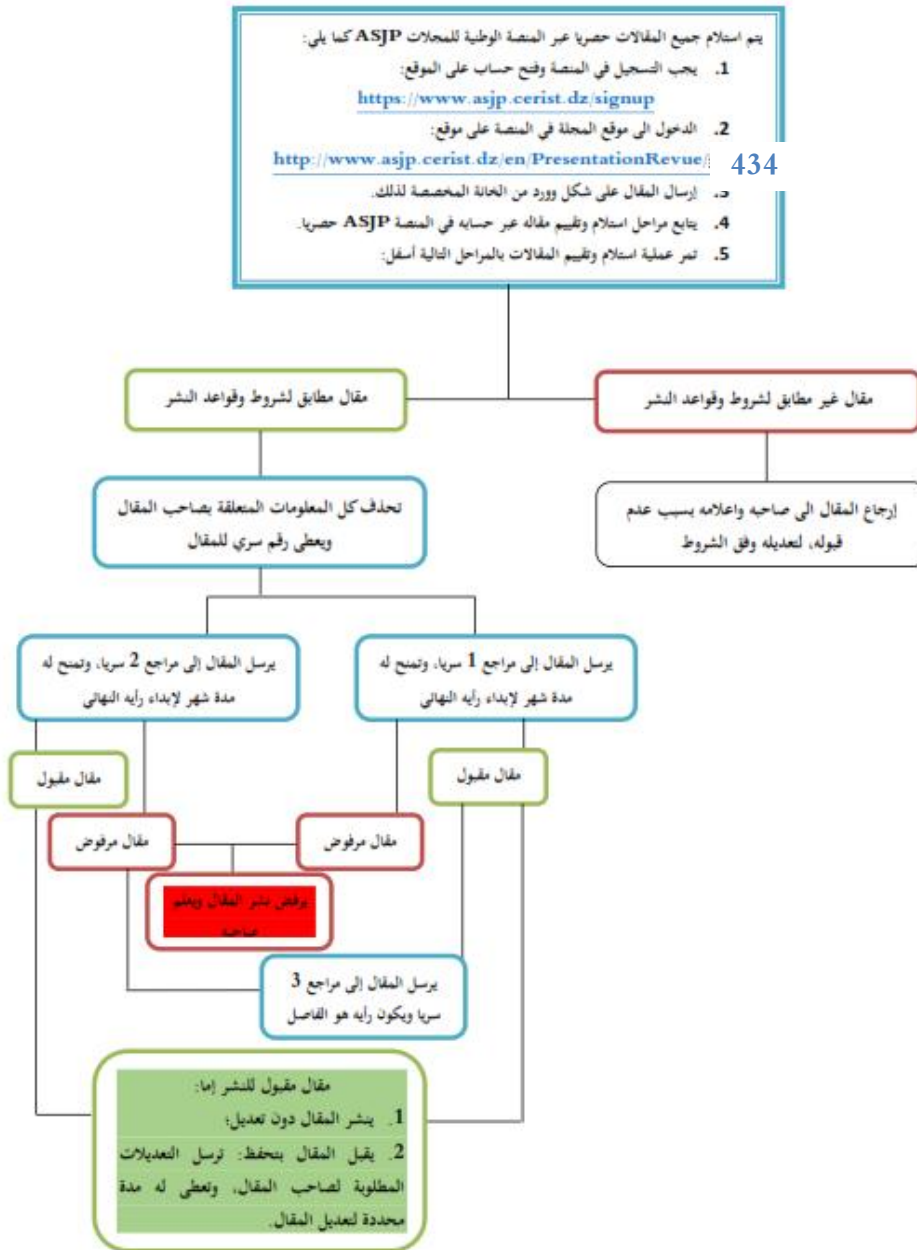
تشكل السرقة العلمية، بجميع أشكالها سلوكا غير أخلاقي للمجلة. ولا يتم قبول أي خرق لهذه القاعدة. ولن يتم قبول أي مقال آخر للمؤلف الذي قام بالانتحال من خلال المراجعة التي أجريناها.



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
مجلة العلوم القانونية والاجتماعية
علمية.دولية.محكمة



مخطط توضيحي



هيئة المجلة

الرئيس الشرفي للمجلة

الأستاذ الدكتور: عيلام الحاج مدير جامعة الجلفة

رئيس التحرير

أحمد بـورزقجامعة الجلفة

هيئة التحرير

الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور عيسى بن مصطفى
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور أحمد حمزة
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور مسعود هلاي
الجزائر	جامعة الأغواط	الدكتور بلخير عمrani
الجزائر	جامعة المسيلة	الدكتور حمد بوجمعة
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتورة بيدي أمال
الجزائر	جامعة الوادي	الدكتور عوادي مصطفى
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور يوسف زروق
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتورة حجاج مليكة
الجزائر	جامعة البلدية	الدكتورة كحيل حياة
الجزائر	جامعة المدينة	الدكتور لخضر حليس
الجزائر	جامعة سطيف	الدكتور محمد بونوة
الجزائر	جامعة الأغواط	الدكتور بن قويدرزبيري
المغرب	جامعة القرويين	الدكتورة للاعائشة عدنان
لبنان	الجامعة اللبنانية	الدكتورة جهان فقيه
تونس	جامعة قفصه	الدكتورة المومني فاطمة
مصر	جامعة بنها	الدكتور محمد طلعت عبد المجيد يدك
العراق	جامعة تكريت	الدكتور فحطان عدنان
العراق	جامعة ميسان	الدكتور علي ابو محمد
العراق	وزارة التربية	الدكتور العزاوي حفي حمدي خلف حسام
الجزائر	جامعة برج بوعريريج	الدكتور بن شويحة علي
الجزائر	جامعة خميس مليانة	الدكتورة جبار جميلة
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور بن داود براهيم
المغرب	جامعة أكادير	الدكتور عمر مبركي
المغرب	القرويين	الدكتور محمد زهير
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتورة عمراوي مارية
الجزائر	جامعة الجلفة	الأستاذ الدكتور أحمد طعيبة
العراق	وزارة التعليم العالي	الدكتور سمر الخزرجي
قطر	جامعة حمد بن خليفة	الأستاذ بدران مسعود بن لحسن
العراق	جامعة الموصل	الدكتور زياد عبد الوهاب عبدالله
العراق	وزارة التعليم العالي	الدكتور البياتي رعد
العراق	المديرية العامة للتربية	الدكتور حسين حسين زيدان الخلف
لبنان	الجامعة اللبنانية	الدكتورة جهان فقيه
السعودية	جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل	الدكتورة فاطمة أبو الحديد
تونس	جامعة قفصه	المومني فاطمة
سوريا	جامعة دمشق	الدكتورة صفاء اوتاني
المغرب	جامعة فاس	الدكتور مهندس عدنان
الجزائر	جامعة خنشلة	الدكتور كواشي مراد
الأردن	الجامعة الاردنية	محمد عبد الحفيظ المناصير

اللجنة العلمية

البلد	الجامعة	الاسم واللقب
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور عيسى بن مصطفى
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور أحمد حمزة
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور عبد الرحمن هزرتي
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور بلقاسم مخلط
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور يوسف زروق
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور مسعود هلاي
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور كمال جعلاب
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور سبع زيان
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور حميد محديد
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور حليلة بسعود
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور عبد القادر كاس
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتورة عمراوي مارية
الجزائر	جامعة الجلفة	الأستاذ بناحمد عبد المنعم
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور مصطفى داودي
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور بن سالم المختار
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور حوسين بلخيرات
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتورة عيشة خلدون
الجزائر	جامعة أم البواقي	الدكتورة إبريغم سامية
الجزائر	جامعة غرداية	الدكتور علي بونوة
الجزائر	جامعة غرداية	الدكتور مصيطفى محمد السعيد
الجزائر	جامعة غرداية	الأستاذ بوزكري سليمان
الجزائر	المركز الجامعي أفلو	الدكتور مصطفى قزران
الجزائر	جامعة تسمسليت	الدكتور عبد القادر زرقين
الجزائر	جامعة خنشلة	الدكتور عبد المجيد بن يكن
الجزائر	جامعة خنشلة	الدكتور ياسين قوتال
الجزائر	جامعة الأغواط	الدكتور بن قويدرزبيري
الجزائر	جامعة الأغواط	الدكتور لخضر رابعي
الجزائر	جامعة الأغواط	الدكتور بلخير عمrani
الجزائر	المركز الجامعي ميله	الدكتور بوسالم بويكر
الجزائر	جامعة المدينة	الدكتور هارون أرون
الجزائر	جامعة المدينة	الدكتور لعروسي حميد
الجزائر	جامعة المسيلة	الأستاذ حمد بوجمعة
الجزائر	جامعة المسيلة	الدكتور لجلط فواز
الجزائر	جامعة سطيف	الدكتور محمد بونوة
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتورة هواري صباح
الجزائر	جامعة المسيلة	الدكتورة نادية ضريفي
الجزائر	جامعة بشار	الدكتور معاشو لخضر
الجزائر	جامعة بجاية	الدكتور أوكيل محمد أمين
الجزائر	جامعة تندوف	الدكتور حمودي حمد
الجزائر	جامعة المسيلة	الدكتور موسى بن سعيد
الجزائر	جامعة ادرار	الدكتور الصادق عبد القادر
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور حجاج مليكة
العراق	جامعة ميسان	الأستاذ علي ابو محمد
الإمارات	جامعة الغرير	الأستاذ ياسر عبد الحميد محمد الافتيحات
سلطنة عمان	جامعة السلطان قابوس	الدكتور راشد بن محمد بن محمد البلوشي
المغرب	جامعة القرويين	الدكتورة للاعائشة عدنان

العراق	جامعة تكريت	الدكتور قحطان حارث
سلطنة عمان	جامعة ظفار	الدكتور أحمد محمد أحمد الزين
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور بلعاب بلقاسم
الجزائر	المركز الجامعي بريك	الدكتور نبيل ونوغي
الجزائر	جامعة الأغواط	الدكتور بن جلول مصطفى
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتورة فيرم فاطمة الزهراء
المغرب	جامعة فاس	الدكتور كضوار عثمان
الجزائر	جامعة خنشلة	الدكتورة بولقواس ابتسام
الجزائر	جامعة أدرار	الدكتور بن عومر محمد الصالح
الجزائر	جامعة المدينة	الدكتور حلیم لعروسي
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور بن العربي يحي
الجزائر	جامعة الجلفة	الدكتور قصير يمينة
الجزائر	جامعة الأغواط	الدكتورة لسيط لدمية
الجزائر	جامعة ميلة	الدكتور بعوش دليلة
الجزائر	جامعة سيدي بلعباس	الدكتورة بودلال فطومة
الجزائر	جامعة بومرداس	الدكتورة تريعة نورة
الجزائر	جامعة تيسمسيلت	الدكتور توفيق مالكي
الجزائر	جامعة بسكرة	الدكتور حمدان محمد الطيب
الجزائر	جامعة سكيكدة	الدكتورة خريسي سارة
الجزائر	جامعة سيدي بلعباس	الدكتورة رمدموم نورة
الجزائر	جامعة البيض	الدكتور ضيف شعيب
الجزائر	جامعة بشار	الدكتور عبد الحلیم موساوي
الجزائر	جامعة البويرة	الدكتورة لوني نصيرة

السكرتارية

الجزائر	المركز الجامعي آفلو	الدكتور كمال بورزق
الجزائر	المركز الجامعي آفلو	الدكتور بن سالم المختار
الجزائر	المركز الجامعي مغنية	الدكتور بن سالم أحمد عبد الرحمان

ملاح

ظة

المراسلات تكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة

في البوابة الوطنية للمجلات العلمية

www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/434

اللجنة العلمية		
الاسم واللقب	الجامعة	البلد
الدكتور هشام عزي	/	المغرب
الدكتور ساجد صبري الدليبي	الجامعة العراقية	العراق
الدكتور صفاء اوتاني	/	الجزائر
الدكتور كواشي مراد	جامعة خنشلة	الجزائر
الدكتورة لدغش رحيمة	جامعة الجلفة	الجزائر
الدكتورة لدغش سليم	جامعة الجلفة	الجزائر
الدكتورة نوال ابريان	المركز الجامعي بتيبلزة	الجزائر
الدكتور عبد الكريم جمال	جامعة الجلفة	الجزائر
الدكتورة يمينة شودار	جامعة الجزائر 1	الجزائر
الدكتور عجال يونس	جامعة الجزائر 1	الجزائر
بن سعيد أمين	جامعة الجزائر 1	الجزائر
الدكتور بلال شيخي	جامعة بومرداس	الجزائر
الدكتور هامول طارق	جامعة بشار	الجزائر
الدكتور رفاف لخضر	جامعة برج بوعريج	الجزائر
الدكتورة سباح فطيمة	المركز الجامعي لغيليزان	الجزائر
الدكتور يامة براهيم	جامعة أدرار	الجزائر
الدكتور بن خضرة زهيرة	جامعة البليدة	الجزائر
الأستاذ بوسوار محمد	جامعة تيارت	الجزائر
الدكتورة خالدي فتيحة	جامعة البويرة	الجزائر
الدكتور حفصي عباس	جامعة الأغواط	الجزائر
الدكتور داود كمال	جامعة المسيلة	الجزائر
الدكتور طافر زهير	جامعة بشار	الجزائر
الدكتور هشام عزي	/	المغرب
الدكتور ساجد صبري الدليبي	الجامعة العراقية	العراق
الدكتور منصور داود	جامعة الجلفة	الجزائر
الدكتور كواشي مراد	جامعة خنشلة	الجزائر
الدكتور عزي هشام	/	الجزائر
الدكتورة لدغش رحيمة	جامعة الجلفة	الجزائر
الدكتورة لدغش سليم	جامعة الجلفة	الجزائر
الدكتور عبد الكريم جمال	جامعة الجلفة	الجزائر
الدكتورة يمينة شودار	جامعة الجزائر 1	الجزائر
الدكتور عجال يونس	جامعة الجزائر 1	الجزائر
بن سعيد أمين	جامعة الجزائر 1	الجزائر
الدكتور بلال شيخي	جامعة بومرداس	الجزائر
الدكتور حامول طارق	جامعة بشار	الجزائر
الدكتور رفاف لخضر	جامعة برج بوعريج	الجزائر
الدكتورة سباح فطيمة	المركز الجامعي لغيليزان	الجزائر
الدكتور يامة براهيم	جامعة أدرار	الجزائر
الدكتور بن زيطة عبد الهادي	جامعة أدرار	الجزائر
الأستاذ بوسوار محمد	جامعة تيارت	الجزائر
الدكتورة بلعباس عيشة	جامعة الجلفة	الجزائر
الدكتور بركات حمزة	مركز البحث العلمي	الجزائر
الدكتور جمال رواب	جامعة خميس مليانة	الجزائر
الدكتورة بودلال فطومة	جامعة سيدي بلعباس	الجزائر
الدكتور طحطاح غلال	جامعة خميس مليانة	الجزائر
الدكتورة سباح فطيمة	جامعة غليزان	الجزائر

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة	الرقم
"معايير الحكامة البيئية كرهان لعقلنة التوسع العمراني في الجزائر: من التأصيل والتخطيط إلى أدوات التجسيد أوكيل محمد أمين كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة بجاية (الجزائر)	1	01
"معايير تصنيف المساجين في السياسة العقابية الجزائرية" نورية كروش، كلية الحقوق جامعة الجزائر 2 (الجزائر)	14	02
-دراسة الأخطاء الكتابية عند المعاقين سمعيا - دراسة مقارنة بين التلاميذ المعاقين سمعيا والتلاميذ العاديين بالسنة الرابعة ابتدائي براهيمي سعاد ، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، (الجزائر) حمري أمال، العيادة الأرفقونية الملاك الطاهر بالأغواط، (الجزائر)	35	03
Gender and the Chronotope: a Feminist Reading of the Historical Chronotope in Margaret Atwood's The Penelopiad (2005) SELT Djihad Afaf , -Djilali Liabes University , SBA, Algeria Fatiha KAID BERRAHAL -Ecole Normale Superieur , Oran , Algeria	62	04
L'élaboration extranationale des constitutions des Etats en crise Les exemples irakien et tunisien HADDAD Mohammed -Université D'Oran2 Mohamed Ben Ahmed Oran, Algérie	72	05
Sociometry as an attitude scale : Theoretical Essay Lebsir Soufyane -Department of Psychology. Amar Telidji University, Laghouat(Algeria),	83	06

العنوان	الصفحة	الرقم
The Southern American Border: A History of Political and Legal Upheaval ARIBI BRAHIM -Lecturer C/B, Department of English, University of Laghouat (Algeria),	96	07
The Uncanny of Nefisa's Deficiency: an Impact of Material and Social Issues in Naguib Mahfouz' the Beginning and the End ALIOUI Djouhayna - University Lounici Ali, Blida2 (Algeria) Dr. Mohamed CHAABANE ALI University Lounici Ali, Blida2, (Algeria)	111	08
آثار الانسحاب بالإرادة المنفردة من المعاهدة الدولية جيلالي شويرب، جامعة الأغواط، (الجزائر) فائزة مراد، جامعة المدية، (الجزائر)	125	09
آليات حماية حقوق الإنسان في منظومة الأمم المتحدة جلال الدين عدناني، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية-جامعة وهران 1. (الجزائر) أ د/ حزاب ربيعة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية-جامعة وهران 1. (الجزائر)	138	10
آلية الاشتقاق المصرفي وصناعة المصطلح العلمي الحديث طرش لخضر، المركز الجامعي بأفلو (الجزائر)	159	11
أثر التنشئة السياسية على الممارسة الديمقراطية صبيحة عبد اللاوي، جامعة البليدة 2 علي لونيبي البليدة، (الجزائر)	170	12
أثر تحول الشركة التجارية على مبدأ استمرار الشخصية المعنوية (دراسة مقارنة) ط.د/ بن سالم أحمد عبد الرحمان، المركز الجامعي مغنية (الجزائر)	184	13
أثر جائحة كورونا (كوفيد 19) على تنفيذ الوسائل القانونية للضبط الإداري ط.د/ طيبي المسعود- طالب دكتوراه كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة البليدة 2 (الجزائر) د. بوجمعة شهرزاد- كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة البليدة 2 (الجزائر)	205	14

الرقم	الصفحة	العنوان
15	223	أثر عمل المرأة على النفقة الزوجية في القوانين المغاربية للأسرة بين مرجعية الفقه الإسلامي و تأثير الاتفاقيات الدولية ط.د. قطواش فطيمة- جامعة ابن خلدون -تيارت-(الجزائر) بالجيلالي خالد- جامعة ابن خلدون -تيارت-(الجزائر)
16	242	أثر فقه القاضي عبد الوهاب المالكي على المدرسة العراقية رمضان بلعمش- جامعة أحمد بن بلة وهران 1، (الجزائر) شوالين محمد سنوسي- جامعة أحمد بن بلة وهران 1، (الجزائر)
17	260	أحكام السفر و الانتقال بالمحزون في التشريعات العربية (دراسة مقارنة بين التشريعات المشرقية و المغاربية) سلوغة عبد الرحمان -جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر) فليغة نور الدين -جامعة باجي مختار عنابة(الجزائر)
18	281	أسس بناء الثقافة التنظيمية وفق مبادئ إدارة الجودة الشاملة محمد مخلوفي - مخبر علم الاجتماع المنظمات والمناجمنت جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
19	301	أطفال الشوارع بين مثالب التهميش، الانحراف والاستغلال سامية شينار - جامعة باتنة 1، (الجزائر)
20	316	أهمية مبدأ الأمن القانوني وعلاقته بحماية حقوق الطفل في ضوء قانون 15-12 صباح عسالي، جامعة الجلفة(الجزائر)
21	330	إرجاء مجلس الأمن لاختصاص المحكمة الجنائية الدولية قاري علي -كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة سكيكدة(الجزائر)
22	341	إشكالية تطبيق نظام التقاعد في الجزائر بين التشريع والتنظيم خليفي محمد - المركز الجامعي صالحى أحمد النعام، (الجزائر)
23	360	اخلاقيات التدريس في الجامعات العراقية سميرة حسن عطية - الجامعة المستنصرية(العراق)

العنوان	الصفحة	الرقم
اكتساب الحق في ملكية العلامة وفقدانه باقدي دوجة، جامعة امحمد بوقرة بومرداس، (الجزائر)	376	24
الآليات القانونية الوقائية لحماية المستهلك من المورد الإلكتروني في التشريع الجزائري عيمور راضية، جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)	388	25
الآليات القانونية والتقنية لمواجهة المخاطر التكنولوجية بطاقة الائتمان نموذجا. عكوش سهام، جامعة امحمد بوقرة بومرداس، (الجزائر)	400	26
الأحكام العامة للإبراء من الدين بين الفقه الإسلامي والقانون الجزائري الهاشمي تافرونت، جامعة خنشلة (الجزائر)	412	27
الأسس المعرفية والمنهجية لدراسة التراكيب النحوية عند عبد القاهر الجرجاني حمزة بوجمل، المركز الجامعي - آفلو (الجزائر)	433	28
الأمن القانوني بين المثبّطات والحماية. جعفر خديجة، جامعة زيان عاشور، الجلفة، (الجزائر)	448	29
الإبداع التنظيمي في المنظمات العامة الجزائرية، الواقع، العوائق، المتطلبات عبدالله جوزة، جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)	464	30
الإطار المؤسسي لتسيير المناطق الصناعية بالجزائر كحلول سامي، جامعة محمد خيضر بسكرة، (الجزائر). يوسف نور الدين، جامعة محمد خيضر بسكرة، (الجزائر).	481	31
الإعتماد كضمانة للمكاتب في مجال الترقية العقارية مهوب يزيد، بوعافية رضا جامعة برج بوعرييج، (الجزائر)	499	32
الاستراتيجية الحجاجية في الخطاب الترسلي - رسائل ابن أبي الخصال أنموذجا خليل تيووة، جامعة تلمسان (الجزائر) بوفاتح عبد العليم، جامعة الأغواط (الجزائر)	511	33
الانزياح الدلالي في أدب رسائل القرن الرابع الهجري - رسائل أبي إسحاق الصابي أنموذجا بلحوت آمال، عامر مسعود جامعة عمار ثليجي الأغواط، (الجزائر)	528	34

العنوان	الصفحة	الرقم
التصور الجنائي للأدلة الرقمية في الفقه الإسلامي والقانون الجزائري. داودي مخلوف، جامعة غرداية، (الجزائر).	537	35
التعلم الرقمي و أثره على المتعلم وفاء نوري، جامعة زيان عاشور، (الجزائر).	552	36
التكييف القانوني لجرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر مسيكة محمد الصغير، جامعة تيسمسيلت (الجزائر).	567	37
التمكين الإقتصادي للمرأة الجزائرية بين القانون والواقع. الطيب بوهلال، جامعة الجلفة زيان عاشور، (الجزائر)، تواتي أحمد، جامعة الجلفة زيان عاشور، (الجزائر)	583	38
التنمر الإلكتروني؛ المفهوم والمصطلح منال كبور، جامعة باتنة 1، (الجزائر) بوعمامة العربي جامعة مستغانم، (الجزائر)	602	39
الحسبة والرقابة الشرعية للغذاء والدواء. سعاد بكاي كلية العلوم الإسلامية، الخروبة، (الجزائر)، عبد القادر بن عزوز كلية العلوم الإسلامية، الخروبة، (الجزائر)	619	40
الحماية الجنائية للمستهلك الإلكتروني وفكرة الأمن القانوني. مجدوب نوال المركز الجامعي مغنية (الجزائر).	636	41
الحماية الدستورية والقانونية للحريات كقيد على سلطة الضبط الإداري بن مسعود أحمد، جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)	656	42
الحماية الدولية للتراث الثقافي دعامة أساسية لترقية السياحة الثقافية بن حامة فارس، زرقان وليد جامعة سطيف2 (الجزائر)	670	43
الحماية القانونية للمستهلك في التشريع الجزائري نوادري فريدة جامعة المسيلة، (الجزائر)	684	44

الرقم	الصفحة	العنوان
45	698	الذكاء الانفعالي وعلاقته بالسلوك العدواني لدى عينة من الأحداث الجانحين (دراسة مقارنة بين الذكور و الإناث) مهي وسيلة ، جامعة لونيبي علي البليدة 2، (الجزائر) بوعافية نبيلة ، جامعة لونيبي علي البليدة 2، (الجزائر)
46	722	الرفاه النفسي لدى المصابين بأمراض مزمنة (السرطان نموذجا). عليوة سمية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، (الجزائر). تعوليت شرار، جامعة الحاج لخضر باتنة 1، (الجزائر).
47	737	الرياضيات من وسيلة تعبير عن الواقع إلى أداة للكشف عنه. يوسف بن زهرة، جامعة ابن خلدون بتيارت، ملحقة قصر الشلالة (الجزائر)
48	753	السندات الخزينة العمومية وسندات الإستحقاق في القانون الجزائري. زروقي بوزناد، جامعة وهران 2 محمد بن احمد، الجزائر.
49	783	الشبكات الاجتماعية ودورها في تشكيل الرأي العام. خديجة ريغي، جامعة عبد الحميد بن باديس، (الجزائر) فلاق شبرة صالح جامعة عبد الحميد بن باديس، (الجزائر).
50	795	الشخصية الإسلامية بين إيديولوجيا الدين وصناعة الحضارة . الحسن ابن الهيثم نموذجا. هواري عبد القادر، كلية العلوم الاجتماعية جامعة عمار ثلجي الاغواط (الجزائر) .. بلقاسم بن شعيب، كلية العلوم الاجتماعية جامعة عمار ثلجي الاغواط (الجزائر)
51	806	الشراكة الية قانونية لانشاء واستغلال المرافق العمومية – تحلية مياه البحر نموذجا. عزالدين بوجلطي ، كلية الحقوق – جامعة الجزائر 1
52	824	الطبيعة القانونية لعقود الشراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص. عمران عائشة، بوحوية أمال جامعة عمار ثلجي، (الجزائر)
53	835	الطبيعة القانونية للصفقة العمومية في الجزائر خلدون عيشة جامعة زيان عاشور بالجلفة، (الجزائر)
54	852	العقوبات الدولية الإنفردية خارج إطار الأمم المتحدة "الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجا" " العارية بولرباح، جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)

الرقم	الصفحة	العنوان
55	869	العولمة الاعلامية ماهيتها و مظاهرها وانعكاساتها على دول العالم الثالث بن دبلة قويدرالمركز الجامعي أفلو، (الجزائر)
56	883	القياس الجيد لجودة الحياة برجان وردة، جامعة مولود معمري تيزي وزو(الجزائر) خلفان رشيد ، جامعة مولود معمري تيزي وزو(الجزائر)
57	897	المركز القانوني للأيتام في القانون الجزائري حموم جعفر، جامعة البليدة 2، الجزائر
58	910	المسؤولية المدنية الناشئة عن استخدام وسائل الدفع الالكتروني أم الخير قوق، جامعة عمار ثليجي،(الاغواط) حنان طهاري جامعة عمار ثليجي،(الاغواط)
59	930	المستشرق جولد تسهر وموقفه من الإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم لوز إيمان، جامعة الأمير عبد القادر-الجزائر - شكريب أسيا ، جامعة الأمير عبد القادر-الجزائر
60	943	المصلحة الاجتماعية عند علال الفاسي من خلال كتابه دفاع عن الشريعة سناء بن الشيخ، جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة (المغرب)
61	959	المهارات القيادية وأثرها على أداء فرق العمل دراسة سوسيو-تنظيمية بشركة اتصالات الجزائر بادرار عيسى سالم، مهيري دليلة، جامعة غرداية،(الجزائر)
62	979	النخبة الجامعية المثقفة ودورها في تعزيز القيم الاجتماعية. عيساوي عائشة، جامعة لونسي علي- البليدة 2، (الجزائر) أوسرير محمد جامعة لونسي علي- البليدة 2، (الجزائر)
63	989	النشاط السياسي للشيخ سعيد الزاهري بمدينة وهران 1928.-1949 بلحاج محمد، جامعة 1 أحمد بن بلة (الجزائر).
64	1005	النظم الانتخابية في التجربة الجزائرية على ضوء التحولات الدستورية والقوانين الانتخابية عمران محمد ، جامعة الجلفة (الجزائر)

العنوان	الصفحة	الرقم
الهجرة غير الشرعية والأمن الإنساني في الجزائر بين التأثير والمواجهة منصوري نوال، حقاني حليلة، جامعة الجزائر 3 (الجزائر).	1016	65
الهويات الافتراضية وتمثلاتها عبر الفضاءات الرقمية في الجزائر مقديش عواطف معهد الصحافة وعلوم الإخبار (تونس)	1035	66
الهيئة التشريعية في الجزائر وأبعادها الإيديولوجية، المجلس الشعبي الوطني الجزائري أنموذجاً الزيربن عون، جامعة عمار ثليجي الأغواط، (الجزائر)	1053	67
بيئة العمل (الأرغونوميا) النشأة والتعريف والانواع بونوة علي، جامعة غرداية (الجزائر)	1076	68
بيئة العمل الداخلية وعلاقتها بمستوى الضغط النفسي لدى عينة من أساتذة التعليم الإبتدائي بمدينة الأغواط (دراسة إرتباطية تنبؤية). مرباح أحمد تفي الدين جامعة زيان عاشور الجلفة، (الجزائر)	1100	69
تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة مهنيا. مروة بن تواتي، جامعة عمار ثليجي/ الأغواط، (الجزائر) سعيدة زيزاح، جامعة عمار ثليجي/ الأغواط، (الجزائر)	1116	70
تجارب تصميم وبناء المكتبات الرقمية باستخدام البرمجيات مفتوحة المصدر: تجربة مكتبة كلية العلوم والتكنولوجيا جامعة الجلفة بالجزائر أنموذجاً. هتهات محمد، جامعة الجلفة، (الجزائر) صاحبي محمد، جامعة وهران 1، (الجزائر)	1131	71
تحديات تطبيق التسويق الاجتماعي في تعزيز القيم البيئية بالمجتمع الجزائري. حجار خرفان خيرالدين، جامعة الجزائر 3 (الجزائر) نبيلة بوخيزة، جامعة الجزائر 3 (الجزائر)	1151	72
تحديد جنس الجنين طبيا في ضوء الشريعة الإسلامية والتشريع الجزائري الزهرة هراوة، جامعة زيان عاشور الجلفة، (الجزائر) عيسى معيزة جامعة زيان عاشور الجلفة، (الجزائر)	1163	73

الرقم	الصفحة	العنوان
74	1188	تداعيات جائحة كوفيد-19 و تمثلاتها على النوع السكاني و الاجتماعي:الجزائر أنموذجاً. أمزيان نعيمة جامعة عمار ثليجي-الأغواط، (الجزائر)
75	1205	تشخيص صعوبات تعلم الكتابة (الديسغرافيا) واستراتيجيات علاجها عمران ماجدة، جامعة الجلفة (الجزائر)
76	1217	تفعيل مبدأ التسوية الودية لمنازعات الصفقات العمومية (دراسة في ظل المرسوم الرئاسي 15-247). بوسعدية رؤوف جامعة محمد لمين دباغين سطيف2(الجزائر)
77	1233	تكريس مبدأ الحيطة في التشريع الصّحي الجزائري ضمانا للتّوفيق بين حماية الصّحة والبيئة قداري أمال جامعة تيارت، (الجزائر)
78	1245	تمويل الاستثمار الوقفي في الفقه الإسلامي وقانون الأوقاف الجزائري. سامي حبيلي، جامعة تيسمسيلت(الجزائر)
79	1262	تنفيذ أحكام الجهات القضائية الإدارية ضد الإدارة العامة في التشريع الجزائري. سرباح أحمد، المركز الجامعي بمغنية(الجزائر) جباري زين الدين، جامعة سيدي بلعباس، (الجزائر)
80	1284	حق الضحايا في الحماية أمام المحكمة الجنائية الدولية. لعدايسية فوزي جامعة عنابة (الجزائر)
81	1296	حقوق الإنسان في الوطن العربي بين الممارسة والواقعية لعروسي سليمان ، جامعة زيان عاشور بالجلفة (الجزائر)
82	1321	حماية الطفل من مخاطر اللعب في القانون الجزائري مرابط أمال ، جامعة برج بوعرييج (الجزائر)
83	1343	حماية المستهلك في ظل وسائل التسويق الحديثة عيساوي عبدالقادر، جامعة غرداية، (الجزائر)
84	1355	خضوع الرخص الإدارية لمبدأ المشروعية بوكرش بلقاسم ، بركات محمد ، جامعة محمد بوضياف المسيلة

الرقم	الصفحة	العنوان
85	1369	دراسة تحليلية لعينة من بحوث ودراسات عربية حول استخدام استراتيجيات خرائط المفاهيم عبد الحفيظي يحيى، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (الجزائر) جخراب محمد عرفات جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (الجزائر)
86	1387	دور القراءة الإلكترونية في دعم تطبيق التعليم عن بعد في الجامعة الجزائرية: دراسة ميدانية على طلبة السنة الأولى علوم إنسانية. جامعة باجي مختار عنابة. لزهر بوشارب بولوداني، جامعة عنابة (الجزائر)
87	1416	دور المنهج المقارن في إبراز مكانة الفقه الإسلامي بين النظم القانونية الغربية. طروب كامل جامعة باتنة 1، (الجزائر)
88	1431	رصد تراجع وضعف دور مجلس الأمن الدولي في التعامل مع مختلف القضايا الدولية بومليك عبد اللطيف، جامعة سيدي بلعباس، (الجزائر) ..خنفوسي عبد العزيز جامعة سيدي بلعباس، (الجزائر)
89	1444	رقابة المحكمة الدستورية على القوانين في ظل الدستور الجديد 2020. -داود كمال جامعة المسيلة- الجزائر
90	1456	سلطة مجلس الأمن في إرجاء التحقيق أو المحاكمة ومنح سلطة الإحالة سعيد عبد الصمد محمد، جامعة البليدة 2، الجزائر مريوة صباح، جامعة البليدة 2، الجزائر
91	1479	شروط براءة الاختراع والتنمية المستدامة بن سالم المختار المركز الجامعي أفلو، (الجزائر)
92	1490	صناعة القائد في المجتمع كظاهرة متعددة الأبعاد نوال دحمان، جامعة الجلفة (الجزائر).
93	1499	ضمان الرعاية المادية للأشخاص المسنين في البيئة الأسرية على ضوء التشريع الجزائري. نور الهدى زغبوب جامعة -أم البواقي-، (الجزائر)
94	1517	ضوابط الحيابة العقارية في التشريع الجزائري نورالدين زبدة جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)

العنوان	الصفحة	الرقم
ضوابط سلطة القاضي المدني في اختصاص الغير بأمر المحكمة وموقف التشريع الحسين عمر جامعة بومرداس، (الجزائر)	1528	95
عصرنة إدارة الحفظ العقاري بن معمرباح المركز الجامعي تيبازة، (الجزائر)	1545	96
علاقة المجتمع المدني بالدولة بين القانون وعلم الاجتماع بالخير الدراجي، جامعة الوادي (الجزائر)	1559	97
عوامل استثارة دافعية الانجاز لدى تلاميذ المرحلة الثانوية في ظل جائحة كورونا من وجهة نظر هيئة التدريس . ابتسام بن مني ، جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي،(الجزائر). . زين الدين مصمودي جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي،(الجزائر).	1578	98
فعالية الذات لدى مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني وعلاقتها بالاعتراب الوظيفي : دراسة ميدانية في بعض ولايات الجزائر ميرة شاوشي جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة ،(الجزائر)، رابح سيساني، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة ،(الجزائر)،	1593	99
مؤامرة الحریم على حياة ملوك مصر القديمة بن حدحوم أحمد، جامعة عمار ثليجي الأغواط، (الجزائر) مريقي بوبكر جامعة عمار ثليجي الأغواط، (الجزائر)	1619	100
مبررات اللجوء إلى التحكيم لتسوية منازعات عقود الاستثمار حرير أحمد، جامعة سيدي بلعباس، (الجزائر)	1632	101
مجلس الأمن الدولي في حله للنزاعات الدولية من الأدوار المناط بها إلى الأداء والتقييم نوري عبد الرحمان، جامعة الجلفة (الجزائر)	1646	102
مدى تحقق استقلالية المؤسسة القضائية في ظل التعديل الدستوري الأخير "30 ديسمبر 2020 مع الاستدلال بالنموذج الأمريكي في مجال استقلالية القضاء) باسود عبد المالك جامعة سعيدة (الجزائر)	1664	103
مرتكزات النصوص الحجاجية و منطلقاتها التعليمية بن قطاية بلقاسم المركز الجامعي،أفلو (الجزائر)	1680	104

العنوان	الصفحة	الرقم
مركز الطفل بين الدساتير والقوانين جمعة حميدة جامعة أمحمد بوقرة -بومرداس (الجزائر)	1695	105
مساهمة الإبداع الإداري في تدعيم الميزة التنافسية للمنظمات الطاهر غراز، جامعة جيجل، (الجزائر) .أمينة نبيح، جامعة الجزائر 03،(الجزائر)	1708	106
مستوى الأداء التدريسي لدى أساتذة التعليم الابتدائي في ضوء متطلبات مناهج الجيل الثاني. مختار غريب، جامعة زيان عاشور ، (الجلفة)	1734	107
مصير حقوق المؤلف في ظل النشر الرقمي للمصنفات مازوني كوثر، جامعة الجزائر 1 (الجزائر)	1751	108
مقصد حفظ الأموال ومظاهره عند سَمَاحة الشَّيخ محمَّد الطَّاهر بن عاشور من خلال تفسيره التَّحريم والتَّنوير ياسين بولحمار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة، قسنطينة(الجزائر)	1767	109
مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في الترويج السياحي أحمد حجاج، جامعة الأغواط، (الجزائر)	1795	110
نطاق المسؤولية العقدية للشركات السياحية. أوشان حنان، جامعة عباس لغرور _خنشلة_(الجزائر).	1809	111
نظام الضمانات النووية الدولية خليل جداوي، جامعة الجلفة (الجزائر)	1822	112
واقع الهجرة غير الشرعية في الجزائر وآليات مجابهتها علي غربي، جامعة الجلفة (الجزائر)	1840	113
واقع جودة الحياة الوظيفية لدى عينة من أساتذة مرحلة الطور الثاني نقموش محمد الطاهر، المركز الجامعي أفلو، الأغواط (الجزائر)	1854	114
واقع ورهانات أنظمة الدفع الإلكتروني في البنوك الجزائرية بلحرش عائشة، جامعة تلمسان(الجزائر).	1871	115



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجلفة
مجلة العلوم القانونية والاجتماعية
علمية. دولية. محكمة



الرقم: 86 / م / 7ع / 1 / 2022

الموضوع: إشهاد بنشر مقال

يشهد رئيس تحرير مجلة العلوم القانونية والاجتماعية المجلة العلمية . الدولية . المحكمة
(صنف ج) الصادرة عن جامعة الجلفة بأن:

الباحث (ة): خليل تيووة ، جامعة تلمسان (الجزائر)

والباحث(ة): بوفاتح عبد العليم ، جامعة عمارثليجي الأغواط (الجزائر)

قد أرسلو عن طريق موقع البوابة الجزائرية للمجلات العلمية مقالا معنوناً بـ:

الاستراتيجية الحجاجية في الخطاب الترسيبي – رسائل ابن أبي الخصال أنموذجا-

وقد تم تحكيمه ونشره في العدد الأول من المجلد السابع (مارس 2022)

سلمت هذه الشهادة للمعني (ة) لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون

الجلفة في : 01/03/2022

رئيس التحرير

رئيس تحرير مجلة العلوم القانونية
والاجتماعية . جامعة الجلفة
الدكتور: أحمد بومرنق



مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

الاستراتيجية الحجاجية في الخطاب الترسلّي - رسائل ابن أبي الخصال أنموذجا-

The argumentative strategy in the rhetorical messages - the messages
-of Ibn Abi Al-Khasal as a model

خليل تيوة^{1*} ، بوفاتح عبد العليم²

¹خليل تيوة ،كلية الآداب و اللغات و الفنون ، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - (الجزائر)

عضو بمخبر تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية و إعداد معجم موحد لها (ج. تلمسان)

tiouakhalil@gmail.com

²بوفاتح عبد العليم ، جامعة عمار تليجي ، الأغواط (الجزائر)

abdelalimboufatah@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/03/01

تاريخ القبول: 2022/12/07

تاريخ ارسال المقال: 2021/12/03

*المؤلف المرسل

الملخص:

الخطاب الترسلّي من أهمّ الفنون الأدبية ذات الطبيعة التواصلية، التي تقتضي منشأ للخطاب ومتلقيا له، ولكن لا تقتصر دائما طبيعة هذا النوع من الخطاب على البعد التواصلية، فقد تأخذ أبعادا أخرى حجاجية يسعى من خلالها المتكلم إلى سلوك وضعيات واستراتيجيات معينة للوصول إلى عوالم المتلقي والتأثير فيه بهدف إقناعه، ولذا عُدّ الحجاج من أهمّ المباحث التداولية في الدرس اللساني الحديث، على اعتبار أنه إذا كانت التداولية هي علم استعمال اللغة، فإنّ الحجاج هو كيف نقنع ونؤثر باللغة .

وإيماننا منا بهذا الطرح ارتأينا من خلال هذا الورقة البحثية أن نقف على الاستراتيجية الحجاجية التي سلكها ابن أبي الخصال في رسائله، وتحديد أبعادها، والوقوف على أهمّ الوسائل الحجاجية التي تضمنها الخطاب الترسلّي عنده لخلق دينامية وفعالية للرسالة التي تعتبر من بين أهمّ مظاهر اللغة .

الكلمات المفتاحية: التواصل ، الحجاج ، الرسائل ، الخطاب ، الإقناع ، ابن أبي الخصال ، التداولية

abstract :

The communicative discourse is considered one of the most important literary arts of a communicative nature, which requires an addressee and a recipient of the discourse, but this type of discourse is not always limited to the communicative dimension. In it, and therefore Al-Hajjaj is considered one of the most important topics of pragmatics in the modern linguistic lesson, given that if pragmatics is the science of using language, then Al-Hajjaj is how to convince the recipient linguistically.

Believing in this proposition, we decided, through this research paper, to stand on the argumentative strategy that Ibn Abi Al-Khisal used in his letters, determine its dimensions, and clarify the most important argumentative means that he used in the style of his letters to achieve the greatest degree of clarity, influence and persuasion.

Keywords : Communication – argumentation - Messages - Discourse - Persuasion - Ibn Abi al-Khisal – Pragmatics.

مقدمة :

يعتبر الخطاب بشكل عام والأدبي منه على وجه الخصوص من بين أكبر المباحث التي لقيت اهتماما كبيرا من قبل الباحثين على اختلاف مشاربهم و توجهاتهم سواءً كانت فلسفية أو أصولية أو بلاغية ، فهو – الخطاب – موضوع بحث يمتد من الحضارات الغابرة كالأغريقية و حتى لما قبلها من الحضارات و العصور كالهنود الذين انكبوا على دراسة كتابهم الديني (الفيدا) ، و ذلك بسبر أغوار الخطاب الديني و الفلسفي فيه ... أما في

موروثنا العربي فإننا نجد من بين أهم أنواع الخطاب ، فناً حظي بالكثير من الاهتمام - ليس بالقدر الذي حظيت به الخطبة أو الخطابة - وإنما كان له دوره و مكانه و مقامه ... هو فن الترسلّي و عليه ، فالرسالة فن من الفنون الأدبية حظيت باهتمام الأدباء العرب في المشرق والمغرب، وبلاد الأندلس، ولذا اعتبرها الباحثون أهم وسيلة من وسائل الاتصال في العصور القديمة، قبل أن تظهر وسائل الاتصال الحديثة، إضافة إلى أنها - الرسالة - كشفت في الكثير من مضاهاها عن جوانب عديدة في العصور التي كتبت فيها، وأصبحت مرجعاً أساسياً يُعتمد به في البحث من لدن الباحثين على جميع الأصعدة التاريخية، والفكرية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية، وحتى النفسية

ولعل من بين أهم أغراضها - إضافة إلى غرض التواصل - غرض الإقناع أو المحاجة ، و هي بالتأكيد تخضع في سبيل ذلك إلى استراتيجية معينة ، تمكنها من أداء دورها الحجاجي أو الإقناعي ، فما هي تلك الاستراتيجيات في الخطاب الحجاجي عموماً ؟ و في الخطاب الترسلّي عند ابن أبي الخصال الأندلسي على وجه الخصوص ؟

وكمحاولة منا لمعالجة هذه التساؤلات في ورقتنا البحثية ، ارتأينا أن نوجزها في العناصر التالية

-مقدمة

المبحث الأول : الخطاب الحجاجي أنواعه ، خصائصه و تقنياته

1-الخطاب الحجاجي

2-أنواع الخطاب الحجاجي

3-خصائص الخطاب الحجاجي

4- تقنيات الخطاب الحجاجي ووسائله

المبحث الثاني : ابن أبي الخصال الأندلسي و استراتيجية الإقناع في رسائله :

1-ابن أبي الخصال: (نبذة عن حياته ، مؤلفاته ، رسائله)

2- أغراض رسائل ابن أبي الخصال

3- شكل الرسالة

4-استراتيجية الإقناع عند ابن أبي الخصال

-خاتمة

المبحث الأول : الخطاب الحجاجي : أنواعه ، خصائصه و تقنياته

1-الخطاب الحجاجي:

يعد الخطاب كل ملفوظ تواصلي يكون بين مرسل ومرسل إليه ، الغرض منه التواصل والتعبير عن المقاصد والأغراض، إلا أنه قد يحمل شحنة دلالية أخرى فيصبح منطوقاً أو مكتوباً تواصلياً الهدف منه الإقناع، والتأثير في المتلقي، ومن هنا يصبح الخطاب خطاباً حجاجياً.

وهذا عينه الذي أشار إليه طه عبد الرحمان حينما ذهب إلى أن ماهية الخطاب لا تقتصر على العلاقة التواصلية التي ينشئها المتكلم مع المخاطب، لأننا قد نتوجه إلى الآخر بقصد إفهامه من غير أن نسعى إلى جلب اعتقاد أو دفع انتقاد، ولذا لا بد للخطاب كي يكتسب سمته الحجاجية أن يكون له قصدان آخران هما: قصد الادعاء، وقصد الاعتراض.¹

ثم يذهب طه عبد الرحمان إلى أنه " إذا تقرر أن كل منطوق به يتوقف وصفه بالخطاب على أن يقترن بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصد الادعاء وتحصيل المنطوق له لقصد الاعتراض، بالإضافة إلى تحصيل الأول لقصد التوجه إلى الثاني وقصد إفهامه معنى ما، فاعرف أن المنطوق به الذي يستحق أن يكون خطاباً هو الذي يقوم بتمام المقتضيات التعاملية الواجبة في حق ما يسمى بالحجاج، إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها."²

وأما بيرلمان وتيتيكاه فيذهبان إلى أن الخطاب الحجاجي: " يمكن أن يكون منطوقاً كما يمكن أن يكون مكتوباً، بل إنهما ليُلحان على المكتوب ولا يكادان يأخذان أمثلتهما إلا مما هو مكتوب."³ والخطاب الحجاجي كما يعرفه إميل بنفنيست E.Benveniste هو: " كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما."⁴

فالخطاب الحجاجي هو الذي يقتضي وجود " ملفوظين على الأقل، يقوم أحدهما بتبرير الآخر، فيسمى الأول حجة الرأي المعروض والثاني نتيجة لحجة الرأي المعارض يتنزلان في سياق اتصالي خطابي بين متحاورين في سياق تحاججي معين."⁵

ولذا فإن " التداولين المعاصرين ينظرون إلى الخطاب الحجاجي على أنه متميز بخصائص بنائية تواصلية (براغماتية) تجعله مختلفاً عن غيره من الخطابات السردية، الحكائية، الإخبارية، كما أن صوره البنائية الاستدلالية والكلامية وخضوعه لشروط القول والتلقي والمقام والرغبة في التأثير والفعل كلها تتركس ذلك التميز في الفعل... ولعل أبرز ما يتجلى فيه البعد التداولي للخطاب الحجاجي هو المستوى الحوارية أو التحوارية، سواء كانت ذوات هذا التحوار مضمرة أم متعددة الأصوات والأمارات.

وهذا الذي يمكن أن نلمسه في الخطاب الترسلّي الذي تتعدد فيه الذوات، والغايات والمقاصد والأهداف بحسب طبيعة الرسالة، ومقامها التخاطبي.

وإذا كان الخطاب الحجاجي يعتمد بدوره على مجموعة من العوامل تؤثر على اتخاذ المواقف كالمصدر الذي يبث الرسالة، والرسالة، والمتلقي، بحيث أن العناصر الإقناعية مثلاً: المصدر، والرسالة، تحاول التشكيك في موقف إنسان، فتقترح تقديم موقف آخر بهدف الإقناع والتأثير اعتماداً على الحجج والبراهين.⁶ فهذا عينه ما نلمسه في كثير من رسائل ابن أبي الخصال.

ومن هنا فإن موضوع الحجاج هو " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم."⁷

ولما كانت وجهة الحجاج هي " المستقبل ، كانت الغاية منه أن يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له ويكون ذلك بالتأثير في الذهن بواسطة الوسائل الخطابية.⁸

2-أنواع الخطاب الحجاجي:

ويمكن أن نميز في ضوء ذلك بين ثلاثة أنماط من الخطاب:

أ/ **الخطاب الحجاجي البلاغي:** تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج حيث يستعملها المتكلم كوسيلة فعالة لسحر العقول بما تتوفر عليه من خيال، وجمال أسلوب يأسر العقول ويستميلها ويجعلها تسلم بالحجة والدليل، ويمتاز هذا النوع من الخطاب بخصائص أسلوبية تتمثل في الصور البلاغية كما نجد مثلا في الاستعارة الحجاجية والمثل.⁹ ويتسم هذا النوع من الحجاج أيضا بالسّمات التالية:

- اندماجه عضويا بالخطابة في شكلها المنطوق والمكتوب.
- اشتراطه لرغبتين هما إرادة المتكلم (المؤثر والمقنع) وإرادة المتلقي (المتأثر والمقتنع).
- خضوع حججه للتراتبية والتنظيم: القوة، الضعف، البدء، الختم، الإبطال، الإثبات.
- عدم قابليته للقولبة والصياغة المنطقية الشكلية والرمزية.¹⁰
- ومن أهم الأهداف التي يسعى الخطاب الحجاجي البلاغي إلى تحقيقها هي:
- التأثير في المتلقي (السامع أو القارئ) وجعله يتقاسم مع المخاطب اعتقاده واقتناعه الخاص.
- التأثير في المتلقي لجعله يقوم بالفعل الذي يطلبه ويريد به المخاطب.
- استمالة وإغراء المتلقي باعتباره ذهنًا وعاطفة (عقلا وقلبا) لكسب تأييده وتوافقه الضمني والصريح.¹¹

ب/ **الخطاب الحجاجي الفلسفي:** الحجاج بعد جوهر في الفلسفة، وهو آلية وإجراء من إجراءاتها، وتقاس صلاحية هذا الحجاج الفلسفي بمعايير خارجية: القوة والضعف، الكفاءة وانعدامها، النجاح أو الفشل في الإقناع، وغايته التأثير والتقبل، ويمتاز بخصائص منها الحوارية والجدل والمناظرة.¹²

ومن هنا يمكن القول أن الممارسة الحجاجية في الخطاب الفلسفي ليست مقصودة لذاتها بمعنى مبررة بغايات تعليمية وعقلية، ومنهجية فكرية، وهذا ما تقتضيه روح التفلسف والإشكالات الفلسفية التي تطرحها، وعلى هذا الاعتبار يستحيل أن نفصل بين الحجاج الفلسفي واللغة والمنطق والبلاغة.¹³

ج/ **الخطاب الحجاجي التداولي:** وهذا النوع من الخطاب تتجلى فيه الأبعاد التداولية من خلال الاعتناء بالتخاطب واستراتيجياته التواصلية والإقناعية، ومن أهم خصائصه الحوارية والمقام.¹⁴

3-خصائص الخطاب الحجاجي:

لقد وقفنا فيما سبق على أنه ليس كل خطاب يكون بالضرورة خطابا حجاجيا، بل يتوجب عليه في سبيل تحقيق ذلك امتلاكه لمجموعة من الخصائص و المميزات التي يتباين من خلالها عن غيره ولذا سنحاول الوقوف عليها وهي كالآتي:

أ/ **خاصية البناء والدينامية:**

الحجاج ليس عبارة عن قوالب جاهزة توجه إلى المتلقين، بل هو عملية بناء، إذ أن المحاجج يبني خطابه بالتدرج وفق تصوراته من جهة، ومن جهة ثانية وفق مقتضيات المقام المحجاجي حتى يصل بهذا الخطاب المحجاجي إلى صورته النموذجية، ومن هنا يصبح الحجاج ذا فعالية خطابية ودينامية تواصلية. ولذا لكي يكون الحجاج فعالاً لا بدّ من مراعاة عناصره وطرق بنائها وتفاعلها فيما بينها، بالإضافة إلى تكيفها مع مقتضيات المقام وتصورات المحاججين، لأن الحجج وآليات بنائها طبعاً ستختلف باختلاف المقام المحجاجي، وهذا ما سيعطي الخطاب المحجاجي فعالية ودينامية.¹⁵

ب/ خاصية التفاعل:

الخطاب المحجاجي هو تفاعل بين ذاتين، ولذا يبني على مبدأين هما مبدأ الادعاء، ومبدأ الاعتراض، ويؤديان إلى الاختلاف في الرأي أو الدعوى ويدفعان إلى الدخول في ممارسة الدفاع أو الانتصار للدعوى وهو ما يؤدي إلى تحقيق نوع من التزاوج الظاهر أو المفترض، وهنا لا بد من أرضية مشتركة تضم كل الإمكانيات المختلفة للتفاعل المباشر وغير المباشر.

وقد يُنشأ عن هذا التزاوج ازدواجاً في مختلف أركان العملية المحجاجية:

- ازدواج في القصد: أي حصول الوعي بالقصد عند كل منهما.
- ازدواج التكلم: كما لو كان المستمع هو الذي يتكلم، أو كما لو كان المتكلم يحمل لسان المستمع.
- ازدواج الاستماع: كما لو كان المستمع يحمل المتكلم في سمعه.
- ازدواج السياق: يحتوي سياق انشاء القول على نصيب من سياق التأويل، كما يحمل سياق التأويل نصيباً من سياق الانشاء.¹⁶

ج/ خاصية الالتباس:

إن التفاعل بين المحاجج والمحاجج يتم بواسطة اللغة التي تقيم قناة اتصال بينهما، وهذه اللغة هي خزان يمد المتكلم بكل الإمكانيات التعبيرية التي يعبر من خلالها عن كفاءته اللغوية وطاقته الإبداعية فلا يدخر سبيلاً لكي يصل إلى عقل مخاطبه بغية التأثير فيه ولجمه بالحجة والدليل، إلا أن الالتباس المقصود هنا هو الذي يأتي عن طريق المجاز لأن العبارة إذا جاءت عادية لا يعيرها المستمع أي اهتمام، ولكن إذا جاءت مجازية ستتحرك آليات الفهم والتأويل لديه وتدفعه نحو اعتقاد ما.¹⁷

د/ خاصية التأويل:

وهذه الخاصية من أهم خصائص الخطاب المحجاجي لأن الحجاج فعل ورد فعل، والقول المحجاجي لا يقاس إلا برد فعل المتلقي له وتقييمه له، وهذا التقييم " قد يكون تقيماً إيجابياً أو سلبياً على مستويين: مستوى أول عن طريق استقبال القول، كعلامات لغوية تحول فيها الرسالة من السنن إلى الخطاب، وفي مستوى ثان تتم عن طريق تعالق عنصري الفهم والتأويل."¹⁸

وهنا نكون أمام تأويلين أولي لمعنى القول، وثاني لمعنى معنى القول وهذا ملائمة لطبيعة الحجاج، ثم إنه لا تأويل بدون استحضار للسياق بكل عناصره.¹⁹

هـ/ خاصية الاعتقاد:

إن الاعتقادات والتصورات المرتبطة بالذات المحاجة ضرورية في بناء القول الحجاجي، لأنها حتما سيراهن عليها المتكلم كي يدعن السامع له ويقتنع بأفكاره وآرائه، وهذه الاعتقادات لا تقوم على قواعد مضبوطة بقدر ما تقوم على أنساق فكرية وعلل تتمزج فيها الأقوال بالأفعال، والمبادئ بالمسلمات، والأقوال الكونية بالأقوال السياقية الظرفية، ثم إن هذه الاعتقادات قد تكون قيما مشتركة بين جماعات وهي لا تفرض نفسها على القول الحجاجي ولكن يكون لها معنى بالنسبة لكل فاعل، وهذا المعنى المحصل نتيجة فعالية خطابية تواصلية يكون للحجاج فيها دورا مركزيا.²⁰

و/ خاصية الانتهاض إلى العمل:

هذه الخاصية تتعلق بالشرعية التي يكتسبها القول الحجاجي من لدن صاحبه وهي تقتضي مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه، وتصبح هذه المطابقة حجة في صالح المتكلم، وهذه الخاصية مبدأ ضروري في كل العمليات التخاطبية والتواصلية والتعاملية وهي "الدليل الذي يجب اعتماده للعمل بعد أن يكون الاعتقاد قد حصل مما يجعل القول الحجاجي مرهونا بالافتناع والعمل، وفي حالة انتفاء العمل يصبح الدليل على القول حجة ضد المتكلم وينقلب إلى تبكيت وتهااتف."²¹

4- تقنيات الخطاب الحجاجي ووسائله:

يقسم بيرلمان وزميله تقنيات الحجاج اللغوية إلى فئتين، هما: تقنيات طرق الوصل، وتقنيات طرق الفصل، ويقصد بالأولى "ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا أو إيجابا، وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"²².

ويذهب الشهري إلى أنه يمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى:

- . الأدوات اللغوية الصرفية، مثل: ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل السببي، والتركيب الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية، والحجاج بالتبادل، والوصف وتحصيل الحاصل.
 - . الآليات البلاغية: مثل: تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة، البديع، التمثيل.
 - . الآليات شبه المنطقية: ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، ويندرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط الحجاجية: (لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد...) ودرجات التوكيد، والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية، مثل التعدية بأفعل التفضيل والقياس وصيغ المبالغة.²³
- أما بالنسبة للوسائل والتقنيات التي تقع تحت استراتيجية الإقناع وهي:

- الوسائل اللسانية:

والمقصود بها أدوات الاتساق والانسجام، فهذه الأدوات قد تكون لها وظيفة حجاجية ونذكر منها : الإحالة التي تعتبر وسيلة لسانية حجاجية تؤثر على المستمع لعمله العقلي في إيجاد الشيء المحال له وأدوات الإحالة، والحذف: وتكمن وظيفته الحجاجية في جعل المستمع يملأ هذا الفراغ، و يدرك ما تم حذفه انطلاقاً من القرائن والسياق، وأيضاً الوصل والتكرار²⁴.

- الوسائل الأصولية والفلسفية:

ومن بين هذه الوسائل نذكر القياس: الذي يعتبر أبرز وسيلة حجاجية استوحاها الخطاب الحجاجي من الأصوليين والفلاسفة، فالقياس آلية منطقية حجاجية تمكن المحاجج من الاعتماد عليها في اقناع المعترض، فهو يزيد من القوة الإقناعية لخطاب المتكلم، أما التمثيل: فهو عقد الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج، وبيان حججه.

- الوسائل البلاغية:

والمقصود بها الحجاج بالمجاز والصور البيانية كالاستعارة والكناية والتشبيه، فهي أشد وقعاً على النفس، ولها قوة التأثير في السامع²⁵.

المبحث الثاني: ابن أبي الخصال الأندلسي و استراتيجية الإقناع في رسائله :

سنحاول في هذا المبحث أن نستعرض حياة هذا العَلم من خلال محورين، الأول سنتحدث فيه عن ابن أبي الخصال، وسيرته، وحياته، أما الثاني فسنستطرق فيه إلى رسائله، و استراتيجية الإقناع المُتبعة في جُلّ تلك الرسائل .

1- ابن أبي الخصال: (نبذة عن حياته ، مؤلفاته ، رسائله) :

هو محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد ابن أبي الخصال الغافقي، الإمام البليغ المحدث الحجة، يكنى أبا عبد الله، أصله من فرغليط من شقورة من كورة جيان، ينتمي إلى حي عربي من غافق سكن قرطبة وغرناطة²⁶ عالم بالحديث كاتب وشاعر، كان من أشهر الكتاب في زمانه، وعده الأندلسيون رئيس كتاب الأندلس، وحفظوا رسائله حفظاً²⁷.

ولد في أوائل ربيع الثاني عام خمسة وستين وأربعمائة. 465هـ²⁸ حيث نشأ في شقورة التي تسمى فرغليط وهي القرية التي ولد بها، طلب العلم في مسقط رأسه، حيث تلقى تعليمه الأول علي يد شيخه أبي الحسن بن مائل اليعمري القاضي ، وقد كان محل عناية وإعجاب وتقدير من لدن شيخه الذي لمس فيه علامات التميز والنباهة والذكاء منذ صغره²⁹ .

وبعد أن ذاع صيته وأشتهر بتفانيه وموهبته في فن الكتابة استدعي مع أخيه مروان للخدمة في ديوان الخدمة السلطانية، وذلك في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، فقرّبا إليه وصارا عنده من أنبه الكتاب، وأكثرهم مكانة عنده³⁰ .

2-1 وفاته:

اختلفت الروايات حول وفاته وسببها ، فقد قيل أنه وجد مقتولاً قرب داره بقرطبة يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة أربعين وخمسمائة 540هـ، وقد سُلِب ما كان عليه وُهبَت داره، وأُخذ ماله، وقد دفن عشية يوم الأحد بمقبرة ابن عباس في المدينة نفسها، في حين أن هناك من ذهب إلى أنه قتل يوم الأحد لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة عام أربعين وخمسمائة، وقتل معه ابن أخته عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود، الذي عرف هو كذلك بالنباهة والعلم والحلم³¹ .

3-1 مؤلفاته وآثاره:

لقد برع ابن أبي الخصال في مجالات شتى، ولكن أشهر ما عرف به هو رسائله الإخوانية التي كان يكتبها، حتى لقب برئيس كتاب الأندلس، وأما كتبه وشعره وتوابعه الأدبية، فكل ذلك مشهور، متداول بأيدي الناس، وقلّ من يُعلم بعده، أن يجتمع له مثله رحمه الله³² ومن أهم ما ألّف:

أ/ الكتب:

- كتاب **سراج الأدب**، قيل أنه اتّبع في تأليفه خطى أبي علي القالي في كتابه النوادر، والحصري القيرواني في كتابه زهر الآداب.

- كتاب **ظل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصّه رسول الله ص بالكرامة**.

- كتاب **المنهج في معارضة المبهج**.

ب/ الرسائل: وهي من أشهر ما ألّف ابن أبي الخصال، تنوعت موضوعاتها وتعددت أغراضها، منها السلطانية، ومنها الإخوانية والديوانية³³ ، فقد عُدّ له ديوان رسائل فيه رسائله وشعره، نُشر عن أصل وحيد في دار الفكر بدمشق 1987م³⁴.

ج/ الخطب والمقامات: أوثر أيضاً عن ابن أبي الخصال كتابته في فن المقامات التي جرى فيها الحريري، كما عُرف بالخطابة التي جرى فيها أيضاً ابن نباتة السعدي، والمعري³⁵.

4-1 أقوال العلماء فيه:

يُعد ابن أبي الخصال من رجالات الأندلس الذين بلغت شهرتهم الآفاق، فهو العالم الموسوعي الذي برع في ميادين شتى، وهو المحدث، والفقيه، واللغوي، والبلاغي، والكاتب، والمؤرخ، كما اتّصف أيضاً بالحلم والفتنة والذكاء والدهاء، وهذا ما أهله لأن يتبوأ مكانة مرموقة في عصره، ويصبح من أهل العلم وأهل الرياسة والريادة حتى لقب بذي الوزارتين، وبلغ من الشهرة حتى قيل فيه أنه: "لم يكن في عصره مثله، مع دين وفضل و ورع"³⁶.

وقد وقف العلماء والمؤرخون أمام سيرة هذا الرجل وكلهم إعجاب وثناء بشخصية هذا الرجل الذي مثّل بلاد الأندلس في أبهى صورها، وأصبح مضرب المثل، ما إن تذكر الأندلس إلا وذكر معها، ولذا سنحاول أن نقف على بعض ما قيل في هذا الرجل.

فقد نقل ابن بسّام في الذخيرة أن ابن أبي الخصال هو "أحد أعيان كتّاب الزمان، وحامل جملة الإحسان، بحُرّ معرفة لا تعبّر السفن، ولو جرت بشهوتها الرياح، وطوّد علم لا ترقى إليه الفطن، ولو سما بها الإمساء والإصباح، وأدب لا تُعبّر عنه الألسن، ولو أمدتها الأوتار الفصاح، إلى طول باع ورقة طباع، نجم بأفقه من بلد شقورة فأسكت القائلين، واستوفى غاية المحسنين، وهو اليوم بحيث لا تشير الأصابع إلا إليه، ولا تنطوي الأضالع إلا عليه، وله بيان لا يتعاطاه ناظم ولا ناثر، واحسان لا يبلغ مداه أول ولا آخر، وقد أثبت من كلامه مما نقلت من خطه الذي خاطبني به، ما يدل على نبهه وأدبه"³⁷.

2- أغراض رسائل ابن أبي الخصال:

وبما أن الغالب على رسائله إذ لم نقل كلها رسائل ديوانية وإخوانية، فإننا سنقف على مفهوم كل منهما:

2-1- الرسائل الديوانية: أو المكاتبات الرسمية، وغالبا تكتب عن الخلفاء والأمراء والوزراء، والقوّاد، والولاة بأقلام المتخصصين بصناعة الكتابة³⁸.

2-2- الرسائل الإخوانية: ويقصد بها تلك الرسائل المتبادلة بين الكُتّاب، وقد امتازت هذه الرسائل بتعدد وتنوع موضوعاتها بين المودة، والتشوق، والتهنئة، والعتاب، إلى غيرها³⁹.
والرسائل من حيث الغرض والغاية قسمان:

أ- قسم فكري: وغايته محاكمة الأشياء أو التأمل في بعض المشكلات دون التفات كبير إلى أسلوب بياني معين.
ب- قسم بياني: وهذا القسم الغاية الأولى منه هي إظهار البراعة الأسلوبية، أو قل إن الاستقلال بالأسلوب فيه واضح المعالم⁴⁰، ولعل هذا مما تميزت به رسائل ابن أبي الخصال حيث أنها جمعت بين النوعين.

3- شكل الرسالة:

لقد تأثرت الرسالة في الأندلس بنظيرتها في المشرق في الأسلوب إلا أنها من حيث الشكل قد تميزت عنها، فقد كانت الرسالة المشرقية تفتتح بالبسملة، والحمد والصلاة على النبي (ص)، وأما الرسالة الأندلسية فقد خرجت عن هذا التقليد فصارت على اختلاف موضوعاتها وأغراضها "تخلو في الغالب من الاستفتاح المعروف وتبدأ بالدعاء للمرسل إليه، أو بالمنظوم، أو بالدخول في الموضوع مباشرة، أو بتمهيد يتفاوت بين الاسهاب والتطويل والايجاز والاختصار تبعاً لتنوع مقامات المرسل إليهم، واستخدام الألقاب التي تتناسب ومن يُكتب إليه، أميراً أو وزيراً أو صديقاً"⁴¹.

3-1- توظيف الجمل الدعائية والمعتزضة: لقد أسهب ابن أبي الخصال في توظيف هذا النوع من الجمل في رسائله بما يتلاءم ومضمون خطابه، وتظهر قيمة هذا التوظيف أو الاستعمال في أنه "يؤدي قيمة أدائية، فهي تخصص أو قد توضح، وهي التي تكشف لنا عن عاطفة الكاتب وموقفه من الأحداث، وهي تدعم الأفكار وتعطي إشارة إلى تأرجح الكتاب الأندلسيين بين الرغبة والرغبة، وهما الدافعان للدعاء أو الاعتراض"⁴².

ومن أمثلة ذلك في رسائل ابن أبي الخصال قوله " أطال الله بقاء الفقيه الأجد، الزعيم الأكرم الأوحده، وسعده يتوقده، ومآثره تتجدد، والأيام بما يهواه تتقرب وتتودد، ولا زال جده يرقى ويصعد، ... وإنه - أدام الله نماءه، وحرس مجده وبهاءه - ...⁴³

3-2- التنوع بين النثر والشعر: عُرف الكثير من كتاب الأندلس بهذه الميزة، فتجدهم يمزجون في رسائلهم بين الشعر والنثر، وأما ابن أبي الخصال، فتتجلى لنا رسائله وكأنها شعر منشور لا ينقصه إلا الوزن والقافية في بنيتها التي لا تكاد تميز فيها بين النوعين، مما يوحي بثقافته الواسعة، وموهبته الفذة، فابن أبي الخصال لا يدخر جهداً في المزج بين الشعر والنثر لما في ذلك من أثر في المخاطبين، وسحر عقولهم، ودفعهم إلى الاستجابة والإذعان، كما يكون الهدف من التنوع إثارة انتباه السامع ودفع السأم عنه، وجذبه لموضوع الرسالة ليصبح ذاتاً مشاركة في الخطاب⁴⁴.

3-3- الاقتباس والتضمين: لا تخلو رسائله من الاقتباس والتضمين سواء من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف، وحتى من الشعر، والأمثلة على ذلك كثيرة :

يقول في رسالة " يا عمادي الأعظم، وعلق ادخاري الأنظم، ومحل استظهاري الأكرم، الذي لا أعدل به جليلاً، ولا أجد لسنة بره تحويلاً...⁴⁵ فقد اقتبس الجملة الأخيرة من الآية 43 من سورة فاطر (فلن تجد لسنة الله تبديلاً...).

3-4- اللغة والأسلوب: وأما من حيث الأسلوب فابن أبي الخصال قد اعتمد في أسلوبه على توظيف الخيال والبيان بصورة كبيرة، كما التزم بالسجع في أواخر الفقر والفواصل، وتوشيحها بالشعر والأمثال، والتورية بالأسماء، وتضمين القرآن والحديث⁴⁶.

ويُظهر ابن أبي الخصال من خلال أسلوبه، براعته في التعبير عن المعاني، وتقليبها على الأوجه الممكنة حتى يتراءى للقارئ أنها تكراراً، كما أنه يميل إلى الجمل القصار، والاطناب في موضع الاطناب، والايجاز في موضع الايجاز، بما يتلاءم والمقام.

4- استراتيجية الإقناع عند ابن أبي الخصال:

إذا أنعمنا النظر إلى أسلوب ابن أبي الخصال نجد أنه قد كشف من خلال رسائله عن كفاءة تداولية وطاقه حجاجية تجاوزت الفهم والإفهام إلى التأثير والإقناع والإذعان، وهذا ما جعل من رسائله رسائل حجاجية تكيفت مع مقتضيات عصره، ذلك العصر الذي عرف بعض المظاهر التي هددت أركان الدولة الإسلامية في الأندلس، فكانت غايته هي الدفاع عن هذه الدولة بالكلمة والقلم من أجل التأثير في السلوك والأفكار، والتنبيه على الأخطار المحدقة بأركان هذه الدولة.

فابن أبي الخصال عايش أهل زمانه عن قرب وكان عالماً بأحوالهم، لذا جاء خطاب رسائله مطابقاً لمقتضيات المقام، فالظروف السياسية والاجتماعية جعلت من شخصيته شخصية هادفة تسعى إلى اصلاح المجتمع الأندلسي وتغيير سلوكاته ومعتقداته، واستنهاض الهمم لإدراك المخاطر المحدقة.

وذلك لأن الحجاج " يستمد خصائصه وقيمه من الحقل الذي تتحقق فيه شرعيته، وقد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس وقيمهم، أو يكون هو الفكر والتفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيداً وتجريداً"⁴⁷. وقد استطاع ابن أبي الخصال في رسائله أن يشكل ذاتاً محورية تقيم تواملاً مع أطراف متعددة بتعدد مقاماتها ومخاطبيها، لذا نجد أن لكل رسالة عنده استراتيجية معينة تختلف باختلاف موضوعها ومقامها وأحوالها. وإذا كانت الحوارية هي أهم تجلٍ من تجليات البعد التداولي في الخطاب الحجاجي، فالرسالة أقرب خطاب يحقق ذلك، وهي العلاقة التخاطبية التي يقيمها ابن أبي الخصال بينه وبين مخاطبيه، والتي تتغير وتتوسع فيها الأداءات في ظاهري:

- التشخيص: وهو خاصية تلفظية تتميز بجدّة العلاقة الخطابية مع الشريك أكان حقيقياً أو متخيلاً فردياً، أو جماعياً، أي هو تجريد ذات ثانية ينزلها المخاطب من نفسه ممزلة المعترض على دعواه وهو نوعان: صريح وضمني.

- المقام: وهو مفهوم تجريدي يدل على الموقف التواصلية، وتلتقي فيه جميع العناصر الحجاجية من مقدرات برهانية وحقائق فعلية وقرائن بلاغية وقيم شتى أقسامها، وهو شرط تداولي بلاغي يُعنى بضرورة موافقة أفعال القول لمقتضى الحال والموقف الخاص به⁴⁸.

ثم إن البراعة الأسلوبية التي تميز بها ابن أبي الخصال جعلت منه سيد كتاب الأندلس وقد انعكست هذه البراعة على رسائله، فقد استطاع بأسلوبه الأخاذ أن يأسر متلقي رسائله ويفحّمهم بعذوبة ألفاظه وقوة معانيه وبلاغة بيانه لأن " الفعالية الحجاجية لا تظهر وتنسجم لغوياً إلا بمهارات أسلوبية وتأثيرات بلاغية، فهذه العوامل تخضع للشروط الإبداعية الابتكارية كمتطلبات جمالية وألبسة يتلبسها مسار الحجاج وعلاقاته الداخلية، هكذا تتفاوت هذه العوامل من نص حجاجي إلى آخر، فالأساليب ومهارات البيان والتبيين تقوي الحجج وتزيد من فعاليتها، أي تعمل لصالح التأثير والإقناع"⁴⁹.

فالخطاب الحجاجي المعاصر أصبح يعني كثيراً بالاستراتيجيات والآليات التي تسهم في بناء هذا الخطاب واعطائه دينامية وحركية يهدف من خلالها إلى " الأسر والاستمالة استناداً إلى أنماط الاستدلالات غير الصورية، وذلك بغاية إحداث تأثير في المخاطب بالوسائل اللسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول، من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية."⁵⁰

و قد تكلم الشهري عن أهمية الحجاج كاستراتيجية تخاطبية اقناعية وتحدث عن مسوغات استعمالها وحددها في مايلي:

- أن تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتائجها أثبت وديمومتها أبقى، لأنها تنبع من حصول الإقناع عند المرسل إليه غالباً لا يشوبها فرض أو قوة.

- تمايزها من الاستراتيجيات المتاحة الأخرى، مثل الاستراتيجية الإكراهية لفرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه دون حصول الاندفاع الداخلي أو الإقناع الذاتي، فافتناع المرسل إليه هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه في خطابه.

- الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج، فالحجاج شرط في ذلك، لأن من شروط التداول اللغوي شرط الإقناعية.

- الرغبة في تحصيل الإقناع، إذ يغدو هو الأعلى لكثير من أنواع الخطاب.

- إبداع السلطة، فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه، ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه، إذ لا تحقق استراتيجية الإقناع نجاحها إلا عند التسليم بمقتضاها، إما قولاً أو فعلاً وما جعل الإقناع سلطة مقبولة هو كون الحجاج الأداة العامة من بين ما يتوسل به المرسل من أدوات وآليات لغوية.

- شمولية استراتيجية الإقناع، إذ تمارس على جميع الأصعدة... وهذا يعزز استراتيجية الإقناع⁵¹.

ومن هنا كان موضوع الحجاج هو " دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم."⁵²

فابن أبي الخصال لا يتوقف في رسائله على إقامة التواصل من أجل تحقيق الفهم والإفهام بل يتجاوز ذلك، باعتبار انشاء التواصل هو مرحلة أولى يتم من خلالها جلب القارئ المخاطب وتهيئته للمرحلة الثانية التي يتجلى من خلالها التأثير في المتلقي وإقناعه لأن " حاجة المتكلم إلى مراعاة المتلقي والاستحواذ على انتباهه في مرحلة أولى ثم الفعل فيه في مرحلة ثانية، أمر قد أجمع عليه كل الدارسين المهتمين بالحجاج وأفانينه، فالمتلقي هدف الخطاب وموجهه في الآن، إذ يحدد ملامحه ويقرر اختيارات المتكلم وطرائقه في الإقناع ويتدخل في تنظيم الحجج وترتيب أقسام الكلام"⁵³.

ولذا فإن الدراسات والأبحاث وجهت جل اهتمامها للبحث في الآليات التي تضمن نجاح الحجاج ونجاعته وفعاليتها، وتناول استراتيجيات الخطاب الحجاجي من مختلف أبعاده ومراميها وغاياتها، باعتبار أن تلك الآليات والاستراتيجيات هي التي تنجح في تقوية انخراط المخاطب، بشكل يطلق لديه الاستعداد للعمل، أو الفعل، أو الاقتناع، أو الثقة، والتي يمكن أن تتحقق في الوقت المناسب، أو على الأقل تجعله غير قادر على رفض القول الحجاجي⁵⁴.

ومما يلاحظ على استراتيجيات الإقناع عند ابن أبي الخصال هو ادراجه للأدعية في مقدمات رسائله، وهذا ما يجعل من الدعاء " بروتوكولا مهما في البناء الاستراتيجي لكونه رسالة - ذات قيمة تداولية - تقدم في شكل تنبيه للقارئ مشحونة بكثافة إيديولوجية (مقصدية) للدخول في خرائط توليد المعاني عن طريق التأويل والقراءة، فهو بمثابة عقد صلة التخاطب بينهما"⁵⁵.

فالمرسل في بناء خطابه الإقناعي يتوجب عليه مراعاة أحوال المرسل إليه وظروفه واستحضار معرفته وقدرته، وكذلك ما يحيط به من ظروف نفسية وأحداث اجتماعية⁵⁶.

وإذا كانت الرسالة الفنية " تتطلب من منشئها أن يستخدم طاقات فنية مختلفة تتعلق بالدقة في اختيار الألفاظ، وحسن تنميقها، وحلاوة تركيب الجمل، وصياغة العبارات في تأليف المعاني، والموازنة بينها وبين الكلمات التي تعبر عنها إلى جانب توفير الإمتاع الفني لنفس القارئ"⁵⁷.

فإن ابن أبي الخصال قد نحنا هذا المنحى فرسائله كلها أوحّت بدلالاتين أولاهما مرتبطة بالإمتاع من خلال أسلوبه الفني، وقدرته اللغوية اللتان سمحتا له بالتدرج في عرض الرسالة من مستوى إلى مستوى حتى يصل بالمتلقي إلى ذروة المتعة الفنية، واللذة الجمالية، بما تحويه الرسالة من طاقات بيانية، وزخرفات معنوية ولفظية، فيذعن له المرسل إليهم، وتنقاد له النفوس، فيصل إلى الغاية، ويتحقق له الإقناع.

خاتمة:

ومن هنا فإن ابن أبي الخصال تبنى في رسائله استراتيجية تواصلية إقناعية تأثيرية رام من خلالها بناء رسائله وفق " متغيرات الوضع المقامي والخلفيات النفسية والمعرفية للمتكلم، وعلاقاته بالمستمع ومقتضيات المقام الخاصة والعامّة." 58

فكل رسالة تقتضي نمطا وبناء يختلف عن الآخر حسب موضوع الرسالة، ووظيفتها، والشخص الموجه إليه الخطاب الترسلّي، وهنا تتجلى لنا الصلة القائمة بين البناء الشكلي للرسالة ومقتضيات الترسّل والتخاطب لأن " الوظيفة العاملة للرسالة ذات البلاغة الخطابية هي عقد صلة التخاطب، واستمالة المخاطب." 59، فهو يستميل المرسل إليه و يذكّره بمحاسن و طيب العلاقة التي تربطه به في حال رسائل المودة أو الاعتذاريات، و يظهر الولاء و الاحترام في رسائله للقادة و الأسياد و يستهل خطابه لهم بذكر مناقبهم و أفضالهم، اذا ما رام خدمة منهم أو توسط لديهم .

و بهذه الفطنة و النباهة، و حسن التأليف و التدبير (في فن التواصل و الترسّل)، اكتسب هذا العالم الأجل سمعته الطيبة، و مكانته الرفيعة، و أصبحت رسائله مضرب مثّلٍ ومحلّ عناية واهتمام الدارسين، ما جعل كتاب عصره يتلقفونها، فقرأوها، وقلدوها، وحفظوها، وأصبح ابن أبي الخصال سيد كتاب الأندلس، ورئيسهم، ومرجعهم، وإمامهم.

المصادر و المراجع :

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد، المعجم في أصحاب القاضي الامام أبي علي الصدفي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2000م.
- أبو الحسن بن سعيد الأندلسي، رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1987م.
- أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: احسان عباس، ق 3، مج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997م.
- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997م.
- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 30، العدد 01، يوليو/ سبتمبر، 2001م
- حسن عفات، رسائل ابن أبي الخصال، دراسة حجاجية، دكتوراه، الجامعة المستنصرية، العراق، 2019م.

- زوليخة زيتون، الرسائل النقدية من (من القرن 3هـ إلى القرن 06 هـ) بين سلطة الخطاب واستراتيجية الكتابة، دراسة تداولية، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة 1، 2016-2017م.
- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث ، ط 2 ، إربد ، الأردن، 2011 م .
- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014م.
- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج.
- عبد الله بن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1988م.
- عبدالله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة - لبرلمان تيتيكاه.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الحديث المتحدة، ط1، 2004.
- علي رزق، نظريات في أساليب الإقناع، دراسة مقارنة، دار الصفوة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.
- فاطمة مفلح العبدالات، الحض على الجهاد في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كانون الأول، 2007م.
- فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، 1989م.
- فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، منشأة المعارف، الاسكندرية، دط، دت.
- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج2.
- ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1989م.
- هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي، بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الآداب واللغات، ورقلة، العدد 05، مارس 2006 م .

الهوامش:

- ¹ ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م، ص 225.
- ² المرجع السابق نفسه، طه عبد الرحمان، ص 226.
- ³ حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 307.
- ⁴ عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014م، ص 119.
- ⁵ نعمان بوقرة، الخطاب والنظرية والإجراء، ص 71.
- ⁶ ينظر: علي رزق، نظريات في أساليب الإقناع، دراسة مقارنة، دار الصفوة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص 81.
- ⁷ حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 299.
- ⁸ المرجع نفسه، ص 304.
- ⁹ هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي، بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الآداب واللغات، ورقلة، العدد 05، مارس 2006م، ص191.
- ¹⁰ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 110.
- ¹¹ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 111.
- ¹² هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي، بين نظرية البيان ونظرية البرهان، ص 191.

- 13 حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 116.
- 14 هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي، بين نظرية البيان ونظرية البرهان، ص 191 - 192.
- 15 ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006م، ص 129 - 130.
- 16 ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 130.
- 17 ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 131.
- 18 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 132.
- 19 ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 132.
- 20 ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 133 - 134.
- 21 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 135.
- 22 الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 477.
- 23 المرجع نفسه، ص 477.
- 24 ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 90.
- 25 ينظر: المرجع نفسه، ص 91 - 92.
- 26 لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج2، ص 269.
- 27 ينظر: أبو الحسن بن سعيد الأندلسي، رايات المرزبن وغايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1987م، ص 188.
- 28 لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص 287.
- 29 ابن الأبار، أبو عبد الله محمد، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2000م، ص 135.
- 30 ينظر: فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، ص 12.
- 31 ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ص 288.
- 32 المرجع نفسه، ص 270.
- 33 ينظر: عبد الله بن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص 14.
- 34 أبو الحسن بن سعيد الأندلسي، رايات المرزبن وغايات المميزين، ص 188.
- 35 ينظر: المصدر نفسه، ص 15. و ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997م، ص 229.
- 36 لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ص 269.
- 37 أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ق 3، مج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997م، ص 786 - 787.
- 38 ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1989م، ص 152.
- 39 المرجع نفسه، ص 20.
- 40 إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ص 231.
- 41 فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص 315.
- 42 فاطمة مفلح العبدلات، الحض على الجهاد في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كانون الأول، 2007م، ص 144.
- 43 عبد الله بن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص 288 - 289.
- 44 ينظر: فاطمة مفلح العبدلات، الحض على الجهاد في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ص 146.

- 45 عبد الله بن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص 107.
- 46 فوزي عيسى، مقامات ورسائل اخوانية، ص 23.
- 47 حبيب أعراب، الخطاب الحجاجي، ص 99 - 100.
- 48 هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، العدد 05، مارس 2006م، ص 192.
- 49 حبيب أعراب، الخطاب الحجاجي، ص 106.
- 50 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 67.
- 51 الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 446.
- 52 عبدالله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة - لبرلمان تيتيكاه، ص 297.
- 53 سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، ص 90.
- 54 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 126.
- 55 زوليخة زيتون، الرسائل النقدية من (من القرن 3هـ إلى القرن 06 هـ) بين سلطة الخطاب واستراتيجية الكتابة، دراسة تداولية، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة 1، 2016-2017م، ص 247.
- 56 ينظر: الشهري، استراتيجيات التخاطب، ص 455.
- 57 فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، ط 1، 1989م، ص 85.
- 58 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 69.
- 59 صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة، ص 292.